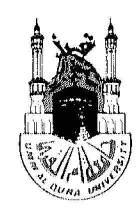
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها
" ٤ "

الحياة العلمية في صقلية الإسلامية

(٢١٢ ـ ٤٨٤هـ / ٨٢٦ ـ ١٠٩١م)

الدكتور
علي بن محمد بن سعيد الزهراني
أستاذ النظم الإسلامية المساعد
بجامعة أم القرى

١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة

سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها
" ٤ "

الحياة العلمية في صقلية الإسلامية

(٢١٢ ـ ٤٨٤ هـ / ٨٢٦ ـ ١٠٩١م)

الدكتور
علي بن محمد بن سعيد الزهراني

أستاذ النظم الإسلامية المساعد
بجامعة أم القرى

١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م



ⓒ جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

الزهراني ، علي بن محمد

الحياة العلمية في صقلية الإسلامية : ٢١٢ ـ ٤٨٤ هـ / ٨٢٦ ـ ١٠٩١ م / إشراف ضيف الله بن يحيى الزهراني .

٦٥٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم (إصدارات مركز بحوث العلوم الاجتماعية) .

ردمك ١ ـ ٠٦٠ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

ردمد ٣٧٢٢ ـ ١٣١٩

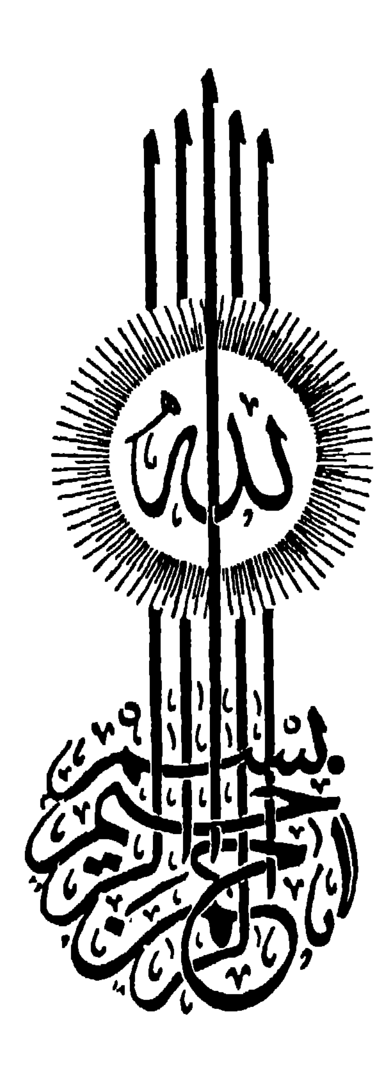
١ ـ صقلية ـ تاريخ ٢ ـ العلوم عند المسلمين أ ـ الزهراني ، ضيف الله بن يحيى (مشرف) ب ـ العنوان ج ـ السلسلة

ديوي ٩٤٥ ١٦ / ٠٤٧١

رقم الإيداع : ١٦ / ٠٤٧١

ردمك ١ ـ ٠٦٠ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

ردمد : ٣٧٢٢ ـ ١٣١٩


الله
بسم الله الرحمن الرحيم


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا العمل هو رسالة دكتوراة في « الحياة العلمية في صقلية الإسلامية » من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . قسم : الدراسات العليا التاريخية .

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق



الإهــــــداء

إلى كل الذين يعملون من أجل رفع شأن الأمة المسلمة .

إلى أبي وأمي جزاء ماقدّما لي من رعاية واهتمام ، وبرّاً بهما .

إلى إخواني الكرام الذين شدّوا من أزري .

إلى أولادي محـمـد وعـبـد الرحـمن وأحـمـد وآلاء ، وأم أولادي ، الذين منحوني فرصة الدراسة والبحث .

إلى كل هؤلاء أقدم لهم هذا العمل كخطوة في طريق الكفاح العلمي .



شكر وتقدير

الحمد لله حمداً حمدا ، والشكر له شكراً شكرا ، اللهم إني أحمدك وأشكرك حتى ترضى ، وفوق الرضا ، لما أنعمت به عليّ مما لايُعدّ ولايحصى . والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً ، وعلى آله وصحبه البررة الكرام ، ومن اتبع سبيل الرشاد إلى يوم الدين . أما بعد .

فإنه أرى لزاماً عليّ أن أتقدم بالشكر والتقدير لكل من له فضل عليّ ، ومساهمة في إخراج هذا البحث ، فأتوجه بداية بخالص الشكر والإحترام لوالدي أمدّ الله في عمرهما ، ومتعهما بالصحة والعافية ، فقد كانا خير سند ومعين لي في مواصلة دراستي .

وأتقدم بالشكر أوفاه وأجزله ، والوفاء أخلصه ، والفضل أكبره ، والعرفان كله ، لأستاذي الفاضل الدكتور **ضيف الله بن يحيى الزهراني** ، الذي تولى مهمة الإشراف على هذا البحث ، فكان معي بعلمه وجهده ووقته ، وقرأ بحثي هذا حرفاً بحرف ، وكلمة بكلمة ، مما كان لتوجيهاته وإرشاداته أبلغ الأثر في إخراج البحث على الصورة المؤملة ، وإنني أدعو الله عز وجل أن يجزيه عني خيراً ، ويبارك له في صحته وعلمه ويمد في عمره .

وأتوجه لأستاذي الكريم الدكتور **حسام الدين السامرائي** بخالص الشكر والتقدير الذي أشرف على بحثي هذا فترة من الزمن ، فبارك الله في علمه وصحته ووقته .

وللأستاذ الدكتور **حسن الوراكلي** مني خالص الشكر والتقدير ، لإشرافه على بحثي هذا فترة من الزمن ، وأدعوا الله أن يبارك له في علمه وصحته ووقته .

ولكل من أهدى إليّ معلومة ، أو أسدى إليّ نصيحة كل تقدير واحترام ، وأخص بالذكر الدكتور **تقي الدين عارف الدوري** ، رئيس قسم التاريخ بجامعة بغداد ، والأستاذ الدكتور **سعيد عبد الفتاح عاشور** ، رئيس اتحاد المؤرخين العرب ، كما أسجل خالص التقدير والإحترام للأستاذين الفاضلين ، الأستاذ الدكتور يوسف بن أحمد حواله ، والأستاذ الدكتور مريزن بن سعيد عسيرى ، حيث كان لتوجيهاتهما وملاحظاتهما الأثر الإيجابي المباشر على هذا الكتاب .

ولجامعتي الفتية تقدير خاص ، ممثلة في معالي مديرها ، ولكليتي العريقة تقدير أخصّ ، ممثلة في سعادة عميدها .

ولجميع الاخوان والزملاء والأصدقاء ، وكل من أعان على إخراج هذا البحث ، الدعاء الخالص أن يكافئ الله كل صانع معروف .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

علي محمد الزهراني

المقدمة : نطاق البحث وتحليل لأهم المصادر والمراجع :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ، أما بعد :

فإن البحث في مجال الحياة العلمية الإسلامية لأي بلد من البلدان ، يتطلب جهداً خاصاً ، وبحثاً مضنياً في بطون أمهات الكتب ، وماالحياة العلمية في صقلية الإسلامية إلا مثال لذلك ، بل إن الحديث عن جوانب الحياة العلمية المختلفة بها كان من أشقّ الأمور وأصعبها نظراً لأن الكثير من المصادر ، عندما تتعرض الى صقلية فإنها تتكلم عن الجانب السياسي والعسكري ، دون غيرهما من جوانب الحضارة الإسلامية ، وخاصة العلمية منها .

أما عن اختيار موضوع (الحياة العلمية في صقلية الإسلامية) موضوعاً للدراسة ، فقد كانت فكرته الأولى ، بينما كنت أقرأ في كتاب (المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا) لمؤلفه أحمد توفيق المدني ، فقد وردت فيه إشارات الى عدد من علماء صقلية في مختلف المجالات ، وشدّني في الكتاب مناشدته لأبناء الأمة المسلمة وشحذ هممهم لدراسة هذه البقعة الإسلامية المنسية ، ودورها في تاريخ الحضارة الإسلامية ، وكان لتلك المناشدة ، ولرغبتي الأكيدة في دراسة جوانب الحياة العلمية لأي بلد إسلامي ، أثرهما في اختيار موضوع الدراسة .

ومما زاد في أهمية الاختيار أنني لم أجد كتاباً ـ فيما أعلم ـ يتحدث عن الحياة العلمية في صقلية الإسلامية في فترة الوجود الإسلامي بها ، فكان هذا في حد ذاته دافعاً أكيداً للقيام بتلك المهمة ، وإبراز دور المسلمين في صقلية ، بما قدموه للأمة المسلمة من تراث علمي ، كان له أثره المباشر في إثراء الثقافة الإسلامية من جهة ، ومن جهة أخرى ، بتأثيرهم في الحضارة الإنسانية ، والأوروبية على وجه الخصوص .

وعلى الرغم من علمي المسبق بأنني سأجد صعوبة في البحث في مثل هذا الموضوع فقد عقدت العزم مستعيناً بالله في وضع خطة الدراسة ، التي جعلتها في أربعة أبواب يسبقها تمهيد ومقدمة .

وقد خصصت التمهيد للحديث عن الفتح الاسلامي لجزيرة صقلية ، وتطور أوضاعها السياسية ، وذلك بطريقة مختصرة ، أشرت فيها الى البدايات الأولى لمحاولة فتح صقلية ومستعرضاً للغزوات الإسلامية عليها ، إلى أن تمكن جيش أسد بن الفرات من دخولها في سنة ٢١٢هـ/٨٢٦م ، وتتبعت باختصار أيضاً تطور مراحلها السياسية في عهد الأغالبة والفاطميين وولاتهم من الأسرة الكلبية ، وماآلت إليه أوضاعها من التدهور والإنقسام بعد الثلث الأول من القرن الخامس الهجري ، إلى أن سقطت في أيدي النورمان وانتهت سيادة المسلمين عليها سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م .

أما الباب الأول : فقد خصصت الفصل الأول منه لدراسة أوضاع جزيرة صقلية الاجتماعية .

والفصل الثاني منه لدراسة الحياة الاقتصادية ، والفصل الثالث لدراسة الحالة المذهبية في صقلية ، أما الفصل الرابع فقد خصص لبيان اثار التطورات الاجتماعية والاقتصادية والمذهبية على الحياة العلمية في صقلية الاسلامية ، وذلك لبيان أن أي نجاح في تلك المجالات ينعكس على تطور الحياة العلمية .

أما الباب الثاني : فقد خصصته لدراسة مظاهر النشاط العلمي في صقلية الاسلامية في ظل الحكم الإسلامي ، وأشتمل على ثلاثة فصول ، كان الأول منها للحديث عن عناية حكام صقلية بالعلم والعلماء ، فذكرت بداية اهتمام الأغالبة بالعلم والعلماء ، واستشهدت بنماذج تعبر عن ذلك الاهتمام ، ثم أشرت الى بعض الأمثلة مما له علاقة بالموضوع ، وخصص الفصل الثاني للحديث عن

تطور الحركة العلمية في صقلية الإسلامية ، سواء عن طريق الرحلة في طلب العلم ، أو الاجازات العلمية ، أو المجالس ذات العلاقة بالناحية العلمية ، وفي الفصل الثالث ، تعرضت للحديث عن نظام التعليم ومؤسساته كالكتاتيب ، والمساجد ، والأربطة ، ومنازل العلماء ، ودور الكتب ، وخلاف ذلك .

أما الباب الثالث : فكان مخصصاً لدراسة النتاج العلمي في صقلية الإسلامية في فترة البحث واشتمل على اربعة فصول ، تطرقت فيها إلى كل ما أمكن العثور عليه من معلومات تتعلق بانتاج علماء صقلية الإسلامية ، في شتى المجالات .

ومما أود ذكره هنا أن ماأوردته في هذا الباب من علماء صقليين ، انما كانت ولادتهم قبل نهاية الحكم الإسلامي لجزيرة صقلية في سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م وإن لم تذكر المصادر تواريخ ولادتهم فإن ذلك يستنتج من خلال شيوخهم أو تلاميذهم .

وقد خصصت الفصل الأول من هذا الباب للحديث عن الدراسات الشرعية مبتدئا بذكر علوم القرآن ، ثم علوم الحديث ، ثم علوم الفقه ، وأخيراً تطرقت الى علم الكلام . وقد كان الحديث فيه عن كل ماله علاقة بهذا العلم من حيث ذكر العالم وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته .

أما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن انتاج علماء صقلية في مجالي الدراسات اللغوية والأدبية الشعرية ، على أن من الملاحظ هنا أنه قد يصعب تصنيف العالم ، فعالم القراءات نجد أنه لغوي نحوي ، ونجد المحدث فقيها وأديبا ، ومع ذلك فقد عملت جهدي لمحاولة حسن العرض ، فأذكر اهتمامات الشخص بعلم معين في مكانه ، ثم أذكره مرة أخرى فيما اشتهر به ايضاً ، وعند حديثي عنه للمرة الأولى أحاول أن استقصي كل مايتعلق ببداياته ونشأته وتعليمه .

وفي الفصل الثالث من هذا الباب كان الحديث عن العلوم الاجتماعية ، وتظهر فيه قلة المعلومات التي أوردتها المصادر عن هذا الجانب ، على الرغم من

محاولة استقصاء كل مايتعلق به فيما أمكن الاطلاع عليه من مصادر ومراجع ، وقد اشتمل الحديث فيه عن علم التاريخ ، الذي لم يبرز فيه الصقليون ، ومايتعلق بالزهد والتصوف ومظاهره وعلمائه في صقلية ، ممايعكس هروباً من واقع معين عاشته المجتمعات الصقلية ، وأشرت فيه أخيراً الى الفلسفة وظهورها في صقلية في حدود ماأوردته المصادر من معلومات .

أما الفصل الرابع فقد تحدثت فيه عن العلوم البحتة والتطبيقية في صقلية ولم يكن ذلك بأحسن حالاً من الفصل السابق ، فقد بحثت في كل ماتوفر لدي من مصادر ومراجع علني أجد مادة تثري البحث ، وتبين لنا دور علماء صقلية في هذا المجال ، فلم أجد سوى تلك الإشارات الموجزة عن علماء صقليين كان لهم اهتمام بالطب ، وأخرين كان لهم المام بعلم الفلك ، وبعض من اشتهر بالهندسة الفلكية ، وخلاف ذلك .

أما الباب الرابع : فقد كان للحديث عن الحياة العلمية في صقلية بين التأثر والتأثير واشتمل على فصلين ، خصص الأول منها لدراسة علاقات علماء صقلية بالبلدان الاسلامية ، وذلك لأن أكتمال استعراض النتاج العلمي لايتم إلا بالتعرض لآثار علماء صقلية في ديار الإسلام ، فتكلمت عن علاقات صقلية الثقافية مع المغرب ، ثم مع الاندلس ، ثم مصر والشام ، وبعض البلدان الاسلامية الأخرى ، وقد بينت في هذا الفصل جانبي التأثير والتأثر .

أما الفصل الثاني من هذا الباب فقد تحدثت فيه عن أثر الحياة العلمية في صقلية الإسلامية على أوربا ، واقتصرت على ذكر ماأنتجه الصقليون ، أو كانوا سببا في نقله الى أوربا ، ولم أتعرض الى دور صقلية كمعبر من معابر الحضارة الإسلامية الى أوربا ، ذلك لخروج هذا الموضوع عن اطار البحث ، فبالحديث عن ذلك يستلزم الإشارة إلى كل ماكانت صقلية هي سبيل عبوره إلى أوربا سواء كان ذلك من انتاج علماء صقلية ، أو أي بلد إسلامي آخر .

وأخيرا اشتمل البحث على خاتمة تضمنت أهم نتائج البحث ، وألحقت به عدة ملاحق تضمنت قوائم بأسماء الحكام الأغالبة ، وتواريخ ولاياتهم ، والحكام الفاطميين أصحاب العلاقة بصقلية ، وولاة صقلية فترة الحكم الاسلامي لها .

وفي نهاية البحث أوردت قائمة بكل مصادر البحث المخطوط منها والمطبوع ، والمراجع الحديثة ، والموسوعات ، والمقالات ، والتي أسهمت في بناء الهيكل العام للبحث .

وبعد فلقد بذلت قصارى جهدي في سبيل اخراج هذا البحث في صورة مرضية ، فإن كنت قد وفقت فذلك من الله وله الحمد والشكر ، وإن كنت قد قصّرت فذلك من نفسي وحسبي أنني بذلت كل ماأستطيع بذله ، وفي ذلك دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ، « فما إن يكتب انسان كتابا في يومه إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل » . كما قال الأصفهاني .

وفيما يتعلق بمصادر ومراجع البحث ، فقد اعتمدت على مجموعة كبيرة من المصادر المخطوطة والمطبوعة والمراجع الحديثة والبحوث والمقالات ، وذلك لأن البحث عن تاريخ مسلمي صقلية يحتاج الى التنقيب في كتب المؤرخين ، وكتب الطبقات ، وكتب التراجم ، وكتب السيّر ، والمجاميع الأدبية ، وكتب الجغرافية والرحلات ، وخلاف ذلك مما يوصل الى معلومة ذات علاقة بتاريخ المسلمين في صقلية .

ولقد عانيت كثيرا في سبيل استخراج المعلومات من مظانها من المصادر المتنوعة ، وهذا أدى بالتالي إلى امكانية الاطلاع على مصادر كثيرة كوّنت في مجموعها كيان البحث ، مما يصعب معه أمر تناولها جميعا ، ولكني سوف أقتصر على ذكر الأهمّ من تلك المصادر والتي اعتمدت عليها بدرجة كبيرة في بناء البحث ، وسوف أذكرها هنا حسب أهميتها في بناء البحث بصرف النظر

عن تخصصها وسنيّ وفاة مؤلفيها ، أو مخطوطها من مطبوعها . ومن تلك المصادر مايلي :

كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، وهو لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المتوفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م ، وهو معجم لأتباع المذهب المالكي ، فقد ذكر فيه عدداً كبيراً من أعلام صقلية ، وذلك بحكم أن الغالبية العظمى من فقهاء صقلية هم من أتباع المذهب المالكي ، فتحدث عن دورهم ومؤلفاتهم وأسماء شيوخهم وتلاميذهم ، وعلاقاتهم العلمية ورحلاتهم ، مما كان لذلك كله أكبر الأثر في إعطائنا معلومات هامة ذات علاقة مباشرة بموضوع البحث ، وزاد من أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه عاش في فترة زمنية قريبة من أولئك العلماء . وعلى هذا فإن استفادتي من هذا المصدر كانت في أكثر من موضوع في البحث ، وخاصة في الباب الثالث .

كتاب الغنية ، للقاضي عياض أيضاً ، وهو عبارة عن فهرست لشيوخ القاضي عياض ، وتأتي أهمية المعلومات التي وردت فيه ولها علاقة بالبحث ، أنها لم ترد عند غيره ، وكان مما أستفدته من هذا المصدر مايتعلق بموضوع التلمذة على علماء صقليين ، وماورد فيه من اشارات فيما يتعلق بموضوع الإجازات العلمية من شيوخ صقلية لطلاب العلم في بعض البلدان الإسلامية .

كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لمؤلفه برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري المدني ، المعروف بابن فرحون ، المتوفي سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م . وهو كتاب يتحدث فيه مؤلفه عن مشاهير الرواة ، وأعيان الناقلين لمذهب الإمام مالك والمؤلفين فيه ، وجملة من حفاظ الحديث . وينقل فيه مؤلفه عن كتاب « ترتيب المدارك » للقاضي عياض ، في بعض الأحيان ، وقد استفدت من هذا المصدر فيما ذكره عن فقهاء صقلية من أتباع المذهب المالكي ، ولاتقل أهمية المعلومات التي استقيتها منه عن تلك التي كان مصدرها «ترتيب المدارك » .

كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيراون ، الذي ألفه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي ، المعروف بالدباغ ، المتوفي سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م وهو كتاب في التراجم والحياة الثقافية بالقيروان ، وبه بعض المعلومات التاريخية عن رجال الفتح ، ومن دخلها من الصحابة والتابعين ، وكان للمعلومات التي أوردها الدباغ عن علماء صقلية ذات أهمية كبيرة ، فهو ينفرد بذكر تراجم لأعلام صقليين لم يتعرض لهم غيره ، كما كان لما أورده من معلومات توضح العلاقة بين علماء القيروان وصقلية ، أثره المباشر في تكوين البحث وخاصة فيما يتعلق بجانب العلاقات الثقافية بين صقلية والقيروان .

كتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لمؤلفه الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفي سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م . وهو كتاب في تراجم القراء ، وقد استقيت منه معلومات هامة عن بعض علماء صقلية في علم القراءات وشيوخهم ، وتلاميذهم ومؤلفاتهم ، وعلاقاتهم الثقافية ، مما كان لذلك أثره المباشر في بناء البحث وخاصة إذا أدركنا أن الإمام الذهبي قد اشتهر بالدقة والضبط والإجادة فيما يكتب .

كتاب غاية النهاية في طبقات القراء ، الذي ألفه أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الشافعي ، المعروف بابن الجزري ، المتوفي سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م ، وهو كتاب في تراجم القراء المشهورين اختصر فيه مؤلفه كتابه الآخر «نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات» وقد اعتمدت على المعلومات التي أوردها عند ترجمته لأعلام صقلية في مجال علم القراءات ، فهو يذكرهم ، ويذكر شيوخهم ومؤلفاتهم ، وتلاميذهم . كما استفدت منه أيضاً مايتعلق ببعض العلماء غير الصقليين ، ممن لهم علاقة بصقلية الإسلامية .

كتاب معجم السفر ، لأبي الطاهر أحمد بن محمد أحمد بن محمد الأصفهاني السّلفي ، المتوفى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م . وهو كتاب في التراجم ، وكان للمعلومات التي أوردها عن علماء صقلية وأدبائها وشعرائها ، أثرها الواضح على البحث ، فقد كان يسجل في كتابه كل المعلومات عن أولئك العلماء والأدباء الصقليين الذين التقى بهم في مصر ، وسألهم عن أنفسهم ، أو سأل أصدقائهم عنهم ، كل ذلك سجله بدقة في معجمه ، وقد رجعت الى الجزء الذي نشره أمبرتو بعنوان «أخبار عن بعض مسلمي صقلية الذين ترجم لهم أبو الطاهر السلفي في معجم السفر» وإلى الجزء الذي حققته الدكتورة بهيجة الحسني ، وإلى مانشره الدكتور احسان عباس بعنوان «أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر» كما رجعت الى المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٩٣٢) تاريخ . واستفادتي من هذا المصدر المهم كانت موزعة في أغلب فصول هذا البحث .

كتاب إنباه الرواه على أنباه النحاه ، لأبي الحسن الوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي ، المتوفي سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م ، وهو معجم شامل لتراجم علمي النحو واللغة ممن تصدر للإفادة تصنيفا وتدريسا ورواية ، كما تضمن أيضا تراجم كثيرة للقراء والفقهاء والمحدثين والمتصوفين والعروضيين والأدباء والشعراء والكتاب والمؤرخين ممن كان لهم أدنى مشاركة في النحو واللغة ، وتضمن قرابة ألف ترجمة من أولئك العلماء . وقد ورد في هذا المصدر أسماء لعلماء صقليين ممن كان لهم دور مميز في اللغة والنحو أو كان لهم مشاركة في ذلك ولو كانت يسيرة ، مما كان له أثره المباشر في إثراء البحث بمعلومات هامة ذات علاقة مباشرة بالنتاج العلمي لعلماء صقلية الإسلامية .

كتاب بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م ، وهو معجم شامل نقل فيه مؤلفه عن كتب التراجم السابقة ، وأضاف الى ذلك مافاتها من تراجم اللغويين والنحاه ، فأورد فيه من له علاقة باللغة والنحو ، مشيرا الى فوائدهم

وأخبارهم ومناظراتهم وأشعارهم ومروياتاهم . وكان لعلماء صقلية مكانهم في هذا الباب ، حيث أشار الى بعض منهم وإلى شيوخهم ومؤلفاتهم . كما ذكر مجموعة من العلماء غير الصقليين ممن لهم علاقة بصقلية ، فاستفدت من ذلك كله وأثبت في هذا البحث ماأورده مما له علاقة بالحياة العلمية في صقلية الإسلامية .

كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن صفي الدين العماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م ، وهو موسعة ذكر فيها العماد أهل عصره ، وعصر آبائه ، فحفظ لنا كثيرا من النصوص الأدبية فلولاه لضاعت وأندثرت . وتعود أهمية الكتاب في هذا البحث الى وجود معلومات تتعلق بالحياة العلمية في صقلية الإسلامية وخاصة الأدبية والشعرية منها ، فقد حفظ لنا فيه أجزاء من كتب مفقودة ، ومنها مايتعلق بصقلية ككتاب « الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة » لابن القطاع الصقلي . وقد استقيت منه معلومات هامة في مواضع شتى من البحث إلا أنها في مجال الدراسات الأدبية والشعرية أكثر ، وتميزت تلك المعلومات بأن بعضاً منها لاتوجد عند غيره .

كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية ، لأبي بكر بن عبد الله بن محمد المالكي المتوفي بعد سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ، وهو معجم جمع فيه مؤلفه من كان بالقيروان وافريقية من العلماء ، والمتفقهين ، والأولياء ، والعباد ، والمجتهدين ، وقد استفدت مماأورده عن بعض علماء صقلية ممن لهم علاقة بالقيروان وافريقية ، فهو يذكرهم ويذكر شيوخهم وتلاميذهم ومؤلفاتهم ، كما كان للمعلومات التي اوردها عن القاضي الفاتح أسد بن الفرات ، وما يتعلق بمسيره إلى صقلية ، أثرها الواضح في بناء هيكل البحث . ومن أهم ماأستفدته من هذا الكتاب من معلومات تلك التي تتعلق بخروج عدد من اتباع المذهب المالكي الى صقلية ، مما كان سببا في انتشاره بها .

كتاب الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة ، لمؤلفه على بن جعفر السعدي اللغوي الصقلي ، المتوفي سنة ٥١٥هـ/١١٢١م ، الذي جمع فيه مؤلفه عشرين ألف بيت شعر ، لمائة وسبعين شاعرا من شعراء صقلية ، وهو كتاب مفقود ، وما تبقى منه ليس سوى اختصارات وإختيارات ، فرجعت الى ماذكره العماد الأصفهاني في كتابه « الخريدة » نقلا عن ابن القطاع الصقلي تحت عنوان «جماعة من شعراء صقلية ذكرهم ابو القاسم علي بن جعفر السعدي في كتاب الدرة الخطيرة والمختار من شعراء الجزيرة » كما أعتمدت على ماأختاره الحسن بن علي بن منجب الصيرفي من كتاب « الدرة الخطيرة » تحت مسمى «ماآختير من المنتخل من الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة مما ليس هو في اختيار ابن الاغلب » والذي لايزال مخطوطاً ، بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية تحت رقم (١٩٦٠) تاريخ .

كما رجعت الى ماأختصره أبو اسحاق بن أغلب من كتاب « الدرة الخطيرة » والذي جاء تحت مسمى « مختصر الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة » بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢١٦) تاريخ . وقد كونت تلك المعلومات التي استقيتها مما تبقى من كتاب « الدرة الخطيرة » جانباً هاماً في بناء البحث وخاصة في الدراسات الأدبية والشعرية .

كتاب اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، لمؤلفه عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفي سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م ، وهو كتاب في تراجم طائفة من العلماء الذين برعوا في دراسة اللغة العربية ونحوها ، واشتهروا في هذا الحقل ، وقد استفدت من المعلومات التي وردت فيه عن بعض علماء صقلية ممن لهم علاقة باللغة والنحو ، كما كان لما أورده من معلومات عن بعض العلماء الاخرين ممن لهم علاقة بصقلية ، أهميتها في بيان الصلات الثقافية بين بلدان العالم الإسلامي ، وبذلك عمّت فائدته مواضع متفرقة من البحث .

كتاب طبقات علماء افريقية ، لأبى العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني ، المتوفي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م ، وهو كتاب يحتوي على مجموعة من التراجم لعلماء القيروان ، وتونس ، بصورة موجزة . وتعود أهمية المعلومات التي استفدتها منه الى تلك التي تبيّن التطور المذهبي في افريقية ، وانعكاسه على صقليه وذلك من خلال الرجوع الى تراجم عدد من الفقهاء كان لهم علاقة بصقليه .

كتاب الكامل في التاريخ ، لأبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيباني ، الملقب بعز الدين ابن الأثير الجزري ، المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، وهو كتاب في التاريخ العام ، على طريقة الحوليات ، وقد كان هذا الكتاب من أهم المصادر التي اعتمدت عليها عند ذكر الأحداث السياسية الصقلية ، فهو يذكر كثيرا من الغزوات الإسلامية على صقليه ، وأمدنا بتفصيلات عن مراحل فتحها ، والحروب بين البيزنطيين والمسلمين ، كما تحدث عن أمرائها ، وفتنها وثوراتها ، وعلاقتها بالأغالبة والفاطميين ، والزيريين . مما كان لكل تلك المعلومات أثرها المباشر على البحث وخاصة في التمهيد .

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م ، وهو موسوعة في فنون شتى ، وقد كان الجزء الرابع والعشرون منه مخصصاً لتاريخ المغرب العربي وجزيرتي صقلية وكريت « اقريطش » . وقد ورد في هذا الجزء اخبارٌ كثيرة عن الغزوات الإسلامية على صقلية ، والأحداث السياسية فيها ، وعلى الرغم من أن جلّ اعتماده كان على ابن الأثير إلا أنه انفرد بمعلومات لم ترد عند غيره ، وقد استقيت منه معلومات شتى وخاصة مايتعلق بمراحل الفتوح لجزيرة صقلية .

كتاب البيان المغرب في أخبار المغرب ، لأبى عبد الله محمد المراكشي المعروف بابن عذاري ، المتوفى قريبا من سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م ، وهو كتاب

يتحدث فيه مولفه عن أخبار افريقية من حين الفتح ، وأخبار الأندلس ، على طريقة الحوليات . وقد رجعت الى الجزء الأول منه إذ كان حافلاً بكثير من أخبار دولة بني الأغلب ، مما له علاقة بصقلية ، فكان لما أورده من معلومات أثره الواضح على البحث ، وخاصة فيما يتعلق بالأحداث السياسية وذكر بعض الفتن والثورات التي تعرضت لها صقلية .

<u>كتاب تاريخ افريقية والمغرب</u> ، لأبى اسحاق ابراهيم بن القاسم ، المعروف بالرقيق القيرواني ، المتوفي بعد سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م . وهو كتاب في تاريخ افريقية والمغرب عامة منذ الفتح حتى وفاة المؤلف ، ولم يصل الكتاب كاملاً . وقد استفدت منه فيما يتعلق بأخبار دولة بني الأغلب أصحاب العلاقة بصقلية ، وبعض المعلومات ذات الصلة بالتطور المذهبي في افريقية مما له علاقة بصقلية .

<u>كتاب أعمال الأعلام</u> ، لمؤلفه لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني المعروف بابن الخطيب ، المتوفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م ، فقد كان الجزء الثالث منه يحوي أخباراً عن تاريخ صقلية ، وذكراً للغزوات الإسلامية عليها ، كما أمدنا بمعلومات عن الأغالبة وولاة صقليه من الأسرة الكلبية ، وترجع أهمية بعض المعلومات التي أوردها أنها لم ترد عند غيره .

<u>كتاب تاريخ علماء الأندلس</u> ، لأبى الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ، المعروف بابن الفرضي ، المتوفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م . وهو كتاب في تراجم علماء الفقه ورواة الحديث من الأندلسيين الذين عاشوا في الأندلس أو رحلوا عنها ، والذين استوطنوها . وقد استفدت من هذا المصدر مايتعلق بمظاهر العلاقات الثقافية بين صقلية والأندلس ، كما أنه ترجم لعدد من الصقليين الذين وفدوا على الأندلس فكان لما أورده أثره المباشر على البحث .

كتاب جذوة المقتبس في ذكره ولاة الاندلس ، لأبى عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي ، المتوفي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م . وهو كتاب في التراجم ، ترجم فيه مؤلفه لعلماء الحديث الأندلسيين بصفة خاصة ، وأصحاب الفقه والأدب والشعر ، وقد اعتمدت على ماأورده من معلومات عن تراجم بعض العلماء الصقليين الذين هاجروا إلى الأندلس ، والأندلسيين الذين هاجروا الى صقليه . فكان لذلك كله أثره عند الحديث عن بعض علماء صقليه ، وعند الحديث عن العلاقات الثقافية الصقلية الأندلسية .

كتاب الصلة ، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري المعروف بابن بشكوال ، المتوفي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م . وهو كتاب ترجم فيه مؤلفه لعدد كبير من رجال الحديث والفقه ، وبعض أهل الأدب واللغة ، من علماء المغرب والأندلس وصقلية . فكان لتراجم الصقليين الموجودة فيه أثر كبير في بناء البحث ، وكذلك مافيه من معلومات تتعلق بالإتصالات الثقافية بين صقلية والأندلس والمغرب . والتي أسهمت بشكل ملحوظ في بناء كيان هذا البحث .

كتاب الحلة السيرا ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي المعروف بابن الآبار المتوفي سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م . وهو كتاب في التراجم قسمه مؤلفه على فترات زمنية من القرن الأول الى القرن السابع الهجري ، واشتمل على تراجم لأهل الأدب والشعر من الأمراء وغيرهم . وقد استفدت منه مايتعلق بالحكام الأغالبة ، وخاصة في مجال اهتمامهم بالعلماء والأدباء ، وكذلك ماورد فيه عن بعض حكام الدولة الفاطمية مما له صلة بصقلية .

كتاب التكملة لكتاب الصلة ، لإبن الآبار أيضاً . وهو كتاب لم يقتصر فيه مؤلفه على اكمال صلة ابن بشكوال ، بل تعدى ذلك الى ذكر من أغلفتهم كتب التراجم قبل ابن بشكوال . وكانت استفادتي من هذا المصدر كبيرة فقد تعرض لتراجم علماء صقليين ، وعلماء آخرين لهم علاقة بصقلية ، وأثرى ماقدمه من

معلومات عن أولئك الباحثين . بل إن بعض المعلومات قد تفرّد بها، ولاتوجد عند غيره ، وبذلك ساهم هذا الكتاب مساهمة فعالة في بناء البحث وفي مواضع شتى منه .

أما مؤلفات علماء صقليه ، فقد كانت في مجموعها ذات أهمية كبرى في بناء البحث ، إذ كانت تمثل نماذج للنتاج العلمي في صقلية وقد أوردت منها في هذا البحث كل ماأمكن الحصول عليه والإطلاع عليه ، سواء المخطوط منها أو المطبوع ، ومنها على سبيل المثال ، رسالة في معنى كلام الله تعالى ، لأبي بكر محمد بن سابق الصقلي ، وفوائد ابن عقال الصقلي ، وكتاب فيه العروض والمهملات والقوافي ، لإبن القطاع الصقلي ، وكتاب الجامع على المدونة ، لإبن يونس الصقلي ، وتهذيب الطالب وفائدة الراغب ، لأبي محمد عبد الحق الصقلي ، وكتاب فيه الدلالة على الله ، لعبد الرحمن بن محمد الصقلي ، وكتاب تثقيف اللسان ، لإبن مكي الصقلي ، وكتاب المعلم بفوائد مسلم ، للإمام المازري ، وكتاب المقدمة في النحو ، للمازري الذكي ، وكتاب الأفعال ، لإبن القطاع الصقلي ، وكتاب البارع في علم العروض ، له أيضاً ، وكتاب سلوان المطاع في عدوان الأتباع ، لإبن ظفر الصقلي ، وكتاب أنباء نجباء الأبناء ، لإبن ظفر أيضاً ، وكتاب خير البشر بخير البشر ، له أيضاً ، وكتاب ينبوع الحياة ، له أيضاً ، وكتاب التجريد لبغية المريد ، لإبن الفحام الصقلي ، وديوان ابن حمديس الصقلي ، وديوان البلنوبي الصقلي .

كما كان لكتب التراجم العامة دورها في بناء هيكل البحث ، إذ أنها اشتملت على تراجم لعلماء صقليين ، أو علماء لهم علاقة مباشرة بصقلية ومنها على سبيل المثال كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لإبن خلكان ، وسير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي ، والنجوم الزاهرة ، لإبن تغري بردي ، وفوات الوفيات ، لإبن شاكر الكتبي .

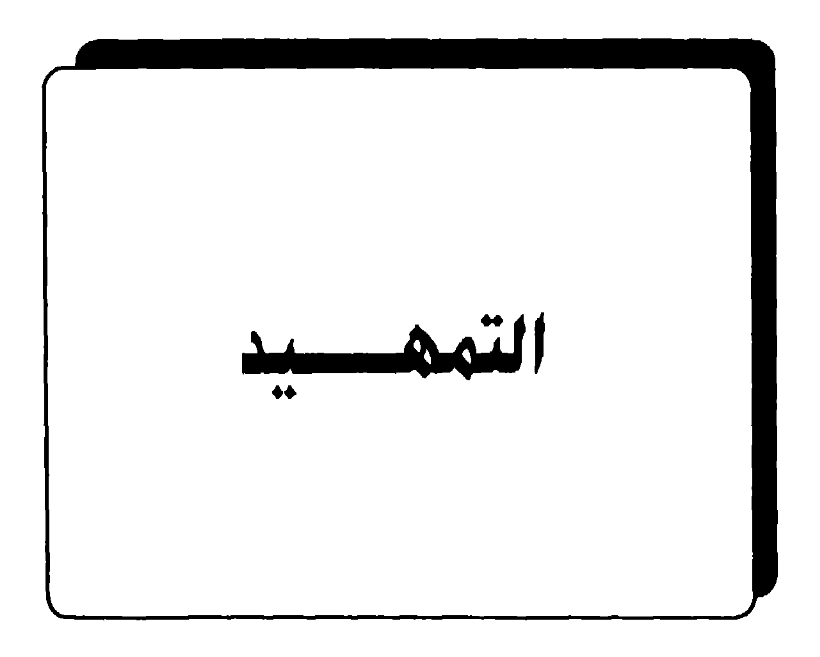
ولم يكن ماذكرت من مصادر هي تلك وحدها التي شكلت بناء هذا البحث ، بل كان الاعتماد على مصادر أخرى كثيرة وهامة في نفس الوقت وسيجدها القارئ مثبتة جميعها في قائمة المصادر .

أما بالنسبة للمراجع الحديثة ، فقد رجعت الى عدد كبير منها ، ويأتي في مقدمتها كتاب صقلية وعلاقاتها بدول البحر الأبيض المتوسط ، للدكتور تقي الدين عارف الدوري ، والمكتبة العربية الصقلية ، ليمخائيل أماري ، وتاريخ صقلية الإسلامية ، للدكتور عزيز أحمد ، والعرب في صقلية ، للدكتور احسان عباس ، والمسلمون في صقلية وجنوب ايطاليا ، للدكتور أحمد توفيق المدني ، وتاريخ الأدب العربي في صقلية ، لمؤلفه أمبرتو ريزيتانو .

كما رجعت الى بعض المقالات ذات العلاقة بموضوع البحث ، وهي مثبتة في آخر قائمة المصادر والمراجع .

وبعد .. فالله أسأل أن يلهمنا الحق والصواب ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه .





التمهيد



الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية وتطور أوضاعها السياسية



الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية وتطور أوضاعها السياسية :

قبل البدء في الحديث عن فتح جزيرة صقلية يجدر بنا أن نتحدث بإيجاز عن تسميتها ، وموقعها الجغرافي ، وأهم مدنها ، مع نبذة موجزة عن تاريخها السياسي قبل الفتح . فقد ضبط ياقوت صقلية بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء ، على أن بعضهم ينطقها بالسين(١) . فيقول « سقلية » .

وجاء في « الروض المعطار »(٢) : أن معنى صقلية باللسان القديم : تين وزيتــون ، وأن هذا المعنى هو الذي أراده أبو علي الحــسن بن رشــيق القيرواني(٣) .

عند مدح قاعدتها « بلرم » والتي يسميها العرب « المدينة » وذلك بقوله :

أخت المدينة في اسم لايشاركها ... فيه سواهــا من البلدان والتمس

وعظم الله معنـى ذكرهـا قسما ... قلد اذا شئت أهل العلم أو فقسِ

وهو بذلك يشير الى قوله تعالى (والتين والزيتون)(٤) .

أمـا بالنسبـة لموقع جـزيرة صـقليـة فـهي تقع في حـوض البـحـر الأبيض المتوسط(٥) . وهي أكـبـر جـزر ذلك البـحـر ، وتقـع الى الجنوب من إيطاليـا ، ولايفـصلهـا عنهـا إلا مـضيق « صـغيـر » وتبـعـد عن شـمـال افريقيـة بحـوالي ١٦٥كيـلا ؛ وهي مثلثـة الأضـلاع تقريبـا ، وتبلغ مسـاحتـهـا حوالي «٢٥٨١٥» كم٢(٦) .

---

(١) معجم البلدان (٣/٤١٦) .

(٢) الحميري ـ الروض المعطار في خبر الاقطار (ص ٣٦٧) .

(٣) هو أبو علي الحسن بن رشيق الأفريقي ، القيرواني . من مدينة المحمدية . أحد الافاضل البلغاء . له كتاب « العمدة في صناعة الشعر ونقده » . وكتاب « الأنموذج » ولد بالمسيلة وقيل بالمهدية سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م . وتوفي بمدينة مازر من جزيرة صقلية سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م . وقيل سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م . انظر : القفطي ـ انباه الرواه (١/٣٣٣) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢/٨٥ ـ ٨٦) .

(٤) سورة التين أية رقم (١) .

(٥) يعرف البحر الأبيض المتوسط في المصادر القديمة ببحر الروم . انظر : الدمشقي نخبة الدهر وعجائب البر والبحر (ص ١٤٠) . وانظر الخريطة التوضيحية في الملاحق .

(٦) الموسوعة العربية الميسرة (ص ١١٢٦) .

ومعظم سطح جزيرة صقلية جبلي إلا أن بها سهل «كاتانيا» الذي يمتاز بخصوبته ، وتبلغ أعلى قمة بها في جبل «أتنا» الذي يعرف بجبل النار[١] . الذي وصفه ابن جبير بقوله : « وأما الجبل الشامخ الذي بالجزيرة المعروف بجبل النار ، فشأنه عجيب ، وذلك أن ناراً تخرج منه في بعض السنين كالسيل العرم ، فلا تمر بشئ إلا أحرقته ، حتى تنتهي الى البحر فتركب ثبجه »[٢] .

وإجمالاً فإن سطح جزيرة صقلية يتكون من الجبال والهضاب ، وأكثر جبالها وعورة سلسلة الجبال التي تقع في شمال الجزيرة ، والتي يبلغ إرتفاعها حوالي ٢٠٠٠ متر عن سطح البحر ، ويقسم هذه السلاسل أخدود عميق يتكون منه واديان يقسمان الجزيرة الى نصفين ، كان لهما الأثر في تاريخ صقلية حيث كانا ممراً للحملات العسكرية التي تعرضت لها الجزيرة طوال تاريخها ، وهناك في الشرق سلسلة جبال أخرى على الساحل ؛ وجبال داخلية . أما باقي الجزيرة فهو عبارة عن هضاب وسهول صالحة للزراعة[٣] .

ومناخ صقلية معتدل كمناخ شمال أفريقيا الساحلية ، وأمطارها تسقط في الخريف والشتاء ، ويندر سقوطها في فصل الصيف ؛ وترى الثلوج على جبالها الشاهقة[٤] .

أما عن أهم مدن صقلية التي أشارت إليها المصادر ــ وخاصة تلك التي تتحدث عن البلدان ــ فمنها مدينة « بلرم » والتي وصفها الإدريسي بقوله : « المدينة السنية العظمى ، والمحلة البهية الكبرى ، والمنبر الأعظم الأعلى »[٥] .

---

(١) المرجع السابق نفسه (ص ١١٢٦) .

(٢) رحلة ابن جبير (ص ٣٠١) ، والثبج : علو وسط البحر اذا تلاقت أمواجه . ابن منظور ــ لسان العرب (٢٢٠/٢) .

(٣) تركي العتيبي ــ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية (ص ٥ ــ ٦) ، مارتينو ــ المسلمون في صقلية (ص ٢) .

(٤) مارتينو ــ المسلمون في صقلية (ص ٢) .

(٥) نزهة المشتاق في إختراق الآفاق (٥٩٠/٢) .

وكانت تعرف بالمدينة الكبرى ، وكان عليها سور عظيم من حجارة ، شامخ ومنيع ، وكانت مدينة تجارية كبرى حيث كان يسكنها التجار[1] .

ومن مدن جزيرة صقلية مدينة « الخالصة » ؛ وهي التي بناها المسلمون بعد الفتح لتكون مقراً للسلطان وأتباعه ، كما كانت معسكراً لجيش المسلمين وأنشئ بها دار صناعة السفن . كما كانت تضم الدواوين أيضاً[2] .

ومن مدن جزيرة صقلية المشهورة مدينة « مسيني » والتي تقع في شرق الجزيرة حيث اشتهرت بكثرة البساتين والأنهار الغزيرة[3] .

ومدينة « طبرمين » وهي عبارة عن حصن منيع على جبل مطل على البحر[4] . « وسرقوسة » التي تعد من مشاهير المدن وأعيان البلاد ، ويقصدها التجار من جميع الأقطار ، وهي تقع على ساحل البحر[5] .

وكذلك مدينة « مازر » التي وصفها الإدريسي بأنها : « مدينة فاضلة شامخة كاملة ، لاشبه لها ، ولا مثال ، وإليها الإنتهاء في جمال الهيئة والبناء ، وهي ذات أسوار حصينة شاهقة ، وديار حسنة فائقة[6] .

ومما أشارت اليه كتب الجغرافية والبلدان من مدن صقلية نجد أسماء لمدن كثيرة منها : ثرمة ـ بورقاد ـ جفلوذي ـ قلعة القوارب ـ القارونية ـ شنت بقطش ـ لبيري ـ حصن ميلاص ـ لياج ـ قطانية ـ حصن لنتيني ـ نوطس ـ رغوس ـ بثيرة ـ كركنت ـ الشاقة ـ قلعة البلوط ـ مرسى علي ـ طرانبش ـ جبل حامد ـ قلعة الحمة ـ قلعة أوبي ـ برطنيق ـ شنس ـ قرينش[7] .

(١) ابن حوقل ـ صورة الأرض (١١٣/٢)
(٢) المصدر السابق نفسه (١١٤/٢) .
(٣) الإدريسي ـ نزهة المشتاق في إختراق الآفاق . (٥٩٥/٢) .
(٤) المصدر السابق نفسه (٥٩٥/٢) .
(٥) المصدر السابق نفسه (٥٩٧/٢) .
(٦) المصدر السابق نفسه (٦٠٠/٢) .
(٧) المصدر السابق نفسه (٥٩٠/٢ ـ ٦٠٣) .

ومجمل القول فإن صقلية تميزت بموقعها الاستراتيجي ، وأراضيها الخصبة ، حيث انعكس ذلك على تاريخها السياسي والإقتصادي ، فهي جزيرة لاتبعد عن الساحل الإيطالي سوى ثلاثة كيلو مترات فقط . وعن ساحل افريقية سوى مائة كيلو متر فقط[1] . وأدى ذلك إلى تسابق الدول على امتلاكها حيث حكمها الرومان ، والبيزنطيون ، ثم المسلمون .

وقد وصف الجغرافيون العرب جزيرة صقلية بما في وصفهم مايغني عن الحديث وخاصة فيما وصلت اليه في ظل حكم المسلمين لها . فقد قال الأصطخري : « بصقلية من الخصب والسعة ، والزرع ، والمواشي ، والرقيق ، أكثر مايقع منها مايفضل على سائر ممالك الاسلام المتاخمة للبحر »[2] .

وقال المقدسي : « ان صقلية جزيرة واسعة جليلة ليس للمسلمين جزيرة أجل ولا أعمر ولا أكثر مدنا منها »[3] .

أما ابن جبير فقد قال عن صقلية : « هي بهذه الجزائر أم الحضارة ، والجامعة بين الحسنيين غضارة ونضارة ، فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر ومراد عيش يانع أخضر ، عتيقة أنيقة ، مشرقة مونقة ، تتطلع بمرأى فتان وتتخايل بين ساحات وبسائط كلها بستان ، فسيحة السكك والشوارع ، تروق الأبصار بحسن منظرها البارع ، عجيبة الشأن ، قرطبية البنيان »[4] .

أما صاحب كتاب نزهة المشتاق الشريف الإدريسي ، والذي ألف كتابه المذكور في جزيرة صقلية . فقد قال عن صقلية : « إن صقلية فريدة الزمان

---

(١) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية (ص٤) ، مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص١) ، تركي العتيبي ـ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية (ص٤) .

(٢) مسالك الممالك (ص٧٠) .

(٣) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص ٢٣٢) .

(٤) رحلة ابن جبير (ص٣٠٥) .

فضلاً ومحاسن ، ووحيدة البلدان طيباً ومساكن ؛ وقديماً دخل إليها المتجولون من سائر الأقطار والمترددون بين المدن والأمصار ؛ وكلهم أجمعوا على تفضيلها وشرف مقدارها وأعجبوا بزاهر حسنها ، ونطقوا بفضائل مابها ، وماجمعته من مفترق المحاسن وضمته من خيرات سائر المواطن(١) .

بعد هذه المقدمة الموجزة وقبل أن ندخل في الحديث عن فتح جزيرة صقلية وتطور تاريخها السياسي فإنه لابد من الإشارة إلى أن صقلية كانت خاضعة للحكم الروماني فترة طويلة من الزمن ، الى أن تمكن القوط الشرقيون من الاستيلاء عليها في سنة ٤٩٣م(٢) . ولكن لم تطل مدة استيلاء القوط عليها ، فقد تمكن بلزاريوس قائد الإمبراطور الروماني جستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥م) من اعادة صقلية الى حوزة الدولة الرومانية ، فأنضمت بذلك صقلية في سنة ٥٣٥م إلى أملاك الإمبراطورية البيزنطية(٣) .

ومما يسر للقائد بلزاريوس مهمة إعادة صقلية ، أنه وجدها بدون حاميات قوطية كما أن السكان قد ضاقوا ذرعاً بحكم القوط . لذلك تمكن من الاستيلاء على مدنها واحدة تلو الأخرى دون أن يزهق نفساً(٤) .

وبإنضمام صقلية الى الدولة البيزنطية ، نجد أنه قد أصابها جزء من النهضة التي أصابت الإمبراطورية البيزنطية في عهد هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١م) ؛ حيث اعيد إلى صقلية نشاطها عندما كانت في القديم مشعلاً من مشاعل الحضارة اليونانية وذلك في فترة خضوعها للحكم اليوناني(٥) .

---

(١) الإدريسي ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ (٥٨٨/٢) .

(٢) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية (ص ١١) ، احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص ٢٥) ، مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص ٥) .

(٣) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية (ص ١١) .

(٤) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص ٢٥) .

(٥) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية (ص ١٢) .

وقد زخرت صقلية بعدد كبير من العلماء فترة الحكم الروماني ؛ ومازالت أرض صقلية تفاخر بأنه دفن بها الطبيب الروماني جالينوس[1] . حيث كانت وفاته في حدود سنة (١٤٧م)[2] .

ومما أدى أيضاً الى الاستقرار البيزنطي في صقلية أن الإمبراطور هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١م) قد أدخل نظام الأجناد أو الثغور الى الإمبراطورية البيزنطية مما ساعد على حفظ جزيرة صقلية من سقوطها في أيدي الطامعين ، حيث كانت صقلية تمثل ثغراً بحرياً للدولة البيزنطية[3] .

غير أن صقلية وبعد مجئ الإسلام وخروج العرب من جزيرتهم مبشرين وفاتحين لم تلبث أن بدأت تصل إليها طلائع الجهاد الإسلامي بداية من عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أن تم فتحها نهائياً وإدخالها الى حوزة الديار الإسلامية .

وفيما يتعلق بالغزوات الإسلامية على جزيرة صقلية ، فإن ذلك كان مرتبطاً بنمو البحرية الاسلامية ، والصراع القائم بين المسلمين والروم في البحرالمتوسط . ونحن نعلم أن البحرية الإسلامية قد بدأت في الظهور منذ أن انتصر المسلمون على البيزنطيين في معركة ذات الصواري الفاصلة التي وقعت سنة ٣١هـ/٦٥١م زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه[4] . والتي كانت سبباً من أسباب السيادة الإسلامية على السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط .

---

(١) هو : قلاديوس جالينوس . برع في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وهو ابن سبع عشرة سنة ، وجدد علم بقراط وشرح بعضاً من كتبه ، وهو مفتاح الطب ، وباسطه ، وشارحه بعد المتقدمين . توفي بجزيرة صقلية وعمره ٨٨ سنة . ابن حنين ـ تاريخ الأطباء والفلاسفة ، (ص ١٥٣) ، ابن جلجل ـ طبقات الأطباء والحكماء (ص ٤١ ـ ٤٢) ، ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول (ص ١٢٢ ـ ١٢٣) .

(٢) حامد الزيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية (ص ١٢) .

(٣) نفس المرجع السابق . (ص ١٢)

(٤) الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك (٢٨٨/٤) ، تقي الدوري ـ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ٢١) .

أما أول ذكر لغزو صقلية في المصادر الإسلامية ، فكان ذلك في سنة ٣٢هـ/٦٥٢م حيث ذكر البلاذري أن معاوية بن حديج[١] ؛ غزا صقلية مرسلاً من قبل معاوية بن أبي سفيان أيام امارته على الشام زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه . وأن تلك الحملة قد هجمت على معاقل الروم في صقلية ثم عادت[٢] .

وبعد قيام الدولة الأموية بدأت الغزوات على صقلية . فتذكر المصادر أن والي افريقية معاوية بن حديج ، أرسل قيس بن عبد الله الفزاري[٣] . في مائتي مركب الى صقلية ، فسبوا وغنموا ، وأقاموا شهراً ثم انصرفوا إلى افريقية بغنائم كثيرة ورقيق وأصنام منظومة بالجواهر . وكان ذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١ ـ ٦٠هـ / ٦٦١ ـ ٦٨٠م) سنة ٤٦هـ/٦٦٦م[٤] .

وفي سنة ٤٩هـ/٦٦٩م ، كان لعقبة بن نافع الفهري[٥] . غزوة ضد الروم في البحر حيث تذكر المصادر أنه : « شتا بأهل مصر »[٦] ، ويؤكد لويس أن تلك الحملة كانت على صقلية[٧] .

---

(١) هو معاوية بن حديج بن جفنة ، أبو نعيم ، قائد الكتائب . له صحبة ورواية قليلة عن الرسول صلى الله عليه وسلم . مات بمصر سنة ٥٢هـ/٦٧٢م . ابن سعد ـ الطبقات (٥٠٣/٧) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٣٧/٣) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (٦٠/٨) .

(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان (ص ٣٢٩) ، ابراهيم العدوي ـ الأمويون والبيزنطيون (ص ٩٨) . العدوي ـ قوات البحرية العربية (ص ٣٩) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان (ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٤٥/١) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٨/١) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٥٣/٢٤) ، ابن الخطيب أعمال الأعلام (١٠٨/٣) ، حسين مؤنس ـ أثر ظهور الإسلام في البحر المتوسط (ص ١٠٠) .

(٥) عقبة بن نافع القرشي الفهري ، والي افريقية لمعاوية بن أبى سفيان وابنه يزيد ، وهو الذي بنى القيروان ، كان ذاشجاعة وحزم وديانة . توفي سنة ٦٣هـ/٦٨٢م .

(٦) الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك (٢٣٢/٥) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٩/١) ، ابن تغري ـ النجوم الزاهرة (١٣٨/١) .

(٧) لويس ـ القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط (ص ٩٦) .

وكان لموسى بن نصير[1] . دوره في غزو صقلية ، وبناء البحرية الإسلامية . قال ابن أبي دينار : « قيل ان موسى بن نصير القرشي ، هو الذي خرق البحر الى تونس ، وبنى دار الصناعة ، ووضع بها مائة مركب وغزا صقلية »[2] .

ومن الحملات التي أمر بها موسى بن نصير تلك الحملة التي قادها ابنه عبد الله ، واتجهت الى صقلية سنة ٨٥هـ/٧٠٤م ، وسميت تلك الغزوة بغزوة الأشراف نظراً لكثرة الشخصيات المرموقة المساهمة فيها ، وتكللت تلك الحملة بالنجاح[3] .

كما أرسل موسى بن نصير أيضاً حملة الى صقلية في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م بقيادة المغيرة بن ابي برده العبدي ، وذلك في مجموعة من المراكب[4] .

ويرسل موسى بن نصير حملة أخرى في نفس السنة الى مدينة سرقوسة بجزيرة صقلية بقيادة عياش بن أخيل ، وعادت تلك الحملة بغنائم كثيرة[5] .

---

(١) أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي ، متولي أقليم المغرب ، وفاتح الأندلس ؛ قيل أنه كان مولى لامرأة من لخم ، وكان أعرج مهيباً ذا رأي وحزم ، وخبره بالحرب . توفي بالمدينة بعد أن حج مع سليمان بن عبد الملك . وكانت وفاته سنة ٩٧/٧١٥م ، وقيل سنة ٩٩هـ/٧١٧م .

الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٤/٤٩٦) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (٩/١٧١) ابن تغري ـ النجوم الزاهرة (١/٢٣٥) .

(٢) المؤنس في أخبار افريقية وتونس (ص ٣٥ ـ ٣٦) .

(٣) محمد الطالبي ـ الدولة الأغلبية (ص ٤٢٢) .

(٤) خليفة بن خياط ـ التاريخ (ص ٢٩٢) .

(٥) محمد الطالبي ـ الدولة الأغلبية (ص ٤٢٢) .

وبعد سنة ٨٦هـ/٧٠٥م لم نجد ذكراً في المصادر لغزوات على صقلية حتى بدأ القرن الثاني الهجري ، ولعل سبب ذلك التوقف هو أن المسلمين في افريقية قد انشغلوا بفتح الأندلس مما يجعل من الصعب على الجيش الإسلامي أن يقاتل على جبهتين ؛ خاصة إذا أخذنا في الإعتبار مناعة وحصانة كل من الأندلس وصقلية .

واستمر ذلك التوقف الى سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م حيث أرسل يزيد بن أبي مسلم الأنصاري(١) والي افريقية ، محمد بن أوس الأنصاري(٢) ، على رأس حملة الى صقلية(٣) ، مستغلاً بذلك المشكلات التي واجهت بيزنطية بسبب تمرد حاكم صقلية وعصيانه سنة ١٠٠هـ/٧١٨م(٤) .

ولكن تلك الحملة سرعان ماعادت الى افريقية بسبب مقتل يزيد بن أبي مسلم الأنصاري على يد حرسه من البربر ، أثناء تأديته لصلاة المغرب ، حيث تولى محمد ابن أوس أمر أفريقية ، إلى أن وصل اليها الوالي الرسمي من قبل الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك (١٠١هـ ـ ٧١٩م/١٠٥هـ ـ ٧٢٣م)(٥) .

---

(١) أبو العلاء يزيد بن دينار الثقفي ، مولى الحجاج ، وكاتبه ، تولى امارة افريقية في عهد يزيد بن عبد الملك . كما استخلفه الحجاج على الخراج فضبط ذلك . توفي مقتولاً سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٠٩/٦) ، الذهبي ـ سير اعلام النبلاء (٥٩٣/٤) .

(٢) محمد بن أوس ، أحد التابعين . دخل افريقية وشارك في فتحها .

الرقيق ـ تاريخ افريقية والمغرب (ص ٦٥) .

(٣) خليفة بن خياط ـ التاريخ (ص ٣٢٦) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٥٣/٢٤) .

(٤) لويس ـ القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط (ص ١٠٥) .

(٥) الرقيق ـ تاريخ افريقية والمغرب (ص ١٠٠) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (٤٨/١) ، ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (١٠٨/٣) .

وفي عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ ـ ٧٢٣م/١٢٥ ـ ٧٤٢م) ، قام بشر بن صفوان [١] والى افريقية بغزو صقلية بنفسه سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م ، وأصاب في تلك الغزوة مغانم كثيرة[٢] ثم غزاها مرة ثانية بنفسه في سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م ، وذلك قبل موته بقليل ، وأصاب من غزوته تلك مغانم كثيرة وأسر خلقاً كثيراً[٣] .

أما والي افريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي[٤] ، فقد بعث عدة حملات الى صقلية ، حيث أرسل عثمان بن أبى عبيدة على رأس سبعمائة رجل الى صقلية . وقصد مدينة سرقوسة ، إلا أن القائد أسر في هذه الغزوة التي كانت في سنة ١١٠هـ/٧٢٨م[٥] .

كما أرسل حملة أخرى بقيادة المستنير بن الحارث وذلك في سنة ١١٠هـ/٧٢٨م ، ومكث القائد بصقلية إلى أن حل الشتاء ، ثم قفل راجعاً[٦] .

---

(١) بشر بن صفوان بن نوفل بن بشر ، قدم الى افريقية والياً عليها سنة ١٠٣هـ/٧٢١م ، ظل أميراً على افريقية الى سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م ، حيث توفي .
الباجي المسعودي ـ الخلاصة النقية في أمراء أفريقية (ص ١٣) .

(٢) الرقيق ـ تاريخ افريقية والمغرب (ص ١٠٢) .

(٣) الرقيق ـ تاريخ افريقية والمغرب (ص ١٠٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٤٦/٥) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (٤٩/١) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٥٣/٢٤) .

(٤) عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغر السلمي ، تولى امارة افريقية لمدة اربع سنين وستة أشهر بداية من سنة ١١٠هـ/٧٢٨م .
الرقيق القيرواني ـ تاريخ افريقية والمغرب (ص ٦٨) ، الباجي المسعودي ـ الخلاصة النقية في أمراء أفريقية (ص ١٤) .

(٥) خليفة بن خياط ـ التاريخ (ص ٣٤٠) .

(٦) ابن عبد الحكم ـ فتوح مصر واخبارها (ص ٩٢) ، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٧٤/٥) ابن أبي دينار ـ المؤنس في أخبار افريقية وتونس (ص ٤٩) .

واستمر والي افريقية عبيدة بن عبد الرحمن في ارسال الحملات الى صقلية فقد بعث في سنة ١١٢هـ/٧٣٠م ثابت بن خثيم على رأس غزوة الى صقلية ، فأصاب منها سبايا وغنائم وعاد سالماً(١) .

كما بعث في سنة ١١٣هـ/٧٣١م أحد قادته وهو عبد الملك بن قطن على رأس حملة الى صقلية ، غنمت وعادت سالمة(٢) . ثم عاد عبد الملك بن قطن على رأس حملة أخرى أخرى إلى صقلية في سنة ١١٤هـ/٧٣٢م ، وعاد أيضاً من غزوته تلك سالماً غانماً(٣) .

وفي سنة ١١٥هـ/٧٣٣م كانت آخر الغزوات على صقلية في أثناء ولاية عبيدة بن عبد الرحمن على افريقية ، حيث أرسل بكر بن سويد على رأس حملة الى صقلية واشتبك مع الروم في البحر فرموا مراكبه بالنار وأحرقوا بعض سفنه(٤) .

وفي أثناء ولاية عبيد الله بن الحبحاب(٥) ، على أفريقية ، نجد أنه يواصل ارسال الغزوات على صقلية ، لكسر شوكة الروم فيها . ففي السنة التي تولى فيها امارة افريقية (١١٦هـ/٧٣٤م) أرسل حملة الى صقلية بقيادة عثمان بن أبي عبيدة حيث اقتتل مع الروم قتالاً شديداً ، انهزم الروم على أثر ذلك . ولكن

---

(١) خليفة بن خياط ـ التاريخ (ص ٣٤٣) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٣٤٥) .
(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٣٤٥) .
(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٣٤٥) .
(٥) عبيد الله بن الحبحاب ، مولى بني سلول ، كان والياً على مصر لهشام بن عبد الملك ثم ولاه امارة افريقية سنة ١١٦هـ/٧٣٤م . كان كاتباً ، بليغاً ، حافظاً لأيام العرب ووقائعها وأخبارها ، ذا بلاغة في لسانه وقلمه ، كما كان يقول الشعر .
الرقيق ـ تاريخ افريقية والمغرب (ص ٧١) ، ابن الأبار ـ الحلة السيراء (٢/٣٣٦) .

أسر عدد كبير من المسلمين من بينهم ابني القائد عمر وسلمان[١] . كما أرسل ابن الحبحاب حملة أخرى على صقلية في سنة (١١٨هـ/٧٣٦م) بقيادة قثم بن عوانة الكلبي حيث أصاب من غزوته تلك وعاد سالماً غانماً[٢] .

أما أهم الغزوات على صقلية في العصر الأموي فهي تلك الغزوة التي قررها عبيد الله بن الحبحاب ، وكلف بها حفيد فاتح المغرب حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع ؛ وكانت تلك الغزوة في سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م . وأشرك حبيب بن أبى عبيدة ابنه عبد الرحمن في قيادة خيَّالة الجيش ، حيث تمكن من هزيمة كل من كان في طريقه ، وحقق انتصارات عظيمة ، حتى تمكن من حصار مدينة سرقوسة الى أن صالحوه على الجزية .

واستمر حبيب وابنه عبد الرحمن في قتال الروم بصقلية محققين الإنتصارات ، إلى أن وصلهم كتاب عبيد الله بن الحبحاب يستدعيهم فيه إلى افريقية لقمع ثورة ميسرة السقاء الخارجي[٣] ، حيث تمكن منه حبيب بن أبي عبيدة بعد عودته من صقلية[٤] .

---

(١) خليفة بن خياط ـ التاريخ (ص ٣٤٧) ، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٨٥/٥) ، ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة (٢٦٦/١) .

(٢) خليفة بن خياط ـ التاريخ (ص ٣٤٩) .

(٣) كان ميسرة السقاء المدغري ، قد تزعم البربر مظهراً مبدأ الخوارج . واستغل خروج حبيب بن أبي عبيدة الى صقلية ، فثار على ابن الحبحاب والي افريقية . فكانت أول فتنة بافريقية بعد الإسلام ، ولكن تمكن خالد بن أبي حبيب الفهري ، وحبيب بن أبي عبيدة من مطاردته وقتاله ، حتى ثار عليه اتباعه من البربر وقتلوه . انظر : الرقيق القيرواني تاريخ افريقية والمغرب (ص ٧٣ ـ ٧٤) .

(٤) الرقيق ـ تاريخ افريقية والمغرب (ص ٧٣ ـ ٧٤) ، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٩١/٥) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (٥٢/١) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٥٣/٢٤) ، ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (١٠٩/٣) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٤١/٤) .

ومن الحملات الموجهة أيضاً الى صقلية تلك الحملة التي قادها عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع ، في سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م ، تمكن فيها من فتح بعض معاقل الروم وغنم فعاد سالماً(١) .

وفي سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م يغزو عبد الرحمن بن حبيب صقلية كأول غزوة عليها في العصر العباسي(٢) ..؛ وكان القائد عبد الرحمن بن حبيب قد بلغ الذروة في عظمته قال ابن عذاري : « وخلف ابنه حبيباً على القيروان ، فغزا تلمسان ، فظفر بطوائف من البربر ، وعاد الى القيروان ، ثم أغزى صقلية ، ثم بعث سردانية ، فقتل من بها قتلاً ذريعاً »(٣) .

وتوقفت الحملات الإسلامية على صقلية بعد سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م فترة طويلة من الزمن ، فلم تغز صقلية بعد ذلك إلا في مطلع القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي .

وعند محاولتنا لتقييم تلك الحملات الإسلامية على صقلية فإننا نقول : إن تلك الحملات والتي بدأت منذ العهد الراشدي واستمرت الى نهاية الثلث الأول من القرن الثاني الهجري أي مايزيد عن قرن من الزمان . نقول أن تلك الحملات ليست إلا مجرد تهديد لمعاقل الروم في جزيرة صقلية ، ومحاولة لكسر شوكة الروم بها . وذلك إيمانا من الخلفاء المسلمين وولاة الأمصار بأهمية موقع صقلية الاستراتيجي بالنسبة للدولة البيزنطية ، حيث كانت تهدد معاقل المسلمين على سواحل البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة وسواحل شمال افريقية بصفة خاصة .

---

(١) محمد الطالبي ـ الدولة الأغلبية (ص ٢٤) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٥/٤٥٦) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/٦٥) فازليف ـ العرب والروم (ص ٦٤) .

(٣) البيان المغرب (١/٦١) ، محمد الطالبي ـ الدولة الأغلبية (ص ٢٤٢) .

كما أن تلك الحملات كانت عبارة عن مناوشات عسكرية للكشف عن قوة المعاقل الصقلية ، ولضمان عدم وجود أي استقرار يمكن العدو من اعادة بناء قوته عدة وعتاداً ؛ وهذا مايفسر لنا كثرة الغزوات الإسلامية على جزيرة صقلية ويتضح لنا صورة ذلك أكثر إذا علمنا أنه عندما اشتغل أهل افريقية بالفتن أمن أهل صقلية وعمروها من كل الجهات ، وبنوا بها المعاقل والحصون . وفي ذلك يقول النويري : « فلم يتركوا جبلاً إلا جعلوا عليه حصناً »[1] .

ومما تجدر الإشارة اليه هنا ــ ونحن نختتم الحديث عن الحملات العسكرية التي لم تتمخض عن فتح لجزيرة صقلية ــ أن افريقية كانت تقوم بتلك الحملات وذلك لعدة اعتبارات منها : انها قريبة من جزيرة صقلية ، اضافة الى قرب مواقع الإمداد والتموين من الجيوش الإسلامية المتجهة إلى صقلية . لذلك لم يدخر الولاة المسلمون على افريقية وسعاً في سبيل القضاء على الخطر الذي يهددهم من معاقل الروم في صقلية ، هذا من جانب ؛ ومن جانب آخر لنشر الإسلام ، وإقامة الجهاد في هذه البقعة من الأرض .

صقلية والأغالبة :

بعد توقف الحملات الإسلامية على صقلية من سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م ، وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها انشغال ولاة افريقية بالفتن الداخلية وخاصة مع البربر نجد أن الروم تمكنوا من تحصين صقلية بتعمير الحصون والمعاقل[2] ــ كما سبق وأن أشرنا ــ كما أن فترة التوقف تلك مكنت الروم من تطوير البحرية البيزنطية في جزيرة صقلية حيث أخذت مراكبهم تطوف الجزيرة كل سنة ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل « إذا رأوا تجاراً من المسلمين أخذوهم »[3] .

---

(١) نهاية الأرب (٢٤ / ٣٥٤) .

(٢) ابن الأثير ــ الكامل في التاريخ (٥/٤٥٦) ، ابن عذاري ــ البيان المغرب (١/٦٥) .

(٣) ابن الأثير ــ الكامل في التاريخ (٥/٤٥٦) .

وأصبحت صقلية ـ والحالة تلك ـ مركزاً للقوة البحرية البيزنطية ، وأصبح أسطولها ذا أهمية كبيرة ، واختفت بذلك قوة البحرية البيزنطية في شمال افريقية[1] .

إن الوضع السابق أدى الى تأخير ارسال الحملات العسكرية على صقلية وبالتالي تأخير عملية الفتح المنظم الى بداية القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي . ولم تغز صقلية بعد سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م إلا في سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م ، عندما غزى محمد بن عبد الله بن الأغلب صقلية مرسلاً من قبل زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب[2] ، الأمير الأغلبي (٢٠١ ـ ٢٢٣هـ/٨١٦ ـ ٨٣٨م) . ولم تسفر تلك الحملة سوى عن سبي وغنائم[3] .

وقبل أن ندخل في الحديث عن فتح الأغالبة لجزيرة صقلية لابد من الإشارة إلى أن الأغالبة الذين حكموا افريقية بداية من سنة ١٨٤هـ/٧٩٩م قد كونوا لهم دولة في افريقية تحمل اسمهم وتخضع اسمياً للخليفة العباسي في المشرق الإسلامي .

كما لابد من الإشارة إلى أن الأغالبة كانت لهم علاقة بصقلية تمثلت في تلك الهدنة التي عقدها الأمير الأغلبي ابراهيم بن الأغلب (١٨٤ ـ ١٩٦هـ /

---

(١) لويس ـ القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط (ص ١١٥) .

(٢) زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، تولى بعد أخيه عبد الله في سنة (٢٠١هـ/٨١٦م) . كان من أفضل أهل بيته ، وأفصحهم لساناً وأكثرهم بياناً وكان يقول الشعر ؛ وفي عهده فتحت صقلية . ولايعلم أحد قبله سمي « زيادة الله » توفي سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م .
ابن الأبار ـ الحلة السيراء (١٦٣/١) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١٨١/١) .

٧٩٩ ـ ٨١١م)[١] ، كانت مدة تلك المعاهدة عشر سنوات[٢] . وتم عقد هدنة أخرى في سنة ١٩٨هـ/٨١٣م في عهد الأمير الأغلبي الثاني أبي العباس الأغلبي (١٩٦ ـ ٢٠١هـ/٨١١ ـ ٨١٦م)[٣] ، حيث تم الاتفاق مع جريجوري بطريق صقلية على تبادل الأسرى ، وحماية رعايا الطرفين[٤] . كما كان من شروط تلك الهدنة أن من دخل من المسلمين إليهم وأراد أن يردوه إلى المسلمين ، كان ذلك عليهم[٥] .

وفي عهد الأمير الأغلبي الثالث زيادة الله الأول (٢٠١ ـ ٢٢٣ هـ/ ٨١٦ ـ ٨٣٧ م) تم تجديد الهدنة التي عقدت سنة ١٩٨هـ/٨١٣م ، وذلك بنفس شروط الهدنة السابقة . كما قال صاحب معالم الإيمان : « ولما جرى الصلح بين زيادة الله وبين أهل صقلية والهدنة كان فيه : أن من دخل اليهم من المسلمين وأراد أن يردوه كان ذلك عليهم »[٦] .

إن ماسبق يبين العلاقات السياسية بين الأغالبة ، وصقلية ، ولكن توفرت عدة عوامل جعلت الأغالبة يفكرون جدياً في فتح صقلية . وتلك العوامل كانت

---

(١) ابراهيم بن الأغلب التميمي السعدي ، دخل القيروان ، فبايعوه ، وانظم اليه خلق كثير . وقد استقرت امارة افريقية في عقبة . وكان ابراهيم فقيهاً ، عالماً ، أديباً ، خطيباً ، ذا بأس وحزم وعلم بالحرب ، ولم يل افريقية قبله أحد أعدل منه سيرة ولاأحسن منه سياسة . بنى مدينة العباسية ؛ واستمرت ولايته الى أن توفي سنة ١٩٦هـ/٨١١م .
الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٢٨/٩) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢٧/٥) .

(٢) تقي الدوري ـ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ٣٢) ، حامد زيان تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية (ص ١١) .

(٣) تولي الإمارة بعد وفاة أبيه ابراهيم بن الأغلب ؛ وكان حسن الصورة قبيح السيرة ، ولم يوصف بأدب ، ولم تطل مدته ، حيث توفي سنة ٢٠١هـ/٨١٦م .
ابن الأبار ـ الحلة السيراء (١ / ١٦٨) ، الباجي ـ الخلاصة النقية في امراء افريقية (ص ٢٦) .

(٤) تقي الدوري ـ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ٣٢) ، مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص ٧) .

(٥) المالكي ـ رياض النفوس (٢٧٠/١) ، الدواداري ـ الدرة المضيئة (ص ٢٩) ، تقي الدين الدوري ـ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ٣٣) .

(٦) الدباغ ـ معالم الإيمان (٢ / ٢١) .

دينية وسياسية وجغرافية ، ذلك أن فتح صقلية يمثل من الناحية الدينية عند المسلمين عملاً جليلاً ينبع من رغبتهم في الجهاد ونشر دعوة الحق .

كما أن عدم إلتزام البيزنطيين بشروط المعاهدة ـ المشار اليها آنفاً ـ كان له دور رئيسي في التفكير في فتح صقلية فتحاً نهائياً . فكثيراً ماكانت تنتهك تلك المعاهدة ؛ ومن ذلك نجد أن « فيمي » قائد الجيش البيزنطي في صقلية يغزو سواحل افريقية ، ويقوم بأعمال السلب ، والنهب ، كما حدث في سنة ٢١١هـ/٨٢٦م[1] .

كما كان للفتن الداخلية في الدولة البيزنطية دورها البارز في استعجال الأغالبة فتح صقلية فمن تلك العوامل انشغال القوات البيزنطية بثورة «توماس» الصقلبي في آسيا الصغرى ، وحصاره القسطنطينية ، مما أدى الى أن يقوم الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني (٢٠٥ ـ ٢١٤هـ/٨٢٠ ـ ٨٢٩م) بسحب قواته من أطراف الأمبراطورية لدرء الخطر عن عاصمته[2] وبذلك ضعفت القوات البيزنطية المرابطة في صقلية وسواحل البحر المتوسط المتاخمة لإفريقية ، مما جعل قدرتها على رد أي هجوم عليها ضعيفاً .

كما أدى استيلاء المسلمين على جزيرة « أقريطش »[3] ، الى تطور القوات البحرية الإسلامية ودخول اماكن استراتيجية تحت سيطرتها ، وبالتالي

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٤) .

(٢) ابراهيم العدوي ـ اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادي (ص ٥٧) ، فازليف ـ العرب والروم (ص ٦٦) .

(٣) اقريطش : بفتح الهمزة وكسرها ، اسم جزيرة في البحر المتوسط (بحر المغرب) ، يقابلها من بر افريقية لوبيا . ذكر أن أول من غزاها عبد الله بن سعد بن ابي السرح . أما عن استقرار المسلمين بها فتذكر المصادر : أن أبا حفص عمر البلوطي الأندلسي ، المعروف بالإقريطشي نزل بها على رأس اسطول من المهاجرين الأندلسيين الربضيين الذين أخرجهم عبد الله بن طاهر بن الحسين من الإسكندرية ، بعد أن استقروا بها فترة من الزمن أثر خروجهم من الاندلس أيام الحكم بن هشام الاموي . أنظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك (٨/٦١٣) ، الكندي ـ الولاه والقضاة (ص١٨٤) ، ياقوت ـ معجم البلدان (١/٢٣٦) ، الحميري ـ الروض المعطار في خبر الأقطار (ص ٥١) .

زاد ذلك من أهمية فتح صقلية لحماية المواقع الهامة للمسلمين في البحر المتوسط ، وجميع سواحل افريقية .

ومن الأسباب الداخلية في الأمبراطورية البيزنطية أن « فيمي » قائد الأسطول البيزنطي في صقلية ، كان يريد الإستقلال بصقلية ، مستغلاً في ذلك الأوضاع التي كانت قائمة داخل الامبراطورية كثورة « توماس »(1) . والتي أشرنا إليها آنفاً ؛ وعندما باءت محاولته بالفشل سلم ماتحت يده من الأسطول للأغالبة(2) . وذلك أدى بالتالي الى زيادة قوة البحرية الإسلامية ، هذا فضلاً عن ضعف البحرية البيزنطية والتي كانت واضحة منذ بداية القرن التاسع الميلادي(3) . ولعل قائد الأسطول البيزنطي في صقلية ، عندما عرض ماتحت يده للأغالبة كان يريد أن يكون نائباً للأمير الأغلبي في حالة السيطرة على صقلية ، أو أنه أراد أن يصل الى أكبر من ذلك ، فقد قدم عرضاً أخر يتضمن أن يتم فتح صقلية بجيش الأغالبة ، على أن يتولى هو حكم صقلية بلقب امبراطور ، مع دفع الجزية للأمير الأغلبي(4) .

وفي الجانب الآخر نجد أن الأمير الأغلبي زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب ، أمير الأغالبة (٢٠١ ـ ٢٢٣هـ/٨١٦ ـ ٨٣٨م) قد قضى على الثورات الداخلية التي قامت ضده ، واتصف عهده بالقوة والإستقرار . فقد تمكن من القضاء على أخطر الثورات في عهده كثورة زياد بن سهل في سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م ، وثورة عمرو بن معاوية القيسي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م(5) . وثورة منصور الطنبذي والتي استمرت من سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م الى سنة ٢١١هـ/٨٢٦م(6) .

---

(١) مارتينو ـ المسلمون في صقلية : (ص ٨) ، فازليف ـ العرب والروم (ص ٧٠) .
(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٤ ـ ٣٣٥) .
(٣) لويس ـ القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط (ص ١٨٧) .
(٤) مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص٨) ، فازليف ـ العرب والروم (ص ٧٠) .
(٥) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/٩٧) .
(٦) اليعقوبي ـ البلدان (ص ٣٤٧) ، المالكي ـ رياض النفوس (١/١٨٥ ـ ١٨٦) .

ومن العوامل التي ساعدت الأغالبة على فتح صقلية ، الأوضاع الإجتماعية المتردية للسكان تحت الحكم البيزنطي فقد كرهوا الحكم البيزنطي ، بما يشتمل عليه من جور وضرائب ، وغيرها(١) . فقد اضطر أهلها لدفع ضرائب باهضة الى خزينة الإمبراطورية البيزنطية ، بل أخذت منهم الضرائب المتأخرة المستحقة منذ زمن الملوك القوط(٢) .

وازداد الحال سوءاً عندما قام موظف صغير في نهاية القرن السادس الميلادي بمصادرة ممتلكات الناس بالقوة ، مما دعا البابا « جريجوري » (٥٩٠ ـ ٦٠٤م) أن يكتب : أننا نحتاج الى مجلد لتصور كل الجور الذي سمعته عن ذلك الموظف(٣) .

كل ماسبق من العوامل كان منذرا بفتح صقلية على يد الأغالبة ، وبقيت الفرصة الكبرى التي استغلها الأمراء الأغالبة ، والتي تمثلت في استنجاد قائد الأسطول البيزنطي في صقلية « فيمي » أو « يوفيميوس » بالأمير الأغلبي زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب (٢٠١ ـ ٢٢٣هـ/٨١٦ ـ ٨٣٨م) ، وذلك لدرء الخطر عنه ، عندما ثار على بطريق صقلية البيزنطي « قسطنطين » .

وتختلف المصادر في ذكر أسباب ثورة « فيمي » فبعضها يذكر أنه بسبب زواجه من راهبة حسناء أسمها « هومونيزا » وذلك على كره منها ، وأن اخوتها قدموا شكوى الى الامبراطور البيزنطي في القسطنطينية . فأمر بالقبض على «فيمي» وقطع أنفه(٤) . والبعض يذكر أن سبب ثورته هي أطماعه السياسية

---

(١) سعيد عاشور ـ اوربا العصور الوسطى (١/١١٥) ، سانت موس ـ ميلاد العصور الوسطى (ص ١٧٩) .

(٢) تقي الدوري ـ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ٤٣) .

(٣) المرجع السابق نفسه (ص ٤٣) .

(٤) المرجع السابق نفسه (ص ٤٤) ، بدر عبد الرحمن ـ الأغالبة والأدارسة في بلاد المغرب (ص ٢٤) .

ورغبته في أن يكون امبراطوراً[1] . وقد يكون السبب الثاني هو الغالب على الصحة حيث يوكد البعض أن « فيمي » عرض على الأمير الأغلبي فتح صقلية بجيش الأغالبة على أن يكون « فيمي » إمبراطوراً لها ويدفع الجزية للأمير الأغلبي [2] . أو أن يكون الأمير زيادة الله بمثابة الامبراطور ، « وفيمي » نائباً له[3] . أما ابن الأثير عند كلامه عن هذا الوضع لم يشر إلا أن « فيمي » قد وعد زيادة الله بملك صقلية[4] .

وأياً كانت الأهداف ، وأسباب الثورة فقد سنحت الفرصة للأغالبة لفتح صقلية وكأن التاريخ يعيد نفسه ، فكما هو الحال في فتح الأندلس عندما حرض جوليان المسلمين لفتح أسبانيا ، حرض «فيمي» المسلمين لفتح صقلية .

إن وضعاً كهذا ، وإن فرصة كتلك جعلت الأمير زيادة الله يعقد مجلساً للشورى ضم عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء ، وعلى رأسهم القاضيان أسد بن الفرات[5] . وأبو محرز[6] . وتم في ذلك المجلس مناقشة الهدنة التي عقدت بين

---

(١) الدوري ـ المرجع السابق نفسه (ص ٤٥) .

(٢) مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص ٨) ، فازليف ـ العرب والروم (ص ٧٠) .

(٣) المرجعان السابقان (ص ٨ / ص ٧٠) .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٣٣٥/٦) ، تقي الدين الدوري ـ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص٤٦) .

(٥) أبو عبد الله أسد بن الفرات الحراني ، المغربي ، الإمام ، العلامة ، القاضي ، الأمير . دخل القيروان وهو صغير . روى عن مالك بن أنس ، كتابه الموطأ ألف الأسدية في الفقه المالكي ، ودخل بها الى القيروان ، وعنه أخذ فقيه القيروان سحنون . وأسد بن الفرات هو فاتح جزيرة صقلية ، وتوفي محاصراً لسرقوسه سنة ٢١٣هـ ٨٢٨م .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٨٢/٣) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٣/٢ ـ ٢٦) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢٢٥/١٠) ، النباهي ـ تاريخ قضاة الأندلس (ص ٥٤) .

(٦) ابو محرز محمد بن عبد الله بن قيس الكناني ، كان رجلاً فاضلاً ، سمع من الإمام مالك ابن أنس ، وتولى قضاء افريقية لابراهيم بن الأغلب على كره منه ، فتمثل بالبيت التالي :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

توفي سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م . المالكي ـ رياض النفوس (٢٧٤/١) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٣٢٥/٢) .

الأغالبة وحاكم صقلية ، ـ التي سبق وأن أشرنا اليها ـ التي تبين ومن خلال ماأدلى به « فيمي » من معلومات أن حاكم صقلية لم يلتزم ببنودها ، وذلك لوجود عدد من الأسرى المسلمين لديه(١) .

فقال القاضي أسد بن الفرات ـ والحال كذلك ـ : « بالرسل هادناهم ، وبالرسل نجعلهم ناقضين . قال الله عز وجل (ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون)(٢) . فكذلك لانتماسك به ونحن الأعلون »(٣) .

وخلص مجلس الشورى على الاتفاق في النهاية على المضي قدماً لفتح صقلية . وبدأ عمل الترتيبات اللازمة لتجهيز الجيش الاسلامي المجاهد وأوكلت تلك المهمة الى القاضي القائد أسد بن الفرات .

مسيرة الجيش الإسلامي الفاتح :

سوف نستعرض فيما يأتي مسيرة الجيش الإسلامي الفاتح لجزيرة صقلية ، ومراحل الفتح في عهد الأغالبة . وسوف نقتصر في حديثنا على النقاط الرئيسية . إذ أن المجال ليس مجال شرح وتوضيح ، وذلك لطول فترة الفتح ، إذا أخذنا في الأعتبار أن أيام الدولة الأغلبية مع صقلية كلها أيام جهاد وفتوحات . فالمعارك كثيرة ، والمقاومة عنيدة وشديدة ، والفترة طويلة .

على أنه يجب علينا أن نؤكد على حقيقة هامة قبل أن نتحدث عن فتح صقلية في عهد الأغالبة تلك تتمثل في أن القائد البيزنطي « فيمي » على الرغم من أنه لعب دوراً بارزاً في التوقيت لعملية الفتح ، إلا أنه لم يشارك الجيش الإسلامي بقواته في فتح مدن ومعاقل وحصون صقلية . وكان بذلك فتح صقلية مقتصراً على رجال الجيش الإسلامي بقيادة أسد بن الفرات ، ومن تبعه من القادة بعد ذلك . وإذا كان له من دور فإنه يقتصر على الإدلاء بمعلومات أو توجيهات وخلاف ذلك بل أنه لم يستمر ولائه كثيراً للمسلمين وحاول خيانتهم كما سيتضح ذلك لاحقاً .

---

(١) المالكي ـ رياض النفوس (١/١٨٦) ، الدباغ ـ معالم الايمان (٢/٢١) .

(٢) سورة آل عمران (آية ١٣٩) .

(٣) المالكي ـ رياض النفوس (١/١٨٦ ـ ١٨٧) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٢٢) .

وفي هذا الصدد قال أسد بن الفرات القائد الفاتح «لفيمي» : «اعتزلنا فلا حاجة لنا في أن تعينونا»[1] . كما قال له ولأتباعه : «إجعلوا على رؤسكم سيماء تعرفون بها لئلا يتوهم أحد منا أنكم من هؤلاء الموافقين لنا فيصيبكم مكروه»[2] وفي ذلك يقول النويري : «وأفرد فيمي ومن معه ولم يستعن بهم»[3] .

وبدأت مسيرة الجيش الإسلامي الفاتح بقيادة القاضي أسد بن الفرات يوم السبت الموافق للنصف من شهر ربيع الأول سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م) . ووصلوا الى مازر من جزيرة صقلية بعد ثلاثة أيام ، وأقاموا بها ثلاثة أيام دون أن يحركوا ساكنا[4] . ولم يخرج اليهم إلا سرية واحدة فأخذوها ، فإذا هي من أصحاب « فيمي » فتركوها[5] .

وما إن سمع حاكم صقلية ـ بلاطه كما تسميه المصادر الإسلامية ـ بوصول الجيش الإسلامي حتى زحف على رأس جيش كبير ، ذكر أن عدده وصل إلى مائة وخمسين ألفاً[6] . فتقدم اليهم أسد بن الفرات بجيشه ، وفي يده اللواء . وخطب في الناس قائلاً : « ان هؤلاء عجم الساحل ، هؤلاء عبيدكم ، لاتهابوهم »[7] ؛ واشتبك الجيشان ، وهزم « بلاطه » وأصحابه[8] . وذلك في السابع عشر من شهر ربيع الثاني من عام ٢١٢هـ/٨٢٧م[9] . وكان موقع تلك المعركة مكان يقال له : « مرج بلاطة »[10] .

---

(١) الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٢٤) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٢/٢٤) .

(٣) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٥٥ ـ ٣٥٦) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٢٤/٣٥٥ ـ ٣٥٦) ، الحموي ـ تاريخ الأسطول العربي (ص ١٢٤) .

(٥) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٥٦) .

(٦) المالكي ـ رياض النفوس (١/١٨٨) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٢٣) .

(٧) المصدران السابقان ، (١/١٨٨) ، (٢/٢٣) .

(٨) المصدران السابقان (١/١٨٨) ، (٢/٢٣) .

(٩) تقي الدوري ـ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ٥٠) .

(١٠) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٥٦) .

ويعلق « اماري » على هذه المعركة فيقول : « أن القتال كان فيهما حاسماً والمسلمون على الساحل الصقلي ، وقد اجتمعت ضدهم جميع القوى في الجزيرة ، فلم تكن إلا واحدة من اثنين . فإما أن يبقى المسلمون في البحر ، وإما أن ينتصروا فتبقى الجزيرة بدون دفاع »(١) . أي أن المسلمين أدركوا أن لامفر لديهم في حالة الفشل (٢) .

وإن موقعة « مرج بلاطه » كان لها أهميتها ، حيث كانت تمثل بداية الصراع الحقيقي بين المسلمين والبيزنطيين للإستيلاء على جزيرة صقلية . كما أن انتصار المسلمين في تلك المعركة قد رفع معنويات الجيش الإسلامي الفاتح ؛ وأدى ذلك الى سقوط عدد كبير من الحصون في أيدي المسلمين . قال ابن الأثير : « وأستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة »(٣) .

كما أن المسلمين قد استفادوا مما غنموه من تلك المعركة في تقوية الجيش الفاتح حيث « أصابوا سبياً كثيراً ، وسائمة كثيرة ، وكراعاً ، وكثرت الغنائم عند المسلمين »(٤) .

وما إن وصل خبر ذلك الإنتصار العظيم في موقعة « مرج بلاطه » الى الأمير الأغلبي زيادة الله ، حتى كتب بذلك الى الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/٨١٣ ـ ٨٣٣م) ، مبشراً إياه بذلك الفتح الكبير(٥) . ولهذا الكتاب دلالته ، فقد اعتبر الأغالبة ذلك الإنتصار فتحاً حقيقياً لجزيرة صقلية ، على أن يتبعه سقوط المدن والحصون والقلاع في أيدي المسلمين .

---

(١) الدوري ، صقلية وعلاقاتها (ص ٥٠ ـ ٥١) ، نقلاً عن اماري ـ في تاريخ المسلمين في صقلية (٣٩٦/١) .
(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٥١) .
(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٣٣٥/٦) .
(٤) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٠٢/١) .
(٥) المالكي ـ رياض النفوس (١٨٨/١) .

بعد هذه المعركة اتجه القائد اسد بن الفرات الى سرقوسه . وفي طريقه اليها مر بقلعة تعرف بقلعة « الكراث »[1] وهنا حدث ماأشرت اليه سابقاً من خيانة « فيمي » حيث دخلته حمية الكفر ، فلم يسمح بإذلال أهل قلعة الكراث وسرقوسه ، فأرسل اليهم : « أن يثبتوا وأن يجدوا في الحرب ويستعدوا »[2] .

والوضع كذلك ، التقى اسد بن الفرات مع بطارقة سرقوسه ، فسألوه الأمان خديعة ومكراً[3] . فوافق القائد أسد بن الفرات على تلك الهدنة ، ومكث أياماً لم يتقدم[4] . فكانت تلك الهدنة سبباً من أسباب زيادة تحصين مدينة سرقوسة ، والاستعداد من جانب أهلها وحاميتها .

ويعلل فازليف قبول أسد بن الفرات بتلك الهدنة فيقول : « ولعل الذي دفعه الى ذلك رغبته في أن يتهيأ لحصار سرقوسه الخطير ، وأن ينتظر أسطوله ، وأن ينظم جيشه ، المثقل بالغنائم والأسرى ، مع نقص عدده نقصاً ظاهراً ، بسبب ماترك من حاميات في طريقه »[5] . وفي القول السابق اشارة الى أن الغنائم كانت سبباً من أسباب قبول الهدنة ، ولكن ذلك يحتاج الى تدقيق ففي تصوري أن الغنائم لم تكن سبباً من أسباب قبول الهدنة ، ذلك أن الأموال لم تكن عائقاً لتقدم مسيرة الجيوش الإسلامية ، أو قبول مهادنات لاتخدم مسيرة الجهاد الإسلامي . فهي لم تكن هدفاً من أهداف الفتوحات الإسلامية .

أما السبب الحقيقي لقبول أسد بن الفرات لتلك الهدنة فهو ما أشارت اليه المصادر الإسلامية من أنه كان ينتظر المدد من افريقية والأندلس[6] .

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٥) .
(٢) المصدر السابق نفسه ـ (٦/٣٣٥) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٥٦ ـ ٣٥٧) .
(٣) المصدر السابق نفسه ، (٢٤/٣٥٦) .
(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٥) .
(٥) فازليف ـ العرب والروم (ص ٧٦) .
(٦) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٠٣) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٥٧) .

ولكن تلك الهدنة قد مكنت العدو من زيادة التحصين ، والاستعداد ، فقد أدخلوا الى الحصون ، جميع ماكان بالربض والكنائس من الذهب والفضة والميرة[1] .

وبعد أن مكن أهل سرقوسة أنفسهم رفضوا الهدنة[2] . فحاصرها المسلمون براً وبحراً [3] . وأحرقوا مراكبها[4] .

وطال حصار سرقوسة حتى قال أحد أفراد الجيش الإسلامي للقائد أسد بن الفرات : « ارجع بنا الى افريقية ، فإن حياة رجل مسلم أحب الينا من أهل الشرك كلهم »[5] .

فأبى أسد بن الفرات وقال : « ماكنت لأكسر غزوة على المسلمين ، وفي المسلمين خير كثير »[6] .

وفي أثناء الحصار وصل المدد من افريقية والأندلس[7] . وفي المقابل وصلت امدادات من القسطنطينية[8] ؛ كما أرسل دوق البندقية سفناً أيضاً[9] . كما قدم والي بلرم في عساكر كثيرة نجدة لسرقوسة ، سقط منهم خلق كثير في خنادق دفاعية عملها المسلمون[10] .

---

(١) النويري ـ المصدر السابق (٣٥٧/٢٤) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٣٣٥/٦) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٣٣٥/٦) .

(٤) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٠٣/١) .

(٥) المالكي ـ رياض النفوس (١٨٨/١ ـ ١٨٩) ، الدباغ ، معالم الايمان (٢٤/٢ ـ ٢٥) .

(٦) المصدران السابقان (١٨٨/١ ـ ١٨٩) ، (٢٤/٢ ـ ٢٥) ، الدواداري ـ الدرة المضيئة (ص ٢٩) .

(٧) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١ / ١٠٣) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٥٧/٢٤) .

(٨) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٣٣٥/٦) ، فازليف ـ العرب والروم (ص ٧٨) .

(٩) المصدر والمرجع السابقان (٣٣٥/٦) ، (ص ٧٨) .

(١٠) المصدر والمرجع السابقان (٣٣٥/٦) ، (ص ٧٨) .

واشتد حصار المسلمين على سرقوسه ، حتى سألهم أهلها الأمان ، فأبوا ، إلا أنه قد حل بالمسلمين وباء شديد هلك فيه كثير منهم ، وهلك فيه قائدهم وأميرهم أسد بن الفرات في سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م . وذلك بعد حصار دام عشرة أشهر أوشكت فيه سرقوسه على التسليم[١] .

وبعد وفاة القائد أسد بن الفرات تولى محمد بن ابي الجواري قيادة الجيش الإسلامي فترك حصار سرقوسه ، ولكن وقف لهم العدو بباب المرسى ومنعوهم من الخروج ؛ فاضطر المسلمون الى إحراق مراكبهم ، وعادوا الى البر ، وتمكنوا من السيطرة على حصن « ميناو » بعد حصار دام ثلاثة أيام ، وسكنوه[٢] . ثم سارت طائفة منهم الى حصن « جرجنت » فقاتلوا أهله ، وفتحوه ، وسكنوا فيه[٣] .

ثم اتجه المسلمون الى قصريانه ، فحاصروها ، وفي أثناء حصارهم لها وصل البطرك « تودط » من القسطنطينية على رأس جيش كبير ، فتقابل في قتال شديد مع المسلمين ، حيث انهزم فيه جيشه ، وقتل منهم خلق كثير وأسر من بطارقته تسعون بطريقاً ، وكان ذلك في أول سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م[٤] .

وفي تلك الأثناء توفى القائد محمد بن أبي الجواري في أول سنة أربع عشرة ومائتين ؛ فتولى زهير بن غوث قيادة المسلمين[٥] .

وواصل القائد الجديد زهير بن غوث الحرب مع تودط البيزنطي ، إلا أن البيزنطيين تمكنوا من تضييق الحصار على المسلمين وإطالته ، حتى قتل منهم نحو ألف قتيل ، فتراجع المسلمون الى حصن ميناو[٦] .

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٥ ـ ٣٣٦) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٠٤) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٥٧) ، مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص ٩) .
(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٦) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٥٨) .
(٣) المصدران السابقان (٦ / ٣٣٦) ، (٢٤ / ٣٥٨) .
(٤) المصدران السابقان (٦ / ٣٣٦) ، (٢٤ / ٣٥٨) .
(٥) المصدران السابقان (٦ / ٣٣٦) ، (٢٤ / ٣٥٨) .
(٦) المصدران السابقان (٦ / ٣٣٦) ، (٢٤ / ٣٥٨) .

والحال كذلك وصلت امدادات للمسلمين من الأندلس . حيث تذكر المصادر أنه : « في سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م ، وصل من الأندلس الى صقلية نحو ثلاثمائة مركب ، بقيادة اصبغ بن وكيل المعروف بفرغلوش ، وبلغ المسلمين المحصورين بها خبر وصولهم . فاستغاثوا بهم ، فوعدوهم بالغوث »[١] . وفي ذلك يقول ابن الأثير : « وقد أشرف المسلمون على الهلاك ، وإذا قد أقبل اسطول كبير من الأندلس ، خرجوا غزاة ، ووصل في ذلك الوقت مراكب كثيرة من افريقية مدداً للمسلمين ، فبلغت عدة الجميع ثلاثمائة مركب »[٢] .

إضافة الى ماسبق وصلت مراكب أخرى من الأندلس بقيادة سليمان بن عافية الطرطوشي ، فكانت عوناً للمسلمين في حصارهم[٣] . ويذكر ابن خلدون ، أن تلك الأساطيل خرجت للجهاد ؛ وهي تمثل مدداً من افريقية والأندلس[٤] . على أن بعض المصادر تذكر أن وصول تلك المراكب ، وذلك المدد الى صقلية لم يكن مقصوداً ، ولم يكن الهدف منه مساعدة المسلمين المحاصرين في الأصل . وإنما كان وصولهم الى صقلية بسبب الريح في البحر التي أجبرتهم الى الدخول في مياه صقلية ؛ قال الحميري : « وكان وصل إذ ذاك من الأندلس مراكب كثيرة ، وأمير الأندلس إذ ذاك عبد الرحمن بن الحكم ، كانوا فصلوا من طرطوشة يريدون بلاد الروم ، فأخرجتهم الريح الى صقلية »[٥] . وإذا صح قول الحميري السابق فإنه يصدق على المراكب القادمة من الأندلس ، أما تلك القادمة من افريقية فإنها لابد وأن تكون مدداً للمسلمين في صقلية ؛ خاصة إذا أخذنا بعين الإعتبار ، أن أفريقية التي يحكمها الأغالبة ، قد تولت منذ البداية عملية فتح صقلية وإرسال الغزوات ، ومتابعتها بالمدد..

---

(١) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١ / ١٠٤) .
(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٧) .
(٣) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٥٩)
(٤) ابن خلدون ـ العبر (٤ / ٢٥٤) .
(٥) الحميري ـ الروض المعطار (ص ٤٢٩) .

أما عن الدور الذي قامت به تلك المراكب ، فقد قامت بمساعدة المسلمين المحاصرين ، حيث تقدم أصبغ بن وكيل ـ المعروف بفرغلوش ـ والذي اشترط أن تكون امرة الناس تحت يده ـ وسيطر على مجموعة من القلاع ، إلى أن وصل حصن « ميناو » وفك الحصار عن المسلمين هناك ، مما اضطر معه « تودط » البيزنطي الخروج الى قصريانه ، وكان ذلك في سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م[١] .

بعد ذلك اتجه المسلمون الى « غليانه » فحاصروها ، وتغلبوا عليها ، ولكن انتشر وباء بين الناس ، مات على أثره قائدهم « فرغلوش » ومجموعة من المسلمين [٢] . ثم اتجه الجيش الإسلامي بقيادة اميرهم الجديد عثمان بن قرهب ، الى مدينة « طرابنش » ولكن « تودط » استغل انتشار المرض بين المسلمين فلاحقهم ، وقاتلهم ، ولكنهم تمكنوا من التغلب عليه فقاتلوه حتى قتل[٣] .

ثم سار المسلمون الى مدينة « بلرم » وحاصروها ، حتى طلب أهلها الأمان ، ففتحت صلحاً في رجب من سنة ٢١٦هـ/٨٣١م ؛ وذلك اثناء امارة محمد بن عبد الله ابن الأغلب على صقلية[٤] . إلا أن ابن خلدون يذكر أن بلرم قد فتحت صلحاً في سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م[٥] .

وبذلك استوطن المسلمون مدينة « بلرم » واستولوا على ماجاورها ، وكان فتحها سبباً في فتح بقية مدن ومعاقل الجزيرة[٦] . يقول لويس عن فتح

---

(١) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٠٤) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٥٩) .
(٢) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٠٤) ، الحميري ـ الروض المعطار (ص ٤٢٩) .
(٣) الحميري ـ المصدر السابق (ص ٤٢٩) .
(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٧) ، الحميري ـ الروض المعطار (ص ٤٢٩) .
(٥) ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٥٤) ؛ أما عن النويري فيذكر ان حصار بلرم استمر من سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م ، ثم فتحت بالأمان . نهاية الأرب (٢٤/٣٦٠) .
(٦) الحميري ـ الروض المعطار (ص ٤٢٩) .

المسلمين لمدينة « بلرم » : « ومنذ ذلك الحين صارت بلرم ، أهم قاعدة حربية ، وأعظم مراكز القوة الإسلامية بصقلية ، وصار لها نوع من الحكم الذاتي ، وان تبعت اسماً حكام شمال افريقية ، كذلك كانت الثغر الأكبر الذي تقلع منه الأساطيل الإسلامية للإغارة على الشواطئ الإيطالية ، وباقي الممتلكات البيزنطية في الجزيرة »[1] .

وفي سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م . سار المسلمون الى مدينة « قصريانة » فخرج اليهم الروم ، واقتتلوا قتالاً شديداً . فأنهزم الروم ، وعادوا الى معسكراتهم . ثم التقوا مرة أخرى ، فانتصر المسلمون كذلك[2] .

وفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م ، عاود المسلمون الكرة على « قصريانة » بقيادة أمير صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلب ، وانهزم الروم كذلك[3] .

وتعد سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م من أكثر السنوات غزواً على مدن ومعاقل صقلية في البر والبحر ، حيث قال ابن عذاري عن هذه السنة : « ولقد كثرت فيها غزوات المسلمين في صقلية براً وبحراً »[4] .

ومما حدث في تلك السنة أن أمير صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلب ، سير عسكراً ، الى « طبرمين » بقيادة محمد بن سالم ، ولكن ذلك لم يسفر عن فتح ، بل غنم المسلمون منها مغانم كثيرة ، ثم عادوا[5] .

كذلك أرسل أمير صقلية سرية الى « سرقوسة » بقيادة الفضل بن يعقوب ، ولكن لم تسفر عن فتح بل غنمت وعادت وكان ذلك في سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م[6] .

---

(١) لويس ـ القوى البحرية والتجارية في المتوسط (ص ٢١٣) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٧) .

(٣) المصدر السابق (٦/٣٣٧ ، ٣٣٨) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٠٥) ، ابن خلدون العبر (٤/٢٥٤ ـ ٢٥٥) .

(٤) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٠٥) .

(٥) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٨) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٦/٣٣٨) .

وانتقلت بعد ذلك امارة صقلية الى أبي الأغلب ابراهيم بن عبد الله بن الأغلب في سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م واستولى في العام نفسه على أسطول بيزنطي ، وقتل كل من فيه[١] .

وواصل الأمير الجديد على صقلية حملات الجهاد الإسلامي ضد المدن والمعاقل البيزنطية في صقلية ؛ فأرسل في سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م ، سرية الى قسطلياسة » ، غنمت ثم عادت وسرية أخرى الى « قصريانة » ولكنها هزمت ، فعاود المسلمون الكره مرة أخرى فغنم المسلمون مغانم كثيرة ، منها تسعة مراكب كبار برجالها وعتادها[٢] .

ويواصل المسلمون جهودهم لفتح مدن صقلية ، فحاصروا مدينة « جفلوذي » وفي اثناء ذلك الحصار ، وصل مدد كبير من الروم الى صقلية في سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م ، وجرى بين المسلمين والروم حروب كثيرة ، استمر الى أن وصل خبر وفاة الأمير الأغلبي زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب ، أمير افريقية في السنة المذكورة ، فضعفت عزيمة المسلمين ، وتوقف القتال[٣] .

وفي سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م فتحت عدة حصون من صقلية صلحاً[٤] .

وتم في السنة المذكورة فتح مدينة « قلورية »[٥] . كما عاود المسلمون الكرة على « قصريانة » في سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م وغنموا وعادوا[٦] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٦/٣٣٨) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٥٥) .
(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٣٣٩) .
(٣) المصدر السابق نفسه (٦/٣٤٠) .
(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦/٤٩٤) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٥٥) .
(٥) المصدران السابقان (٦/٤٩٤) ، (٤/٢٥٥) .
(٦) المصدران السابقان (٦/٤٩٤) ، (٤/٢٥٥) .

وفي سنة ٢٢٨هـ/٨٤٢م ، حاصر المسلمون مدينة « مسيني » بقيادة الفضل بن جعفر الهمداني الى أن تمكنوا من الأستيلاء عليها[١] . ويعلل لويس استيلاء المسلمين على مدينة « مسيني » الهامة ، بأن ذلك يرجع الى عدم وجود قوات بيزنطية بحرية بمياه صقلية تكفي لحماية هذا المركز الهام من هجمات المسلمين[٢] .

وباستيلاء المسلمين على مدينة « مسيني » الهامة ، فإنهم بذلك سيطروا على قاعدة بحرية هامة تشرف على المضيق بين قلورية وصقلية[٣] .

وفي سنة ٢٢٨هـ/٨٤٢م تمكن المسلمون أيضاً من فتح مدينة «مسكان»[٤] .

أما عن أهم أحداث سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م في صقلية ، فنجد أن ابا الأغلب العباسي بن الفضل ، تمكن من هزيمة جيش بيزنطي كبير ، وقتل منه نحو عشرة الاف مقاتل[٥] .

وفي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م ، استولى المسلمون على مدينة «لنتيني » بقيادة الفضل بن جعفر الهمداني[٦] . كما تسلم المسلمون في سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م مدينة « رغوس » صلحاً[٧] .

ونعود مرة أخرى الى تلك المدينة الهامة من مدن صقلية والتي استعصى على المسلمين فتحها بعد تكرر الهجمات عليها ، وهي مدينة ، « قصريانة » دار الملك بصقلية ، فقد كثرت المحاولات من قبل الأمراء الأغالبة وقادتهم لفتح مدينة

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٧ / ٥) ، ابن خلدون ـ العبر (٤ / ٢٥٧) .
(٢) لويس ـ القوى البحرية والتجارية في المتوسط (ص ٢١٤) .
(٣) المرجع السابق نفسه (ص ٢١٤) .
(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٧/٥) .
(٥) المصدر السابق نفسه (٧/٥ ـ ٦) .
(٦) المصدر السابق (٧/٦) .
(٧) المصدر السابق (٧ / ٧) ، ابن خلدون ـ العبر (٤ / ٢٥٧) .

« قصريانة » ـ كما أشرنا الى ذلك سابقاً ـ والتي كان أخرها تلك المحاولة التي كانت في سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م ، أثناء ولاية محمد بن عبد الله بن الأغلب على صقلية[١] .

وما إن تولى العباس بن الفضل بن يعقوب امارة صقلية (٢٣٦هـ/٢٤٧م / ٨٥١ ـ ٨٦١م) حتى فكر جديا في فتح مدينة « قصريانة » ولم يتمكن من ذلك إلا في سنة (٢٤٦هـ/٨٦٠م)[٢] .

وبفتح مدينة «قصريانة» يكون المسلمون قد سيطروا على ثلثي الجزيرة ، وفقدت بذلك القوات البيزنطية أهم معقل لها بري . قال لويس عن ذلك الفتح : «وقد حلت بالقوة البيزنطية في صقلية ، مصيبة هي فقدها لحصنها البري في قصريانة ، واقتصرت ممتلكات القسطنطينية في الجزيرة على الساحل الشرقي فيما حول سرقوسه ، وبعض الجهات الداخلية ، أما العرب فبلغ ماوقع في قبضتهم ثلثي الجزيرة تقريباً »[٣] .

وبعد أن تم للمسلمين فتح مدينة « قصريانة » بدأت مرحلة أخرى جديدة ، وهامة ، وتلك المرحلة تمثلت في الفتح النهائي لمدينة « سرقوسة » تلك المدينة التي أشرنا اليها سابقاً ، والى حصارها من قبل القائد أسد بن الفرات . فقد فكر جدياً أمير صقلية العباس بن الفضل في فتح مدينة سرقوسة ، فبدأ في تعمير مدينة « قصريانة » وتحصينها ، وشحنها بالعساكر ، لتكون نقطة الإنطلاق .

وسار العباس بن الفضل على رأس جيشه في سنة (٢٤٧هـ/٨٦١م) الى سرقوسه ولكن عاجلته المنية وهو في طريقه اليها ، فدفن بنواحيها فنبش الروم قبره[٤] .

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل (٦٢/٧) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٦١/٢٤) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٥٨/٤) ، الحميري ـ الروض المعطار (ص ٤٧٥) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل (٦٢/٧) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٦١/٢٤) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٥٨/٤) ، الحميري ـ الروض المعطار (ص ٤٧٥) .

(٣) لويس ـ القوى البحرية والتجارية في المتوسط (ص ٢١٧) .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦٤/٧) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٥٨/٤) .

وتولى ابنه عبد الله قيادة الجيش الى أن وصل أمير صقلية الجديد خفاجة بن سفيان مرسلاً من افريقية[1] .

وفي أثناء ولاية خفاجة بن سفيان على صقلية (٢٤٧ ـ ٢٥٥هـ/٨٦١ ـ ٨٦٩ م) سار الى سرقوسة عدة مرات ، وأرسل ابنه محمد اليها في مرات أخرى[2] . إلا أن فتح سرقوسة لم يتم إلا في سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧م على يد جعفر بن محمد بن خفاجة والذي تولى امارة صقلية في الفترة من ٢٦٤ ـ ٢٦٦هـ/٨٧٧ ـ ٨٧٩م) ، وذلك بعد أن حاصرها مدة تسعة أشهر[3] .

ونظراً لأهمية سرقوسة ، فقد حاول الروم استعادتها ؛ حيث وصل اسطول من القسطنطينية لذلك الغرض ، ولكن تمكن المسلمون من هزيمته[4] .

وبعد فتح مدينة سرقوسة ، تأثرت مسيرة الفتوحات الأسلامية في صقلية ، وذلك بسبب الثورات والفتن الداخلية في الدوله الأغلبية وولايتها صقلية ، فانشغل الأمراء الأغالبة وولاتهم وقادتهم بقمع الثورات ، ومحاولة اعادة استتباب الأمن الى بلادهم .

ومن تلك الفتن التي كان لها تأثير على عملية الفتح في صقلية مايلي :

أ ـ قتل جعفر بن محمد بن خفاجة ، فاتح سرقوسة على يد غلمانه[5] .

ب ـ ثورة أهل صقلية على أميرهم أبي الأغلب بن ابراهيم بن أحمد (٢٦٦ ـ ٢٦٧هـ/٨٧٩ ـ ٨٨٠م) واخراجه من صقلية الى افريقية ، بعد ولاية دامت تسعة أشهر[6] .

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل (١٠٦/٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١٠٦/٧ ـ ١٠٧) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٣٢٠/٧) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١١٧/١) .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل (٣٢٠/٧) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦١/٤) .

(٥) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١١٧/١) .

(٦) ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (١١٦/٣) .

جـ ـ في سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م) ، وثب أهل بلرم على والي صقلية سواده ابن محمد بن خفاجه (٢٧١ ـ ٢٧٣هـ/٨٨٤ ـ ٨٨٦م) ، وعلى بعض رجاله ، وأرسلوهم مقيدين الى افريقية ، واجتمع أهل البلد على أبي العباس بن علي فولوه عليهم[١] .

د ـ في سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م ، وقعت فتنة كبيرة بصقلية بين العرب والبربر[٢] .

هـ ـ في سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م حدث نزاع بين أهل مدينتي بلرم وجرجنت[٣] .

ويضاف الى ماسبق من ثورات وفتن أن الموالي قاموا بثورة في افريقية ضد أمير الأغالبة ابراهيم بن احمد بن محمد بن الأغلب (٢٦١ ـ ٢٨٩هـ/ ٨٧٥ ـ ٩٠٢م)[٤] كما عقدوا الخلاف عليه ، إلا أن أهل القيروان ، قاموا ضدهم إلى أن سألوا الأمان[٥] .

ومع كثرة الفتن والثورات داخل دولة الأغالبة نجد أن أمير صقلية الحسن بن رباح (٢٦٤ ـ ٢٦٦هـ/٨٧٨ ـ ٨٧٩م) يقود حملة في سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م متجهة الى طبرمين ، ودارت بينه وبين مشركي صقلية حرب ، قتل فيها عدد من المسلمين[٦] . ثم عاود الكرة مرة أخرى فهزمهم وقتل بطريقهم[٧] .

---

(١) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٢٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١/١٣٠) .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٧/٥٠٥) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٣١) .

(٤) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الأغلب ، المعروف بأبى الغرانيق لكثرة ولوعه بصيدها . تولى سنة ٢٦١هـ/٨٧٥م ، وأحسن السيرة في بداية ولايته ؛ ثم اساء الى الرعية ، فقتل وسفك . كان كثير المال ، شديد الحسد . ولم يكن يوصف بعلم بارع ولا أدب . وهو الذي بنى مدينة «رقّادة» وأصبحت دار ملك بني الأغلب الى أن هرب منها آخر ولاتهم .
ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١/١٧١ ـ ١٧٢) .

(٥) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/١٢٨ ـ ١٢٩) .

(٦) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١١٧) .

(٧) المصدر السابق نفسه (١/١١٧) .

وأيضاً تشير المصادر الى أنه في سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م التقى اسطول المسلمين بأسطول للروم وجرى بينهما قتال شديد ، انتصر فيه الروم ، وأخذوا مراكب المسلمين وعاد من سلم من المسلمين الى مدينة بلرم بصقلية(١) .

وفي أثناء ولاية الحسن بن العباس على صقلية (٢٦٧ ـ ٢٦٨هـ/٨٨٠ ـ ٨٨١م) تمكنت السرايا الاسلامية من غزو قطانية ، وطبرمين ، وبقاره . إلا أن سرايا البيزنطيين اصابت من المسلمين كثيرا(٢) .

وعندما تولى محمد بن الفضل صقلية للمرة الأولى (٢٦٨ ـ ٢٧٠هـ/٨٨١ ـ ٨٨٣م) نجد أنه يبث السرايا في كل ناحية من صقلية . كما خرج هو على رأس جيش كبير إلى مدينة قطانية ، ثم الى طبرمين ، ثم الى قلعة كان الروم يسمونها مدينة الملك فملكها المسلمين عنوة(٣) .

كما خرج محمد بن الفضل في سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م ، على رأس جيشه الى رمطه ، وقطانية وقتل كثيراً من الروم(٤) . وكرر المسلمون الهجوم على رمطه ، وقطانية ، وطبرمين أثناء امارة سوادة بن محمد بن خفاجه على صقلية (٢٧١ ـ ٢٧٣هـ/٨٨٤ ـ ٨٨٦م) ثم عقدت هدنة بين الطرفين مدتها ثلاثة أشهر ؛ وكان من ضمن بنودها تبادل الأسرى بين الطرفين(٥) . وبعد انقضاء الهدنة أخرج سواده بن محمد السرايا الى بعض بلاد الروم بصقلية ، فغنمت وعادت(٦) .

وفي سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م عاود المسلمون الكره على مدن قطانية ، وطبرمين ، ورمطه ، ولكن لم يسفر ذلك عن فتح نهائي(٧) .

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٣٣٤/٧) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١١٧/١) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل (٣٦١/٧) .

(٣) المصدر السابق نفسه ، (٣٧٠/٧) ، ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (١١٧/٣) .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل (٣٩٨/٧) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٤١٧/٧) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٤٢١/٧) .

(٧) ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (١١٧/٣ ـ ١١٨) .

أما أهم أحداث سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م فهي تلك الهدنة التي عقدت بين المسلمين والروم في صقلية وذلك لمدة اربعين شهراً . وتم الاتفاق فيها على اطلاق سراح الف اسير من المسلمين ، ثم اطلاق شهري للأسرى المسلمين بواقع اثنين في كل شهر ، أحدهما من العرب والأخر من البربر[١] .

ثم فكر المسلمون جدياً في فتح مدينة طبرين الهامة ، والتي أشرنا الى كثير من المحاولات لفتحها ذلك أن أمير الأغالبة في افريقية ابراهيم بن احمد ابن محمد بن الأغلب (٢٦١ ـ ٢٨٩هـ/٨٧٥ ـ ٩٠٢م) قد تولى بنفسه مهمة فتح مدينة طبرمين . فخرج من مدينة سوسه بافريقية على رأس اسطول كبير في أول سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م ، قاصداً الجهاد ، وفتح ماتبقى من ثغور صقلية ، ثم يعود لأداء فريضة الحج . ووصل الى طبرمين ، واستعد أهلها لقتاله ، فلما التقى الجيشان قرأ القارئ : « إنا فتحنا لك فتحاً مبينا »[٢] . فقال الأمير : أقرأ : « هذان خصمان اختصموا في ربهم »[٣] . وحميت المعركة ، وقتل عدد كبير من الروم ، وهرب الباقون في مراكبهم ، وتم فتح مدينة طبرمين عنوة[٤] .

وفي ذلك الفتح يقول الشاعر :

قد فتح الله طبرمينا   في عام تسع وثمانينا
وشهر شعبان فأعظم به   شهراً يراه الله ميمونا
فأيد الله إمام الهدى   وزاده عزا وتمكينا[٥] .

وبعد أن فتحت مدينة طبرمين على يد الأمير ابراهيم بن الأغلب ، بث السرايا في مدن صقلية التي بيد الروم ، فبعث سرية الى ميقش ، وسرية أخرى الى دمنش ، فوجدوا أهلها قد أجلوا عنها[٦] .

---

(١) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٢٩/١) .
(٢) سورة الفتح آية (١) .
(٣) سورة الحج آية (١٩) .
(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٢٨٤/٧ ـ ٢٨٥) ، الدواداري ـ الدرة المضيئة (ص ٣٨) . ابن الخطيب ـ اعمال الأعلام (١١٩/٣ ـ ١٢٠) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦١/٤) .
(٥) الحميري ـ الروض المعطار (ص ٣٨٥) .
(٦) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٢٨٥/٧) .

وقد عظم على ملك الروم أمر فتح مدينة طبرمين ، فذكرت المصادر أنه ، بقى سبعة أيام لايلبس التاج ، وقال : « لايلبس التاج محزون »(١) .

وبفتح طبرمين نزلت قوة بيزنطة البحرية الى مستوى الحضيض(٢) . ومما تجدر الإشارة اليه هنا ونحن نتحدث عن طبرمين ، أن نذكر أنها قد تمردت على المسلمين أثناء ولاية الأمراء الكلبيين على صقلية ، فتمكن الكلبيون من اعادتها الى المسلمين وذلك في سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م ، بعد حصار دام سبعة أشهر ، وسموها المعزية(٣) .

وهكذا فقد فتحت جزيرة صقلية ، بعد سنين طويلة ، وحروب كثيرة ، استمرت من سنة ٢١٢هـ/٨٢٦م ، الى سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م . وكان من اسباب طول عملية الفتح ، شدة تحصيناتها ، ودفاع أهلها المستميت عنها ، فهي تعتبر قاعدة بيزنطية هامة . فقد كان الدعم البيزنطي يصلها بإستمرار للصمود في وجه الفاتحين(٤) . وبذلك نجح البيزنطيون الى حد كبير في تأخير عملية الفتح ، حيث كلف الدولة الأغلبية الكثير من الوقت والجهد .

وقد فاق فتح صقلية فتح الأندلس ، فكان أشد منه وأطول زماناً . وفي ذلك يقول مارتينو : « إن الفرق بين الفتح الأندلسي ، وفتح صقلية ؛ هو أن العرب لم يجدوا أمامهم في أسبانيا إلا ملكاً محلياً ، يعتمد على قوى نفسه ، وهي ضعيفة جداً . بيد أنه واجهتهم في صقلية امبراطورية يمدها الشرق والغرب بقواهما ، وتسود اساطيلها البحار »(٥) . كما أن فتح المسلمين لجزيرة صقلية مكنهم من تهديد ايطاليا ، والقيام بحملات على وسطها ، وجنوبها . يقول لويس : « وكان من أسباب نجاح المسلمين في امتلاك صقلية ، أن

---

(١) المصدر السابق نفسه (٧ / ٢٨٥) .

(٢) لويس ـ القوى البحرية والتجارية في المتوسط (ص ٢٢٨) .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٨/٥٤٣) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٠) .

(٤) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص ٣٥) .

(٥) مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص ١٠) .

تهديدهم لإيطاليا شغل إنتباه اعدائهم ؛ فقد مكنهم تحالفهم مع نابلي الواقعة على الساحل الغربي لإيطاليا ، كما مكنتهم قواعدهم البحرية القوية على شاطئ الأدرياتي في باري وغيرها ؛ كل ذلك مكنهم من القيام بغارات على وسط إيطاليا وجنوبها »[1] .

ويعد فتح صقلية من المعالم الهامة في التاريخ البحري الإسلامي ؛ فإن سيطرة الأغالبة عليها جعل مفتاح حوض البحر المتوسط الأوسط والغربي في أيديهم ، وصار الأسطول الإسلامي ينعم بقاعدة هامة ، جعلت له السيادة على البحر التيراني ، الذي تطل عليه ايطاليا[2] .

ونختم الحديث عن صقلية في عهد الأغالبة فنقول : « ان فترة حكم الأغالبة لصقلية ، كانت كلها حياة جهاد ، بدأت من انطلاقة القاضي اسد بن الفرات في بداية القرن الثالث الهجري واستمرت الى بداية العقد الأخير من القرن نفسه ، ولذلك فلم يكن هناك وقت للبناء والتنظيم ، والعمران ، وإذا كان هناك وقت توقفت فيه الحرب بين الطرفين فإنه يستغل في اعادة بناء الجيش والتحصين وخلافه ، وذلك استعداداً لمراحل أخرى من الجهاد ، فمدن وحصون وقلاع صقلية كثيرة ، والمقاومة فيها عنيدة ، وكل ذلك يحتاج الى جهد ووقت ، وقد لاحظنا ان فتح بعض المدن استغرق وقتاً طويلاً ، بعد محاولات عدة كقصريانه وسرقوسه مثلاً .

وبعد ذلك كله ، وبعد ان استقرت أوضاع المسلمين في الجزيرة ، أصبحت صقلية معبراً من معابر الحضارة الإسلامية الى أوربا عامة ـ كما سيتضح ذلك في الفصل الخاص بذلك لاحقاً ـ وإيطاليا بصفة خاصة . وقامت في صقلية حضارة اسلامية عامرة في شتى المجالات على الرغم من التحولات ، والمتغيرات الكبيرة في تاريخها السياسي على وجه الخصوص وتنوع عناصر السكان فيها ، ووجود اكثر من ديانة بها .

---

(١) لويس ـ القوى البحرية والتجارية في المتوسط (ص ٢١٧ ـ ٢١٨) .

(٢) العدوى ـ قوات البحرية العربية (ص ٩٤) ، حسين مؤنس ـ أثر ظهور الإسلام في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المتوسط (ص ١٠١) .

وبعد ذلك أيضاً نجد أن صقلية تنتقل في نهاية القرن الثالث الهجري ، وبداية القرن العاشر الميلادي الى حكم جديد ، وولاة جدد ، لهم طريقتهم ، التي تختلف عن اسلافهم الأغالبة فاتحي صقلية ؛ ذلك أن صقلية انتقلت الى حكم الفاطميين .

لقد فتحت جزيرة صقلية على يد الأغالبة ، واستمر حكمهم الى سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م ؛ ثم بعد ذلك سقطت الدولة الأغلبية بعد أن زحف أبو عبد الله الشيعي[١] ، داعي الفاطميين ببلاد المغرب على افريقية ، وتمكن من الاستيلاء على كثير من مدنها سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م[٢] .

كما تمكن أبو عبد الله الشيعي من هزيمة آخر أمراء الدولة الأغلبية زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب (٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ/٩٠٢ ـ ٩٠٨م)[٣] ، وفر زيادة الله الثالث الى مصر[٤] . واستولى ابو عبد الله الشيعي على عاصمة الأغالبة مدينة «رقادة» في سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م . ولم يخرج منها زيادة الله آخر امراء الأغالبة إلا بما خف من الجواهر والمال[٥] .

---

(١) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الصنعاني ، من أهل صنعاء اليمن . وهو القائم بالدعوة العبيدية نسبة الى عبيد الله المهدي . كان من الرجال الدهاه ، الخبيرين بالجدل ، والحيل ، دخل افريقية بلا مال ولا رجال ، ولم يزل بها الى أن ملكها . قتل على يد عبيد الله المهدي سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م ، بمدينة رقادة . ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٩٢/٢) .

(٢) جمال الدين سرور ـ سياسة الفاطميين الخارجية (ص ٢٣٢) .

(٣) أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم بن أحمد ، آخر الأمراء الأغالبة ، ويعرف بزيادة الله الأصغر ، وزيادة الله الثالث . قدم دمشق سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م ، وهو في طريقه الى بغداد بعد زوال ملكه . وتوفي بالرمله سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م .
ابن عساكر ـ تهذيب تاريخ دمشق (٣٩٨/٥) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٩٣/٢) ، ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١٧٥/١) .

(٤) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا (٦٣/١) ، حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الدولة الفاطمية (ص ٨٣) ، جمال الدين سرور ـ الدولة الفاطمية في مصر (ص ٢١) ، سياسة الفاطميين الخارجية (ص ٢٣٢) .

(٥) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٤٧/١) .

وكان دخول داعي الفاطميين الى رقادة في مستهل رجب من عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م ، ونزل ببعض قصورها(١) .

وما إن تمكن الفاطميون من دولة الأغالبة حتى بدأ نفوذهم يمتد شرقاً وغرباً . وأصبح لهم السلطان في جميع الجهات الواقعة الى الغرب من مدينة القيروان(٢) .

ثم نجد ان ابا عبد الله الشيعي قد كتب كتاباً الى البلدان بالأمان ، وأضاف في نسخته فيما كتبه لأهل صقلية قوله : « وأنتم معشر أهل جزيرة صقليه ، أحق بما أوليته من المعروف والإحسان وأزديته ، وأولى به ، وأقرب اليه لقرب داركم من دار المشركين ، وجهادكم الكفرة الظالمين ، وسوف املأ ان شاء الله جزيرتكم خيلاً ورجالاً من المؤمنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده فيعز الله الدين والمسلمين ، ويذل بهم الشرك والمشركين .. »(٣) .

ولما بلغ أهل صقلية كتاب أبى عبد الله الشيعي ، وماأحرزه من انتصار على الأغالبة ، نجد أنهم يثورون على واليهم السني أحمد بن أبى الحسين بن رباح (٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ/٩٠٢ ـ ٩٠٨م) ، ولايعترفون به ، بل نهبوا ماله ، وحبسوه ، وولوا عليهم علي بن أبى الفوارس . وكان ذلك في العاشر من شهر رجب من سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م(٤) . ثم ارسلوا الى أبي عبد الله الشيعي يطلبون منه اقرارهم على من اختاروه والياً عليهم ، فأجابهم الى ذلك(٥) . وبعد أن تولى عبيد الله المهدي(٦) . الخلافة الفاطمية (٢٩٧هـ ـ ٣٢٢هـ/٩٠٩ ـ ٩٣٣م)

---

(١) المصدر السابق نفسه (١٤٧/١) .

(٢) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الدولة الفاطمية (ص ٥٠ ـ ٥١ ـ ٨٣) .

(٣) النعمان ـ افتتاح الدعوة (ص ٢٢٢) ، تقي عارف الدوري ـ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط ص ١٠٢ .

(٤) النويري ـ نهاية الأرب (٣٦٥/٣٤) ، تقي الدوري ـ صقلية وعلاقاتها الخارجية (ص ١٠٢) .

(٥) المصدر والمرجع السابقان (٣٦٥/٢٤) (ص ١٠٢) .

(٦) أبو محمد عبيد الله المهدي ، اختلفت المصادر في ذكر نسبه وأسمه . وهو أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية في بلاد المغرب ، وبنى مدينة المهدية ، نسبة اليه . توفي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١١٧/٣) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٤١/١٥) ، سهيل زكار ـ أخبار القرامطة (ص ١٧٧) .

بالمغرب ، قام بعزل والي صقلية علي بن أبي الفوارس ، وعين مكانه أحد أفراد قبيلة كتامة البربرية[١] . وهو الحسن بن أحمد بن أبى خنزير ، ولكنه لم يستمر طويلاً فقد ثار به السنيون من أهل صقلية لإساءته معاملتهم ، وحبسوه[٢] ، فعين المهدي علي بن عمر البلوي مكانه . وكان ذلك في سنة ٢٩٩هـ/٩١١م[٣] .

وذكر الدكتور حسن ابراهيم حسن عن سبب عزل ابن أبى خنزير « أن عبيد الله المهدي كان قد وضع لنفسه سياسة الاعتماد على الكتاميين ، أنصار المذهب الاسماعيلي لذلك قبض على ابن ابي الفوارس وولى مكانه الحسن بن أحمد أبي خنزير . وقد تعصب السنيون على الحسن ، وعملوا على طرده من

---

(١) البربر : هم من ابناء شانا بن يحيى بن صولات بن ورتناج بن ضري بن شغفوا بن جند واد بن يملا بن مادغس بن هوك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام . وجميع قبائل البربر من هذه الأصول . ابن حزم ـ جمهرة أنساب العرب (ص ٤٩٥) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/٦٥ ـ ٦٦) .

أما عن مدلول كلمة البربر فيقول الجغرافيون والمؤرخون ان افريقيا كانت خالية تماماً في الأزمنة الغابرة باستثناء بلاد السودان . ويعتقد هؤلاء بأنه من الثابت أن بلاد البربر كانت خالية من السكان خلال العديد من القرون . أما الذين استوطنوها ، وهم الجنس الأبيض فقد سموا بالبربر . وهو اسم مشتق كما يقول البعض : من فعل باللغة العربية وهو بربر ، ومعناه تمتم . وذلك ان اللسان الإفريقي يظهر في سمع العرب كأصوات الحيوانات المبهمة الشبيهه بالصراخ والمجردة من المقاطع ، ويرى آخرون أن كلمة بربر هي كلمة مزدوجة لأن البر في اللغة العربية يعني الصحراء . ويقال إنه في العصر الذي انكسر فيه ملك افريقوا على يد الآشوريين ، أو ربما امام الأثيوبيين ، هرب باتجاه مصر ، ولما كان مطارداً من قبل العدو ، ونظراً لأنه لايعرف كيف يدافع عن نفسه ، فقد طلب الى جماعته ان يفتوه في أمره . فلم يكن جوابهم سوى أن صرخوا « البر ، البر » أي الى الصحراء الافريقية ؛ وينطبق هذا التفسير لاسم البربر مع رأي أولئك الذين يؤكدون أن الأفارقة يعودون أصلاً لبلاد العرب السعيدة . ولم تحمل هذه الكلمة مدلول التحقير للمسمى إلا في زمن متأخر جداً .

انظر : الوزان الزياتي ـ وصف افريقيا (ص ٤٢) ، وحاشية (٤٣) من الصفحة نفسها .

(٢) جمال الدين سرور ـ سياسة الفاطميين الخارجية (ص ٢٣٢) .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٨/٧١) .

صقلية لإستبداده بالسنين أولاً ، ولامتهانهم اياه إذ كانوا يرون أنهم أرفع منه قدراً ، ويتأنفون أن يحكمهم كتامي بربري . وقد اتضح لهم أنه يقرب إليه البربر ويهمل شأن العرب .. »[1] . وأضاف قائلاً : « وليس هذا كل ما أثار حفيظة السنين بصقلية على الحكم الفاطمي ؛ فقد عز عليهم أن يخطب على منابرهم للخليفة المهدي الفاطمي ، وأن تنظم الدعاية فيها للمذهب الاسماعيلي الذي كان دعاته يعملون على جذب الناس اليه »[2] .

أما عن الوالي الجديد علي بن عمر البلوي الذي عينه الخليفة الفاطمي مكان الحسن بن أحمد بن أبى خنزير فتذكر المصادر أنه كان شيخاً ليناً ، فلم يرض به أهل صقلية ، وقرروا عزله[3] .

ولم يكن علي بن عمر البلوي ، أقل تعسفاً من سلفه ؛ مما أدى الى خروج أهل صقلية عن طاعته وخاصة العرب منهم ، وعينوا مكانه احمد بن قرهب في سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ، وكان عربياً[4] . ولكن ابن قرهب وبسبب نزعته الى الاستقلال سرعان ماخرج عن طاعة الخليفة الفاطمي المهدي ، وأعلن طاعة الخليفة العباسي المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ/٩٠٧ ـ ٩٣٢م) ، وخطب له بصقلية وقطع الخطبة للمهدي . بل تعدى الأمر ذلك ، حيث أخرج جيشاً في البحر الى ساحل افريقية لملاقاة اسطول المهدي الذي كان يقوده الحسن بن أبى خنزير . فهزم اسطول المهدي ، وقتل قائده[5] . ووصلت الخلع السود والألوية الى ابن قرهب من الخليفة العباسي المقتدر[6] .

---

(١) تاريخ الدولة الفاطمية (ص ٩٨) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٩٨) .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٨/٧١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٨/٧١) ، جمال الدين سرور ـ سياسة الفاطميين الخارجية (ص٢٣٢) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الدولة الفاطمية (ص ٩٩) .

(٥) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٨/٧١) ، ابن خلدون ـ العبر (٣/٣٦٦) .

(٦) المصدران السابقان (٨/٧١) ، (٣/٣٦٦) .

وقد علمت الحوادث السابقة الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي ، أن حكم الفاطميين لن يستقر في صقلية إلا إذا أرسل اليها مع الوالي جيشاً يدفع عنه خطر الثائرين على الحكم الفاطمي والواقع أن المهدي اتخذ من ارسال هذا الجيش وسيلة لقمع ولاة الفاطميين اذا حدثتهم انفسهم بالخروج عليه ، والقضاء على أهالي صقلية إذا حاولوا شق عصا الطاعة(١) .

وكان الوالي الجديد الذي أرسل الى صقلية بعد أن شق ابن قرهب عصا الطاعة ؛ هو ابو سعيد موسى بن أحمد ، الملقب « بالضيف » . ووصل معه الى صقلية جماعة من شيوخ قبيلة كتامة البربرية(٢) . وتمكن الوالي الجديد من القبض على ابن قرهب ، بمساعدة أهل صقلية ـ حيث دخل الخوف في قلوبهم من الوالي الجديد ـ وأخذ أسيراً وأرسل الى المهدي مع جماعة من خاصته ، فأمر المهدي بقتله على قبر ابن أبي خنزير(٣) .

---

(١) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الدولة الفاطمية (ص ٩٩) .

(٢) أما عن سبب استعانة الخلفاء الفاطميين بقبيلة كتامة البربرية فيقول الدكتور محمد علي دبوز : « أن كتامه من البرانس وهي من القبائل البربرية الكبرى في المغرب الأدنى ، وكانت قد ألفت الملك والسلطان أيام الدول البربرية الكبرى التي كانت في نوميديا قبل ميلاد المسيح .. وورثت حضارة قرطاجنة وخلفتها في المغرب في ميدان الحضارة العظمى . ويضيف قائلاً : لما أشرق نور الاسلام ، تفتحت له قلوبها فحسن اسلامها . ولكن كتامه ماكادت تذوق حلاوة العدل الإسلامي حتى لفحتها الدولة الأموية والعباسية بنار الظلم والجبروت ، وجاءت الدولة الأغلبية ، فصارت تحكم الزاب حكماً عسكرياً .

وكانت كتامه تجري دماء الملوك في عروقها ... وهم محرومون من العزة والسلطة فأصبحوا في لهفة الى الملك والدولة الكبرى تؤججها وراثتهم ، .. إن العبيديين عرفوا كل ذلك في قبيلة كتامة البربرية ، فأرسلوا في أواخر القرن الثالث دعاتهم اليها وكان من دعاتهم ابو عبد الله الحسين بن أحمد الشيعي الذي دخل بلاد كتامة سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م ، فاستطاع بدهائه وفصاحته أن يغرس مثله الأعلى في كتامه ، وهو انشاء دولة شيعية ، فاستغل لهفتهم الى الملك وسخطهم على الأغالبة فجرهم اليه ، فكانوا جنده وأنصاره » .

انظر : محمد على دبوز ـ تاريخ المغرب الكبير (٦١٢/٣ ـ ٦١٣ ـ ٦١٤) .

(٣) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ (٧١/٨ ـ ٧٢) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٧٤/١) ، ابن خلدون ـ العبر (٣٨/٤) .

ويعتبر العمل الذي قام به والي صقلية احمد بن قرهب أول محاولة ترمي الى اعادة صقلية الى حكم العباسيين(١) .

وتذكر المصادر ان والي صقلية الجديد موسى بن أحمد ، قد انتقم من أهل صقلية وذلك لثوراتهم المتتالية ضد الفاطميين ، فعمد الى قتل الذراري ، والشيوخ ، وسبي النساء(٢) .

وفي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م ، قرر والي صقلية موسى بن أحمد العودة الى افريقية ، وترك مكانه سالم بن راشد مع جماعة من قبيلة كتامة البربرية ، فسيّر ابن راشد جيوشاً الى انكبرده ، وقلورية ، وطارنت(٣) .

وفي سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م ، ثار أهل صقلية ، ضد أميرهم سالم بن راشد ، ولكنه قاتلهم وتمكن من هزيمتهم ؛ وفي الوقت نفسه طلب المدد من الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (٣٢٢ ـ ٣٣٤هـ/٩٣٣ ـ ٩٤٥م)(٤) ، فأرسل اليه جيشاً لمساعدته بقيادة خليل بن اسحاق بن ورد(٥) .

وبوصول خليل بن اسحاق الى صقلية ، وقع خلاف بينه وبين ابن راشد ، حيث شكى أهل صقلية الى ابن اسحاق معاملة ابن راشد القاسية لهم ، وظلمه اياهم ، وفي المقابل دس ابن راشد على ابن اسحاق عند أهل صقلية أنه ، أنما جاء للانتقام منهم ؛ فأصبح أهل صقلية ـ والحال كذلك ـ مرة الى جانب ابن راشد ، وأخرى الى جانب ابن اسحاق(٦) .

---

(١) جمال الدين سرور ـ سياسة الفاطميين الخارجية (ص ٢٣٣) .

(٢) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٧٤) .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٨/١٥٩) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٧٤ ـ ١٧٥) .

(٤) أبو القاسم محمد ، ويدعى نزار بن عبد الله المهدي ، الملقب بالقائم ، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه ، كان مهيباً شجاعاً قليل الخير ، فاسد العقيدة . توفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م بالمهدية أثناء حصار أبي يزيد الخارجي له .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٥/١٩) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٥/١٥٢) .

(٥) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١/٣٠٢) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٦٥) .

(٦) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٨/٣٣٨) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٦٥ ـ ٢٦٦) .

بعد ذلك نجد أن أهل صقلية ، يثورون ضد خليل بن اسحاق مما اضطره الى بناء مدينة محصنة تكون منطلقاً لردع هجمات الخارجين عليه من أهل صقلية ، وقد عرفت تلك المدينة بأسم مدينة « الخالصة » وقد لحق الناس عناء كبير في بناءها وتحصينها[١] . وقد خرج ابن اسحاق بجيشه من مدينة الخالصة في سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م الى أهل مدينة جرجنت ، وذلك لخروجهم عليه ، فحاصرهم ثمانية أشهر ، واقتتل معهم[٢] .

وفي سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م ، اجتمع بعض أهل صقلية ، على مخالفة خليل ابن اسحاق ، واستمدوا ملك القسطنطينية ، فأمدهم بالمراكب ، والرجال ، والطعام ، فاستنجد خليل بالخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (٣٢٢ ـ ٣٣٤هـ/ ٩٣٣ ـ ٩٤٥م) ؛ فأمده بجيش كبير ؛ وانتهى الأمر بأن تمكن خليل بن اسحاق من فتح قلعة أبي ثور ، وقلعة البلوط ، وحاصر قلعة ابلاطنوا[٣] .

وبعد أن استقرت أوضاع الجزيرة على يد خليل بن اسحاق ، استدعاه الخليفة الفاطمي القائم في اواخر سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م ، الى افريقية ؛ فاصطحب معه وجوه أهل جرجنت في سفينة وأمر بخرقها فغرقوا[٤] . وتشير المصادر الى أن خليل بن اسحاق يعد من سفاكي الدماء من المسلمين وغيرهم ، فقد كان يفتخر بكثرة قتلاه . فهو يقول : « المكثر يقول : اني قتلت الف الف ، والمقلل يقول : ستمائة ألف »[٥] . وهذا أمر مبالغ فيه جداً .

وقد استخلف ابن اسحاق على صقلية بعد خروجه الى افريقيه ، أحد رجاله ، ويدعى عطاف الأزدي ، إلا أن عطافاً استضعفه أهل بلرم ، وبالتالي استضعفه من بينهم وبينه الفاطميين معاهدات فامتنعوا عن دفع الجزية .

---

(١) المصدران السابقان (٣٣٨/٨) ، (٢٦٥/٤ ـ ٢٦٦) .

(٢) المصدران السابقان (٣٣٨/٨) ، (٢٦٥/٤ ـ ٢٦٦) .

(٣) المصدران السابقان (٣٣٨/٨) ، (٢٦٥/٤ ـ ٢٦٦) .

(٤) المصدران السابقان (٣٣٨/٨) ، (٢٦٥/٤ ـ ٢٦٦) .

(٥) ابن الأبار ـ الحلة السيراء (٣٠٢/١) .

ونتيجة لذلك ثار عليه أهل بلرم في يوم عيد الفطر من سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م وقد تزعم تلك الثورة من يطلق عليهم أعيان الجماعة[١] . من أسرة تعرف بأسرة آل الطبري[٢] . وفي ظل الوضع السابق اضطر عطاف الأزدي الى طلب المدد من الخليفة الفاطمي المنصور بالله اسماعيل بن القاسم (٣٣٤ ـ ٣٤١هـ/ ٩٤٥ ـ ٩٥٢م)[٣] ؛ فأسند المنصور ولاية صقلية الى الحسن بن علي بن أبى الحسين الكلبي ، والذي كان له مكانة كبيرة عند الفاطميين ؛ حيث تمكن من القضاء على ثورة ابي يزيد الخارجي[٤] . وبذلك انتقلت صقلية الى طور جديد ، ومرحلة جديدة حيث تولاها امراء من البيت الكلبي .

وقبل أن ننتقل بالحديث عن الأسرة الكلبية وولايتها لصقلية ، يجدر بنا أن نشير الى أهمية صقلية بالنسبة للفاطميين ، فقد حرصت الدولة الفاطمية على الاحتفاظ بنفوذها في صقلية لأسباب سياسية ، واقتصادية . فقد كانت هذه الدولة ترمي الى انشاء امبراطورية عظيمة في البحر الأبيض المتوسط ، واتخاذ صقلية قاعدة لأسطولها لتأمن شر غارات الروم على سواحل افريقية ، وتحقق

---

(١) أعيان الجماعة : هم جملة المسلمين في النظر ، وهم عبارة عن مجلس وجوه العاصمة واعيانها بما في ذلك العلماء . مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص ٣٢) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٤٧١/٨) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٦/٤) .

(٣) أبو الطاهر اسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي ، بويع له بعد وفاة أبيه ، كان بليغاً فصيحاً يرتجل الخطب ، شجاعاً رابط الجاش ، وهو الذي بنى مدينة المنصورية ، وقضى على يد ابي يزيد الخارجي . توفي سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢٣٤/١ ـ ٢٣٥) ، الذهبي ـ سير اعلام النبلاء (١٥٦/١٥) .

(٤) أبو يزيد الخارجي ، هو رجل من الإباضية اتباع عبد الله بن يحيى بن إباض اجتمع حوله الإباضية ، وكان ناسكاً زاهداً ، لايركب إلا حماراً ، وقام معه خلق من السنة والصلحاء ، وكاد ان يمتلك المغرب ، وكان له مع الخليفة الفاطمي القائم وقائع كثيرة ، وملك جميع مدن القيروان ، ولم يبق للقائم إلا المهدية ، حيث حاصرها ابو يزيد الى أن توفى القائم ، فواصل ابنه المنصور الدفاع عنها ، الى ان تمكن من هزيمته وأسره ، ثم سلخه ، وحشا جلده قطناً وصلبه وذلك في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م . ابن الأثير ـ الكامل (٤٧١/٨) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢٣٥/١) الذهبي ـ سير اعلام النبلاء (١٥٣/١٥) ابن خلدون ـ العبر (٢٦٦/٤) .

اطماعها في مصر وبلاد المغرب . ومن الناحية الإقتصادية فقد وجد الفاطميون في صقلية أرضاً مثمرة تمدهم بالكثير من الغلات الزراعية ، كما تكثر بها المعادن من ذهب وفضة ونحاس ورصاص وغيرها(١) .

ولعل ماسبق يفسر لنا اهتمام المهدي بصقلية ، فهو الذي سن لمن بعده من الفاطميين نظاماً جديداً يقضي بأن يكون الى جانب والي هذه الجزيرة جيش احتلال فاطمي قوي يدفع عنه خطر الأعداء . وهذا مكّن بعض ولاة صقلية من أن يكوّنوا لأنفسهم عصبية قوية ، وتمتعوا ببعض الإستقلال(٢) .

وبعد على الرغم من كثرة الثورات والفتن بصقلية في العهد الفاطمي ، والتي تعود في أغلبها الى الخلاف المذهبي بين أهل صقلية والفاطميين في المغرب ، فقد تمكن الفاطميون من ضم هذا الموقع الإستراتيجي الهام الى دولتهم ، وأنهوا كل ماله صلة بالدولة الأغلبية ، وبالتالي الخلافة الإسلامية في المشرق . كما تمكنوا من القضاء بالقوة العسكرية على الخلافات الناشئة نتيجة للعنصرية القبلية ، وخاصة تلك التي كانت كثيرا ماتقوم بين العرب والبربر . كما حاول الفاطميون نشر مذهبهم الشيعي بالجزيرة الذي كان كثيراً ما يصطدم بالمذاهب السنية بالجزيرة وخصوصاً المذهب المالكي .

---

(١) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الدولة الفاطمية (ص ٩٩) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص ١٠٠) .

الولاة الكلبيون في صقلية

تنتمي الأسرة الكلبية الى قبيلة قضاعة اليمنية ، فقد وردت اشارة الى ذلك عند ابن خلكان أثناء ترجمته للشاعر ابن المؤدب المهدوي حيث قال : « كان مغرى بالسياحة وطلب الكيمياء والأحجار ، وكان محروماً مقتراً عليه متلافاً إذا أفاد شيئاً ، فخرج مره يريد جزيرة صقلية ، فأسره الروم في البحر ، وأقام مدة طويلة ، الى ان هادن ثقة الدولة يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبي الحسين القضاعي ، صاحب صقلية الروم ، وبعث اليه بالأسرى ، فكان عبد الله المذكور فيمن بعث »[1] .

ففي ماأورده ابن خلكان مايفيد أن الكلبيين ينتمون الى قبيلة قضاعة ، ويؤيد ذلك ماأورده ابن دريد في الاشتقاق من أن من قبائل قضاعة كلب بن وبره[2] .

وقضاعة ترجع الى العرب القحطانية على أن بعضهم ينسبها الى العرب العدنانية . فقد قال القلقشندي : « بنو قضاعة قبيلة من حمير من القحطانية ، غلب عليهم اسم ابيهم فقيل لهم : قضاعة . وهو بنو قضاعة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير . هذا هو المشهور فيه ؛ وذهب بعض النسابين الى أن قضاعة من العدنانيين .

ويقولون : هو قضاعة بن معد بن عدنان »[3] .

وقد شاع عند الكلبيين أنفسهم أنهم يمنيو الأصل ، فقد ورد على لسان عمار بن المنصور الكلبي مفتخراً ، قوله :

تقول : لقد رأيتُ رجال نجد   وماأبصرت مثلك من يمان

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٥٧/٦) .

(٢) ابن دريد ـ الإشتقاق (ص ٥٣٧) .

(٣) القلقشندي ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص ٤٠٨) .

ألفت وقائع الغمرات حتى   كأنك من رداها في أمان
الى كم ذا الهجوم على المنايا   وكم هذا التعرض للطعان
فقلت لها : سمعت بكل شيء   ولم أسمع بكلبي جبان[١] .

وكانت منازل كلب بن وبره في دومة الجندل ، وتبوك ، وأطراف الشام ، كما نزحت جموع منها ونزلت على خليج القسطنطينية[٢] .

إن انتقال أمر صقلية الى البيت الكلبي ، كان مكافأة لأول أمراء هذه الأسرة الحسن بن علي بن ابي الحسين الكلبي . فقد كان الحسن بن علي الكلبي ، من كبار قادة الدولة الفاطمية ، ولعب دوراً بارزاً في تثبيت دعائمها ، وتمثل ذلك في قضائه على أخطر ثورة قامت ضدها . تلك هي ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي[٣] .

وقد كانت ولاية الأسرة الكلبية على صقلية ، ملكاً وميراثاً يتداولونها خلفاً عن سلف الى أن تغلب عليها الروم[٤] .

وقد تولى الحسن بن علي امارة صقلية في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م ، حيث قلده الخليفة الفاطمي المنصور ولايتها[٥] . واستقام له الأمر فيها ، حيث قضى على الثورات والفتن ، وخاصة فتنة أسرة آل الطبري[٦] . التي أشرنا اليها سابقاً .

وتذكر المصادر أن الخليفة الفاطمي المنصور ، كان قد بعث مع الحسن الكلبي الى صقلية جثة ابي يزيد الخارجي ، ورأس ابنه الفضل ، وذلك لإرهاب

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١٠١/١) ، عيضة السواط ـ الشعر العربي في صقلية في ظل ولاية الكلبيين ـ دكتوراه ـ جامعة أم القرى ١٤٠٨هـ (ص ٣٥) .
(٢) عمر كحاله ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (٩٩١/٣) .
(٣) ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (١٢٢/٣) ، المقريزي ـ اتعاظ الحنفا (٨٥/١) .
(٤) ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (١٢٢/٣) .
(٥) ابو الفدا ـ المختصر في اخبار البشر (٩٦/٢) .
(٦) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٤٧٢/٨ ـ ٤٧٣) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٦/٤ ـ ٢٦٧) .

ثوار اهل صقلية جثة وتأكيداً لهم بأن ثورة ابي يزيد قد قضى عليها فعلاً ، وأن الدولة الفاطمية تفرغت وستضرب كل من يفكر في الخروج عليها(١) .

أما في مجال الفتوحات في الجزيرة ، فقد عمل والي صقلية الحسن بن علي الكلبي على مواصلتهما ، فنجد أنه في سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م ، يحاصر «جراجه» ، كما تهادن مع قسطنطين ملك الروم ثم عاد إلى « ريو » وبنى بها مسجداً كبيراً في وسط المدينة ، وشرط على الروم أن لايمنعوا المسلمين من اقامة الصلاة فيه . كما ذكر لهم أن من دخله كان آمناً(٢) .

وبعد وفاة الخليفة الفاطمي المنصور في سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م ؛ تولى المعز لدين الله معد ابو تميم الخلافة (٣٤١ ـ ٣٦٥هـ/٩٥٢ ـ ٩٧٢م)(٣) . فاستدعى المعز الحسن بن علي الى المغرب وقلد عليها ابنه احمد بن الحسن بن علي الكلبي ، وظل والياً عليها الى سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م(٤) .

وظل الحسن بن علي الكلبي بالمغرب الى أن توفي سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م . نتيجة لحمى اصابته من شدة فرحه ، عندما علم بنصر المسلمين على الروم في موقعة « ذات المجاز » والتي فتحت على اثرها « رمطه » في سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م .

وقد حزن أهل صقلية عليه حزناً شديداً لما كان عليه من العدل ، وماأجرى الله على يديه من الظهور والخير(٥) .

---

(١) ابن حماد ـ اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم (ص ٨٠) ، تقي الدوري ـ صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط (ص ١٠٩) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٤٧٤/٨) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٧/٤) .

(٣) هو المعز لدين الله ابو تميم ، معد بن المنصور اسماعيل بن القائم العبيدي ، الذي بنيت القاهرة المعزية له ، على يد قائده جوهر الصقلي . توفي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٢م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢٢٤/٥) ، الذهبي ـ سير اعلام النبلاء (١٥٩/١٥) .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٤٧٤/٨) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٧/٤) .

(٥) ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (١٢٣/٣) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٨/٤) .

أما عن أهم الأحداث التي قام بها أحمد بن الحسن الكلبي ، فقد عمد إلى توثيق العلاقات بين أهل صقلية ، والدولة الفاطمية ممثلة في الخليفة المعز الفاطمي ؛ فقد أخذ أحمد بن الحسن مجموعة من وجوه أهل صقلية يقدرون بثلاثين رجلاً ، وذهب بهم الى المعز لدين الله بالمغرب وأدخلهم في المذهب الاسماعيلي ، فما كان من المعز إلا أن خلع عليهم الخلع ، وأكرمهم ثم عادوا الى صقلية(1) . ويفسر أحد الباحثين الحدث السابق بأن معنى ذلك أن العناصر القلقة التي كانت تطلب لنفسها الزعامة قد أرضيت بالمال والتقرب من الخليفة(2) .

ومن الأحداث التي جرت أثناء ولاية أحمد بن الحسن الكلبي على صقلية ، أنه تلقى أوامر من الخليفة المعز لدين الله تقضي بفتح القلاع التي بقيت للروم في صقلية(3) .

كما تمكن أحمد بن الحسن الكلبي في سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م من اعادة «طبرمين» بعد تمردها والتي سبق وأن ذكرنا إنها فتحت على يد الوالي الأغلبي ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب في سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م . وقد حاصرها الوالي الكلبي مدة سبعة أشهر حيث تمكن من استعادتها ، وسماها «المعزية»(4) نسبة إلى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله .

وفي سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م ، حاصر احمد بن الحسن الكلبي مدينة « رمطه » فاستنجد الروم بملك القسطنطينية ، فأرسل اليهم مدداً عظيماً ؛

---

(1) ابو الفدا ـ المختصر (٢/٩٦) ؛ اما صاحب تاريخ صقلية فيذكر أن الذي ذهب بهؤلاء الناس انما هو والده الحسن بن علي ، وقد نص على أنه أدخلهم في المذهب الشيعي ، وكثر مقتناهم وأفضلهم . مجهول ـ تاريخ صقلية في المكتبة العربية الصقلية (ص ١٧٥) .

(2) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص ٤٥) .

(3) ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٦٧) .

(4) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٨/٥٤٣) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٠) .

فاستنجد الوالي الكلبي بالخليفة الفاطمي ، المعز لدين الله ، فبعث اليه جيشاً كبيراً مع والده ، وأسندت قيادة ذلك الجيش الى الحسن بن عمار ؛ ووقعت معركة عظيمة بين المسلمين والروم ، عرفت بموقعة « ذات المجاز » انتصر فيها المسلمون ، وفتحت على اثرها رمطه[1] .

وكان من جملة الغنائم في تلك المعركة سيف هندي مكتوب عليه : « هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالاً ، طالما ضرب به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم » [2] .

وعن فتح رمطه يقول أحد الباحثين المحدثين : « وهكذا نال الحسن بن عمار شرف الإنتصار على الروم ، وقررت تلك الموقعة ، مصير رمطه ؛ بل مصير صقلية نفسها ، فقد كانت هذه المدينة مركز المقاومة الرئيسي في وجه الحكم الفاطمي في الجزيرة ... واستولى المسلمون على رمطه عنوه ، وغنموا مافيها ، وهكذا سلمت تلك المدينة الحصينة للفاطميين بعد حصار دام ثمانية أشهر . ولو انتصر أهل رمطه وحلفاؤهم الروم ، لتغير تاريخ الفاطميين في صقلية »[3] .

وكان من أثر انتصار الولاه الكلبيين في « طبرمين » ، « ورمطه » ؛ أن أخذت المدن الثائرة في صقلية تسلم الواحدة تلو الأخرى . ولم يقف أثر هاتين الموقعتين عند ذلك الحد ، بل نجد أن أهل « قلورية » يعقدون هدنه مع أحمد بن الحسن ويتعهدون بدفع الجزية للفاطميين[4] .

وانتهت ولاية احمد بن الحسن الكلبي على صقلية في ٣٥٩هـ/٩٦٩م . وذلك عندما أمره الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بمفارقة صقلية ، والقدوم الى

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل (٥٥٦/٨ ـ ٥٥٧) ، ابو الفدا ـ المختصر (٩٦/٢) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٧/٤ ـ ٢٦٨) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل (٥٥٦/٨) ، ابو الفدا ـ المختصر (٩٦/٢ ـ ٩٧) .

(٣) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الدولة الفاطمية (ص ١٠٤) .

(٤) المرجع السابق نفسه (ص ١٠٤) .

المغرب بجميع أهله وماله ، وأولاده واخوته ؛ وفي نهاية تلك السنة توفي أحمد بن الحسن وهو على رأس اسطول المعز المتجه الى مصر وذلك بمدينة طرابلس[١] .

وفي السنة التي ترك فيها أحمد بن الحسن الكلبي صقلية ، كان قد استعمل أحد مواليه ويدعى يعيش على صقلية الى حين وصول والٍ جديد عليها من قبل الخليفة المعز[٢] .

وفي أثناء فترة تكليف يعيش مولى أحمد بن الحسن على امارة صقلية ، لم يستطع القضاء على الفتن فأرسل الخليفة الفاطمي المعز ، أبا القاسم علي ابن الحسن الكلبي أميراً على صقلية في سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م[٣] .

وفرح أهل صقلية بمقدم الأمير الجديد ، وانتهت الفتنة التي حدثت أثناء ولاية يعيش بين موالي قبيلة كتامه ، والقبائل . واتفق الجميع على طاعة علي بن الحسن الكلبي[٤] .

وقد كان الأمير علي بن الحسن يتمتع بصفات جعلت الجميع يدينون له ، فقال عنه ابن الأثير : « كان عادلاً ، حسن السيرة ، كثير الشفقة على رعيته ، والاحسان اليهم ، عظيم الصدقة . ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ، ولاعقاراً ، فإنه كان قد وقف جميع أملاكه على الفقراء وأبواب البر »[٥] .

ومن أهم الأعمال التي قام بها هذا الوالي الجديد ، أنه وحد صفوف الجيوش الفاطمية ، والجيوش البيزنطية ، أمام الخطر الجرماني[٦] .

---

(١) ابو الفدا ـ المختصر (٩٧/٢) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٧٥/٢٤) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٨/٤) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦١٠/٨) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٨/٤) .

(٣) المصدران السابقان (٦١٠/٨) ، (٢٦٨/٤) .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦١٠/٨) .

(٥) المصدر السابق نفسه (١٤/٩ ـ ١٥) .

(٦) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الدولة الفاطمية (ص ١٠٧) .

وفي أثناء فترة ولاية علي بن الحسن على صقلية ، واصل الجهاد ، حيث أمر في سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م بعمارة قلعة رمطه[١] . وسار للجهاد في ذي القعدة من سنة ٣٧١هـ/٩٨١م ، واستمر الى المحرم من سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م ، حيث اقتتل مع جيش الروم ، واستشهد ابو القاسم بضربة على رأسه ، واستشهد معه جماعة من أعيان الناس[٢] . وكان استشهاده في غزوته الخامسة ؛ ولذلك يعرف بالشهيد[٣] .

وبعد استشهاد ابي القاسم ، قام ابنه جابر مقامه ، ورحل بالمسلمين لوقتهم ، ووصل قرار الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار (٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ/٩٧٥ ـ ٩٩٦م)[٤] ، من مصر ، بالموافقة على توليه جابر بن أبي القاسم ، فتولى لمدة سنة ، ثم عزله العزيز ، لأنه كان سيئ التدبير ؛[٥] ولم يكن ذا حزم ، فاختلف عليه الجند ، وكرهوا ولايته ، وعدم قيامه بأمور البلاد[٦] .

وفي سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م ، أرسل الخليفة الفاطمي بمصر العزيز بالله ، والياً جديداً على صقلية هو جعفر بن محمد بن الحسن بن علي الكلبي ، فاستقام له أمر صقلية ، حيث كان صاحب فضل وصرامه ، واستمر والياً عليها الى أن توفي في سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م[٧] .

---

(١) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٥) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٦٨) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٩/١٣ ـ ١٤) ، ابو الفدا ـ المختصر (٢/٩٧) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٥ ـ ٣٧٦) ، ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (٣/١٢٤ ـ ١٢٥) .

(٣) ابو الفدا ـ المختصر (٢/٩٧) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٦) .

(٤) العزيز بالله ، أبو منصور نزار بن المعز لدين الله بن المنصور ، العبيدي صاحب مصر وبلاد المغرب ، تولى بعد وفاة ابيه ؛ وكان كريماً ، شجاعاً ، حسن العفو عند المقدرة ، توفي سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٥/٣٧١) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٥/١٦٧) .

(٥) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٩/١٤) ، ابو الفدا ـ المختصر (٢/٩٧) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٦) .

(٦) ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (٣/١٢٥ ـ ١٢٦) .

(٧) ابو الفدا ـ المختصر (٢/٩٧) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٦) ، ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (٣/١٢٨ ـ ١٢٩) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٦٩) .

وبعد وفاة والي صقلية جعفر بن محمد ، تولى أخوه عبد الله بن محمد الكلبي امارة صقلية واستمر على سنن سلفه ، وأقام رسم الجهاد ، الى أن توفي بها ليلة الثلاثاء لسبع بقين من رمضان سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م[١] .

ثم انتقلت بعد ذلك امارة صقلية الى أبي الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد الكلبي والذي ولي أمر صقلية بعد وفاة ابيه في سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م ، ووصله سجل العزيز بالله الخليفة الفاطمي بمصر ، بتقليده امارة صقلية ، فكانت أيام صقلية في مدته على أفضل حال[٢] .

ولم تشهد جزيرة صقلية عهداً كعهد الأمير أبي الفتوح يوسف بن عبد الله . وقد أنعم عليه الخليفة الفاطمي العزيز بلقب « ثقة الدولة »[٣] . وفي أثناء امارته ، ضبط الجزيرة ، وأحسن الى الرعايا ، ودانت له الروم ، وظهر جوده وكرمه على سائر الناس ، وكانت البلاد تنعم بالعدل والرخاء والأمان .

استمر الأمير ابو الفتوح يوسف (ثقة الدولة) على امارة صقلية ، الى أن أصابه مرض الفالج في سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م ، فاستناب ولده جعفراً مكانه[٤] .

ووصل سجل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١هـ/٩٩٦ ـ ١٠٢٠م) الى جعفر بن يوسف بولاية صقلية ، واسبغ عليه لقب « تاج البلاد وسيف الملة »[٥] .

وقد ضبط جعفر بن يوسف البلاد ، وأحسن السيرة في أهلها الى سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م ، حيث بدأ الوهن والخلاف يدب بين أفراد البيت الكلبي . فقد

---

(١) أبو الفدا ـ المختصر (٩٧/٢) ، ابن الخطيب ـ أعمال الاعلام (١٢٨/٣ ـ ١٢٩) .
(٢) المصدر السابق نفسه (١٢٩/٣) .
(٣) عزيز أحمد ـ تاريخ صقلية (ص ٣٩) .
(٤) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ (١٩٤/١٠) ، ابو الفدا ـ المختصر (٩٧/٢ ـ ٩٨) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٧٦/٢٤) ، ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (١٢٩/٣) .
(٥) ابو الفداء ـ المختصر (٩٨/٢) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٧٦/٢٤) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٨/٤) ، عزيز أحمد ـ تاريخ صقلية (ص ٣٩) .

اختلف تاج الدولة مع أخيه علي بن يوسف ؛ فاستغل علي بن يوسف الخلاف والصراع العنصري الموجود في الجزيرة لمصلحته ، حيث استمال العبيد والبربر في الجزيرة الى جانبه . مما اضطر معه الأمير تاج الدولة جعفر الى مقاتلتهم ، حيث قتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر أخاه علي ثم قتله ، بل تعدى الأمر ذلك ، فأمر بنفي البربر من الجزيرة الى افريقية وقتل العبيد[١] .

وكان انتصار الأمير تاج الدولة جعفر فاتحه خذلان ، فإنه حين قضى على البربر والعبيد أتخذ جنده من أهل صقلية فطمعوا فيه ، وزادهم تمادياً تغاضيه عن حسن بن محمد الباغائي ، الذي صادر الناس وعاملهم بسوء ، وأشار على الأمير جعفر أن يأخذ من صقلية الأعشار في طعامهم ، وثمارهم ؛ ولم يجر لهم بذلك عادة من قبل . ثم فوق ذلك أظهر الأمير جعفر الإستخفاف بأهل صقلية ، وشيوخ بلادها ، واستطال عليهم[٢] .

والأمر كذلك ، ضاق أهل الجزيرة بالأمير جعفر ، فخرجوا عليه ، وحاصروه في قصره ، وأرادوا قتله ، لولا تدخل والده الأمير لتهدئة الموقف ـ وكان أهل صقلية يجلونه ويحترمونه ـ حيث لبى الأمير يوسف مطالب أهل صقلية بابعاد جعفر عن الحكم حيث قال لهم : « أنا أكفيكم أمره واعتقله ، وأولي عليكم من ترضوا »[٣] . فطلب أهل صقلية أن يكون أحمد بن يوسف أميراً عليهم ، فتم الاتفاق على ذلك . وكان ذلك في سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م[٤] .

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٠/١٩٤) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٦٨) .

(٢) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٧) ، احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص ٤٧) .

(٣) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٧) .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٠/ ١٩٤) ، ابو الفدا ـ المختصر (٢/٩٨) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٧) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٦٨ ـ ٢٦٩) ، ابن ابي دينار ـ المؤنس في أخبار افريقية وتونس (ص ٨٨) .

أما عن الكاتب حسن الباغائي فقد تسلمه أهل صقليه ، وقتلوه ، وطافوا برأسه ، واحرقوه بالنار[١] . فلما رأى الأمير يوسف ما آل اليه أمر الكاتب الباغائي أخذ ابنه جعفر وخرج معه الى مصر[٢] .

أما عن أمير صقلية الجديد أحمد الأكحل والذي عُرف « بتأييد الدولة » فقد بدأ أمره بالحزم والإجتهاد ، وجمع المقاتلة ، وبث السرايا والغزوات ، حتى دانت له جميع أراضي المسلمين من صقلية[٣] . ثم بعد ذلك نجد أنه ينتهج سياسة جديدة في حكم صقلية تقوم على مبدأ فرق تسد ؛ حيث كان ذلك النهج بداية النهاية لحكم الكلبيين لجزيرة صقلية بل بداية النهاية لحكم المسلمين بصفة عامة في صقلية . ذلك أن أحمد الأكحل « تأييد الدولة » ، أراد أن يفرق بين أهل صقلية وأهل افريقية ، حيث تذكر المصادر أنه يؤلب اهل افريقية ضد أهل صقلية ، والعكس ، فقد جمع أهل صقلية وقال لهم : « أحب أن أشليكم على الأفريقين الذين شاركوكم في بلادكم ، والرأي اخراجهم »[٤] . فلم يستجب له الصقليون حيث قالوا له : « كيف يكون ذلك ، وقد صاهرناهم ، واختلطنا بهم ، وصرنا شيئاً واحداً »[٥] . فأدار وجهته الى الأفريقين فجمعهم ، وقال لهم مثل ذلك . فأجابوه الى ماأراد[٦] .

وقد نفذ ابنه جعفر تلك السياسة ـ وكان جعفر بن أحمد يخلف أباه إذا خرج للغزو ـ فنجد أنه مال الى الأفريقيين ، وأخذ الخراج من الصقليين ، مستغلاً تلك الصلاحيات التي منحها اياه والده . فضاق أهل صقلية ذرعاً بأميرهم أحمد الأكحل وابنه جعفر[٧] .

---

(١) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٨) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٢٤/٣٧٨) .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٠/١٩٥) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٨) .

(٤) المصدران السابقان (١٠/١٩٥) ، (٢٤/٣٧٨) .

(٥) المصدران السابقان (١٠/١٩٥) ، (٢٤/٣٧٨) .

(٦) المصدران السابقان (١٠/١٩٥) ، (٢٤/٣٧٨) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢١٠) .

(٧) المصادر السابقة (١٠/١٩٥) ، (٢٤/٣٧٨) ، (٤/٢١٠) .

والحال كذلك استنجد الصقليون بالمعز بن باديس الزيري ، الوالي الرابع من ولاة بني زيري بالمغرب (٤٠٦ ـ ٤٥٢هـ/١٠١٥ ـ ١٠٦١م) ، حيث ذهب اليه جماعة من أهل صقلية ، وشكوا اليه الحال ، وقالوا : « نحب أن نكون في طاعتك وإلا سلمنا الجزيرة للروم »(١) . وكان ذلك في سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م ، فأرسل المعز بن باديس ابنه عبد الله على رأس جيش الى صقلية ، فدخلها وحاصر الأكحل في مدينة الخالصة ؛ ثم اختلف أهل صقلية بين مؤيد لعبد الله ابن المعز ، وبين مؤيد للأكحل ؛ فانتهى الأمر بمقتل الأكحل على يد الذين احضروا عبد الله بن المعز بن باديس(٢) .

إن تلك الأحداث السابقة كانت إيذاناً بانتهاء حكم الكلبيين لجزيرة صقلية ؛ فنجد أن أهل صقلية ، قد ندموا على الاستعانة بالمعز بن باديس ، وابنه عبد الله فثاروا ضد عبد الله بن المعز وأعلنوا عصيانهم له ، وأخرجوه من الجزيرة ، وولوا عليهم الصمصام حسن بن يوسف شقيق الأكحل(٣) .

واضطربت الأمور في عهد الصمصام ، وغلب السفلة على الأشراف ، وانفرد كل انسان ببلد ، الى أن ثار أهل بلرم على الصمصام ، وأخرجوه ، وقدموا عليهم ابن الثمنه أحد رؤوس الأجناد ، وتلقب بالقادر بالله(٤) .

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٠/١٩٥) ، ابو الفدا ـ المختصر (٢/٩٨) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢١٠) .

(٢) المصادر السابقة (١٠/١٩٥) ، (٢/٩٨) ، (٤/٢١٠) .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٠/١٩٥) ، ابو الفدا ـ المختصر (٢/٩٨) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٧٩) ، ابن خلدون ـ العبر (٤/٢١٠) .

(٤) المصادر السابقة (١٠/١٩٥) ، (٢/٩٨) ، (٢٤/٣٧٩) ، (٤/٢١٠) .

صقلية تحت حكم ابن الثمنة القادر بالله ٤٢٧ ـ ٤٤٤هـ/١٠٣٥م ـ ١٠٥٢م :

يذكر ابن خلدون ان ابن الثمنه استقل بملك الجزيرة ، وأنه استبد بصقلية الى أن أخذت من يده(١) .

ولكن الجزيرة بصفة عامة وبعد حالة الاضطراب التي سادت فيها في عهد الأكحل ، وتدخل المعز بن باديس ، قد اصبحت اشلاءً ممزقة في يد القادة الطامعين بالإستقلال ، فقد انفرد القائد عبد الله بن منكود بمدينة مازر ، وطرابنش . وانفرد القائد علي بن نعمه ، المعروف بابن الحواس بقصريانه ، وجرجنت وغيرهما . وانفرد ابن الثمنه بمدينة سرقوسه وقطانيه(٢) . إلا أن الأخير كانت له السيادة والريادة بصفة عامة على جزيرة صقليه ، كما أشار الى ذلك ابن خلدون(٣) .

وإذا صح ان للمرأة دورها في سقوط الدول وضياع البلاد ، فقد لعبت زوجة القادر بالله المعروف بابن الثمنه ، ذلك الدور في سقوط صقلية . فهي أخت القائد علي بن نعمه المعروف بابن الحواس ، وحصل بينها وبين زوجها خلاف ، أدى الى ذهابها الى أخيها شاكية من ابن الثمنه . فقرر أخوها عدم ردها الى زوجها ، مما جعل زوجها ابن الثمنه يعلن حالة الحرب بينه وبين ابن الحواس ، فلما رأى ابن الثمنه تقدم ابن الحواس وغلبته استنجد بالنورمان وذلك في سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م ، وهان عليه أمر المسلمين وبلادهم قائلاً للفرنج : « أنا أملككم الجزيرة »(٤) .

---

(١) ابن خلدون ـ العبر (٢٦٩/٤) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٩٥/١٠ ـ ١٩٦) ، ابو الفدا ـ المختصر (٢٠١/٢) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٩/٤) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢٦٩/٤) .

(٤) انظر تفصيل ذلك في : ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٩٥/١٠ ـ ١٩٦) ، ابو الفدا ـ المختصر (٢٠١/٢) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٩/٤) .

الغزو النورمندي الأول وفترة الفوضى سنة ٤٤٤ هـ /(١) .

أشرنا سابقاً الى أن القادة الطامعين في صقلية ، قد انفرد كل منهم بما تحت يده من مدن ومعاقل صقليه . مما هيأ الفرصة للغزاة الطامعين من التفكير في غزو صقليه المسلمة واحتلالها .

ولقد كانت الظروف مواتية ؛ فقد ذهب القائد « ابن الثمنه » ـ للأسباب التي ذكرناها سابقاً ـ الى روجر النورمندي ـ والذي كان مقيماً في مدينة مليطو بقلورية في ايطاليا الجنوبية ـ لينتصر به . وفي ذلك يقول ابن الأثير : «فلما رأى ابن الثمنه أن عساكره قد تمزقت ، سولت له نفسه الإنتصار بالكفار لما يريده الله تعالى . فسار الى مدينة مليطو .... وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي ، في جمع من الفرنج ، فوصل اليهم ابن الثمنه وقال : أنا أملككم الجزيرة . فقالوا : إن فيها جنداً كثيراً ، ولاطاقة لنا بهم ، فقال : انهم مختلفون ، وأكثرهم يسمع قولي ، ولايخالفون أمري . فساروا معه في رجب سنة اربع وأربعين وأربعمائة . فلم يلقوا من يدافعهم ، فاستولوا على مامروا به في طريقهم »(٢) . كما أنهم حاصروا مدينة « قصريانه » فخرج اليهم ابن الحواس فقاتلهم ولكن الفرنج تمكنوا من هزيمته(٣) .

---

(١) النورمان : هم من بلاد اسكندناوه ، وخاصة السويد والنرويج ، والذين استقروا منذ سنة ٢٩٩هـ/٩١١م بفرنسا . واشتق اسم نورمانديا منهم ، وهي البلاد التي استقروا بها ، ونبذوا الوثنية ، واعتنقوا الديانة المسيحية .

ومعنى اسمهم رجال الشمال ، أي أنهم جاءوا من أقاصي أوربا الشمالية .

تقي الدوري ـ سقوط صقليه في يد النورمان ـ مجلة آداب المستنصرية ـ العدد الثامن ـ ١٩٨٤م ، (ص ٣٤٣) ، مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص ١٧) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٠/١٩٦ ـ ١٩٧) ، ابراهيم طرخان ـ المسلمون في أوربا (ص ٢٤٧) ، طرخان ـ المسلمون في فرنسا وايطاليا ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ المجلد الثالث والعشرون ـ الجزء الثاني ، ١٩٦١م (ص ١١٢) ، ومابعدها .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٠/١٩٧) .

وكان ذلك بداية سيطرة النورمان على جزيرة صقليه ، ومفارقة كثير من أهلها لها ، وخروجهم إلى بلدان العالم الإسلامي .

وفي ظل الوضع السابق سار جماعة من أهل صقلية الى المعز بن باديس الزيري[١] ، (٤٠٦ ـ ٤٥٣هـ/١٠١٥ ـ ١٠٦١م) ، وشرحوا له ما آل إليه وضع الجزيرة ، وغلبة الفرنج على كثير منها ، وطلبوا منه التدخل لانقاذ الجزيرة . فاستجاب المعز لذلك ، وهيأ اسطولاً ضخماً ، شحنه بالرجال والعتاد ، وسار الأسطول في البحر الى جزيرة قوصره[٢] . ولكن الزمن كان شتاءً حيث هاج البحر ، وهبت عواصف شديدة ، فغرق أكثر ذلك الأسطول ، ولم ينج إلا القليل . وبذلك لم يجد الفرنج أمامهم أي قوة تمنعهم من التقدم والسيطرة على المدن والمعاقل والحصون الإسلامية ، واحدة تلو الأخرى[٣] .

---

(١) المعز بن باديس بن المنصور بن بُلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي . صاحب أفريقية ، وما والاها من بلاد المغرب . كان قد قطع الخطبة للخليفة المستنصر الفاطمي ، وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله . وهو الذي ألزم جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك . كان ملكاً مهيباً ، شجاعاً ، محباً للعلم . وكان مولده في سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م . وتوفي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٥/٢٣٣ ـ ٢٣٤) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٨/١٤٠)

(٢) قوصره : جزيرة في بحر الروم بين المهدية وصقليه ، فتحها المسلمون أيام معاوية بن ابي سفيان ، وبقيت في ايديهم .

ياقوت ـ معجم البلدان (٤/٤١٣) ، حسن عبد الوهاب ـ قصة جزيرة قوصره العربية مقال بالمجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثاني ـ العدد الثاني ١٩٤٩م (ص ٥٦) .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٠/١٩٧) ، أبو الفدا ـ المختصر (٢/٢٠١) ، النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٨١ ـ ٣٨٢) ، ابن خلدون ـ العبر ـ (٤/٢٦٩) ، ابن ابي دينار ـ المؤنس في اخبار افريقية وتونس (ص ٨٩) ، أمبرتو ـ النورمنديون وبنو زيري من الفتح النورمندي لصقلية حتى وفاة رجار الثاني ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ المجلد الحادي عشر ـ الجزء الأول (ص ١٧٤) .

محاولات تميم بن المعز[1] لإنقاذ صقلية من النورمنديين :

بعد وفاة المعز بن باديس ، تولى ابنه تميم بعده ، وسار على نهج أبيه في محاولته لإنقاذ جزيرة صقلية ، فأرسل أسطولاً وعسكراً الى الجزيرة ، بقيادة ولديه أيوب وعلي ؛ واستطاعا ان يقدما العون للجيش الإسلامي في صقلية والذي كان يقوده ابن الحواس ؛ كما استطاعا أن يوطدا أقدامهما في مدينتي « بلرم » و« جرجنت » بصفة خاصة[2] .

ولكن الحال لم يستمر كذلك فقد فرقت الخلافات بين ابن الحواس ، وابني تميم بن المعز ، وذلك لأن أهل مدينة جرجنت ، أحبوا أيوب بن تميم ؛ فحسده ابن الحواس على ذلك . فما كان من ابن الحواس إلا أن طلب من ابني تميم مغادرة الجزيرة ، فلم يستجيبا له ، فسار في عسكره لقتالهم ، ووقعت الحرب بين الطرفين انتهت بمقتل ابن الحواس ؛ يضاف الى ذلك أنه حدثت فتنة بين أهل « جرجنت » وبين عبيد تميم بن المعز ؛ أدت الى القتال . فاجتمع أيوب مع أخيه علي وقررا العودة الى افريقية ، وصحبهم جماعة من أعيان صقلية وذلك سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م[3] .

---

(١) أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصور ، صاحب افريقيه ، تولى بعد أبيه . كان بطلاً ، شجاعاً ، مهيباً ، سائساً ، شاعراً . ولد سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م . ذكر أنه خلف من البنين فوق المائة ، ومن البنات ستين بنتاً . توفي سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٠٤/١ ـ ٣٠٥) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٩) .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٩٧/١٠ ـ ١٩٨) ، ابو الفدا ـ المختصر (٢٠١/٢) النويري ـ نهاية الأرب (٣٨٢/٢٤ ـ ٣٨٣) .

(٣) المصادر السابقة نفسها (١٩٧/١٠ ـ ١٩٨) ، (٢٠١/٢) ، (٣٨٢/٢٤ ـ ٣٨٣) .

خضوع صقلية للحكم النورمندي :

وبعد عودة ابني تميم ، أصبحت الجزيرة لقمة سائغة في يد الفرنج ، فاستولوا على الجزيرة ولم يبق للمسلمين ، سوى مدينة قصريانه ، وجرجنت ، حيث حاصرها الفرنج حتى أكل أهلها الميتة ، وسلمت جرجنت الى الفرنج ، وبقيت قصريانه بعدها ثلاث سنوات حتى تم تسليمها للفرنج سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م . وملك روجار جميع الجزيرة ، وأسكنها الروم والفرنج مع من بقي من المسلمين[١] .

وكان لبعض المقاومة التي لقيها النورمان ، مضافاً اليها قلة عساكرهم ، وضعف اسطولهم ـ كان ذلك ـ سبباً من أسباب اطالة زمن ذلك الغزو التاريخي[٢] .

وعن سقوط صقلية تساءل أحد الباحثين المحدثين : على من تقع مسئولية سقوط صقلية في يد النورمان ؟ حيث قال : « وإذا كانت صقليه ، قد سقطت في يد النورمان سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م فعلى من تقع مسئولية سقوطها ؟ أعلى الفاطميين أصحاب السيادة الإسمية عليها ؟ أم على حكام صقليه أنفسهم ؟ أم على أصحاب افريقية الذين استنجد بهم أهل صقلية ؟ ـ ثم قال ـ : اننا في الواقع لم نصادف اشارة الى أن الفاطميين حاولوا نجدة صقلية ، أثناء تعرضها للغزو النورمندي ، الذي استمر أكثر من ثلاثين سنة . (وإذا كانت صقليه ملكاً لسلطان مصر تغادرها كل سنة سفينة تحمل المال الى مصر) كما قال ناصر خسرو[٣] ، فلماذا تقاعس هذا السلطان عن الدفاع عنها . وعلى هذا فالفاطميون مسئولون مسئولية كبيرة عن سقوطها .

---

(١) المصادر السابقة نفسها (١٠/١٨٧ ـ ١٩٨) ، (٢/٢٠١) ، (٢٤/٣٨٢ ـ ٣٨٣) .
(٢) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص ١٣٣) .
(٣) ناصر خسرو ـ الرحلة (ص ٨٥) .

ومن ناحية أخرى فإن حكام صقلية وهم الذين مزقهم الحقد والتنافس ، كانوا سبب استثارة طمع النورمان لإمتلاك صقليه ؟ بالإضافة الى عدم الوفاق بين العرب والبربر ، الذي أدى الى رفض حكام صقليه لمساعدات تميم بن المعز بن باديس .

أما من ناحية بني زيري ، فالتاريخ يشهد بأنهم لم يتقاعسوا عن مد يد المساعدة لصقليه اثناء الغزو النورمندي ، لولا أن أهل صقليه أنفسهم أساءوا معاملتهم ، مما دفع الأسطول الزيري الى أن يعود أدراجه الى المهدية »[1] .

وتحدث ابن خلدون عن اسباب سقوط صقليه حيث قال عن حديثه عن أساطيل المسلمين في البحر المتوسط : « وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته ، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعدداً ، واختلفت في طرقه سلماً وحرباً ، فلم تظهر للنصرانية فيه ألواح ، حتى أدرك الدولة العبيدية ، والأموية الفشل والوهن ، وطرقها الاعتلال ، مد النصارى أيديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقليه ، واقريطش ، ومالطه ، فملوكها ، ثم الحوا على سواحل الشام في تلك الفترة ، وملكوا طرابلس ، وعسقلان ، وصور ، وعكا ، واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام ، وغلبوا على بيت المقدس »[2] .

وبذلك نرى أن ابن خلدون يعزو سقوط صقليه وغيرها من جزائر البحر المتوسط ، الى ضعف الدولة الفاطمية ، وعدم قدرتها على صد الهجمات على البلاد التي تخضع لها أسميا كصقليه ؛ وكذلك ضعف الدولة الأموية في الأندلس ، وهو بذلك يؤكد ان الوضع السابق أدى بالتالي الى سيطرة النصارى على البحر المتوسط ، سيطرة بحرية أدت الى سقوط كثير من جزر هذا البحر الهامة ، التي تحمي سواحل البلاد الإسلامية .

---

(١) حامد زيان ـ العلاقات بين صقليه ومصر والشام ابان الحروب الصليبية ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة القاهرة ١٩٧٣م ، : ص ٧٣ ـ ٧٤) .

(٢) ابن خلدون ـ المقدمة (ص ٢٥٤) .

وإن من أهم النتائج التي تمخضت عن سقوط صقليه في أيدي النورمان هي : خروجها من السيادة الإسلامية ، واصبحت في قبضة العناصر اللاتينية ، كما أن المسلمين ولمدة مايقارب القرون الثلاثة من حكمهم لها ، كانوا لايسيطرون على الجزيرة فقط ، بل كانوا يحاربون منها ايطاليا السفلى ، والبيزنطيين والألمان واللمبارديين . وبسقوط صقليه انتهى هذا الدور[١] .

كما أدى سقوط صقليه الى اعادة سيطرة المسيحيين على البحر المتوسط ، ولم نعد نرى الوقت الذي وصف فيه ابن خلدون النصارى بأنهم لايستطيعون ان يطفوا لوحاً من الخشب في هذا البحر[٢] .

كما تبع سقوط صقليه وسيطرة النصارى على البحر المتوسط ؛ سقوط مالطه أيضاً ، مما مكن غرب أوربا من السيطرة على المضايق الحيوية بين افريقية وصقليه[٣] .

وفي ختام حديثنا عن نهاية صقلية نورد بيتين من الشعر لأحد أبناء صقليه يصف فيهما حال صقليه وماكانت عليه قبل الغزو وبعده ؛ حيث قال عبد الحليم الصقلي :

عشقت صقليه يافعاً	وكانت كبعض جنان الخلود
فما قدر الوصل حتى اكتهلت	وصارت جهنم ذات الوقود[٤] .

---

(١) تقي الدوري ـ سقوط صقليه في يد النورمان ـ مقال بمجلة آداب المستنصرية ـ العدد الثامن ـ ١٩٨٤م ، (ص ٣٦٧) .

(٢) المرجع السابق (ص ٣٦٧) .

(٣) لويس ـ القوى البحرية والتجارية في المتوسط (ص ٣٧٦) .

(٤) الخفاجي ـ طراز المجالس (ص ١٧٤) .



الباب الأول

أثر الفتح الإسلامي لصقليه على الحياة العلمية



الفصل الأول

الحياة الإجتماعية في صقلية الإسلامية



الحياة الإجتماعية في صقلية :

من المعلوم أن صقلية كانت قبل الفتح الاسلامي ، خاضعة للدولة البيزنطية ، وذلك في عهد جستنيان ، وعلى يد قائده بلزاريوس في سنة ٥٣٥م(١) وكان فيها مجموعات متباينة من السكان ، فكان فيها اليونانيون ، والرومان ، وبقايا من القوط الشرقيين ، يضاف الى ذلك دخول الفاتحين اليها من المسلمين سواءاً كانوا عرباً أم بربراً(٢) .

كما كانت صقليه منفى للمذنبين ، والمجرمين ، والعساكر المتمردين(٣) . وكان في صقلية جماعات من اليهود ، والذين تميزوا بانكماشهم على أنفسهم ، وكره الأجناس الأخرى لهم . ولكنهم لم يكونوا كثيري العدد(٤) . إضافة الى ماسبق كان بصقلية مجموعة من العبيد ، الذين هربوا من شدة الضرائب عليهم ، وعملوا في مزارع الأغنياء ، ودفعوا حرياتهم ثمناً لذلك(٥) .

وكان للفتوحات الإسلامية أثر في الهجرة الى صقلية ، فتذكر المصادر أن حسان بن النعمان الغساني ، عندما أغزاه عبد الملك بن مروان في سنة ٦٩هـ/٦٨٨م ، ووصل الى افريقيه ، قصد قرطاجنه ، وقاتل أهلها ، فهربوا في البحر الى الأندلس وصقليه(٦) .

---

(١) سعيد عاشور ـ أوربا العصور الوسطى (١١٥/١) ، لومبارد ـ الجغرافية التاريخية (ص ١٢١) ، سانت موس ـ ميلاد العصور الوسطى (ص ١٧٩) .
(٢) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقليه (ص ٩٨) .
(٣) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٢٩) .
(٤) المرجع السابق نفسه (ص ٢٩) .
(٥) المرجع السابق نفسه (ص ٢٩) .
(٦) الحميري ـ الروض المعطار (ص ٦٥) و (ص ٢٩٤) .

والمجتمع الصقلي بصفة عامة ، لم يكن مجتمعاً سعيداً ناهضاً ، مكفول الحرية في عهد الدولة البيزنطية[1] .

أما بالنسبة للغة قبل الفتح الإسلامي فكانت اللغة اللاتينية هي السائدة . أما لغة الكتابة فكانت اليونانية[2] . ومن الناحية الدينية كانت كنيسة صقلية مرتبطة ببطريكية القسطنطينية[3] .

وجملة القول فإن صقلية البيزنطية ، قد فقدت شخصيتها ، ومقومات الحياة العمرانية فيها واختنق فيها كل شعور بالرفعة الإنسانية ، وبلغت من الإنحطاط درجة ليس ثمة ماهو أدنى منها[4] .

ونتيجة طبيعية للحالة السابقة ، فإن السكان في جزيرة صقليه ، قد رحبوا بالفاتحين المسلمين حيث أن الاسلام هو دين العدل والتسامح ، الذي يكفل للأفراد حرياتهم ، وللمجتمعات تقدمها . قال اماري : « كانت صقليه قد أصبحت في داخلها وخارجها بيزنطية ، وكانت مريضة بذلك الداء الوبيل الذي أصاب الإمبراطورية البيزنطية المنحلة ؛ ولذلك فإننا اذا تأملنا حالتها السيئة ، لايؤسفنا ذلك الفتح الإسلامي الذي هزها هزاً وجددها تجديداً[5] . وقال امبرتو : « ونحن نشارك اماري في رأيه الثاقب »[6] .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الحياة الإجتماعية في صقلية ، أن نتحدث عن عناصر المجتمع الصقلي بإيجاز إذ أن المجال لايسمح لدراسة مايتعلق بكل مظاهر الحياة الإجتماعية فيها . فذلك يحتاج الى دراسة مستقلة . واقتصارنا

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٢٩) .
(٢) لومبارد ـ الجغرافية التاريخية (ص ١٢١) .
(٣) المرجع السابق نفسه (ص ١٢١) .
(٤) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٣١) .
(٥) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص ٣٦ ـ ٣٧) .
(٦) المرجع السابق نفسه (ص ٣٦ ـ ٣٧) .

في الحديث عن عناصر المجتمع الصقلي ، لايعني أن الجوانب الأخرى في حياة صقلية الإجتماعية غير هامة . ولكن لأن عناصر السكان وطبقاته المختلفة تمثل حجر الزاوية في بناء أي مجتمع ، وبالتالي بناء الحياة السياسية والاقتصادية والعمرانية لذلك المجتمع . فإستقرار المجتمع ، وتوافق سكانه بفئاتهم المختلفة ، تمثل البداية للتقدم في شتى المجالات ، والمجتمع الذي اتحدث عنه هو الركيزة الأساسية في بناء الحياة العلمية .

لذلك فإن عناصر السكان في المجتمع الصقلي تتكون مما يلي :

١ ـ العرب :

وكانوا يمثلون الأغلبية في الجيش الفاتح بقيادة أسد بن الفرات في سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م ، يضاف الى ذلك كثرة الهجرات العربية الى صقلية ، بسبب الجوع والغلاء(١) .

كما هاجر كثير من العرب الى صقلية بعد اعلان المعز بن باديس الولاء للعباسيين في سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م(٢) . فانتقم منه المستنصر الخليفة الفاطمي بأن حرض العرب على الجواز الى الغرب ، فتوجه منهم خلق كثير ، وهاجموا القيروان ، وخربوها ، فهاجر كثير من أهلها الى صقلية(٣) . وقد تكون الهجرات بسبب الخلافات المذهبية ، حيث نجد ذلك واضحاً في هجرة عدد من الفقهاء الذين يميلون إلى مذهب بني عبيد من افريقية الى صقلية ، في عهد سيطرة الفاطميين عليها(٤) .

ونظراً لأن العرب كانوا يمثلون الأغلبية ، نجد أنهم ينتمون إلى عدة قبائل عربية ، فمنهم الأغالبة الذين حكموا افريقية ، وفتحوا صقليه ، وتولوا

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١١/١٢٤) .
(٢) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٤٩) .
(٣) المرجع السابق نفسه (ص ٤٩) .
(٤) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص ٥٠) .

إمارتها[1] . والعرب في مجموعهم ينقسمون الى عرب عدنانية ، وعرب قحطانية ؛ والعرب القحطانية يمثلون الأغلبية في صقلية[2] .

فمن العرب العدنانية مانسبته الى التميمي كأبي عبد الله الامام المازري[3] . ومنهم من يلقب بالقرشي كأبي العرب مصعب بن محمد القرشي المولود في صقليه[4] . ومنهم من يلقب بالتغلبي كطاهر بن محمد الصقلي[5] . ومنهم من يلقب بالكناني كمحمد بن أبي الفرج الصقلي[6] . ومنهم من يلقب بالفهري[7] .

ومن العرب القحطانية في صقلية نجد أسرة آل الكلبي ، والتي حكمت صقليه ـ كما سبق وأن أشرنا الى ذلك ـ وممن يعود في نسبه الى العرب القحطانية من كان لقبه الأزدي كابن حمديس الشاعر الصقلي المشهور[8] . ومنهم الأنصاري[9] . والغساني كأبي لقمان بن يوسف[10] ، والمعافري[11] ، واللخمي[12] ، والكندي[13] ، والزبيدي[14] .

وسوف يرد معنا في ثنايا البحث اسماء لأعلام صقليين تدلنا على تلك الألقاب

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٥٠) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٦٥) .

(٣) الحميري ـ الروض المعطار (ص ٥٢١) .

(٤) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء المغرب (٢/٢١٩) .

(٥) القفطي ـ انباه الرواه على أنباه النحاه (٢/٩٤) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٣/٧٣) .

(٧) العماد الأصفهاني ـ خريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب (١/٥) .

(٨) ابن كثير ـ البداية والنهاية (١٢/٢٠٦) .

(٩) العماد الأصفهاني ـ الخريدة ـ قسم شعراء المغرب (١/٨١) .

(١٠) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص ٥٠) .

(١١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة ـ قسم شعراء المغرب (١/٨١)

(١٢) المصدر السابق نفسه (١/١١٧) .

(١٣) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص ٥٠) .

(١٤) المرجع السابق نفسه (ص ٩٤) .

وكان العرب في صقلية يتركزون في مدن معينة ، فقد كانوا كثيري العدد في ولاية مازر ، ومتوسطي العدد في ولاية نوطس ، وقليلي العدد في ولاية دمنش[١] . ويدلل على ذلك وجود قبور عربية وأثار وشواهد على تلك القبور ، مكتوب عليها بالعربية[٢] . كما أن بعض الأماكن في صقليه عربية الصبغة[٣] .

وعلى الرغم من كثرة القبائل التي ينتسب اليها عرب صقليه ، إلا أن ذلك كان عاملاً مهماً في عدم وجود نزاعات وخلافات بينهم ، فقد كان هذا التنوع بين القبائل العربية سبباً من أسباب التوافق بينهم . وانما الخلافات تقع أحياناً بين العرب من جهة وبين البربر من جهة أخرى ؛ ومن تلك الفتن ماحدث بين العرب والبربر في سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م أثناء ولاية بني الأغلب على صقليه . وأرسل الوالي الأغلبي ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب كتبه الى أهل صقليه يدعوهم فيها الى الرجوع الى الطاعة ويؤمنهم أجمعين[٤] .

وتلك الفتن بين العرب والبربر نجد أنها استغلت من قبل الفاطميين بعد خضوع الجزيرة لحكمهم ؛ ذلك أنهم كانوا يحرضون البربر على العرب الذين لم يستجيبوا للولاة الفاطميين في الجزيرة . وقد سبق وأن أشرنا الى ارسال الخليفة الفاطمي لخليل بن اسحاق على رأس جيش من قبيلة كتامه البربرية .

وأخيراً نشير الى أن العرب الذين قدموا الى صقلية ، قد قدموها من كافة أرجاء الدولة الإسلامية ؛ إلا أن عرب افريقية هم الأكثر ، بحكم الارتباط السياسي بين افريقية وصقليه ؛ ونظراً لقرب صقليه من افريقيه . يقول

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ١٤٠) .

(٢) عبد المنعم رسلان ـ الحضارة الاسلامية في صقليه وجنوب ايطاليا (ص ٤٧ ـ ٤٨) ، محمد كرد علي ـ الاسلام والحضارة العربية (١/٢٩٠) .

(٣) مارتينو ـ المسلمون في صقليه (ص ٣٠) .

(٤) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٣٠ ـ ١٣١) .

القزويني عن صقليه : « وكانت قليلة العمارة خاملة الذكر ، الى أن فتح المسلمون بلاد افريقيه ، فهرب أهل أفريقيه اليها ، وعمروها ، حتى فتحت في أيام بني الأغلب في ولاية المأمون »[١] .

٢ ـ البربر [٢] :

كان للبربر دور كبير في تاريخ صقليه ، وذلك بدعمهم للحكم الفاطمي بها وخاصة قبيلة كتامة البربرية ، التي ينتسب اليها الحسن بن محمد بن أبي خنزير الذي بعثه الخليفة الفاطمي الى صقليه ليدعم نفوذ الفاطميين بها[٣] . وكذلك نجد أن أبا سعيد الضيف أرسل على رأس جيش الى صقليه في سنة ٣٠٤هـ/١٠١٢م ، وضم ذلك الجيش عدداً كبيراً من رجال كتامة البربرية[٤] .

ومن القبائل البربرية التي سكن بعض أفرادها صقليه ؛ من ينتسب الى اللواتي والقرقودي ، والمكلاتي[٥] . وكذلك الزناني[٦] . ومن تلك القبائل أيضاً التي ينتسب بعض من سكن صقليه من البربر اليها ، قبيلة انداره ، وقبيلة مزيزه ومليله[٧] .

وكان البربر في صقليه يعيشون بين العرب ، مع تمركزهم في مناطق خاصة بهم تحمل مسميات بربرية[٨] . وأخيراً نشير الى نقطتين تتعلق بالبربر .

---

(١) القزويني ـ آثار البلاد وأخبار العباد (ص ٢١٥) .

(٢) سبق وأن أشرنا الى التعريف بمدلول كلمة البربر ونسبهم .

(٣) ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٠٧) .

(٤) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٧٤) .

(٥) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٦٤) ، امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص ٩٤) .

(٦) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/٢١٦) ، مارتينو ـ المسلمون في صقليه (ص ٣٠) .

(٧) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٦٦) .

(٨) امبرتو ـ النورمنديون وبني زيري ـ مقال بمجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ مجلد ١١ ـ ١٩٤٩م (١/١٧٣) .

أولاهما : أن انتشار العلم والثقافة بين البربر كان قليلاً ، فلم يظهر منهم إلا عدد قليل من العلماء[1] . والنقطة الثانية : هي ان قبيلة كتامة البربرية هي أهم قبائل البربر ، وقد نالت حظوة كبيرة لدى الفاطميين في صقلية ، حيث استخدمت لقمع ثورات العرب ، وتحقيق أهداف سياسة الفاطميين في صقلية[2] .

٣ ـ الفرس :

إن فاتح صقليه القاضي أسد بن الفرات يعود في نسبه الى أصل فارسي ، فهو من أهل نيسابور[3] . ولذلك فإن الفتح الإسلامي لجزيرة صقليه ، جلب اليها عدداً كبيراً من الفرس .

كما أن بني الطبري والذين هم من أعيان مدينة بلرم ، تشير نسبتهم الى أنهم من طبرستان[4] . وقد سبق وأن أشرنا الى ثورة آل الطبري ، الذين هم من أعيان الجماعة ، والذين قضى على ثورتهم أول أمراء الأسرة الكلبية على صقليه .

٤ ـ الرقيق :

يقول الأصطخري عن صقلية أنها كثيرة الرقيق[5] . وكان لدى حكام وأمراء جزيرة صقليه ارقاء ، وكن الجواري أيضاً يكثرن لدى الحكام والأمراء حتى أنه نجد بعد سقوط صقليه في أيدي النورمان أن لدى الحاكم النورمندي غليام جواري وغلمان من المسلمين كما أشار الى ذلك الرحالة ابن جبير[6] .

---

(١) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص ٥٣) و (ص ٩٤) .

(٢) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٦٦) ، امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص ٥٣) ، عبد المنعم ماجد ـ العلاقات بين الشرق والغرب (ص ١٠٧) ، أحمد العبادي ـ سياسة الفاطميين ـ (ص ١٩٤) .

(٣) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (٢/٣٨٠) .

(٤) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٦٥) .

(٥) الاصطخري ـ مسالك الممالك (ص ٧٠) .

(٦) ابن جبير ـ الرحلة (ص ٢٩٩) .

ونجد أن من الموالي في صقليه من نال نركزاً رفيعاً كيعيش مولى الحسن ابن علي الكلبي والذي تولى امارة صقليه بعد مولاه[1] ـ كما سبق وأن أشرنا الى ذلك ـ . وكذلك جوهر الصقلي الكاتب ، والذي أصبح قائداً لجيوش المعز لدين الله الفاطمي ، والذي فتح مصر للفاطميين سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م وبنى مدينة القاهرة[2] .

ولقد كثر العبيد في صقليه ، حتى أصبحوا يمثلون طبقة كبيرة من طبقات المجتمع الصقلي ، وزاد عددهم نتيجة للأسر والسبي والشراء ؛ وهيأ لهم الفتح الإسلامي للجزيرة حرفة جديدة تدر عليهم دخلاً معقولاً ، إذ دخلوا في صفوف الجيش ، إلا أن الجيش شقى بهم فيما بعد ، حتى أصبحوا عنصراً خطراً قابلاً للثورة[3] . وقد سبق وأن ذُكر اتحاد العبيد مع البربر ضد أمير صقليه جعفر بن يوسف بن عبد الله الكلبي مما اضطره الى نفي البربر ، وقتل العبيد[4] .

وكان يجلب الى صقليه العبيد الصقالبه[5] . وهم المماليك البيض ، الذين كانوا يجلبون وهم صغار السن ، ويؤتى بهم من بلاد السلاف على صفاف نهر الألب عبر المانيا وفرنسا . وذلك بواسطة التجار اليهود بشكل خاص ، وكان لهم مكان يباعون فيه يعرف بالنخاسة[6] .

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٦١٠/٨) .

(٢) ابن عذاري ـ البيان المغرب (٢٢١/١) محمد غالب ـ تاريخ الدعوة الاسماعيلية (ص ١٣٥) .

(٣) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٦٣) .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٩٤/١٠) ، النويري ـ نهاية الأرب (٣٧٦/٢٤ ـ ٣٧٧) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٨/٤) .

(٥) الصقالبه : تعني جميع الأفراد الذين تنحدر اصولهم من آسيا الصغرى ، وشبه جزيرة البلقان واليونان ، وسواحل البحر الأدرياتيكي وايطاليا الجنوبية وصقليه .
تشركوا ـ مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غرب البحر المتوسط (١٢٤) .

(٦) مارتينو ـ المسلمون في صقليه (٣١) ، لومبارد ـ الجغرافية التاريخية (ص ١١٨) .

وفي مدينة بلرم حارة تعرف بحارة الصقالبه[1] . وكان لهؤلاء الفتيان نفوذ عظيم في عهد الأمراء الكلبيين ، والملوك النورمنديين ، لأنهم أعوانهم وبطانتهم[2] .

وكان للعبيد نظام في صقليه ، حيث تسجل اسمائهم في سجلات ملحقة بشئون الأرض يوضح فيها الإقطاعات ، وعدد الأرقاء فيها ، كل ذلك في ديوان عرف باسم ديوان « التحقيق المعمور »[3] . وله رئيس وكتاب[4] .

٥ ـ وفي صقليه من السكان المسلمين من ينتسب الى المكان ، أو المهنة ، حيث نجد أن هناك من ينتسب الى مدن صقليه ، أو مدن في بلاد اسلامية أخرى ، أو ينتسب الى ولاية من ولايات الدولة الاسلامية ، فمن ذلك نجد مثلاً : المكي كعمر بن خلف المكي[5] . والمصري كعلي بن جعفر بن القطاع الصقلي ، ثم المصري[6] . ونجد كذلك القيرواني ، والسوسي ، والشامي والطرابلسي ، والمغربي ، والقابسي ، والغافقي ، والحجازي . وغير ذلك .

وسوف يتضح لنا وفي ثنايا هذه الدراسة اسماء لأعلام صقليين وغيرهم تدلل على ماذكرناه سابقاً .

---

(١) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٤) ، احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٤٦) .

(٢) مارتينو ـ المسلمون في صقليه (ص ٣١) .

(٣) هو الديوان الذي يعنى بشئون الأرض والرقيق المرفق بها ، وكل ذلك مقيد في دفاتر . وهي سجلات تبين الاقطاعات واتساعها ، وعدد الأرقاء فيها ، وقد كان هذا الديوان موجوداً عند الفاطميين .

احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ١٤٧) .

(٤) المرجع السابق نفسه (ص ١٤٧) .

(٥) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/١٠٦) .

(٦) ابن كثير ـ البداية والنهاية (١٢/١٨٨) .

ومن أهل صقليه ، من ينتسب إلى الحرفة والوظيفة التي يقوم بها ، فنجد مثلاً من يطلق عليه الوزير[١] . والقاضي[٢] . والوثائقي والغضائري ، والخراز[٣] . والصباغ والكتاني[٤] . وهناك من ينتسب إلى المذهب كأن يقال المالكي كمحمد بن أبي الفرج المالكي[٥] .

٦ ـ النصارى :

بعد ان دخل المسلمون الى صقلية ، نجد أن بعض النصارى قد دخل في الاسلام ، وبعضهم بقي على دينه ، وقبل بدفع الجزية ، وهناك بعض المدن تم عقد معاهدات بين أهلها والمسلمين تقضي بعدم الاعتداء من الطرفين ، على أن يدفع النصارى مال عرف بمال الهدنة[٦] . وقد ترك المسلمون للنصارى حريتهم الدينية ، ولكنهم اشترطوا عليهم عدم بناء كنائس جديدة[٧] .

٧ ـ اليهود :

كان بصقلية عدد ليس بكثير من اليهود قبل الفتح الاسلامي[٨] . وبعد الفتح الاسلامي تخلص اليهود من سيطرة القسطنطينية وضرائبها الباهضة[٩] . وسبق أن ذكرنا أن اليهود كانوا يعملون بتجارة الرقيق ، كما كان لهم حارة في مدينة بلرم تعرف بحارة اليهود[١٠] ، كما كان اليهود يتكلمون بالعبرية ، الى جانب ان بعضهم يتكلم العربية ايضاً[١١] .

---

(١) القفطي ـ انباه الرواة على انباه النحاه (٢/٩٤) .

(٢) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/١١٧) .

(٣) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٦٤) .

(٤) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/٨٣ ـ ١٠٤) .

(٥) القفطي ـ أنباه الرواه (٣/٧٣) .

(٦) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٨/٤٧١) .

(٧) محمد كرد ـ الاسلام والحضارة العربية (١/٢٧٩) ، غوستاف لوبون ـ حضارة العرب (ص ٣٠٩) ، لويجي رينالدي ـ المدنية العربية في الغرب ـ مجلة المقتطف مجلد ٥٩ ، ج ٦ ، ١٩٢١م (ص ٥٣٤) .

(٨) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٢٩) .

(٩) لبارد ـ الجغرافية التاريخية (ص ٢٧٢) .

(١٠) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٦) .

(١١) محمد كرد ـ الإسلام والحضارة العربية (١/٢٨٣) .

وأخيراً نشير الى وجود جيل نشأ نتيجة للتزاوج بين طوائف سكان صقلية ، وقد أشرنا سابقاً الى قول لأمير صقليه أحمد بن يوسف الكلبي المعروف بالأكحل ، والذي دعا فيه أهل صقلية على الاجتماع ضد أهل افريقية ، فردوا عليه قائلين : « قد صاهرناهم وصرنا شيئاً واحداً »(١) ، والتصاهر هو في الغالب بين المسلمين ، إلا أن بعض المسلمين قد تزوج من نصرانيات ، ومثل هذا الزواج قد وقع بصقلية ، وكان يعقد على شروط لم يسمع بمثلها في ديار المسلمين(٢) ، وقد تضايق ابن حوقل من هذا الزواج ومن شروطه فقال على سبيل الاستهجان : « المشعمذون ـ أي المشعوذون ـ أكثر أهل حصونهم وباديتهم وضياعهم ، رأيهم التزوج الى النصارى ، على أن ماكان بينهم من ولد الحق بأبيه من المشعوذين ، وماكانت من أنثى فنصرانية مع أمها »(٣) ، ويعلق مارتينو على قول ابن حوقل السابق فيقول : « إذاً هذه النصرانية المذكورة عند ابن حوقل إذا تزوجت من مسيحي ، ستلد له أولاداً ، ربع دمائهم عربي ، أو بربري ، وإذا كان من بينهم بنت واقترنت بمسلم تكررت الحكاية ، وهلم جرا ، الى تبادل دماء متواتر ، لايزال بادي الأثر في ملامح كثير من الصقليين »(٤) . واستمر ذلك التزواج بين المسلمين والنصرانيات حتى بعد سقوط صقلية ، فنجد أنه : « في زمن النورمان حدث تزاوج بين المسيحين والمسلمين بصقلية ، وأنجب جيلاً جديداً حمل اسم « بولاني » وامتاز هذا الجيل بأنه كان يعرف لغات مختلفة مثل العربية ، والفرنسية ، والايطالية »(٥) .

أما بالنسبة للتزاوج بين المسلمين واليهود فلم تشر المصادر الى ذلك ، فقد كان المسلمون يأنفون من اليهود وذلك لشهرتهم بالقذارة كما قال ابن حوقل(٦) .

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (١٠/١٩٥) .
(٢) مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص ٣١) .
(٣) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١٢٣) .
(٤) مارتينو ـ المسلمون في صقلية (ص ٣١) .
(٥) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية (ص ١٠٤) .
(٦) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١٢٤) .



الفصل الثاني

الحياة الإقتصادية في صقلية الإسلامية



الحياة الاقتصادية في صقلية :

إن الحديث عن كافة جوانب الحياة الاقتصادية في صقلية يعتبر موضوعاً طويلاً ، ويحتاج الى دراسة مستقلة ، وحيث أن المقام ليس الحديث عن الحياة الإقتصادية لذا نشير في هذا الموضوع إلى نقاط مختصره لنتبين من خلالها الوضع الاقتصادي في صقلية ، إذ أن اقتصاد كل بلد يؤدي دوراً رئيسياً وبارزاً في الاستقرار السياسي ، والاجتماعي ، وتطور الحياة الثقافية والعمرانية ، وخلاف ذلك .

فالإقتصاد وتوفر الأمن ركيزتان هامتان لحياة أي مجتمع في أي زمان ومكان ، والمقصود بالحياة الاقتصادية كل مايتعلق بجوانب المظاهر الاقتصادية كالزراعة والتجارة والصناعة .

وقبل أن نبدأ في الحديث عن حياة صقلية الاقتصادية نذكر بعض أقوال الجغرافيين عن صقلية والتي تعطينا صورة واضحة لما كانت عليه الحالة الاقتصادية بها ، فقد قال ابن حوقل بعد أن زار مدينة بلرم من صقلية ، وتحدث عن أسواقها : « وأكثر الأسواق فيما بين مسجد ابن سقلاب ، والحارة الجديدة ، كسوق الزياتين بأجمعهم ، والدقاقين ، والصيارفة ، والصيادنة ، والحدادين ، والصياقلة ، وأسواق القمح ، والطرازين ، والسماكين ، والأبزاريين وطائفة من القصابين ، وباعة البقل ، وأصحاب الفاكهة ، والريحانيين ، والجرارين ، والخبازين ، والجدالين ، وطائفة من العطارين والجزارين ، والأساكفة ، والدباغين ، والنجارين ، والغضائريين ، والخشابين خارج المدينة ، وببلرم طائفة من القصابين ، والجرارين ، والأساكفة ، وبها للقصابين دون المائتي حانوت لبيع اللحم ، والقليل منهم في المدينة برأس السماط ، ويجاورهم القطانون ، والحلاجون ، والحذائن ، وبها غير سوق صالح[1] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ١١٤) .

وأضاف ابن حوقل أيضاً أن في بلرم « سوقاً قد أخذ من شرقها الى غربها ويعرف بالسماط ، قد فرش بالحجارة ، وأنه عامر من أوله الى آخره بضروب التجارة »[1] .

أما الأصطخري فيقول عن صقليه : « وبصقليه من الخصب والسعة والزرع والمواشي والرقيق أكثر مايقع منها مايفضل على سائر ممالك الاسلام المتاخمة للبحر »[2] .

ويصف المقدسي صقلية فيقول : « وصقلية جزيرة واسعة جليلة ليس للمسلمين جزيرة أجمل ولاأعمر ، ولا أكثر مدنا منها »[3] .

وتحدثنا بعض المراجع الاقتصادية لصقلية فتذكر : أنه يوجد بمتحف بلرم ودير الكهف مجموعة من الوثائق الإسلامية التي يرجع تاريخها الى عهد السيادة الإسلامية على الجزيرة ، والتي تتضمن جداول المكوس التي تضمنتها المعاهدات التجارية الإسلامية ، وهي تدل دلالة واضحة على مابلغته التجارة في صقليه من اتساع وازدهار وهي التجارة التي كانت تربط بين صقليه وافريقية ، والمشرق والأندلس »[4] .

إن النصوص السابقة تؤكد بأن النشاط الاقتصادي في صقليه كان مزدهراً ، وأن صقليه بحكم موقعها المتميز جغرافياً وتعدد موانئها ، كانت من افضل الديار الإسلامية انتعاشاً في مجال الإقتصاد .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ١١٧) .

(٢) مسالك الممالك (ص ٧٠) .

(٣) المقدسي ـ احسن التقاسيم (ص ٢٣٢) .

(٤) حسن عبد الوهاب ـ ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية (٣/٤٥٢) ، تقي الدوري ـ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ١٥٣) .

والموارد المالية في صقليه كانت متعددة المصادر فمنها الغنائم التي تؤخذ من الأعداء في أثناء حروبهم مع المسلمين ؛ وقد أشرنا الى ذلك أثناء حديثنا عن مراحل الفتح الإسلامي لصقليه ؛ ومن ذلك أن مال الهدنة المتفق عليه بين والي صقليه ، وبين اعداءه قد مُنع دفعه ، حيث ذكر ابن الأثير أنه في احدى السنوات امتنع الكفار من اعطاء مال الهدنة(1) .

ومنها مال الجزية – وتعرف أيضاً بالجوالي – (2) الذي كان يفرض على أهل الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها في دار الاسلام ، في مقابل الكف عنهم والحماية لهم ، وهي تجب على الرجال الأحرار دون الصبيان والنساء والعبيد(3) .

كذلك نجد أن من الموارد المالية الخراج المفروض على أراضي غير المسلمين . وكذلك مايعرف « بمال البحر » وهو مايؤخذ على السفن عند رسوها في موانيء الجزيرة ، ويعرف ايضا بالمكوس(4) .

ومن الموارد المالية ماأشار اليه ابن حوقل من أن أهل صقليه مطالبون كلهم بالجهاد والانضمام الى الجيش ، إلا من بذل الفدية عن نفسه ، أو أقام العذر في تخلفه مع رابطة السلطان(5) . فكان ماذكره ابن حوقل ضريبة تدفع الى بيت مال المسلمين .

ومن الأموال التي ترد الى بيت المال ، الزكاة وعشور أراضي المسلمين ، واموال الوقف ، ومال من لاوارث له .

يضاف الى ماسبق ماكان يصل الى صقليه من الدول التي تقع صقليه تحت سيطرتها ، فالأغالبة كانوا يمدون صقليه بالمال ، وخاصة وقت الحملات العسكرية لفتح مدينة ، أو تأديب طائفة خارجة .

---

(1) ابن الأثير – الكامل في التاريخ (٨/٤٧١) .

(2) ضيف الله الزهراني – النفقات وادارتها في الدولة العباسية (ص ٤٣) .

(3) النويري – نهاية الأرب (٨/٤٧١) ، القلقشندي – صبح الأعشى (٣/٤٥٨) .

(4) ابن حوقل – صورة الأرض (ص ١٢٤) .

(5) المصدر السابق نفسه (ص ١٢٠) .

والفاطميون كانوا يرسلون الأموال والطعام الى صقليه ، وذلك إما لمدد عسكري ، أو هبات وهدايا ، كما فعل المعز لدين الله الفاطمي عندما أرسل الى والي صقليه أحمد بن الحسن الكلبي مائة ألف درهم ، وخمسين حملاً من الصلات ، تم توزيعها على أطفال الجزيرة(1) .

ويجمل ابن حوقل عند حديثه عن صقليه بعض مواردها الاقتصادية فيقول : « إن مال جزيرة صقليه في وقتنا هذا ، وهو أجلّ أوقاتها ـ وكان ذلك سنة ٣٦١هـ/٩٧١م ـ وأكثره ، وأغزره بأجمعه من سائر وجوهه ، وقوانينه ، خمسها(2) ، ومستغلاتها(3) ، ومال اللطف(4) ، والجوالي المرسومة على الجماجم . ومال البحر ، والهدية الواجبة في كل سنة على أهل قلورية ، وقبالة الصيود ، وجميع المرافق وجهاتها وهذه جملة ارتفاعها »(5) .

---

(١) النعمان ـ المجالس والمسايرات (ص ٢٥٦) ، ابو الفدا ـ المختصر (٩٦/٢) ، المقريزي ـ اتعاظ الحنفا (٩٤/١ ـ ٩٥) .

(٢) تعتبر أخماس الغنائم في الحروب من الضرائب التي أدخلت ضمن أموال الخراج . ضيف الله الزهراني ـ النفقات وادارتها في الدولة العباسية (ص ٤٤) .

(٣) المستغلات : تطلق على الضرائب التي تفرض على الدور والأسواق والطواحين التي بناها الناس في أراضي حكومية . المرجع السابق نفسه (ص ٤٦) .

(٤) اللطف : تعني الهدية . ابن منظور ـ لسان العرب (٣١٦/٩) ، مادة لطف .

(٥) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١٢٤) . والارتفاع هو : « العمل الجامع الشامل لكل عمل . وصورة وضعه أن يشرح الكاتب في صدره بعد البسمله مامثاله : عمل بما أشتمل عليه ارتفاع المعاملة الفلانية لمدة سنة كاملة ، أولها المحرم سنة كذا وكذا وآخرها سلخ ذي الحجة منها » . النويري ـ نهاية الأرب (٢٨٥/٩) ، أي هو مبلغ مايتحصل من المال لديوان من دواوين الدولة ، أو هو مجموع الأموال الديوانية كلها .

انظر : ضيف الله الزهراني ـ النفقات وادارتها في الدولة العباسية (ص ٤٥٩) .

فالمستغلات المذكورة في النص تدل على نوع محدد من الضريبة ، أما الخمس فهو ضريبة معينة عدها ابن حوقل من جملة ماتحصله الدولة بصقليه ، ولكنه لم يوضحها ، ولعل المقصود خمس الغنيمة والأرض التي أخذت عنوة(١) .

مع العلم بأن القرآن الكريم قد اشترط توزيعها على مستحقيها(٢) .

وكان للخمس ديوان عرف متوليه بأسم « صاحب الخمس » وممن تولى إدارته عمران الذي قتل في بلرم سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م(٣) . وخليل الذي ضبط المدينة حين خلت من واليها سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م(٤) . ومنهم محمد بن الفضل الرقباني الموصوف بأنه ينبوع الكرم والإحسان والفضل والإمتنان(٥) .

أما الجوالي فهي الجزية وقد سبق توضيحها . وكذلك سبقت الإشارة الى مال البحر ، أما الهدية الواجبة على أهل قلوريه فهي مال الهدنة التي تدفع بشروط معينة ، وأحياناً يمتنع النصارى عن دفعها خاصة اذا كان هناك ضعف في المسلمين(٦) .

أما القباله فهي نوع من أنواع طرق جباية الضرائب : أي أن المصايد كانت تعرض على متقبلين بمبالغ معينة . وقد يكون المتقبل هو المباشر للعمل ، أو ينتدب له من يريد(٧) . وإذا لم تكن المرافق كلمة عامة ، فهي تدل على مايحصل من مال على المراعي والمنتجات المحلية(٨) .

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص ٥٦) ، و (ص ٦٨) .

(٢) قال تعالى : « وأعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » سورة الأنفال آية (٤١) .

(٣) مجهول ـ تاريخ جزيرة صقليه في المكتبة الصقليه (ص ١٦٨) .

(٤) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٦٦) ، احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٥٥) .

(٥) ابن الأغلب ـ مختصر الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة ـ مخطوط (ورقة ٦) .

(٦) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٨/٤٧١) .

(٧) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٦٩) .

(٨) المرجع السابق نفسه (ص ٦٩) .

أما بالنسبة للصناعة في صقليه : فقد ساعد وفرة المواد الخام بصقليه على الانتاج الصناعي بها ، سواء كانت صناعات تعدينية ، أو زراعية ، أو حيوانية ، فلقد عُدنت مناجم الجزيرة ، من ذهب ، وفضة ، وكحل وحديد ورصاص ونوشادر وملح وكبريت[١] .

وذكر ياقوت أن المعادن بها في كل مكان وخاصة الذهب ، وأنها تصدر منها الى الأندلس[٢] .

كما اشتهرت صقليه بوفرة الحديد قرب موضع يقال له « بلهرا » ويعرف بعين الحديد[٣] .

أما بالنسبة لمعدن الذهب ، فقد كان متوفراً بكثرة في صقليه وخاصة في جبل عرف باسم جبل الذهب ، وذلك لكثرة هذا المعدن فيه[٤] . ونظراً لكثرة الذهب بصقليه فقد صنع منه في صقليه اخفافاً تنتعلها النساء كما ذكر ذلك ابن جبير[٥] . كما كان لوفرة معدني الذهب والفضة بصقليه أثره في ظهور منسوجات صقليه مطرزة بالذهب والفضة على درجة عالية من الإتقان ، حتى ان أوربا أخذت هذا الفن عن المسلمين في صقليه[٦] .

وكان لإتقان المنسوجات الصقلية المطرزة بالذهب والفضة اثره في شهرتها العالمية في ذلك الوقت ، فصدرت الى كثير من البلدان الإسلامية وغير الإسلامية ، فمن ذلك نجد أنها متوفرة بكثرة في مصر في بيوت الأمراء والأميرات[٧] .

---

(١) ابن البيطار ـ الجامع لمفردات الأدوية (١٦٣/٢) ، الحميري ـ الروض المعطار (ص ٣٦٧) ، محمد كرد ـ الإسلام والحضارة العربية (٢٧٩/١) ، مارتينو ـ المسلمون في صقليه (ص ٣).

(٢) ياقوت ـ معجم البلدان مادة صقليه (٤١٨/٣) .

(٣) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٧) .

(٤) الأنصاري ـ نخبة الدهر وعجائب البر والبحر (ص ١٤١) .

(٥) الرحلة (ص ٣٠٧) .

(٦) رسلان ـ الحضارة الاسلامية في صقلية (ص ٨٩) ، لوبون ـ حضارة العرب (ص ٣١٠) .

(٧) المقريزي ـ الخطط (١٦٤/٢) .

وعن ذلك يقول محمد كرد علي : « أن أهل صقليه علموا أهل أوربا صنع الحرير ، وأنه في مدينة نورمبرج رداء من حرير كان لملوك صقليه ، وفيه كتابات بحروف كوفيه مما يدعو الى الإعتقاد بأن صناعة صبغ الثياب انتشرت في أوربا من صقليه »[١] .

وقد سبق وأن أشرنا الى ماذكره ابن حوقل من أن للطرازين سوقاً بصقليه[٢] .

أما فيما يتعلق بصناعة السفن ، فقد اهتم بها المسلمون اهتماماً كبيراً ، وذلك لكثرة الاحتياج اليها بإعتبارها السلاح الأول لهم سواء في حياتهم الإقتصادية ، أو في مجال الحروب . وقد وجد بصقليه اكثر من دار لصناعة السفن[٣] . وذلك نظراً لتوفر الأخشاب بها وخاصة في الجبل المسمى بجبل النار[٤] .

واشتهرت صقليه أيضاً بالنقش على الأخشاب ، وذلك لتوفر هذه المادة بصقليه ، وتوفر النقاشين المهرة ، والذين وصلت شهرتهم الى كثير من البلاد الإسلامية والأوروبية[٥] .

كما كان الحديد ينتقل من صقليه الى الهند في بعض الأحيان ، ويصنع منه آلات حديدية عالية الجودة وغالية الأثمان[٦] .

---

(١) محمد كرد ـ الاسلام والحضارة العربية (٢٧٩/١) ، محمد عبد العزيز ـ مكانة الفن الإسلامي بين الفنون . مقال بمجلة كلية الاداب ـ القاهرة مجلد ١٩ (١٢٨/١) .

(٢) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٤) .

(٣) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقليه (ص ٥٠) .

(٤) الحميري ـ الروض المعطار ـ الجزء الخاص بالجزر والبقاع الإيطالية ـ تحقيق امبرتو ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة م١٣ (١٤١/١) .

(٥) زكي محمد حسن ـ فنون الإسلام (ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠) ، تقي الدوري ـ صقليه وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ١٥٨) .

(٦) المقدسي ـ أحسن التقاسيم (ص ٢٣٩) ، آدم متيز ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع (٢٧٢/٢) .

ومن الصناعات التي نالت شهرة عالية في صقليه صناعة الورق ، وصناعة حبال السفن ، وصناعة الحصير ، والتي تعتمد على توفر نبات البردي في صقليه وفي ذلك يقول ابن حوقل : « وفي خلال أراضيها بقاع ، قد غلب عليها البربير وهو البردي الذي يصنع منه الطوامير . ولاأعلم لما بمصر من هذا البربير نظيراً له على وجه الأرض ، إلا مابصقليه منه ، وأكثره يفتل حبالاً لمراسي المراكب ، وأقله يعمل للسلطان منه طوامير القراطيس »[1] .

ومن المعادن التي استخرجت وعُدنت في صقليه ، معدن الكبريت الأصفر ، الذي لايوجد بموضع مثله ، وله قطاعون وعمال عالمون بتناول ذلك ، وقد سقطت شعورهم وتصلبت أظافرهم من شدة حره ويبسه ، ويذكر أنهم يجدونه في بعض الأزمنة سائلاً مائعاً فيحفرون له في الأرض أماكن يجتمع فيها ، ويجدونه في أزمنه أخرى متحجراً حامضاً ؛ فيقطعونه بالمعاول[2] .

كما كان يستخرج من صقليه زيت النفط من ثلاثة آبار عند قلعة ميناو من اقليم سرقوسه ، وذلك في وقت معلوم من السنة خلال أشهر فبراير ، ومارس وابريل[3] .

هذا اضافة الى المهن والحرف التي ذكرها ابن حوقل وهي كالتالي : طائفة من الزياتين ، والدقاقين ، والصيارفة ، والصيادنة ، والحدادين ، والصياقلة ، وطائفة تعمل في بيع القمح ، ومنهم أيضاً الطرازين ، والسماكين ، والأبزاريين ، والقصابين ، وباعة البقل ، وأصحاب الفاكهة ، والريحانيين ، والجرارين ، والخبازين ، والجدالين ، وطائفة من العطارين ، والجزارين ، والأساكفه ، والدباغين ، والنجارين ، والغضائريين ، والخشابين والقطانين ، والحلاجين ، والحذائين[4] .

أما فيما يتعلق بالنشاط التجاري في صقليه ، فقد ساعد موقعها

---

(١) ابن حوقل ــ صورة الأرض (ص ١١٧) ، ابن البيطار ــ الجامع لمفردات الأدوية (٨٦/١) .

(٢) الحميري ــ الروض المعطار ــ مجلة كلية الأدب ــ القاهرة م ١٨ (١٦٢/١) ، تقي الدوري ــ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ١٥٧) .

(٣) المصدر السابق (١٦٢/١) ، والمرجع السابق (ص ١٥٧) .

(٤) ابن حوقل ــ صورة الأرض (ص ١١٤) .

الاستراتيجي وكثرة موانئها على تقدمها في مجال التجارة ، فقد كان موقعها في وسط الدول المعروفة آنذاك[١] . وقد سبق الحديث عن موقعها وأهميتها ـ فهي حلقة وصل بين شمال افريقية من جهة ، وبين ايطاليا وغرب أوربا من جهة أخرى[٢] . وقد انتعشت التجارة في صقليه أيام حكم المسلمين لها بعد أن كانت صفراً[٣] .

كما كان لكثرة الأسواق بصقلية أثره المباشر في نمو التجارة فيها ، وقد سبق أن ذكرنا ماأورده ابن حوقل عن اسواق مدينة واحدة بصقليه وهي مدينة بلرم[٤] .

كما ذكر الأدريسي أن مدينة سرقوسه كانت تشتهر بأسواقها المنظمة[٥] . أما بالنسبة للزراعة في صقليه ، فقد ساعد وجود أرض صالحة للزراعة بها ، على كثرة انتاجها الزراعي ، حيث امتازت صقليه بخصوبة أراضيها[٦] . اضافة الى كثرة بساتينها وعيونها[٧] .

ومن أهم محاصيلها الزراعية القمح[٨] . كما أدخل اليها المسلمون الفاتحون زراعة القطن[٩] .

كما أدخل المسلمون اليها أيضاً زراعة قصب السكر ، والزيتون من شمال افريقيا[١٠] .

---

(١) لومبارد ـ الجغرافية التاريخية (ص ١٢٠) .

(٢) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية (ص ٤) .

(٣) لوبون ـ حضارة العرب (ص ٣١٠) .

(٤) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٤) .

(٥) الادريسي ـ نزهة المشتاق (٥/٦١١) .

(٦) الاصطخري ـ مسالك الممالك (ص ٧٠) .

(٧) ابن جبير ـ الرحلة (ص ٣٠٥) .

(٨) الحميري ـ الروض المعطار ـ الجزء الخاص بالجزر والبقاع الإيطالية ، تحقيق أمبرتو ـ مجلة كلية الآداب ـ القاهرة م ١٨ (١/١٧١) .

(٩) ابن العوام ـ الفلاحة (٢/١٠٤) .

(١٠) مجهول ـ الاستبصار في عجائب الأمصار ، (ص ١١٧) ، لوبون ـ حضارة العرب (ص ٣١٠) .

كذلك اشتهرت صقليه بإنتاج الزعفران[١] . والسكر ، والبرتقال ، والنخيل والبطيخ[٢] ، كما كثرت في صقليه زراعة البصل[٣] . وقد تكلم ابن حوقل كثيراً عن زراعة البصل في صقليه ، واهتمام الصقليين به ، وذكر أن ذلك من أسباب بلادتهم ، على سبيل التهكم والاستهجان[٤] .

وفي سبيل تطوير الزراعة في صقليه نجد أن المسلمين قاموا بحفر الترع ، والقنوات التي لاتزال باقية ، وأنشأوا المجاري المعقوفة ، التي كانت مجهولة قبلهم[٥] .

أما عن الثروة الحيوانية بصقلية ، فنظراً لأن صقلية ذات مراعي جيدة ، فقد كثرت بها الثروة الحيوانية وعن ذلك يقول ياقوت : « أنها كثيرة المواشي جداً من الخيل والبغال ، والحمير والبقر والغنم ، والحيوان الوحشي وليس فيها سبع ولاحية ولاعقرب »[٦] .

ونختتم الحديث عن الزراعة في صقليه فنقول أن المسلمين قد أدوا للزراعة في صقليه خدمات لاتنسى وذلك للأسباب التالية أنهم جلبوا الى الجزيرة البرابرة ، وهم فلاحون ماهرون ، ولأن من بينهم بعض الشرقيين الواقفين على طرق الحرث والري ، المستعملة فيما بين النهرين ، فعلموا الصقليين إياها . ثم أنهم أدخلوا الى الجزيرة نباتات لم تكن معروفة قبلهم ، وفي مقدمتها القطن[٧] .

---

(١) القرماني ــ أخبار الدول وآثار الأول (ص ٤٦٠) ، تقي الدوري ــ صقليه وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ١٥٤) .

(٢) لوبون ــ حضارة العرب (ص ٣١٠) ، مارتينو ــ المسلمون في صقليه (ص ٣٤) .

(٣) ابن العوام ــ الفلاحة (١٩١/٢) ، تقي الدوري ــ صقليه وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ١٥٥) .

(٤) ابن حوقل ــ صورة الأرض (ص ١١٨) .

(٥) لوبون ــ حضارة العرب (ص ٣١٠) .

(٦) ياقوت ــ معجم البلدان (٤١٧/٣) .

(٧) مارتينو ــ المسلمون في صقليه (ص ٣٤) .

أما فيما يتعلق بالعملات النقدية التي كانت مستعملة في صقليه ؛ فمن المعروف أن صقلية خضعت للأغالبة ، ثم الفاطميين وكانت كلا الدولتين تتعاملان بالدرهم والدينار .

أما أول ذكر لسك عملة اسلامية في صقليه فكانت بعد دخول المسلمين اليها بزمن قليل . وكان ذلك في سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م عندما كان المسلمون محاصرين لسرقوسه حيث وجد نوع من العملة الفضية الرقيقة ، والتي كانت على شكل دائري من فئة الدرهم . وكتب على وجه من وجوهها اسم الأغالبة ، ثم اسم زيادة الله بن ابراهيم وعلى الوجه الآخر اسم محمد بن ابي الجواري ، وهو قائد المسلمين في صقليه بعد وفاة اسد بن الفرات . وكان مكتوب عليه أيضاً لفظ الجلاله (بسم الله) وتاريخ ومكان الإصدار حيث كتب (نقش في صقليه سنة ٢١٤هـ) وهو محفوظ بمتحف العملات في باريس(١) .

كما توالى ضرب العملات في صقليه ففي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م ضرب في صقليه عمله من فئة نصف درهم(٢) . وفي سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م وجدت عمله مضروبه في صقليه ومكتوب على أحد وجهيها اسم بلرم مما يعني أن مدينة بلرم كانت مركز اصدار العملات الصقليه المحلية(٣) .

أما فئة الدينار الذهبي الكامل ، فليس هناك اشارات الى أنه ضرب في صقليه ، ولكن ضرب ربع دينار في صقليه على عهد الفاطميين في حدود سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م(٤) .

وقد ظهر على ربع الدينار الذي ضرب في صقليه في عهد الفاطميين اسم (علي)(٥) .

---

(١) تركي العتيبي ـ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقليه (ص ١٥١) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص ١٥١) .

(٣) المرجع السابق نفسه (ص ١٥١) .

(٤) المرجع السابق نفسه (ص ١٥١) .

(٥) المرجع السابق نفسه (ص ١٥٢) .

وعن الرباعي يقول مارتينو : أن الإيطاليين قلدوه فيذكر أنه : « يوجد في مملكة صقليه ونابولي طوال ثمانية قرون نقداً يقال له بالإيطالية (الترينو) أو (تري) وإنما هو الرباعي الذي كان يضرب في صقليه في عهد الأغالبة والفاطميين ، وقد قلده النورمان في بلرمو ، وسالرنو ، تاركين فيه كتاباته العربية ، ثم قلده فردريك الثاني وخلفاؤه »(١) .

وإذا كانت قد ضربت العملة في صقلية فان ذلك لايعني عدم تداول عملة الدولة التي كانت تتبعها حكومة صقليه داخل صقليه نفسها سواء في عهد الأغالبة ، أو الفاطميين . فقد جاء ذكر الدينار في كثير من المبادلات التجارية بين سكان صقليه ، وكذلك الدرهم .

كما ورد ذكر الدينار في الهبات والعطايا التي يمنحها حكام صقليه ، لمن يريدون كما فعل ابراهيم بن عبد الله بن الأغلب واي صقليه ٢٢١هـ ـ ٢٣٦هـ / ٨٣٦ ـ ٨٥١م عندما أمر بكيس دنانير وأعطاه لإمراة أطعمته فرخين من الطيور(٢) .

---

(١) مارتينو ـ المسلمون في صقليه (ص ٣٢) ، العتيبي ـ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقليه (ص ١٥٢) .

(٢) ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (٣/١١٠) ، العتيبي ـ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقليه (ص ١٥٣) .

الفصل الثالث

الحالة المذهبية في صقلية الإسلامية



بدخول الفاتحين المسلمين الى صقليه ، دخل الإسلام ، ونحن نعلم أن هدف الفتح الإسلامي ، هو نشر الإسلام ، وإعلاء كلمة لا إله إلا الله .

وصقليه ما إن وصل اليها الفاتحون المسلمون ، حتى استقبلت ذلك الدين الجديد ، والذي عرف عنه بأنه دين العدل ، والتسامح ، والحرية . ودخلت طوائف كثيرة من أبناء المجتمع الصقلي في الإسلام رغبة في هذا الدين المميز من جهة ، وهروباً من الخواء الروحي الذي كانوا يعيشونه قبل ذلك ، من جهة أخرى .

ونحن عندما نشير الى أن الإسلام قد دخل الى صقليه في بداية القرن الثالث الهجري ، ونهاية القرن التاسع الميلادي ، فإنه في ذلك الوقت كانت المذاهب الإسلامية قد ظهرت . وتأثرت صقليه في مذهبها بما يميل اليه علماء الدين الذين دخلوا الى صقليه مع الجيش الفاتح ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى تأثرت كذلك بما يميل اليه حكام الدولة الأغلبية على اعتبار أنهم هم الفاتحون لجزيرة صقليه .

وعندما نستعرض التطور المذهبي في صقليه الإسلامية فإننا نشير في البداية الى الأغالبة ، وميولهم المذهبية ، حتى تتضح عندنا صورة ماكانت عليه صقليه .

لقد أثبتت النصوص أن بني الأغلب كانوا يميلون الى المذهب الحنفي ، ذلك أنه بعد وفاة قاضي افريقية عبد الله بن عمر بن غانم[1] ، في سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م ، وهو مالكي المذهب ، قام ابراهيم بن الأغلب (١٨٤ ـ ١٩٦هـ/

---

(١) أحد قضاة افريقية ، اثناء ولاية روح بن حاتم عليها من قبل الرشيد . واستمر في القضاء لمدة عشرين سنة وهو ممن رحل الى مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وابي يوسف . كان فقيهاً ، ورعاً ، عالماً ، مع فصاحة لسانه ، وحسن بيانه .

الرقيق ـ تاريخ افريقية والمغرب (ص ١٤١ ـ ١٤٢) .

٧٩٩ ـ ٨١١م) بتعيين محمد بن عبد الله بن قيس الكناني ، الملقب بأبي محرز وهو حنفي المذهب قاضياً على افريقية وذلك الى جانب القاضي أسد بن الفرات المالكي المذهب وأصبح بذلك لإفريقية قاضيان ، أحدهما حنفي والاخر مالكي . وفي ذلك يقول أبو العرب : « ولم يكن ببلدنا قاضيين في وقت واحد غيرهما »[١] . واستمر الوضع كذلك الى أن خرج أسد بن الفرات لفتح صقليه .

وقد أورد الرقيق القيرواني قولاً له دلالته في علاقة الأغالبة بالمالكية فقد قال : « ذكر أنه لما مات ابن غانم صلى عليه ابراهيم بن الأغلب ، ثم جلس على كرسي ينتظر الدفن . فوقف على قبره معد بن عقال ، خال ابراهيم ، وعامله على القيروان ، فجعل يجزع ويبكي على ابن غانم ، فلما فرغوا من دفنه ، دعا ابراهيم معداً ، وقال له : لم بكيت على ابن غانم ؟ قال : كان لي صديقاً باراً . فقال له ابراهيم : والله ماملكنا افريقيه ولا أمنا إلا إذا مات ابن غانم »[٢] .

واستمر ابو محرز على قضاء افريقية بمفرده بعد خروج اسد بن الفرات على رأس جيش المسلمين لفتح صقليه ، الى أن توفي سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م[٣] .

وبعد وفاة قاضي افريقية ، ظل منصب القضاء شاغراً من سنة ٢١٤هـ/٩٢٨م الى سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م ، حيث تولى احمد بن ابي محرز قضاء افريقية[٤] . ولعل ذلك يؤكد لنا أن الأغالبة يريدون التمكين للمذهب الحنفي مما أطال فترة الانتظار والاختيار . فهذا زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب الأمير الأغلبي (٢٠١ ـ ٢٢٣هـ/٨١٦ ـ ٨٣٨م) يقول بعد وفاة ابن ابي محرز سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م : « ياأهل القيروان لو أراد الله بكم خيرا لما خرج ابن أبي محرز من بين أظهركم »[٥] . كما كان يفتخر بتعيينه لابن ابي محرز قاضياً

---

(١) ابو العرب ـ طبقات علماء افريقية (ص ١٦٦) .

(٢) الرقيق ـ تاريخ افريقية والمغرب (ص ١٩٦ ـ ١٩٧) .

(٣) ابن عذاري ـ البيان المغرب (ص ١/١٠٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (١/١٠٥) .

(٥) المصدر السابق نفسه (١/١٠٦) .

على افريقية حيث يقول : « ما أبالي ماقدمت على الله يوم القيامه » ، وفي صحيفتي اربع حسنات ، بنياني المسجد الجامع بالقيروان ، وبنياني قنطرة ابي الربيع ، وبنياني حصن مدينة سوسة ، وتوليتي احمد بن ابي محرز قاضي افريقية[١] . هذا مع العلم أن أحمد بن ابي محرز قد استمر على قضاء افريقية مدة تسعة أشهر لم يحكم فيها بحكم قط [٢] .

وإجمالاً فقد تولى من الأحناف على عهد الأغالبة قضاء افريقيه ثمانية[٣]. ومن المالكية اربعة فقط[٤] .

ويفسر السلاوي ميل الأغالبة الى المذهب الحنفي ان ذلك يرجع الى أنه هو مذهب الخلفاء العباسيين في بغداد فيقول : « والمذهب السائد بالمغرب هو مذهب أهل العراق في الأصول والفروع ، لأن ذلك يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق ؛ والناس على قدم امامهم »[٥] .

وبناء على القول السابق ، فقد حقق المذهب الحنفي الأولوية ، ولكن لم يستمر طويلاً فقد أشار القاضي عياض إلى دخول المذهب المالكي إلى افريقية قائلاً : وأما افريقية وماوراءها من المغرب « فقد كان الغالب عليها في القديم

---

(١) المصدر السابق نفسه (١٠٦/١) .

(٢) أبو العرب ـ طبقات علماء افريقية (ص ١٦٧) .

(٣) هم : أبو محرز ، ثم ابن ابي الجواد ، ثم سليمان بن عمران ثم أبو العباس محمد ابن عبدون ، ثم عبد الله بن هارون السوداني ، ثم محمد بن اسود الصوفي ، ثم ابن جيمال . الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص ٢٣٥) .

(٤) وهم : سحنون بن سعيد ، وعبد الله بن طالب ، وعيسى بن مسكين ، وحماس بن مروان المصدر السابق نفسه (ص ٢٣٥ ـ ٢٣٩) .

(٥) السلاوي ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١٣٧/١) .

مذهب الكوفيين ، إلى أن دخل على بن زياد[١] ، وابن اشرس[٢] ، والبهلول بن راشد[٣] ، وبعدهم اسد بن الفرات ، وغيرهم بمذهب مالك بن أنس فأخذ به كثير من الناس ، ولم يزل يفشو الى ان جاء سحنون[٤] ، فغلب في ايامه »[٥] .

وتحدث ابن خلكان عن المذاهب بافريقية عند ترجمته للمعز بن باديس فقال : « وكان مذهب ابى حنيفة رضي الله عنه بافريقية اظهر المذاهب ، فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه ، وحسم مادة الخلاف في المذاهب ، واستمر الحال كذلك الى الآن[٦] .

ولكن تمسك أهل أفريقية بالمذهب المالكي يرجع الى فترة طويلة قبل التاريخ الذي ذكره ابن خلكان . ذلك أن التمرد السياسي ، وظهور الفرق ، والبدع ، وثورات الخوارج والشيعة ، أعدت أهل أفريقية لأن يتمسكوا أشد

---

(١) علي بن زياد التونسي ، ممن سمع من الامام مالك بن أنس ، وقد برع في علم الفقه ، ولم يكن في عصره مثله ، كان فقيهاً ، ثقة ، توفي سنة ١٨٣هـ /٧٩٩م..
أبو العرب ـ طبقات علماء افريقية (ص ٢٥١) ، المالكي ـ رياض النفوس (١/٢٥٥) ، عياض ـ ترتيب المدارك (٢/٤٦٥) .

(٢) أبو مسعود العباسي بن أشرس الأنصاري . سمع من الامام مالك . وكان فاضلاً ، حسن الضبط للعلم .
المالكي ـ رياض النفوس (١/٢٥٢) ، عياض ـ ترتيب المدارك (٣/٨٥) .

(٣) ابو عمرو البهلول بن راشد الحجري ، الرعيني ، ألف ديواناً في الفقه من العلماء المجتهدين كان عالماً راوياً للحديث . روى عن الامام مالك بن أنس . توفي سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م .
المالكي ـ رياض النفوس (١/٢٠٠) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (١/٢٦٤) .

(٤) ابو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان ، التنوخي ، الملقب بسحنون ، الفقيه المالكي . انتهت اليه رئاسة العلم بالمغرب . وولي القضاء بالقيروان . وعنه انتشر مذهب الامام مالك بالمغرب ، ولد سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م . وتوفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/١٨٠) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٧٧١) .

(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٣/٥٤) .

(٦) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٥/٢٣٣ ـ ٢٣٤) .

التمسك بالنصوص الشرعية من قرآن وحديث ، وأن يبتعدوا عن التأويل والتخريج ، وإعمال الرأي ، وذلك كله يتمثل في المذهب المالكي[1] .

أما العلامة ابن خلدون فيشير الى أن أهل المغرب كانوا متمسكين بالمذهب المالكي معللاً ذلك بأن رحلة الناس هي في الغالب الى الحجاز التي بها امام دار الهجرة مالك بن أنس ، ولاشتراك أهل المغرب والحجاز في صفة البداوة . فقال : « وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس ، وإن كان في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل ، لما أن رحلتهم كانت غالباً الى الحجاز ، وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار العلم ، ومنها خرج الى العراق ، ولم يكن العراق في طريقهم . فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وامامهم مالك ، وشيوخه من قبله ، وتلميذه من بعده ، فرجع اليه أهل المغرب والأندلس ، وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته ؛ وأيضاً فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق ، فكانوا الى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ؛ ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضاً عندهم ، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها ، كما وقع في غيره من المذاهب »[2] .

ورأى ابن خلدون هذا لايؤخذ على اطلاقة وخاصة فيما يتعلق بصفة البداوة ، حيث أن الزمن الذي يتحدث عنه ابن خلدون هو زمن تطورت فيه البلاد الإسلامية ، وعمها الخير الجزيل ، وظهرت مظاهر كثيرة للرقي والحضارة .

---

(١) مقدمة طبقات علماء افريقية للخشني (ص ١٣) ، ابو العزم داود ـ الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال افريقية (ص ٦٣) .

(٢) ابن خلدون ـ المقدمة (ص ٤٤٩) .

أما أحد الباحثين المحدثين فيشير الى أن المذهب المالكي في القيروان ، كانت بدايته على يد أسد بن الفرات معتمداً على موطأ الإمام مالك كما رواه عنه . وهو أول من وضع اسس المدرسة المالكية بكتابة (الأسدية) الذي لم يزل عمدة الدارسين لمذهب مالك في المغرب الى أن ألف الإمام سحنون كتاب المدونة وفرضه على فقهاء أفريقية[١] .

ومع وجود المذهبين الحنفي والمالكي بافريقية إلا أنه لم يكن هناك تنافر شديد بين اتباع المذهبين ، فقد قال المقدسي وهو يتحدث عن القيروان : « لاترى أكثر من مدنها ولاأرفق من أهلها ليس غير حنفي ومالكي ، مع ألفة عجيبة ، لاشغب بينهم ، ولاعصبية ، لاجرم أنهم على نور من ربهم قد أقبلوا على مايعينهم وارتفع الغل من قلوبهم »[٢] .

ويقول أيضاً : « ومارأيت فريقين ـ يقصد اتباع ابي حنيفة ومالك ـ أحسن اتفاقاً وأقل تعصباً منهم ، وسمعتهم يحكون على قدمائهم في ذلك حكايات عجيبة ، حتى أنهم قالوا انه كان الحاكم سنة حنفي ، وسنة مالكي »[٣] .

أما بالنسبة للمذهب الشافعي في افريقية فإذا كان له وجود فهو خافت إذ لم تشر المصادر الى معلومات تدل على انتشاره . وعن ذلك يقول المقدسي : « وبسائر المغرب الى مصر لايعرفون مذهب الشافعي رحمه الله ، انما هو ابو حنيفة ومالك رحمهما الله . وكنت يوماً أذكر أحدهم في مسألة ، فذكرت قول الشافعي رحمه الله : فقال أسكت من هو الشافعي ؟ انما كانا بحرين ،

(١) الجنحاني ـ القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية (ص ١٥٥) .

(٢) المقدسي ـ أحسن التقاسيم (ص ٢٥٥) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧) .

أبو حنيفة لأهل المشرق ومالك لأهل المغرب ، أفنتركهما ونشتغل بالساقية . ورأيت أصحاب مالك رحمه الله يبغضون الشافعي قالوا : أخذ العلم عن مالك ثم خالفه »[١] .

ومع ذلك فقد وردت : أسماء لبعض علماء الشافعية في افريقية فمنهم أبو عبدالله محمد بن علي البجلي ، والذي عرض عليه أبو العباس بن ابراهيم ابن الأغلب (٢٢٦ ـ ٢٤٢هـ/٨٤١ ـ ٨٥٦م) القضاء فأبى أن يقبله[٢] .

ومنهم أبو ابراهيم اسحاق بن نعمان ، وهو من أهل النظر والحديث[٣] . وكذلك عبد الملك بن محمد الضبي الشافعي الذي كان يناضر في الفقه والجدل[٤] .

أما ابن فرحون فيذكر أن مذهب الامام الشافعي قد دخل شيء منه الى افريقية والأندلس بعد سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م[٥] .

وبعد سقوط دولة الأغالبة على يد عبيد الله الشيعي في سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م ودخوله الى مدينة رقادة في سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م ، نجد أنه اسند المناصب الهامة الى رجال يثق فيهم ، وأظهر التشيع ، وسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عدا علي بن ابى طالب رضي الله عنه ، والمقداد بن الأسود ، وعمار ابن ياسر ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر الغفاري[٦] . كما منع

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ٢٣٧) .

(٢) الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص ٢١٣) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٢١٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٢١٨) .

(٥) ابن فرحون ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (٦٢/١) .

(٦) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٥٩/١) .

قاضيه المروزي الفقهاء أن يفتي أحدهم إلا بمذهب جعفر بن محمد[1] . المعروف بجعفر الصادق[2] .

وبعد أن توطدت دعائم الدولة الفاطمية بالمغرب ، نجد أن الخطر الأكبر عليها كان يتمثل في قوة المذهب المالكي . فاستخدم الفاطميون اللين تارة ، والقوة تارة أخرى مع فقهاء المالكية واتباعهم . ولما لم تنجح تلك المحاولات ، لجأوا الى انتداب فقهائهم للمجادلة والمناظرة ، فتصدى لهم أبو عثمان سعيد ابن محمد الحداد[3] ، بالمناظرة ، حيث كان يذب عن أهل السنة ، وكان يقول : حسبي من له غضبت وعن دينه ذببت[4] . كما قال : « قتيل الخوارج خير قتيل »[5] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (١/١٥٩) .

(٢) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب . أحد الائمة الاثنى عشر على مذهب الامامية ، كان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته . توفي سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م ، بالمدينة ، ودفن بالبقيع .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١/٣٢٧) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٥) .

(٣) أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح بن الحداد ، المغربي ، أحد المجتهدين ، الأعلام ، كان اماماً متفنناً ، تولى الرد على ابي عبد الله الشيعي . في مناظرات مشهورة ؛ من مؤلفاته : « توضيح المشكل في القرآن » ، و « المقالات في الأصول » ، وكتاب « الرد على الملحدين » .
وأورد له الزبيدي ـ طبقات النحويين واللغويين (ص ٢٣٩) ، القفطي ـ أنباه الرواه (٢/٥٣ ـ ٥٤) . الصفدي ـ الوافي بالوفيات (١٥/١٧٩) .

(٤) الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص ١٩٩) ، ويذكر الخشني طرفا كبيرا من تلك المناظرات من (ص ١٩٩ ـ ٢١٢) .

(٥) الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٢٩٨) .

ويذكر الزبيدي عن تلك المناظرات التي جرت بين ابن الحداد وفقهاء الشيعة ، انها جمعت في كتاب اسمه « المجالس » حيث املاها ابن الحداد على أصحابه . فقال : « وكان لسعيد بن محمد بالقيروان في أول دخول الشيعة مقامات محمودة ، ناضل فيها عن الدين وذب عن السنن ، حتى مثله اهل القيروان في حاله تلك بأحمد بن حنبل أيام المحنة »[1] .

واستمر العداء بين الفقهاء المالكية والفاطمية الى أن أعلن المعز بن باديس حمل الناس على الالتزام بمذهب الامام مالك ، وحسم مادة الخلاف في المذهب[2] . كما سبق وأن أشرت الى ذلك .

والصراع بين السنة والرافضة مستمر سواء في المشرق الإسلامي أو في غربه ، إلا أن ابن تغري بردي يذكر أنه في سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م حصل صلح بين أهل السنة والرافضة ، وأعتبر ذلك من العجائب ، ثم يذكر أنه في سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م عادت الفتنة بين أهل السنة والرافضة في المشرق الاسلامي[3] .

وهذا بالنسبة للصراع في الشرق ، وقد انتقل الى المغرب ، فلم تخل سنة من السنوات السابقة لهذا التاريخ من صراع بين السنة والشيعة .

أما فيما يتعلق بالمذاهب التي سادت في صقليه بعد الفتح الإسلامي ، فإنه لابد لمعرفة ذلك من الإشارة الى الفقهاء الذين دخلوا صقليه ، وميولهم المذهبية ، حتى نصل الى ماكان عليه الحال بالنسبة للمذاهب ، مع الأخذ بعين الاعتبار ان دراسة أولئك الفقهاء العلمية تكون منصبة في الغالب على المذهب الذي يتبعونه .

---

(١) الزبيدي ـ طبقات النحويين واللغويين (ص ٢٤٠) .

(٢) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٥/٢٣٤) .

(٣) ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة (٥/٤٩ ـ ٥٠) .

ومن أوائل الفقهاء الذين دخلوا صقليه القائد الفاتح أسد بن الفرات ، والذي يعد من أعلام المذهب المالكي ، فقد قدم الى القيروان في صغره سنة ١٤٤هـ/٧٦١م ، ثم ارتحل الى تونس وبها التقى بالفقيه علي بن زياد التونسي ، وسمع منه موطأ الأمام مالك[١] ، كما أنه رحل الى المشرق والتقى بالإمام مالك بن أنس امام دار الهجرة ، وتعلم على يديه ، وسمع منه كتابه المشهور بالموطأ[٢] . ولم يقتصر اسد بن الفرات على معرفة المذهب المالكي ، بل تفقه في العراق علي أصحاب الإمام ابي حنيفة كأبي يوسف القاضي[٣] ، وأسد بن عمرو[٤] ومحمد بن الحسن[٥] ، [٦] .

---

(١) المالكي ـ رياض النفوس (١/٢٥٥) ، عياض ـ ترتيب المدارك (٢/٤٦٥) .

(٢) المصدران السابقان (١/٢٥٥) ، (٢/٤٦٥) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٤) .

(٣) قاضي القضاه ، الإمام المجتهد ، أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي ولد سنة ١١٣هـ/٧٣١م . لزم أبا حنيفة وتفقه عليه . ووضع كتاب الخراج للخليفة هارون الرشيد . توفي ببغداد ١٨٢هـ/٧٩٨م .
البسوي ـ المعرفة والتاريخ (١/١٧٣) ، الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد (١٤/٢٤٢) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٨/٥٣٥) .

(٤) أسد بن عمرو بن عامر البجلي . قاضي واسط . صحب أبا حنيفة ، وتفقه عليه . كان من أهل الكوفة ، فقدم بغداد سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م .
ابن حجر ـ لسان الميزان (١/٣٨٣) .

(٥) أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني الكوفي . صاحب ابي حنيفة . وولي القضاء للرشيد بعد أبي يوسف . توفي بالري سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م .
عياض ـ ترتيب المدارك (٢/٤٦٥) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٤ ـ ٥) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٤/١٨٤) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٩/١٣٤) .

(٦) المالكي ـ رياض النفوس (١/٢٥٥) ، عياض ـ ترتيب المدارك (٢/٤٦٥) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٤) .

كما ألف اسد بن الفرات كتبه « الأسدية »[1] . بعد ان التقى في مصر بعبد الرحمن بن القاسم[2] ، يسأله في كل يوم مسألة ، ويجيبه ابن القاسم حتى دون ستين كتاباً عرفت « بالأسدية » حيث قدم بها الى القيروان ، وسمعها منه الناس الى جانب « الموطأ »[3] .

إذاً فاتح صقليه كان عالماً بالمذهبين المالكي ، والحنفي ، إلا أن المذهب المالكي هو الغالب عليه ، وذلك لاعتبارات منها . أنه تلقى عن امام المذهب مباشرة . كذلك كتب كتبه « الأسدية » في المذهب المالكي ، التي هي عبارة عن أجوبة تلقاها من أحد أهم أعلام المذهب المالكي وصاحب المدونة في الفقه عبد الرحمن بن القاسم .

وعندما إتجه القائد الفاتح اسد بن الفرات الى صقليه ، صحب معه عند خروجه عدداً كبيراً من العلماء والعباد ، والمشاهير ، وأعيان الناس ، وخطب فيهم خطبة مشهورة ، ركز فيها على أهمية طلب العلم وتدوينه والصبر عليه ، والمثابرة . فقال : « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، والله يامعشر الناس ماولي لي أب ولا أحد قط ولايه ، ولا أرى أحد من سلفي مثل هذا قط . ومارأيت ماترون إلا بالأقلام فأجهدوا أنفسكم في طلب العلم ، وتدوينه ، وثابروا عليه ، واصبروا على شدته فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة »[4] .

---

(١) منها نسخة مخطوطة بالأسكوريال تحت رقم (١٦٠٧) . انظر : محمد زينهم ـ فقيه افريقيه سحنون ودوره في التطور الفكري في المجتمع الأغلبي ـ دكتوراه ـ جامعة القاهرة ١٩٨٦ (ص ١٥٠) .

(٢) ابو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن جناده . صاحب الامام مالك لمدة عشرين سنة وهو صاحب « المدونة » في المذهب المالكي ، وعنه أخذها سحنون ، توفي سنة ١٩١هـ/٨٠٦م . ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢٩/٣) ، الذهبي سير اعلام النبلاء (١٢٠/٩) .

(٣) المالكي ـ رياض النفوس (٢٥٥/١) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٥/٢) .

(٤) المصدران السابقان (٢٧٢/١) ، (٢٣/٢) .

ودخول المذاهب الفقهية الى صقليه بدأت بدخول الفقيه القائد أسد بن الفرات ، فقد تعاطف الصقليون مع المذهب المالكي ، وزاد ذلك التعاطف والتأثير بدخول عدد كبير من اتباع سحنون الى صقليه ، حاملين معهم لواء المذهب المالكي . ومن هؤلاء عبد الله بن حمدون ، أو « حمدوية » الكلبي ، وهو ممن سمع من سحنون ، ودخل صقليه ، فكان من أوائل فقهائها ، وظل بها إلى أن توفي سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م(١) .

ومنهم محمد بن نصر بن حضرم ، الذي وصف بأنه من فقهاء القيروان ، وأنه كثير الاجتهاد ، وذو جدل وحجة . وكان سحنون يجله ، ويصله . وبقى في صقليه الى أن توفي(٢) .

ومن فقهاء المالكية الذين دخلوا صقليه أيضاً عبد الله بن سهل القبرياني المتوفي سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م ، فقد كان عالماً بالمذهب المالكي ، حيث سمع من سحنون ، ومن غيره من أهل القيروان ، كما أنه سمع من أسد بن الفرات ، وتولى قضاء صقليه بعد أن تولى قضاء طليطلة(٣) .

كما تولى ابو الربيع سليمان بن سالم القطان ، والذي يعرف بابن الكحاله المتوفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م قضاء صقليه ، وهو من أصحاب سحنون ، وكان ابن الكحاله ممن وفد على المدينة وحدث عن محمد بن مالك بن أنس ، وكان ابن الكحاله كثير الكتب والتأليف ، وله تأليف في الفقه يعرف باسم « السليمانية » نسبة اليه ، وكانت توليته على قضاء صقليه في سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م ، وظل قاضياً عليها الى أن توفي ، وكان قبل ذلك قاضياً على باجه ، ومتولياً لمظالم القيروان(٤) .

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٩٥) .

(٢) الخشني ـ طبقات علماء افريقيه (ص ١٩٨) ، عياض ـ ترتيب المدارك (١٢٨/٣) .

(٣) المصدران السابقان (ص ١٣٤) ، (٩٤/٣) .

(٤) الخشني ـ المصدر السابق نفسه (ص ١٤٧ ـ ١٤٨) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٣٧٤/١) ، عياض ـ تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك عياض (ص ٢٦٠) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢٠٦/٢ ـ ٢٠٧) .

وعن الدور الذي قام به ابن الكحاله في صقليه قال الشيرازي : « وعنه انتشر مذهب مالك بها »[1] كما نشر بصقليه علماً كثيراً واصبح كتابه «السليمانية» مجالاً للإستشهاد به عند فقهاء صقليه كما ستتضح صورة ذلك لاحقاً ، وخاصة عند فقيه صقليه عبد الحق الصقلي[2] .

وممن تولي قضاء صقليه من الفقهاء المالكية دعامه بن محمد الفقيه المتوفي سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م ، وهو من أصحاب سحنون ، وممن أخذ عنه[3] .

كذلك تولي الفقيه المالكي محمد بن محمد بن خالد القيسي قضاء صقليه ، حين عينه الأمير الأغلبي زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب (٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ/٩٠٣ ـ ٩٠٨م) قاضياً عليها ، واستمر كذلك لمدة عشرين سنة[4] . وهو ممن سمع من محمد بن سحنون ، كما سبق وأن تولى مظالم القيروان[5] .

وهذا أبو عمرو ميمون بن عمرو بن المغلوب الإفريقي المتوفي سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م ، وقيل سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م يتولى قضاء صقليه ، وهو من تلاميذ سحنون وأخر من روى عنه بالمغرب وعن ابى مصعب الزهري[6] والذي وصف بأنه كان رجلاً ، صالحاً ، زاهداً ، وبلغ به زهده أنه عندما خرج لقضاء صقليه ، حمل معه كتبه ، وخادمته ، ولم ينزل في دار القضاء[7] .

---

(١) الشيرازي ـ طبقات الفقهاء (ص ١٥٨) .

(٢) عبد الحق الصقلي ـ تهذيب الطالب وفائدة الراغب ـ مخطوط (ورقة ٣٨) .

(٣) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٦١/١) .

(٤) عياض ـ تراجم اغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض (ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (١٠/٣) .

(٥) المصدران السابقان (ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨) ، (١٠/٣) .

(٦) ابو مصعب احمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زراره بن مصعب القرشي الزهري المدني ؛ شيخ دار الهجرة ، وقاضي المدينة . لازم الامام مالكاً . وتفقه به وأخذ عنه الموطأ ، ولد سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م . وتوفي سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م .
الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٤٣٦/١١) .

(٧) المالكي ـ رياض النفوس (١٧٩/٢) ، الدباغ ـ معالم الايمان (٣٥٦/٢ ـ ٣٥٧) ، الذهبي ـ العبر (١٠/٢) ، سير أعلام النبلاء (٣٥٥/١٤) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٣٢٨/٢) .

واستقر أحد فقهاء المالكية بصقليه وهو أبو سعيد لقمان بن يوسف الغساني المتوفي سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م وقيل ٣١٩هـ/٩٣١م ، وفي صقليه قام بتدريس المدونة في الفقه المالكي لمدة أربع عشرة سنة ، حيث كان يأخذها في اللوح حتى خرج له خراج في جنبه من رأس اللوح ، ومنه كان سبب علته وموته ، وقد وصف بأنه كان حافظاً لمذهب مالك حسن القريحة فيه ، وأنه كان عالماً باثنى عشر صنفاً من العلوم[١] .

ومن فقهاء المذهب المالكي الذين تولوا القضاء بصقليه ، وكان لهم دور في نشر المذهب المالكي بها محمد بن ابراهيم بن ابي صبيح المتوفي بسوسة سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، وهو فقيه درس المذهب المالكي على أصحاب سحنون ، ووصف بأنه كان رجلاً فاضلاً زاهداً[٢] .

وكان لإستقرار أحد شيوخ المالكية وفقهائها بصقليه ، دوره البارز في نشر المذهب المالكي بها وتأليفه لكتبه فيها . وهي كتب أصبح لها مكانة في صقليه ، حيث شُرحت واختُصرت ، وهُذبت وأُلف على منوالها ، وعُلق عليها . وذلك هو أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي القيرواني المالكي ، المعروف بالبرادعي ، المتوفي بصقليه بعد سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م[٣] .

---

(١) الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص ١٧١) ، المالكي ـ رياض النفوس (٢/١٩٣) ، عياض ـ ترتيب المدارك (٣/٣١١) .

(٢) عياض المصدر السابق نفسه (٣/٣٥٧) .

(٣) عياض ـ المصدر السابق نفسه (٤/٧٠٨) ، الدباغ ـ معالم الايمان (٣/١٤٦) ، الذهبي ـ سير اعلام النبلاء (١٧/٥٢٣) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (١/٣٤٩) .

وتزداد مكانة البرادعي العلمية اذا علمنا أنه من كبار اصحاب من تسميه المصادر بـ « مالك الصغير » ابن ابي زيد[١] ، وكذلك من اصحاب ابي الحسن القابسي[٢] ، ويعتبر ابن ابي زيد وابو الحسن القابسي من حفاظ المذهب المالكي المؤلفين فيه[٣] .

أما عن استقرار البرادعي بصقليه ، فقد ذكرت المصادر أنه أخرج من القيروان لأنه كان يميل الى بني عبيد ـ وذكرت اسباباً أخرى ـ [٤] . وأنه وجد بخطه يمتدح بني عبيد متمثلاً البيت التالي :

اولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا وإن وعدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

---

(١) ابو محمد عبد الله بن ابي زيد عبد الرحمن النفزاوي ، القيرواني ، المالكي ، عالم أهل المغرب ، وصاحب كتاب « النوادر والزيادات » و كتاب « اختصار المدونة » وكتاب « الرسالة » وكتاب « الذب عن مذهب مالك » وغير ذلك . وكانت الرحلة في وقته اليه . وكثر الآخذون عنه . توفي سنة ٣٨٩هـ/٩٠٨م .

الدباغ ـ معالم الايمان (١٠٩/٣) ، الذهبي ـ سير اعلام النبلاء (١٠/١٧) ، ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة (٢٠٠/٤) .

(٢) ابو الحسن علي بن محمد بن خلف ، المعافري ، القروي ، القابسي ، المالكي . صاحب كتاب « الملخص » كان عارفاً بالعلل والرجال ، والفقه ، والأصول ، والكلام . كما كان ضريراً . توفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٢٠/٣) ، الذهبي ـ سير اعلام النبلاء (١٥٨/١٧) .

(٣) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٠٨/٤) ، الدباغ ـ معالم الايمان (١٤٦/٣) .

(٤) ذكرت المصادر اسباباً عدة لاخراج البرادعي من القيروان ؛ فمنها من يذكر أنه لم تحل له رئاسة بالقيروان لبغض اصحابه له وذلك لصحبة سلاطينها ، ويرى البعض أن فقهاء القيروان أفتوا برفض كتبه لتهمة كانت لديهم ، على ان بعضهم سهّل في « اختصار المدونة » وذلك لشهرة مسائله ويرى أخرون ان دعاء الشيخ ابي محمد بن ابي زيد عليه ، قد لحقه ، اذ كان البرادعي في ايام قراءته عليه يعترض عليه ، فعز ذلك على الشيخ ودعا عليه .

عياض ـ المدارك (٧٠٨/٤ ـ ٧٠٩) ، الدباغ ـ معالم الايمان (١٤٨/٣) ، الذهبي ـ سير اعلام النبلاء (٥٢٣/١٧) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٣٥٠/١) .

كمـا أنه ألف كتـاباً في نسب بني عـبـيد ، وبذلك وصلت اليـه هـدايا تكريماً له(١) .

وفي صـقليـه اشتـهـر البـرادعي ، وحـصلت له صـحـبـة عند امـرائه واشتهرت كتبه بها(٢) .

ونشير هنا الى أن صقليه في هذه الفترة كانت فاطمية التبعية ، ويتـ من ذلك أن الولاة الفاطميين في صـقليه ، كانوا يؤون الفقهاء الذين يميلون بني عـبيد ، أو الذين لايقفـون منهم موقف المتشـددين ، وحسن استقبـ للبـرادعي دليل واضح على ترحيب البـلاط الصـقلي بمن كـان يسـالم المذ والسياسة الفاطمية(٣) .

وفي صقليه الف البرادعـي كتبـه برعـايـة امرائهـا ، ومن كـتـبه تلك كـ « الشـرح والتمامـات » وكتـاب « اختـصـار الواضـحة »(٤) لمؤلفـه عـبد الملـ حبيب السلمي(٥) . وكتاب « تمهيد مسائل المدونة »(٦) .

---

(١) المصادر السابقة نفسها (٤/٧٠٨ ـ ٧٠٩) ، (٣/١٤٨) ، (١٧/٥٢٣) .

(٢) المصادر السابقة نفسها (٤/٧٠٨ ـ ٧٠٩) ، (٣/١٤٨) ، (١٧/٥٢٣) ، (١/٣٥٠) .

(٣) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٩٧) .

(٤) عيـاض ـ المدارك (٤/٧٠٩) ، الدبـاغ ـ مـعـالم الايمان (٣/١٤٨) ، ابن فـرحـون ـ الـ المذهب (١/٣٥٠) .

(٥) ابو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي ، سكن قرطبه . وكان حافظاً ، للفقه مذهـب مالك من مؤلفاته كتاب « الجـوامع » وكتاب « فضل الصحابة » و« غريب الحد « تفسير الموطأ » توفي سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م . ابن الفرضي ـ تاريخ علمـاء أهل الأندلس ٢٦٩) ، الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص ٢٨٢) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص ٣٧٧) .

(٦) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧٠٩) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (١/٣٤٩ ـ ٣٥٠) .

ومن فقهاء المالكية الذين وفدوا على صقليه ، والفوا فيها بعض كتبهم يحى بن عمر بن يوسف الأندلسي[١] . المتوفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م ، وقد الف كتاباً في المذهب المالكي بصقليه ، وأن كتابه هذا كان منتشراً في صقليه ، كانتشاره في افريقية[٢] .

وبعد هذا الاستعراض لبعض الفقهاء الذين وفدوا على صقليه سواء على ايام الأغالبة أو الفاطمين نستطيع أن نتتبع التطور المذهبي لجزيرة صقليه . فنقول : ان صقليه دخلت في مذهب اهل السنة والجماعة ممثلاً في المذهب المالكي ، وذلك لعدة اسباب منها أن غالب الفقهاء الذين دخلوا صقليه مع الجيش الفاتح وبعده وطيله فترة الأغالبة ، بل وحتى زمن الفاطميين ، كانوا ممن ينتمون الى المذهب المالكي ، وقد وضحت لنا صورة ذلك من خلال ماذكرناه سابقاً من خروج الفقهاء والقضاه الى صقليه . وانتشار مؤلفاتهم بها . وفي ذلك يقول القاضي عياض : « ان مذهب مالك قد غلب على الحجاز ، والبصرة ومصر وماوالاها من بلاد افريقية والأندلس وصقليه ، والمغرب الأقصى الى بلاد السودان الى وقتنا هذا »[٣] . وإذا علمنا ان القاضي عياض قد توفي في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م . إذا علمنا ذلك فإنه يعني أن المذهب الذي كانت له السيادة في جزيرة صقليه انما هو المذهب المالكي ، وأن ذلك استمر فترة الوجود الإسلامي بها في عصر الأغالبة ، والفاطميين ، بل وحتى بين من بقى من المسلمين في صقليه في العصر النورمندي .

---

(١) هو صاحب كتاب أحكام السوق ، ومن المهتمين بالمذهب المالكي ـ سكن القيروان . واستوطن سوسه ومات بها . انتهت اليه الرحلة في وقته . درس على سحنون المدونة ، وسمع من ابى المصعب الزهري .

ابن الفرضي ـ تاريخ علماء الأندلس (٢/١٨٤) ، الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص ٣٧٧) ، ابن حجر ـ لسان الميزان (٦/٣٣١) .

(٢) عزيز احمد ـ تاريخ صقليه الاسلامية (ص ٥١) .

(٣) عياض ـ ترتيب المدارك (١/٧٩) .

على أن ماذكره القاضي عياض ، لايؤخذ على اطلاقه ، فسوف يتبين لنا ومن خلال النصوص التاريخية ، والأحداث السياسية المتتالية في جزيرة صقليه ، أن نشاط المذهب المالكي أنحسر في فترة من الزمن ، ولكنه لم يختف ، وخاصة في عصر سيادة الفاطميين على صقلية .

ويذكر لنا المقدسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري « أن أغلب أهل صقليه حنفيون »[1] . وهذا التاريخ الذي عاش فيه المقدسي ، كان فترة السيطرة الفاطمية على صقليه ، التي بدأت بنهاية القرن الثالث الهجري .

وقبل أن نحاول التوفيق بين قولي القاضي عياض والمقدسي فإننا نشير الى أن أفريقية قامت بالدور الرئيسي في التأثير المذهبي على صقليه . وقد اتضح من خلال ماذكرناه سابقاً أن الأغالبة كانوا يميلون الى مذهب الأحناف ، ثم أخذ جماعة ممن درسوا مذهب الامام مالك يحاولون نشره ، ولكن هذا المذهب ، لم يستطع أن يبسط نفوذه على افريقية إلا أيام أسد بن الفرات ، وسحنون ، اللذين استمدا ثقافتهما الفقهية من المشرق[2] ، على الرغم من محاولة حكام الدولة الأغلبية وقف نشاطه ، وزيادة ظهور المذهب الحنفي .

ووجود المذهب الحنفي في صقليه ـ كما أشار المقدسي ـ يعكس انحسار المذهب المالكي في عهد الفاطميين ، وبروز فئة قليلة من فقهاء وأتباع المذهب الحنفي ، وذلك لأن الفاطميين كانوا متسامحين مع الأحناف ، ومتشددين مع المالكية . كما يقول احسان عباس : « ان مذهب الامام مالك أخذ في الانتشار في صقليه قبل انتهاء القرن الثالث الهجري ، واذا عرفنا ان المقدسي قد كتب كتابه بعد قيام الدعوة الفاطمية ، قدرنا ان يكون المذهب المالكي ، قد انهزم امام هذه الدعوة ، كما انهزم في افريقية ، ولكن لم يقبل الناس على مذهب ابى

---

(١) المقدسي ـ احسن التقاسيم (ص ٢٣٨) ، شكيب أرسلان ـ الحلل السندسية (٢٧٣/١) .

(٢) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٩٥) .

حنيفة ، ولا يأخذون بالمذهب الفاطمي . وربما كان في صقليه اقليه من اتباع ابي حنيفة ، فلما هزم المذهب المالكي ، ظهروا على غيرهم . وربما لجأ المالكيون الى مذهب ابي حنيفة فراراً من ترك السنة ، لأن بني عبيد كانوا متسامحين مع الأحناف ، متشددين مع المالكية[1] .

ولعل النص السابق يفسر لنا الخلاف بين قولي القاضي عياض ، والمقدسي .

ولكن الواضح من الأحداث التاريخية ، ومن خلال تراجم اعلام صقليه ، أنهم كانوا يعتمدون مذهب الامام مالك ، ويؤيد ذلك أن أسد بن الفرات ، فاتح صقليه ، كانت اجابته على سؤال من سأل أي مذهب يعتمد ؟ فقال : « ان اردت الله والدار الآخرة فعليك بقول مالك »[2] .

أما فيما يتعلق بالمذهب الشافعي في صقليه ، فلم يكن معروفاً ، كما هو الحال في افريقية ، بل أنهم لايعتبرون الشافعية مذهباً ، لأنهم يقولون ان الامام الشافعي انما هو من تلاميذ الإمام مالك أخذ العلم عنه ثم خالفه[3] .

ومن الملاحظ أن أكثر معتنقي المذاهب السنية في صقليه هم العرب والفرس ، أما البربر فانهم أقل تمسكاً بهذه المذاهب ، وكانوا اول المتخلفين عنها عند قيام الدولة الفاطمية ، التي عملت جاهدة على نشر المذهب الشيعي[4] .

---

(١) المرجع السابق نفسه (ص ٩٦) ، الفردبل ـ الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي (ص ٢٠١)

(٢) عياض ـ ترتيب المدارك (٢/٤٧٨) .

(٣) المقدسي ـ احسن التقاسيم (ص ٢٣٦) .

(٤) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي بصقليه (ص ٥٣) ، تركي العتيبي ـ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقليه (ص ٦٢) .

ثم ان مقاومة الفقهاء وأتباعهم من معتنقي المذاهب السنية ، للمذهب الشيعي بعد سيطرة الفاطميين على صقليه ، لم تتوقف ، حتى انتهى الأمر بصقليه الى نبذ التشيع من جزيرة صقليه ، وقد أكد لنا ابن جبير ذلك عندما زار صقليه في فترة الحكم النورمندي قائلاً : « ويصلون الأعياد بخطبة دعاؤهم فيها للخليفة العباسي »[1] .

وبعد سيطرة الفاطميين على صقليه ، نجد انهم قد انتهجوا لأنفسهم سياسة تجعل ولاتهم على صقليه من انصار مذهبهم الاسماعيلي[2] . فهذا عبيدالله المهدي ، قد وضع لنفسه سياسة الاعتماد على الكتاميين ، وهم من انصار للمذهب الاسماعيلي[3] . وقد سبق لنا الحديث عن ارساله للحسن ابن ابي خنزير والياً على صقليه (٢٩٧ ـ ٢٩٩هـ/٩٠٩ ـ ٩١١م) وهو أحد أفراد قبيلة كتامة البربرية . ولكن أهل صقليه ، لم يقبلوا بسهولة التغيير المذهبي ، لذلك كثيراً مانجدهم يثورون ضد ولاتهم من قبل الفاطميين ، كما أن أهل صقليه عز عليهم ان تقطع الخطبة للخليفة العباسي في المشرق الإسلامي ، ويدعي فيها للخليفة الفاطمي وعندما تولى علي بن عمر البلوي امارة صقليه (٢٩٩ ـ ٣٠٠هـ/٩١١ ـ ٩١٢م) لم يرض به أهل صقليه وثاروا ضده ، وعينوا

---

(١) ابن جبير ـ الرحلة (ص ٣٠٥) .

(٢) الاسماعيلة : هم الذين قالوا بأن الامام بعد جعفر الصادق ولده اسماعيل وليس موسى « نصا عليه باتفاق بين أولاده ، إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة ابيه ؛ فمنهم من قال : لم يمت ، إلا أنه أظهر موته تقيه من خلفاء بني العباس وعقد محضرا ، وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ؛ ومنهم من قال الموت صحيح ... والامام بعد اسماعيل محمد بن اسماعيل .. والاسماعيله المشهورة في الفرق هم الباطنية التعليمية ، الذين لهم مقاله مفردة » .
الشهرستاني ـ الملل والنحل على هامش الفصل في الملل والنحل لابن جزم (٥/٢) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص ١٣٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ـ مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي (ص ٤٥) .

(٣) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الدولة الفاطمية (ص ٩٨) .

على أنفسهم احمد بن قرهب ، والذي اعلن الخروج عن طاعة المهدي واعلن طاعة الخليفة العباسي المقتدر ، وخطب له بصقليه[1] .

ومن الأمور التي عمد اليها الفاطميون لمحاولة اخفاء المذهب السني في صقليه ، تعيين قضاة يدينون بالمذهب الاسماعيلي ، من ذلك نجد أن عبيد الله المهدي يقوم بعزل القضاة المالكية بصقليه ، ويعين احد الزعماء الكتاميين ، قاضياً على صقلية وهو اسحاق بن ابي المنهال[2] .

كما أُرسل احمد بن محمد بن عبد الله بن ابي العوام من القاهرة الفاطمية قاضياً على صقليه وذلك في سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م حيث منح سجلاً بذلك من قبل الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦ ـ ٤١١هـ/٩٩٦ ـ ١٠٢٠م)[3] .

ومما يدلل على استمرار محاولة الفاطميين لنشر المذهب الشيعي في صقليه ، انه بعد تولي احمد بن الحسن بن علي الكلبي امارة صقليه (٣٤١ ـ ٣٥٩هـ/٩٥٢ ـ ٩٦٩م) بعد أبيه ، أخذ معه مجموعة من وجوه الجزيرة ، وذهب بهم الى المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ ـ ٣٦٥هـ/٩٥٢ ـ ٩٧٥م) فبايعوا المعز ، وخلع عليهم الخلع ، ثم عادوا الى صقليه[4] . بعد أن دخلوا في المذهب الاسماعيلي[5] .

ويحاول الفاطميون استغلال بعض المظاهر الاجتماعية للتقريب بين أهل السنة والشيعة في صقلية واستمالة اهلها لمناصرة الفاطميين وولاتهم ، من ذلك أن المعز لدين الله الفاطمي ، قد كتب كتاباً الى واليه على صقليه احمد بن الحسن بن علي الكلبي ، يأمره فيه أن يقوم بإحصاء اطفال جزيرة صقليه وان

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٧١/٨) ، ابن خلدون ـ العبر (٣٦٦/٣) .

(٢) ابو العرب ـ طبقات علماء افريقية (ص ٢٢٥) ، ابن خلدون ـ العبر (٤٥٥/٣) ، عبد الشافي غنيم ـ الحياة الاجتماعية والثقافية في صقليه في العصر النورمندي (ص ١٣٦) .

(٣) الكندي ـ كتاب الولاة والقضاة (ص ١٦٠ ـ ١٦١) ، المقريزي ـ اتعاظ الحنفا (١٠٨/٢) .

(٤) ابو الفدا ـ المختصر في اخبار البشر (٩٦/٢) .

(٥) مجهول ـ تاريخ صقليه في المكتبة الصقليه (ص ١٧٥) .

يختتنهم ويكسوهم في اليوم الذي يطهر فيه المعز ولده ؛ ونفذ أمير صقليه ذلك فختن خمسة عشر الف طفل ، وتم توزيع مائة الف درهم ، وخمسين حملاً من الصلات عليهم[1] .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان قد خطب للخليفة الفاطمي على منابر صقليه ، وبذلك اصبح الوالي الصقلي ممثلاً للخليفة الفاطمي[2] .

ونشير ايضاً الى أن المذهب الاسماعيلي هو الذي كان شائعاً بين الفرق الدينية الأخرى في عهد الفاطميين باستثناء المذاهب السنية ، كما كان الفاطميون يحاربون المذاهب والفرق الأخرى . كالمعتزلة[3] والمرجئة[4] ، يقول ابن حوقل : إن أهل صقليه يكرهون المرجئة ، ويكفرون المعتزلة « وذلك لأن أهل العراق يدعون مرجئة ، وانما سموا بذلك لتركهم القطع على أهل الكبائر بالخلود »[5] .

وقد كان الفاطميون يستميلون اليهم من الفقهاء من هو في صفهم كما هو الحال بالنسبة للبرادعي ـ الذي سبق وأن أشرنا اليه ـ حيث دخل صقليه بعد أن امتدح ولاتها ، والخلفاء الفاطميين متمثلاً البيت التالي :

أولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا　　وان وعدوا أوفوا وان عقدوا شدّوا

---

(١) ابو الفدا ـ المختصر (٩٦/٢) .

(٢) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٥١) .

(٣) المعتزلة : فرقة نشأت بسبب الخلاف الذي حدث بين الحسن البصري المتوفي سنة ١١٠هـ/٨٢٧م ، وبين واصل بن عطاء المتوفي سنة ١٣١هـ/٧٤٨م ، في القدر ، وفي المنزلة بين المنزلتين ، فطردهم الحسن عن مجلسه ، فاعتزل واصل الى ساريه من سواري مسجد البصرة ، فقيل له ولأتباعه « معتزلة » .
البغدادي ـ الفرق بين الفرق (ص ٢٠ ـ ٢١) ، ابن حزم ـ الفصل في الملل والنحل (١٩٢/٤) ، الشهرستاني ـ الملل والنحل (٥٣/١) .

(٤) المرجئة هم القائلون بانه : « لاتضر مع الايمان معصية ، كما لاينفع مع الكفر طاعة » . وهم صنف تكلم في الايمان والعمل ، ووافقوا الخوارج في بعض المسائل التي تتعلق بالامامة .
الشهرستاني ـ الملل والنحل (١٥٤/١ ـ ١٨٦) .

(٥) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١٢٢) .

كما انه الف كتابا في نسب بني عبيد مما جعلهم يهتمون به ويكرمونه فما كان منه الا ان الف كتبه في صقليه تحت رعاية امرائها من قبل الدولة الفاطمية .

وأخيراً فإن الأوضاع الدينية في جزيرة صقليه كانت تتأثر بالاحداث السياسية التي مرت بها الجزيرة ، ففي فترة الاغالبة سيطر المالكيون بمذهبهم على صقليه ، على الرغم من موالاة الامراء الاغالبة للأحناف . ثم انحسر في ظل السيادة الفاطمية على صقليه ، ولكنه لم يختف بدليل اننا رأينا ان هناك قضاة مالكيون تولوا قضاء صقليه في العهد الفاطمي .

واذا كان قد برز المذهب الاسماعيلي في فترة من الزمن في صقليه فإنه سرعان ما اختفى بفعل مقاومة الفقهاء والعلماء له بصقليه حتى عاد للمذهب المالكي سيطرته ، فما ان حل منتصف القرن الخامس الهجري حتى كان المذهب المالكي في المركز الاول ، وتزعمه شيوخ المذهب كالسمنطاري وابن يونس .

ولذلك كله نجد أن اغلب الدراسات الشرعية بصفة عامة ، والفقهية بصفة خاصة قد تركزت على دراسة المذهب المالكي ، والتأليف فيه ، وشرح مصادره ، والتعليق عليها ، واختصارها وخلاف ذلك ، مما سيظهر جليا فيما يتقدم من البحث .

أما فيما يتعلق بالديانات الأخرى في صقليه ، فنحن نعلم انه كان في صقليه طائفة من النصارى واليهود .

فبالنسبة للنصارى ، كان منهم في صقليه طائفة كبيرة يدينون بالمسيحية[١] . ولما فتح المسلمون صقليه تركوا لأهلها عاداتهم وقوانينهم وحريتهم الدينية المطلقة ، واكتفوا منهم بجباية قليلة اعفوا منها الرهبان والنساء والاولاد ، كما تركوا لهم كنائسهم القائمة الا أنهم لم يسمحوا لهم ببناء كنائس جديدة ، على خلاف ماكان عليه الحال في الأندلس[٢] . على أن بعض النصارى في صقليه قد دخل في الاسلام .

كما كان اليهود يزاولون عبادتهم بحرية تامة مثلهم في ذلك مثل النصارى ، ولكن لم يسمح لهم ببناء معابد جديدة[٣] .

---

(١) الاصطخري ــ مسالك الممالك (ص ٧٠) .

(٢) محمود كرد علي ــ الاسلام والحضارة العربية (٢٧٩/١) .

(٣) مارتينو ــ المسلمون في صقليه (ص ٢٩) ، تركي العتيبي ــ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقليه (ص ٥٩) .

الفصل الأول

آثار التطورات الاجتماعية والاقتصادية والمذهبية على الحياة العلمية في صقلية



وعن آثار التطورات السابقة الاقتصادية والاجتماعية والمذهبية على الحياة العلمية في صقليه الاسلامية مايمكن ادراجه على النحو التالي :

يقول ابن خلدون : « ان اختلاف الأجيال في أحوالهم انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش »[١] . فهذه الملاحظة الأساسية تعد تحليلاً دقيقاً تكشف أن اختلاف أحوال الناس السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية ، تؤثر على ثقافتهم ، وتفكيرهم وانتاجهم العلمي[٢] .

والعوامل السابقة الذكر تكوّن مجتمعة ، عاملاً كبيراً له أثره البارز على الحياة الفكرية والعلمية في جميع العصور والأقاليم[٣] .

وكذلك يذكر ابن خلدون : « أن العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضاره »[٤] . وذلك يعني أنه لابد لتطور الحياة العلمية في أي عصر وأي اقليم ، من استقرار سياسي ، واقتصادي ، وتوافق اجتماعي ، يتبعه تطور عمراني ، وحضاري ، وتكون النتيجة النهائية ذات تأثير مباشر على الحياة العلمية بصفة عامة .

على أننا لابد وأن نذكر أن التطورات السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والمذهبية لايعني استقرارها تقدم في الناحية العلمية على كل الأحوال . فقد تكون النتيجة عكسية . كما أن عدم استقرار الأوضاع السابقة ، قد تؤدي أحياناً الى نتيجة عكسية ، وخير مثال على ذلك ، نجد ان صقلية في عهد سيطرة الفاطميين عليها ، والذين يدينون بالمذهب الاسماعيلي الشيعي ، ـ نجد أنها ـ قد برزت علميا في مجال الدراسات الشرعية ـ وخاصة الفقهية ـ وظهرت لنا مؤلفات كثيرة لاتتوافق مع اتجاهات الفاطميين السياسية والدينية .

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة (ص ١٢٠) .

(٢) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، (ص ١٤٩) .

(٣) المرجع السابق نفسه (ص ١٤٩) .

(٤) ابن خلدون ـ المقدمة (ص ٤٣٤) .

ولعل أول أثر نعمت به صقليه ، هو أن القائد الذي تولى قيادة الجيش الإسلامي المتجه لفتحها ، كان من أشهر العلماء والفقهاء في عصره . بل انه وعند خروجه الى مدينة « سوسه »(١) مركز انطلاقة الجيش الاسلامي الفاتح ، خرج معه جمع كبير من أهل العلم ووجوه الناس . وخطب فيهم خطبة ، تدل على اهتمامه بالعلم ، وحث الناس عليه ، حيث قال : « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، معشر الناس : والله ماولي لي أب ولا جد ولاية قط ، ومارأى أحد من سلفي مثل هذا . ومارأيت ماترون إلا بالأقلام ، فأجهدوا انفسكم ، واتعبوا ابدانكم في طلب العلم وتدوينه ، وثابروا عليه ، واصبروا على شدته ، فانكم تنالون به الدنيا والآخرة »(٢) .

وبدخول المسلمين الى صقليه ، بدأ دخول العلماء والفقهاء والقضاة اليها ؛ واستمدت صقليه من افريقية أولاً أناساً يعمرونها ، فذهب اليها هؤلاء بعقلياتهم وثقافاتهم ومذاهبهم(٣) . كما خرج اليها ايضا بعض العلماء من البلاد الإسلامية الأخرى كالأندلس مثلاً .

وصقليه لم تعش في عزلة بعد فتحها ، بل اتصلت بالبلدان الإسلامية ، ولكن الحركة كانت بطيئة ، وكانت أخطار البحر تحد من نشاطها . ومع ذلك فقد كانت الأسواق الصقليه مجالاً لتبادل السلع والأفكار ، وعاملاً أكيداً في تفاعل الآراء(٤) .

---

(١) بضم أوله ، بلدة بالمغرب يحيط بها البحر من ثلاثة جوانب . بينها وبين المهدية ثلاثة أيام . وكان معاوية بن حديج قد بعث اليها بعبد الله بن الزبير في جمع كثيف واشتهرت سوسه بأنه خرج منها محدثون وفقهاء وأدباء كثيرون .

ياقوت ـ معجم البلدان (٣/٨١ ـ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) .

(٢) المالكي ـ رياض النفوس (١/٢٧١ ـ ٢٧٢) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٢٣) .

(٣) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٩٥) .

(٤) المرجع السابق نفسه (ص ٨٥) .

إذا كان الفتح الإسلامي لجزيرة صقليه ، بداية انتعاش للحياة العلمية فيها ، ففي خطبة القائد الفاتح مايؤكد ذلك فهو لم يشر في خطبته الى الخراب والحرب والدمار ، وانما ركز على ضرورة العلم والاهتمام به .

وبدخول الفاتحين الى صقليه لم تعد صقليه تلك الولاية البيزنطية المريضة ، بل خرجت في طور تاريخي جديد ، تمثل في انتشار الإسلام بها ؛ ومبادئه تلك التي تحث على العلم والعمل . « كانت صقليه قد اصبحت في داخلها وخارجها بيزنطية وكانت مريضة بذلك الداء الوبيل الذي اصيبت به الامبراطورية البيزنطية المنحلة ، ولذلك فإننا إذا تأملنا حالتها السياسية لايؤسفنا ذلك الفتح الاسلامي الذه هزها هزاً ، وجددها تجديداً[1] .

كما كان لدخول الفاتحين المسلمين الى صقليه اثره الفعال في انتعاش صقليه في كافة الجوانب ، ومن أهمها الناحية العلمية ، قال أحد الباحثين المحدثين : « ولقد استمر الحكم البيزنطي في الجزيرة مدى ثلاثة قرون . وإذا سلمنا جدلاً بأن المسلمين كانوا يريدون الهدم والتخريب ، فإنه لم يكن امامهم مايستحق هذا الدمار . لأن حالة الجزيرة عند الفتح الاسلامي ، كانت أدعى إلى الرثاء والعطف من أن تخرب وتهدم . من أجل هذا فمن الخطأ الظن أن الإسلام قد محا من تلك البقعة ، التراث الروماني ، لأن آثار الرومان وآثار مدنيتهم في صقلية ، كانت قد اختفت تماماً من عهد بعيد ، كما اختفت اللغة اللاتينية منها اختفاءاً تاما ، وحلت محلها اللغة اليونانية التي كانت لغة آداب الأديرة . وليس ثمة نزاع في هذا الشأن « [2] . وأضاف قائلاً : » وهكذا وصل المسلمون الى صقلية لا كقراصنة ـ كما حلا لبعض المؤرخين الغربيين أن يقولوا ويكتبوا ـ بل جاؤوا اليها حاملين على اكتافهم أكثر من قرنين من تاريخهم المجيد ، بعد أن تم اتصالهم بالحضارتين الفارسية واليونانية »[3] .

---

(١) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص ٣٦ ـ ٣٧) .
(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٣٧) .
(٣) المرجع السابق نفسه (ص ٣٩) .

وعندما نحاول أن نشير الى بعض التأثيرات السياسية والإجتماعية والدينية على الناحية العلمية في صقلية ، لابد أن نذكر أن صقليه كانت تهتدي بالأنوار المنبعثة من القيروان ، وذلك لقربها من افريقية أولاً ، ولأن أهل افريقيه هم الذين فتحوها ثانياً . ومن ثم استمرت العلاقة بين المهاجرين والفاتحين وبين اخوانهم في الوطن الأصلي ، وازدادت تلك العلاقة رسوخاً بعد أن أصبحت الهجرة متبادلة من افريقية الى صقليه ، والعكس [١] .

وإذا كان الأغالبة الذين فتحوا صقليه ، قد انشغلوا بعملية الفتح لمدن ومعاقل وحصون صقليه ، وصرفهم ذلك كثيراً عن الاهتمام بالنواحي العلمية بها . فإن ذلك لم يمنع أن تبرز صقليه في مجال النشاط العلمي ، خاصة إذا أخذنا في الإعتبار دخول عدد كبير من الفقهاء والقضاة اليها ــ وقد سبق أن أشرنا الى ذلك ــ وكذلك كان من بين الأمراء الأغالبة على صقليه من أشتهر بأنه من العلماء والأدباء ، حيث كانوا يقربون اليهم العلماء والأدباء ، ويجزلون لهم المنح والعطايا .

كما كان للمذاهب الدينية المنتشرة في افريقيه اثره البالغ على الناحية العلمية في صقليه فقد كانت افريقيه تخضع للمذهب المالكي ، الذي برز فيها على غيره من المذاهب ــ كما سبق وأن أشرنا ــ فقد خرج الى صقليه عدد كبير من أعلام المذهب المالكي ، ونشروه بها ، وكان على رأس هؤلاء القائد الفاتح أسد بن الفرات ؛ ثم تبعه بعد ذلك مجموعة من القضاه المالكيين الذين تولوا القضاء في أثناء فترة السيادة الأغلبية على صقليه ؛ بل وحتى ان بعضهم تولى قضاء صقليه ، أثناء السيادة الفاطمية عليها .

أما في عصر سيادة الدولة الفاطمية على صقليه ، فقد خرج الى صقليه أولئك الفقهاء الذين كانوا يميلون الى مذهب بني عبيد ، والذين كرههم علماء القيروان المتمسكين بالمذهب المالكي ، ومن هؤلاء أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي المعروف بالبرادعي ــ وقد ذكرنا اسباب خروجه الى صقليه ــ .

---

(١) احسان عباس ــ العرب في صقليه (ص ٨٥) .

وإذا كانت عملية سير الفتوحات الإسلامية في مدن صقليه في عهد الأغالبة قد انعكست على النواحي العلمية والعمرانية وغيرها ، فإن الاضطرابات السائدة في افريقية بعد قيام الدولة الفاطمية ، كان لها اثر واضح على الناحية العلمية في صقليه ، وخاصة الناحية الدينية . فقد أصبحت صقليه ميداناً واسعاً للصراع القائم بين أنصار السنة ، ودعاة الشيعة ؛ فأثر ذلك على الاستقرار الاجتماعي في صقليه ، فكثيراً ماكانت تقوم الفتن والحروب بين أهل صقليه بسبب ذلك ، مما كان له أثره على الناحية العلمية .

على أنه يجب أن نشير هنا ـ والحال كذلك ـ أنه قد خرج مجموعة كبيرة من العلماء للتصدي لدعاة الفاطميين وعلمائهم ، فخرجت لنا مجموعة كبيرة من المؤلفات التي تتحدث عن مذاهب أهل السنة والجماعة ، وخاصة المذهب المالكي . بل أنه لم تبرز مدرسة صقليه الفقهية إلا في عهد ولاية الأسرة الكلبية على صقليه والتي كانت تخضع للخلفاء الفاطميين في المغرب ومصر وهذا انعكاس طبيعي ورد فعل لما كان عليه الحال في صقليه فكأن العلماء هنا قد استشعروا خطر انتشار المذهب الشيعي في صقليه ، فعملوا على صده بنشر مذاهب أهل السنة والجماعة ، وذلك بشرح مصادرها ، والتأليف فيها .

كما أن صقليه كانت تستقبل العلماء والأدباء المهاجرين اليها من البلدان الإسلامية الأخرى ، والذين يلقون رعاية تامة عند امرائها كابن شرف وابن رشيق .

وعن الناحية الاجتماعية ، فقد كانت في صقليه مجموعات متباينة من عناصر السكان مما كان له أثره في اختلاف الألسنة ، والأديان ، فنتج عن ذلك بعض الآثار السلبية على اللغة العربية ، لغة العلم في صقليه ، حيث كان هناك من المسلمين طوائف من العرب ، والبربر ، وخرج جيل صقلي جديد مسلم ، كما كان هناك طوائف أخرى من غير المسلمين من اليهود والنصارى . كل ذلك كان له أثره على اللغة ، فتصدى لذلك علماء صقليه وبينوا لهم أخطاءهم في اللغة العربية ، وذلك على مستوى المتخصصين من العلماء ، والعامة من الناس .

ومن ذلك مثلاً نجد كتاب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » لابن مكي الصقلي خير شاهد على ذلك . وهو كتاب بين فيها اخطاء العلماء المتخصصين في كافة العلوم كالفقه ، والحديث والتفسير ، والطب وغير ذلك . كما بين أخطاء العامة من الناس ، وأظهر لكل هؤلاء تصحيح أخطائهم .

ومن العوامل التي أثرت على الحياة العلمية في صقليه الإسلامية ، تلك الأحداث والتطورات الأخيرة في تاريخها ، والتي بدأت بالإنشقاق بين امرائها ، والغزو النورمندي لها ، مما جعل كثير من علمائها يغادرونها الى بلدان أخرى ، فاستقر بعضهم في المغرب ، وآخرون هاجروا الى مصر ، وآخرون الى الأندلس ؛ وخرجت بذلك صقليه من حليتها الإسلامية .

على أنه بقى بعض العلماء والأدباء بها بعد الغزو النورمندي ، حتى أن بعضهم كتب مؤلفاته اثناء سيطرة النورمنديين ، كالشريف الإدريسي وكتابه «نزهة المشتاق» . بل أن بعضهم واثناء فترة الغزو النورمندي على صقليه قد بقي بها ، وشارك في الدفاع عنها ، كالشاعر الصقلي ابن حمديس ، الذي قال بعض قصائده الحماسية لتشجيع المسلمين للدفاع عن صقليه .

الباب الثاني

مظاهر النشاط العلمي في صقلية في ظل الحكم الإسلامي



الفصل الأول

عناية حكام صقلية الإسلامية بالعلم والعلماء



عناية حكام صقليه بالعلم والعلماء :

نحن نعلم أن صقلية فتحت على يد الحكام الأغالبة في أفريقية ، وتولوا إمارتها حتى سقطت من أيديهم بسقوط دولتهم على يد الفاطميين في سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م . وتبع ذلك أن تولى صقليه أمراء من الأسرة الأغلبية ، ثم تولىّ امرتها الكلبيون التابعون للفاطميين .

وعندما نحاول أن نتتبع إتمام حكام صقليه بالعلم والعلماء والأدباء فإن ذلك يعني أن نشير إلى أن صقليه ارتبطت ثقافياً بالقيروان في عهد سيادة الأغالبة عليها ، وتأثرت صقليه بما تتأثر به القيروان من الناحية الدينية والسياسية والثقافية وغير ذلك . وعن ذلك الارتباط الوثيق بين القيروان وصقليه يقول أحد الباحثين المحدثين : « ان ارتباط تاريخ الإسلام في صقليه بمدينة القيروان ، هو مثل ارتباط تاريخ قرطاجنة بروما قبل الفتح الاسلامي »(١) .

وكان من الطبيعي أن تهتدي صقليه بالأنوار المنبعثة من أقرب مصدر للثقافة الإسلامية في القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، ونعني بذلك القيروان ، التي أسهمت منذ انشائها في حفظ ونشر الثقافة الإسلامية .

وفي القيروان كان رأس الأسرة الأغلبية ابراهيم بن الأغلب التميمي ، الذي استعمله الخليفة العباسي هارون الرشيد أميراً على المغرب سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م ، ومن نسله خرج حكام صقليه(٢) . وقد وُصف ابراهيم بن الأغلب بأنه كان : « فقيهاً ، عالماً ، شاعراً ، خطيباً ، ذا رأي وبأس وحزم ، وعلم بالحروب ومكائدها ، جريء الجنان ، طويل اللسان ، حسن السيرة ، ولم يل افريقية قبله أحد من الأمراء أعدل منه سيره ، ولا أحسن سياسة ، ولا أرفق برعيه ، ولا أضبط بأمر »(٣) .

---

(١) الحبيب الجنحاني ـ القيروان عبر عصور إزدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي (ص ١١٢) .

(٢) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (٩٣/١) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (٩٢/١) .

(٣) الرقيق القيرواني ـ تاريخ افريقية والمغرب (ص ١٧٦) ، ابن الآبار ـ الحلة السيراء (٩٣/١) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (٩٢/١) .

كما كان ابراهيم بن الأغلب يحفظ القرآن عن ظهر قلب[١] . وجملة القول أنه كان يتصف بجميع الخصال التي كانت تصنع القائد المثالي . فقد كان متضلعاً كل التضلّع في جميع العلوم الإسلامية المعروفة في ذلك العهد[٢] .

وبدأ ابراهيم الأول الأغلبي حياته متمتعاً بثقة أوساط الفقهاء وتقديرهم . إذ لم يكن غريباً عن هذه الأوساط ، نظراً لتكوينه ، وهذا امتياز لم يكن يستهان به في العالم الإسلامي في العهد الوسيط[٣] . فقد كان كثير الإختلاف الى الفقيه الليث بن سعد [٤] ، الذي هو من أشهر أعلام الفقه ، وكان يُكنّ أكبر تقدير لابراهيم الذي تتلمذ عليه في مصر ، وقال عنه : « ليكوننّ لهذا الفتى شأن »[٥] . كما كان شاعراً أيضاً ، فلم تكن تنقصه الموهبة ، وقد أورد له ابن الآبار بعضاً من شعره[٦] . وبعد فإن رأس الأسرة الأغلبية قد جمع في شخصه الخصال الحربية والسياسية التي مكنته من الإرتقاء إلى الإمارة فضلاً عن ثقافة أصيلة ، كانت تشمل جميع فروع المعرفة في عصره ، والتي جعلت منه أديباً حقيقياً رقيقاً ، وهذا أمر يندر وجوده إلى حد ماعند الأمراء[٧] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٩٣/١) ، محمد الطالبي ـ الدولة الأغلبية (ص ١٤٧) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص ١٤٧) .

(٣) المرجع السابق نفسه (ص ١٤٨) .

(٤) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، الفهمي ، عالم الديار المصرية في الفقه والحديث ولد سنة ٩٤هـ/٧١٢م ، توفي سنة ١٧٥هـ/٧٩١م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٢٧/٤) ، ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة (٨٢/٢) .

(٥) ابن عذاري ـ البيان المغرب (٩٣/١) ، حسن عبد الوهاب ـ شهيرات التونسيات (ص ٣٨) .

(٦) من ذلك قوله يتحان الى زوجته وكان قد تركها بمصر :
ماسرت ميلاً ولاجاوزت مرحلة   إلا وذكـرك يثنى دائمـاً عنقـي
ولا ذكـرتك الا بـت مرتفقـا   أرعى النجوم كأن الموت معتنقي
ابن الآبار ـ الحلة السيراء (٩٤/١) .

(٧) محمد الطالبي ـ الدولة الأغلبية (ص ١٤٨) .

أما عن اهتمام الأمير زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب (٢٠١/٢٢٣هـ ـ ٨١٦/٨٣٧م) والذي في عهده فتحت صقليه بالعلم والعلماء والأدباء . فقد كان يجالس علماء العربية والشعراء ، ويلازمهم كثيراً . فكان بذلك أفضل أهل بيته ، وأفصحهم لساناً ، وأكثرهم بياناً ، ليس في كلامه لحن[١] . كما كان يقرض الشعر ، حيث ذكرت له المصادر بعضاً من شعره في المدح والوصف والنسيب وغيرها من أغراض الشعر[٢] .

وهذا الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب المعروف بأبي عقال (٢٢٣ ـ ٢٢٦هـ/٨٣٧ ـ ٨٤٠م) كان من أصحاب الأدب ، ويصوغ الشعر[٣] .

والمصادر عندما تتحدث عن اهتمام الأغالبة حكام صقلية بالعلم والعلماء فإنها تثني عليهم كثيراً سواء منهم من تولى الإمارة أم لم يتولّها ، إلا ماذكرته عن أبي العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم (٢٢٦ ـ ٢٤٢هـ/٨٤٠ ـ ٨٥٦م) من أنه كان يجهل النحو والرسم على الرغم من نجاحه في السياسة ، وانتصاره في كثير من الفتوح فذكر ابن عذاري أنه : « كان قليل العلم »[٤] .

ومن مظاهر اهتمام حكام صقليه بالعلم والعلماء نجد أنهم يصطحبون معهم عند انتقالهم الى صقلية العلماء والأدباء ، ويكرمون وفادتهم ، فهذا أبو الأغلب ابراهيم بن الأغلب ، والذي تولى امارة صقلية في الفترة مابين سنتي (٢٢٠ ـ ٢٣٦هـ/٨٣٥ ـ ٨٥١م) ، يرسل في طلب أحد العلماء المشهورين

---

(١) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١٦٣/١) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١٦٣/١) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١٦٨/١) .

(٤) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٠٧/١) .

لصحبته ومرافقته الى صقليه فقد أرسل الى أبي الوليد المهري[1] . قائلاً له : « ان الأمير أكرمه الله ولأني جزيرة صقليه ، فأخرج معي مصاحباً لم مؤانساً . فأبى من ذلك واعتذر اليه ، وقال : لا أقدر على ركوب البحر ، فقال له : أردت غناك ، وأراد الله بك خلاف ذلك ، أرفع المنديل الذي بين أيدينا . فرفعه ، فإذا بدنانير كثيرة . قال : اختر منها مائة دينار وانصرف ففعل »[2] .

ولم يكتف الأمير الصقلي بذلك فعندما رفض أبو الوليد المهري مصاحبته الى صقليه ، أرسل في طلب عالم آخر ، وكان ذلك هو ابن غورك[3] . فما كان من ابن غورك إلا أن وافق على صحبة الأمير إلى صقلية ، وبذلك « أغناه ، وأغنى عقبه »[4] . وابن غورك من العلماء المشهورين في علم القرآن والنحو ، والأدب .

وكان من أمراء الأسرة الأغلبية حكام صقليه ؛ من تعلّم اللغة اللاتينية ، وأتقنها فهذا ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٦١ ـ ٢٨٩هـ/٨٧٤ ـ ٩٠١م) قد تعلّم اللغة اللاتينية ، وكان يتكلم بها مع فتيانه ، وجواريه من

---

(١) عبد الملك بن قطن المهري ، شيخ أهل اللغة والعربية والنحو والرواية ورئيسهم وعميدهم ، والمقدّم في عهده ، كان من أحفظ الناس لكلام العرب وأشعارها ووقائعها وأيامها . كما كان شاعراً خطيباً بليغاً .

من مؤلفاته كتاب في تفسير مغازي الواقدي ، وكتاب في اشتقاق الأسماء . توفي سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م .

الزبيدي ـ طبقات النحويين واللغويين (ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٢٣٠) .

(٣) أبو سعيد بن حرب بن غورك ، يقال عنه أنه أعلم من المهري بالقرآن وبحدود النحو ، وكان كثير الوقار ، قليل الكلام ، وكانت له أشعار كثيرة فصيحة .

المصدر السابق نفسه (ص ٢٣٣) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٢٣٠) .

الصقالبة ؛ اضافة أنه كان يحسن بعض العلوم ، ومنها علم الفلك ، ورصد النجوم ، ورسم أزياجها[1] ، وحساباتها ، على الرغم من صعوبة مأخذها[2] .

كما كان ابراهيم بن أحمد يصطحب معه في غزواته في صقليه العلماء . فقد اصطحب معه في حرب « طبرمين » المنجم اسماعيل بن يوسف ، المعروف بالطلاّء ، المنجّم[3] . والذي يعدّ من علماء النجوم المتقنين[4] . وقد أكرمه ابراهيم بن الأغلب بأن وهب له ثمانية عشر رأساً من السبي ، بعد فتح مدينة « طبرمين »[5] .

على أن بعض المصـــادر تصف إبراهيم بن الأغلب بأنه قليل الحظ في مجال الأدب إذ لم يكن « يوصف بعلم بارع ولا أدب »[6] . فقد أورد له ابن الآبار بعضاً من شعره[7] . ثم قال : « ان حذف هذا النظم أولى من اثباته ، وليته بعقاب أهل بيته عوقب على أبياته »[8] .

---

(١) الزيج : جمعه أزياج وزيجات . وهو جدول حسابي يبين مواقع النجوم ، ويحسب سير الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم .
الخوارزمي ـ مفاتيح العلوم (ص ١٢٧) ، عمر فروخ ـ تاريخ العلوم عند العرب (ص ١١٦) .

(٢) حسن عبد الوهاب ـ ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية (٨٥/١) .

(٣) اسماعيل بن يوسف ـ الطلاء المنجّم ، كان من ذوي العلم بالعربية ، وكان غاية في علم النجامة ، وهو أول من أدخل الطلاّء العراقي الى القيروان .
والطلاّء هو عبارة عن خلط العقاقير بمائع خلطاً محكماً ، ويسمى الضماد أيضاً .
الزبيدي ـ طبقات النحويين واللغويين (ص ٢٤١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص ٢٤٢) .

(٦) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١٧٢/١) .

(٧) من ذلك قوله :

نحن النجوم ، بنو النجوم ، وجدّنا   قمر السماء أبو النجوم تميمُ
والشمس جدّتنا ، فمن ذا مثلنا   متواصلان : كريمة وكريم

المصدر السابق نفسه (١٧٢/١) .

(٨) المصدر السابق نفسه (١٧٢/١) .

على أننا يجب أن نشير هنا إلى أن الأمير ابراهيم بن أحمد بن الأغلب ، ولإهتمامه بالعلم والعلماء، هو الذي بنى مدينة رقّاده ، وأسس بها بيت الحكمة ، ولو لم يكن له إلا ذلك فخراً لكفاه . وقد كان اهتمامه بالعلوم الرياضية والحكمة ، والفلسفة ، ومايتبعها من فنون ، سبب انشاؤه لبيت الحكمة ، حيث جلب اليه العلماء المتخصصين من الكتّاب والأطباء ، والمهندسين ، من كافة البلاد الاسلامية ومنها صقلية التابعة للأغالبة[1] .

واستقدم ابراهيم بن الأغلب من جزيرة صقليه الرهبان ، ليترجموا المؤلفات المكتوبة باليونانية واللاتينية ، وانكبت تلك النخبة على ترجمة مؤلفات يونانية ، ولاتينية في شتى الموضوعات من فلسفة ، وتاريخ ، وجغرافية ، وطب ، ونبات ، ومن ضمنها قسماً من مصنف (بلنيوس الكبير) في معنى التاريخ الطبيعي المتعلق بالحيوان والنبات . وكانت تلك الترجمات تتم بمعونة رجال متضلعين في اللغة العربية[2] ، يقول حسن حسني عبد الوهاب : « أن الأمير ابراهيم الثاني تخير بعض المصنفات اللاتينية في العلوم الرياضية ، التي اطلع عليها ، وكلف بترجمتها بعض الرهبان الصقليين المتكلمين باللغة العربية وألحق بهم بعض علماء اللغة من الإفريقيين ، وعهد اليهم مهمة تنقيح عباراتهم وسبكها في قالب عربي صحيح ، رغبة منهم في تعميم فائدتها ونشرها بين الناس »[3] .

وكان للإرتباط الثقافي بين صقليه وافريقية أثره الواضح في اختيار المؤلفات المترجمة الى العربية ، ذلك أن الثقافة كانت منتشرة بين الرهبان في

---

(١) حسن عبد الوهاب ـ ورقات عن الحضارة العربية (١/١٩٣) ، كمال السامرائي ـ مختصر تاريخ الطب العربي (١/٦٢١ ـ ٦٢٢) .

(٢) المرجعان السابقان (١/٢٧) ، (١/٦٢١) .

(٣) حسن عبد الوهاب ـ ورقات (١/٢٠٢ ـ ٢٠٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صقليه ، الخاضعة للأمراء الأغالبة ، كما كانت لغتهم اللاتينية ذات تأثير على افريقية ، فقد تعلّمها الإفريقيون ، بما في ذلك أمراء صقليه ، ونتج عن ذلك كله أن ترجمت كثير من المؤلفات التي كانت باللغة اللاتينية ، وذلك تحت رعاية مباشرة من أمراء وحكام صقليه ، واضطلع بيت الحكمة بمدينة رقّادة الأغلبية بالدور الأكبر في ذلك[1] .

ويذكر حسن حسني عبد الوهاب أنه يوجد في جامع عقبة بن نافع بالقيروان نسخة من ترجمة عربية لكتاب « تاريخ الأمم القديمة » المنسوب الى القديس المسيحي « يرونيم الروماني » المتوفي سنة ٤٢٠م ، وقد رسم على هوامشها كلمات بالحروف اللاتينية منها تسمية المؤلف « يرونيم » . وتلك الترجمة هي احدى ثمرات الرهبان الصقليين الذين ساهموا مساهمة كبيرة في ترجمة كثير من المؤلفات اللاتينية تحت رعاية امراء وحكام صقليه[2] .

وفي مجال المناظرات نجد أن الأمير ابراهيم بن أحمد بن الأغلب ، يعقد مجالس علمية للمناظرة ، يستدعي اليها مشاهير العلماء من فقهاء أهل السنة المالكية والأحناف ، وغيرهم من علماء المعتزلة . فمن تلك المناظرات ماأورده صاحب كتاب « رياض النفوس » عن مناظرة عقدت بحضور الأمير ابراهيم الثاني ، ووقع الخوض فيها في مسألة خلق القرآن ، وكان المتكلم فيها باسم السنة ، سعيد بن محمد بن صبيح ، المعروف بابن الحداد[3] .

وتلك المناظرات التي كانت تجري تحت رعاية امراء وحكام صقليه ، كانت تتمتع بالحرية الكاملة في النقاش ، مثلما اتصفت به المناظرات التي كانت تعقد تحت رعاية الخلفاء العباسيين في مجالسهم العلمية . وتلك المناظرات ليست إلا امتداد للمجادلات الكلامية التي كانت تجري في المشرق الإسلامي في قصور الخلفاء العباسيين .

---

(١) المرجع السابق نفسه (٢٠٢/١ ـ ٢٠٣) .

(٢) المرجع السابق نفسه (٢٠٣/١) .

(٣) المالكي ـ رياض النفوس (٧٠/٢) .

وقد بلغ من اهتمام الأمير ابراهيم الثاني بالعلم ، أنه كان يرسل في كل عام ، وأحياناً مرتين سفارة الى بغداد لتجديد ولائه للعباسيين ، ثم اقتناء نفائس مايوجد في بغداد من كتب ، واستقدام العلماء منها الى المغرب[1] .

أما فيما يتعلق بالأمير عبد الله بن ابراهيم بن أحمد (٢٨٩ ـ ٢٩٠هـ/ ٩٠١ ـ ٩٠٢م) وهو الذي تولى امارة صقليه في عهد أبيه ، فقد كان له عناية كاملة باللغة والأدب حيث أخذ ذلك عن كبار شيوخ افريقية كابن عبدون القاضي[2] ، وعبد الله بن الأشج[3] ، وغيرهما[4] .

كما كان الأمير المذكور على صلة وثيقة بأحد علماء افريقية من أهل العلم والجدل وهو أبو العباس القيّار[5] فقد لازمه مدة حياته في افريقية وصقليه ، ولقّنه وسائل المناظرة ، كما علمه الفقه .

وقد وُصف عبد الله بن ابراهيم الأغلبي بأنه : « كان عاقلاً عالماً ، له نظر حسن في الجدل »[6] . كما أنه كان يستعين بالعلماء ليعينوه على تيسير أمور الرعية أثناء امارته ، فقال ابن الأثير : « لما ولي الأمر كتب الى العمال كتاباً

---

(١) حسن عبد الوهاب ـ ورقات عن الحضارة العربية (١/١٩٦) .

(٢) أبو العباس محمد بن عبد الله بن عبدون الرعيني ، من مشاهير قضاة الحنفية بالقيروان ، كان موثقاً ، كاتباً للشروط والوثائق ؛ ولاه ابراهيم بن أحمد القضاء ثم عزله . توفي سنة ٩٠٩/٢٩٧م .

الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص ١٨٧) ، الدباغ ـ معالم الايمان (٢/٢٧٤ ـ ٢٧٦) .

(٣) عبد الله بن محمد بن الأشج ، ذكره الخشني في طبقاته ، وأنه كان على مذهب الكوفيين ، ومن أهل الجدل والكلام .

الخشني ـ طبقات علماء افريقية ، (ص ١٩٣) .

(٤) ابن الأبار ـ الحلة السيراء ـ (١/١٧٤) ، حسن عبد الوهاب ـ ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية (١/٢٢٦) .

(٥) ابو العرب ـ طبقات علماء افريقية (ص ١٩٧) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٣٦) .

(٦) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٧/٥٢٠) .

يقرأ على العامة يعدهم فيه الإحسان والعدل ، والرفق ، والجهاد ، ففعل ماوعد من نفسه ؛ وأحضر جماعة من العلماء ليعينوه أمر الرعية »[1] .

وأضاف ابن الأثير يصفه قائلاً : « كان كثير العدل أحضر جماعة كثيرة عنده ليعينوه على العدل ، ويعرفوه من أحوال الناس مايفعل فيه على سبيل الإنصاف »[2] .

ويتضح لنا مما سبق أن الأمير الأغلبي كان يقرب اليه العلماء ، ويشاورهم في أمور الرعية ، وذلك يستحق أن نشيد به ، فإلى جانب أن ذلك يدلل على اهتمامه بالعلم والعلماء ، فإن ذلك يؤكد ان العلماء هم أمناء الأمة والدالين على مافيه خيرها ، وعزّها .

كما كان الأمير عبد الله بن ابرهيم الأغلبي متقناً للسان اللاتيني ، وقد حذق ذلك عندما كان مباشراً لولاية صقليه ، فكان لذلك أثره على ترجمة بعض الكتب التي كانت باللغة اللاتينية بمساعدة من يتكلم اللغة اللاتينية من أهل صقليه[3] .

كما كان الأمير عبد الله بن ابراهيم يقرض الشعر ، ويهتم به ، فقد أوردت له المصادر بعضاً من شعره . ومن ذلك قوله في دواء شربه بصقليه :

شربتُ الدواء على غربة ... بعيداً من الأهل والمنزل
وكنت اذا ماشربت الدواء ... تطيّبت بالمسك والمندل
فقد صار شربي بحار الدماء ... ونقع العجاجة والقسطلِ [4] .

وعندما ننتقل بالحديث الى الأمير زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم (٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ/٩٠٢ ـ ٩٠٨م) ، والذي تولى امارة صقليه مابين سنتي

---

(١) المصدر السابق نفسه (٧/٥٢٠) .

(٢) المصدر السابق (٧/٥٢١) .

(٣) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١/١٧٤) ، كمال السامرائي ـ مختصر تاريخ الطب العربي (١/٦٣٧) .

(٤) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١/١٧٥) .

(٢٨٩ ـ ٢٩٠هـ/٩٠١ ـ ٩٠٢م) فإنه كان قد قرأ على الشيوخ ، وقربهم اليه ؛ ومع مايوصف به من الميل الى اللهو ، إلا أنه كان يُولي العلم والعلماء عناية خاصة . وليس أدل على ذلك من حرصه على جلب عدد من علماء الفلسفة ، والطب ، والأدب ، من عواصم المشرق الإسلامي كبغداد ، والفسطاط ، ومن بلاد اليونان .. وذلك لينضموا الى بيت الحكمة بمقر امارتهم بمدينة رقّادة ، والتي اهتم بها اهتماماً كبيراً بزيادة العمران وايصال المياه حتى أصبحت أكبر من القيروان[١] .

وعلى الرغم من كثرة الفتن والقلاقل في عهده ، إلا أنه كان يأنس بمجالسة العلماء والأدباء والحكماء ، الذين انتدبهم من العواصم الاسلامية الكبرى ومنهم الطبيب اسحاق بن سليمان الاسرائيلي[٢] ، وابن خنيس[٣] ، وغيرهما[٤] .

وكان وزراؤه وفي مقدمتهم عبد الله بن الصائغ من أجلّ أدباء عصره[٥] لكن الأوضاع التي أحاطت به في افريقية وصقليه منذ بدء الدعوة الفاطمية واستيلائها بالتدريج على بلاده ، كانت قد منعته من اظهار كامل عنايته بالعلم والعلماء .

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (٢٠/٨) ، ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١٧٥/١ ـ ١٧٦) .

(٢) اسحاق بن سليمان الاسرائيلي ، مصري كحال ، سكن القيروان كان طبيباً ، لسناً ، عالماً بالكلام ، عاش مائة سنة ونيفاً . له مؤلفات في الطب ، والفلسفة والحكمة .

ابن جلجل ـ طبقات الأطباء والحكماء (ص ٨٧) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) حسن عبد الوهاب ـ ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية (٢٢٩/١) .

(٥) عبد الله بن الصائغ هو صاحب بريد زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم بن احمد ثم اصبح وزيره ، وهو الذي أشار عليه بقتل أعمامه ، ومن يتوقع أن ينافسه في العرش من آله . وقد آل أمره الى أن قتله زيادة الله وكان ذلك بعد فرارهما جميعاً . وقد كان مقتل عبد الله بن الصائغ في طرابلس سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م .

ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١٧٧/١ ـ ١٨٩) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٤٨/١ ـ ١٤٩) .

ومن امراء الأسرة الأغلبية الذين كان لهم دور كبير في تشجيع العلم والعلماء ، الأمير محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم ، والذي وليّ لإبن عمه ابراهيم بن أحمد بن محمد طرابلس ، فقد وصفته المصادر بأنه : « كان عالماً ، أديباً ، شاعراً ، خطيباً ، مع عشرة لإخوانه ، ولين جانب لأخذانه ، لاينادم إلا أهل الأدب »[١] .

كما ذكرت المصادر أنه هو الذي ألف كتاب « راحة القلب » ، كتاب « الزهر » وكتاب « تاريخ بني الأغلب »[٢] . كما كان الأمير محمد بن زيادة الله يقرض الشعر الجيد . ومن ذلك قوله :

ومما شجا قلبي بتُوزَر أنني ... تناءيتُ عن دار الأحبة والقصر
غريباً ، فليت الله لم يخلق النوى ... ولم يجر بينٌ بيننا آخر الدهر[٣] .

ومن الأمراء الأغالبة الذين اشتهروا بالعلم والأدب ، الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب ، والذي تولى امارة صقلية سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م ، وطرابلس ، والقيروان . فقد كان أديباً شاعراً ، طالباً للحديث والفقه ، وهو القائل لما أتاه كتاب عزله عن طرابلس يخاطب أبا هارون موسى بن مرزوق[٤] صاحب بريدها . وكان له صديقاً :

قد أتى في الكتاب ماقد علمنا ... من ثناءٍ ورحلة وفراق
وعددنا الأيام فهي ثمانٍ ... بعد خمس سريعة الإفتراق
فعليك السلام ان فراقي ... قد دنا والفراق مرّ المذاق[٥] .

---

(١) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١/١٧٩ ـ ١٨٠) .
(٢) المصدر السابق (١/١٨٠) .
(٣) المصدر السابق (١/١٨١) .
(٤) لم أعثر له على ترجمة .
(٥) المصدر السابق (١/١٨١ ـ ١٨٢) .

وممن لهم صلة بالأمراء الأغالبة ، وصقليه ، مجبر بن ابراهيم بن سفيان[1] ، والذي كان من رجال الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد بن محمد . وقد كان شاعراً ، أديباً ، ملازماً للأمير المذكور ؛ ثم أخرجه الى صقليه على رأس العسكر بمدينة « مسيني » من جزيرة صقليه ، وهو الذي قال في أسره عندما أسرته الروم من قصيدة طويلة مطلعها :

ألا ليت شعري ما الذي فعل الدهر   بإخواننا ياقيروان وياقصر

وفي آخرها يقول :

لعل الذي نجّى من الجبّ يوسفا   وفرج عن أيوب اذ مسّه الضرّ
وخلّص ابراهيم من نار قومه   وأعلى عصا موسى فذل له السحر
يصبّر أهل الأسر في طول أسرهم   على معضلات الأسر لاسلم الأسر[2]

ومن العلماء والأدباء الذين اهتمت بهم الأسرة الأغلبية الحاكمة لصقليه ، أحمد بن محمد بن أحمد بن السبال[3] ، الذي يعتبر من بيت رئاسة وقيادة ، مع علم واسع وأدب بارع ؛ فقد قرّبه اليه الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد واتخذه حاجباً له[4] .

ومن رجال الأغالبة الذين بلغوا منزلة كبيرة بعلمهم وأدبهم ، الحسن بن منصور بن نافع المسلي المذحجي[5] ، والذي وُصف بأنه يجمع الى شرف آبائه

---

(١) مجبر بن ابراهيم بن سفيان من أهل الشرف والثروة ، وقد توفي في القسطنطينية بعد أن أسرته الروم . المصدر السابق نفسه (ص ١٨٥) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١/١٨٦) .

(٣) أحمد بن محمد بن أحمد بن حمزة بن السبال ، من المقربين للأمير الأغلبي ابراهيم ابن أحمد ، فقد فوض اليه جميع أموره ، ولم أجد تاريخ وفاته .
ابن الأبار ـ الحلة السيراء (١/١٨٦ ـ ١٨٧) .

(٤) المصدر السابق (١/١٨٦ ـ ١٨٧) .

(٥) هو الحسن بن منصور بن نافع بن عبد الرحمن بن عامر بن نافع المُسْلي المذحجي من بيت قيادة وإمارة ، وكان الى جانب علمه باللغة والنحو يقرض الشعر . ولم اعثر على تاريخ وفاته . المصدر السابق نفسه (ص ١٨٧) .

، وأهل بيته علماً واسعاً ، وأدباً كاملاً ، كما كان بصيراً باللغة ، نافذاً في النحو ، عالماً بأيام العرب ، وأخبارها ، ووقائعها وأشعارها[١] .

ومنهم أيضاً صاحب البريد لآخر ولاة الأغالبة الأمير زيادة الله وهو عبد الله بن الصائغ . فقد بلغ من اهتمامهم به ، أنه كان يتقلد للأمير زيادة الله جميع أموره ، وعدّه في أصحابه المخصوصين ، فكان بمثابة الوزير عنده ، وذلك لمكانة ابن الصائغ الأدبية ، فقد كان أديباً ، وشاعراً مجيداً[٢] .

كما كان الأمراء الأغالبة يهتمون بعلماء الطب في عصرهم ، فقد استدعى الأمير الأغلبي ابراهيم الثاني ، الطبيب اسحاق بن عمران البغدادي[٣] ، وظل تحت رعاية الأغالبة مايقرب من عشرين عاماً ، وبذلك يعتبر هو المؤسس الأول للمدرسة الطبية في بلاد أفريقية الأغلبية ، وما والاها كجزيرة صقليه[٤] .

وبلغ من اهتمام الأغالبة بعلماء الطب ، أن الأمير زيادة الله الثالث أخر أمراء الأغالبة كان يصل الطبيب اسحاق بن سليمان الاسرائيلي بمبلغ خمسمائة دينار سنوياً[٥] .

كما صحب الطبيب الفضل بن علي بن ظفر[٦] ، ولاة الأغالبة ، وجلس في مجالسهم العلمية ، وتردد عليهم كثيراً ، فأكرموا وفادته . وقد وصف ابن

---

(١) المصدر السابق (١٨٧/١) .

(٢) المصدر السابق (١٧٧/١ ـ ١٨٩) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٣٤/١ ـ ١٤٦ ـ ١٤٨) .

(٣) اسحاق بن عمران البغدادي ، طبيب مشهور ، مسلم النحلة ، بغدادي الأصل ، دخل الى افريقية في عهد بني الأغلب ، له كتاب الأدوية المفردة ، والتمام في الطب . وغير ذلك من المؤلفات .

ابن أبي اصبيعه ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩) .

(٤) صاعد ـ طبقات الأمم (ص ٩٤) ، ابن جلجل ـ طبقات الأطباء والحكماء (ص ٨٥) .

(٥) حسن عبد الوهاب ـ ورقات عن الحضارة العربية (٢٣٧/١) .

(٦) لم أعثر له على ترجمة غير ماذكر .

ظفر بأنه : « كان من أهل الرسوخ في علم الطب »[1] . والى جانب الطب كان أديباً وفقيهاً حيث قال عنه ابن عذاري : « كان أديب عصره ، وظريف دهره ، علماً ، وفقهاً ، وأدباً ، ووفاءاً »[2] .

ومن الأدباء الذين أكرمهم حكام صقليه ، أبو اليسر ابراهيم بن أحمد الشيباني[3] ، وهو من أهل بغداد ، واستقر بالقيروان ، وهو الذي أدخل الى افريقية رسائل المحدثين ، وأشعارهم وطرائفهم[4] . وقد كتب للأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد ثم لإبنه أبي العباس عبد الله ، وأكرمه الأمير ابراهيم بن أحمد بأن منحه رئاسة ديوان الرسائل[5] .

واهتم الأمراء الأغالبة بمن برز من مواليهم ، فهذا زياد بن خلفون ، أحد موالي بني الأغلب ، كان يعالج الأمراء والرؤساء والأعيان . فبالغوا في اكرامه[6] .

والجدير بالذكر أن الأمراء الأغالبة حكام صقليه ، كانوا يدعون كبار العلماء والكتاب ، والأدباء ، الى حضور احتفالاتهم الرسمية ، كبناء مدينة مثلاً ، ومن هؤلاء الذين تم استدعائهم ، أبو العباس محمد بن حيّون ، الذي يعرف بالبريدي وقلّد رئاسة ديوان الإنشاء ، فأصبح من كبار أدباء الأمراء الأغالبة وظل كذلك الى أن قتل سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م ، في عهد الأمير ابراهيم الثاني[7]

---

(١) الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص ٢٢١) .

(٢) ابن عذاري ـ البيان المغرب (٢٠٩/١) .

(٣) ابو اليسر ابراهيم بن احمد الشيباني من أهل بغداد ، وسكن القيروان ويعرف بالرياضي ، لقي الجاحظ ، والمبرد ، وابن قتيبة ، من مؤلفاته « لقط المرجان » وكتاب « سراج الهدى » . توفي بالقيروان سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م .

المقري ـ نفح الطيب (١٣١/٤ ـ ١٣٢) .

(٤) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢٢٤/١) ، المقري ـ نفح الطيب (١٣٣/٤ ـ ١٣٤) .

(٥) المصدران السابقان (٢٢٤/١) ، (١٣٣/٤ ـ ١٣٤) ، حسن عبد الوهاب ـ ورقات عن الحضارة العربية (٢٤٧/١) .

(٦) المرجع السابق نفسه (٢٤٢/١) .

(٧) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٢١/١ ـ ١٢٢) .

كما كان الأمراء الأغالبة اذا قدم اليهم أحد العلماء أو الأدباء أكرموا وفادته ووضعوه في المكان الذي يستحقه ، فهذا محمد بن أحمد بن الفرج البغدادي[1] ، قدم اليهم من الأندلس ، فاستقبله الأمير ابراهيم الثاني ، وألحقه بأبي اليسر الشيباني لتحرير الرسائل ، وبقي كذلك الى أن توفي سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م في بداية حكم زيادة الله الثالث[2] .

ومما يدلل أيضاً على اهتمام الأمراء الأغالبة بالعلماء ، أن الأمير الأغلبي ابراهيم الثاني ، لما خرج الى صقليه في احدى حروبه ، وترك ابنه عبد الله خلفاً له على افريقيه نجد أنه يوصيه بأحد العلماء البارزين ، وهو محمد بن عبدون ابن أبي ثور الرعيني ؛ وقال له : احفظه لي . وكان ابراهيم محباً له شديد الإعجاب به لفطنته وذكائه ، وهو من البارعين في العلوم الشرعية[3] .

وممن ينتمي الى الأسرة الأغلبية عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي ، فهو من ابناء عمومتهم ومن كبار تلاميذ سحنون وأصحابه . وتولى قضاء افريقية مرتين ، وقد كان يستدعيه الأمير الأغلبي للمشاركة في الندوات والمناظرات التي كانت تجري تحت رعايته[4] .

وكان يصل الى البلاط الأغلبي بعض الشعراء ويمتدحوا أمرائه ، رغبة في حسن التكريم والوفادة . فهذا بكر بن حماد الزناتي[5] ، من أهل تاهرت

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) المصدر السابق نفسه (١٣٦/١) .

(٣) الخشني ــ طبقات علماء افريقية (ص ١٨٧ ــ ٢٣٧) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ١٩٨) ، ابن عذاري ــ البيان المغرب (١٢١/١) .

(٥) أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن اسماعيل الزناتي التاهرتي سمع من سحنون ، ورحل الى البصرة سنة ٢١٧هـ كان ثقة عالماً بالحديث كما كان أديباً وشاعراً فصيحاً ، وقد وُشي به عند الأميرابراهيم بن احمد الأغلبي فخرج من القيروان هارباً ، فخرج عليه قطّاع طرق فقتلوا ولده عبد الرحمن ، وأصيب بفتق في بطنه ، كان منه سبب وفاته سنة ٢٩٦هـ . المالكي ــ رياض النفوس (٢١/٢) ، الدباغ ــ معالم الإيمان (٢٨١/٢) .

بالمغرب الأوسط ، مدح كلاً من الأمراء ابراهيم الثاني ، وابنه عبد الله ، وزيادة الله الثالث[١] . كما كانت له علاقة بوزير زيادة الله الثالث ابن الصائغ ، ونتج عن اهتمام الأمراء الأغالبة به أن نقل اليهم دواوين شعر من التقى بهم اثناء رحلته الى المشرق . فأصبح بذلك من كبار نقلة العلم والأدب الى بلاط الأمراء الأغالبة في افريقية وصقليه[٢] .

وبعد فإن امراء الدولة الأغلبية ، وهم حكام صقليه وفاتحوها ، كانوا يبذلون العناية التامة بالتعليم ، والحث عليه ، من حين ظهور دولتهم الى انقراضها ، ولا يعرف واحد منهم إلا وكان عالماً ، أو أديباً يقرض الشعر في سائر أغراض القريض من حماس الى نسيب ، الى وصف حال ، الى تسجيل حكمه [٣] .

ومن مظاهر اهتمام ولاة صقليه بالعلم والعلماء ، خطبة القائد الفاتح اسد ابن الفرات في جموع الذين خرجوا لتوديع الجيش المغادر الى صقليه من مرسى « سوسة » ، حيث ذكر لهم في خطبته أهمية العلم ، والحث عليه ، والمثابرة في طلبه ، والصبر على مشقته ، وبيّن لهم أن ذلك يُنال به خيري الدنيا والآخرة ؛ فقال : « أجهدوا أنفسكم في طلب العلم وتدوينه ، وثابروا عليه ، واصبروا على شدته ، فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة »[٤] .

على أن مما تجدر الإشارة اليه هنا ، أن فاتح صقليه أسد بن الفرات هو من العلماء البارزين في مجال الفقه ، وهو صاحب « الأسدية » في الفقه المالكي ، وليس من المستبعد أن تكون كتبه قد أدخلها معه الى صقليه ، وعنه انتشرت في صقليه .

---

(١) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١/١٧٣) ، ابن عذاري ـ البيان المغرب (١/١٥٤) .

(٢) حسن عبد الوهاب ـ ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية (١/٢٥٦) .

(٣) المرجع السابق نفسه (١/٨٥) .

(٤) المالكي ـ رياض النفوس (١/٢٧٢) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٢٣) .

ولقد كان القائد الفاتح أسد بن الفرات يهتم بالعلم والعلماء ، على وجه الخصوص فقد اصطحب معه مجموعة كبيرة من العلماء ، والعباد ، والزهاد ، ضمن أفراد الجيش الإسلامي الفاتح ، فقد ذكر الحميري أنه : « كان معه من العلماء ، والعباد ، والفقهاء ، وأعيان الناس ، والشعراء مالايأخذه عدّ ، ولايأتي عليه احصاء »[1] .

واصطحاب أسد بن الفرات لهذه النخبة من وجوه المجتمع ، أمر له دلالته ، فذلك يوضح مدى اهتمام ولاة صقليه بالعلم والعلماء ، على الرغم من انشغال القائد اسد بن الفرات بقيادة الجيش الإسلامي وحروبه في صقليه ، يضاف الى ذلك أن مدة ولاية اسد بن الفرات لصقليه لم تطل ، فقد توفي أثناء حصاره لمدينة سرقوسه من صقليه في سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م .

ومن العلماء الذين اصطحبهم معه أسد بن الفرات ، محمد بن قادم [2] وهو الذي أشار على أسد بن الفرات فك الحصار عن سرقوسة ، والعودة بالمسلمين الى افريقية . فأبى اسد بن الفرات[3] .

ومنهم أيضاً أحمد بن محمد بن قادم المتوفي سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م ، فقد كان ملازماً لأسد بن الفرات في صقليه ، وهو من حفاظ مذهب أهل العراق ، وأهل المدينة[4] .

وكان لدخول أحمد بن محمد بن قادم مع أسد بن الفرات الى صقليه ، آثار حسنة بها ، كما ذكر صاحب معالم الإيمان[5] .

---

(١) الحميري ـ الروض المعطار (ص ٣٦٦) .

(٢) ذكره ابو العرب في طبقاته وقال أنه سمع من يحى بن سلاّم ومن أسد بن الفرات ، وأنه عندما أراد العودة من صقليه ضربه أسد . ثم قال : وما علمت أحداً ذكره بسوء .
أبو العرب ـ طبقات علماء افريقية (ص ١١٤) .

(٣) المالكي ـ رياض النفوس (٢٧٣/١) ، الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص ١٩٩) .

(٤) الدباغ ـ معالم الإيمان (١١١/٢) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٢٦٨/١/١) .

ومما أوردته المصادر من معلومات عن القاضي القائد أسد بن الفرات ، يتبين لنا مدى اهتمامه بالعلم وأهله ، فقد قال : « ضربنا في طلب العلم آباط الإبل ، واغتربنا في البلدان ، ولقينا العلماء ، وغيرنا انما طلب العلم خلف كانون أبيه ، ووراء منسج أمه »[1] .

وكان أسد بن الفرات يوجه طلبة العلم وينصحهم ويذكرهم . فقد قال وهو يخاطب بعض طلبة العلم : « يامعشر طلبة العلم ، انكم تنوبون للمسلمين نيابة عظيمة بتقييدكم للعلم عليهم ، فلكم في بيت مال المسلمين حق لذلك ، وكذلك قالت العلماء : من ناب نيابة للمسلمين فله في بيت مالهم حق »[2]

وجاء اليه أحد طلبة العلم ، يطلب العلم على يديه ، فوجهّه أسد بن الفرات الى مايناسب استعداده ، وأرشده الى ماتطيق نفسه ، ويناسب حاله ، وذلك بأن سأله عن صناعته ، فسمّى له ذلك الشخص صناعته . فقال أسد : « قم . فقال له الشاب : ماقصتي أصلحك الله ؟ إن كنت انكرتها تركتها . فقال له أسد : ماأنكرتها ، ولكني أنكرت تعطيلك لحانوتك الذي منه معاشك ، وتقوى به على طلب العلم وصاحب الحانوت انما هو بالحرفاء ، فاذا جاءك حريفك اليوم ولم يجدك ، وغداً فلم يجدك ، استبدل بك غيرك ، فضررت بنفسك وبمن تعوله ، ولكن ان عزمت فاجعل لنفسك يوماً أو يومين في الجمعة ، يعلم حرفاؤك بمغيبك عن حانوتك في ذلك اليوم أو اليومين ، فيأخذون مايحتاجون اليه قبل مغيبك . ثم قال أسد : انظر الى هؤلاء الذين يأتوننا انما هم أهل حرث وحصاد ، فاذا كان وقت حرثهم وحصادهم ، لم تر منهم أحداً يجيء الينا فاذا انقضى حرثهم وحصادهم ، عادوا الى ماكانوا فيه »[3] .

---

(١) المالكي ـ رياض النفوس (١/٢٦٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١/١/٢٦٨) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١/٢٦٨ ـ ٢٦٩) .

ومن ولاة صقليه الذين كان لهم اهتمام بالعلم والعلماء ، والي صقليه خليل بن اسحاق الذي بعثه الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله والياً عليها . فقد كان يقول الشعر ويقرّب الشعراء منه(١) .

ومن امراء صقليه من الأسرة الكلبية الذين لهم اهتمام بالأدباء ، الأمير مستخلص الدولة عبد الرحمن بن الحسن الكلبي ، فقد كان يدعو الى مجلسه أصحاب المواهب والإبداع ، ويمثل لنا ذلك دعوته لأحد الأدباء الى الحضور الى مجلسه مبينا له أن حرفة الأدب هي التي تجمعهم ، فقال :

نحن كلانا يضمنا أدب   حرمتنا فيه حرمة النسب .

ثم قال :

واجنح الينا فإن ألفتنا   تدفع باليمن حرفة الأدب(٢) .

وهذا الأمير الصقلي ثقة الدولة جعفر بن تأييد الدولة الكلبي ، كان يكرم العلماء والأدباء ، وتلك كانت سجيته معهم جميعاً ، ولكن قد تطرأ ظروف ، وحوادث تشغل الحاكم عن الوفاء بما وعد من اكرام لأحدهم فكتب اليه أحد الكتاب معاتباً قائلاً :

انت مولى الندى ومولاي لكن   رب مولىً يجور في الأحكام
قد وعدت الإنعام فامنن بإنجا   زك ماقد وعدت من انعـام(٣) .

ولكن الأمير ثقة الدولة يرد على ذلك الكاتب ويعلل عدم وفائه بذلك انما كان بسبب حوادث الايام وانشغاله بها ، حيث قال :

حاشى لله ان أقصر فيما   يبتغيه الوليّ من انعامي
أنا موفٍ بما وعدت ولكن   شغلتني حوادثُ الأيـام(٤) .

---

(١) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا (٨٧/١) .
(٢) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٨٥/١) .
(٣) المصدر السابق نفسه (١٠١/١) .
(٤) المصدر السابق نفسه (١٠١/١) .

ومن مظاهر اهتمام امراء صقليه بالأدباء على وجه الخصوص ان الشاعر الصقلي محمد بن الحسين بن القرقوبي الكاتب[1] امتدح الأمير الصقلي ثقة الدولة يوسف الكلبي ، بأنه غاية ادخاره وكنوزه ، فهو لايرغب في المال ولايفتخر بما جمع طالما أن أحد أرصدته يوسف ثقة الدولة فقال :

لهم ماقتنوا فليحرصوا في ادخارهم ولي كنز شعر لايبيد ويوسف
هو الجبل الراسي الذي ليس ينتهي وبحر الندى الطامي الذي ليس ينزف[2]

على أن مما تجدر الاشارة اليه هنا ان محمد بن الحسين المعروف بابن القرقوبي كان قد صحب امراء وحكام صقليه ، ثم غادرها الى الاندلس وصحب ملوكها ووزر لهم[3] .

ونجد أن أحد أفراد الأسرة الكلبية وهو أبو محمد جعفر بن الطيب الكلبي يمتدح أمراء صقليه من الأسرة الكلبية ، ويبالغ في مدحهم ، حيث يصف أحدهم بأنه ملك يلجأ اليه الناس فيمنع عنهم غدر الأيام فقال :

ملك اذا لاذ العفاة ببابه أخذوا من الأيام عقد أمان
يعطي الجزيل ولايمنّ كأنما فرضٌ عليه نوافل الاحسان[4] .

ويحتضن بلاط أمراء صقيه الأدباء ، فهذا الشاعر ابو الحسن ابن الخياط الربعي[5] يلتحق بأدباء البلاط الصقلي ، ويمتدح الأمير انتصار الدولة

---

(١) وصف القفطي هذا الأديب بقوله : « شاعر صانع ، وأديب بارع من فضلاء العصر وحسنات الدهر ، وشعره كثير ، غير أنه خرج عن صقليه الى الاندلس فاستوطنها ، وسار ذكره ، وعظم قدره هناك .
القفطي ــ المحمدون من الشعراء (ص ٢٥٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٢٥٨) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٢٥٧) .

(٤) العماد الأصفهاني ــ الخريدة (١/١١٢) .

(٥) انظر موضوع (الدراسات الأدبية والشعرية في صقليه) .

وابنه مستخلص الدولة بقصيدة يظهر من خلالها أنه يرتزق من شعره ويطمع في عطاءهما ، فكان له ماأراد في ظل رعاية الأمراء الصقليين واهتمامهم بالأدباء ، ومن ذلك قوله :

علّق رجاءك بالحسين وابنه ان العلائق بالكرام أواصر
واعلم بإنك ان غزوت نداهما بلواء مدحهما فإنك ظافر[1] .

وقد بلغ اهتمام الأمير الصقلي إنتصار الدولة الكلبي بالشاعر ابن الخياط ، أن صرح ابن الخياط في احدى قصائده أن فضائل انتصار الدولة وإكرامه له ، كانت هي السبب في قدح زند الشعر عنده ، ولولا ذلك الإهتمام لما نطق بالشعر ، فقال :

لك عندي صنيعة قلدتني نعمة عفوها يقصّر جهدي
فاذا ماأضاء حولك نورٌ من ثنائي فأنت قادح زندي[2] .

وقد قضى ابن الخياط زمناً طويلاً في صقليه لدى امرائها حتى أصبح شاعراً لأسرة بني أبي الحسين الكلبيين حكام صقليه ، يسجل لهم حياتهم الحربية والسياسية ، ويسجل انتصاراتهم ، ويتحدث عن بعض الطامحين الثائرين عليهم[3] .

وقد وقف ابن الخياط مع الأمير الصقلي الأكحل وخاصة لما ثار عليه الصقليون ، ومع بني أبي الحسين عامة ، وأخلص لهم[4] .

ولما توفي مستخلص الدولة عبد الرحمن بن الحسن الكلبي رثاه ابن الخياط بأبيات تصوّر تفانياً في الحب حيث فقد أحد أفراد الأسرة الكلبية التي كانت حامية للأدب في صقليه[5] .

---

(١) التجيبي ـ المختار من شعر بشار (ص ١٧٤) .
(٢) المصدر السابق نفسه (١١٦) .
(٣) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٢١٢) .
(٤) المرجع السابق نفسه (ص ٢١٣) .
(٥) المرجع السابق نفسه (ص ٢١٤) .

وهذا الشاعر علي بن طاهر الرقباني[1] ، وهو أحد شعراء صقليه ، ومن علماء اللغة بها يتصل بالأمير صمصام الدولة ويمتدحه بقصيدة يذكر فيها مآثره ومناقبه والألقاب التي تشرّف بها . ولكنه لم يصرّح برغبته في العطاء ، كما هو الحال بالنسبة لبعض الشعراء الاخرين[2] .

ومن أمراء صقليه الذين اشتهروا برعايتهم للعلماء والأدباء أبو محمد جعفر بن يوسف بن عبد الله الكلبي المعروف « بتاج الدولة وسيف الملة » فقد كان : « ملك عظيم وجواد كريم ، وفد عليه العلماء والشعراء من كل مكان فأعلى منزلتهم . وكان الشعر أقل مراتبه »[3] .

كما وصف الأمير تاج الدولة بأنه أفضل الأدباء من الأسرة الكلبية فقال ابن سعيد المغربي عن صقليه : « وتوالى ولاة بني الأغلب الى أن انقرضت مدتهم فتوالى ولاة خلفاء العبيديين ، وتوارث دولتها بنو الحسن الكلبيون ، وأديبهم وفاضلهم ومنفق سوق الأدب منهم تاج الدولة وسيف الملة أبو محمد جعفر بن ثقة الدولة يوسف بن عبد الله[4] .

ومن أمراء الأسرة الكلبية والذين كان لهم اهتمام بالعلم والأدب أبو القاسم عبد الله بن سليمان بن يخلف الصقلي الكلبي ، فقد وصف بأنه ، « أحد الأدباء المجيدين والشعراء المعدودين ، جمع الى شرف المنصب غرائب العلم والأدب ، وتصرف في أنواع الشعر ، وأجاد التشبيهات . وأضاف الى ذلك جودة النثر ، وله تآليفات وكتب مصنفات من رد على العلماء ، وتعليق على الشعراء »[5] .

---

(١) انظر موضوع (علوم اللغة والأدب بصقليه) .

(٢) القفطي ـ أنباه الرواه على انباه النحاه (٢/٢٨٤) .

(٣) ابن سعيد المغربي ـ القسم الصقلي من كتاب المغرب في حلي المغرب المعروف « بالألحان المسلية في حلي حزيرة صقليه » (ص ٣٠) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٣٠) .

(٥) ابن الصيرفي ـ المنتخل من الدرة الخطيرة في شعر الجزيرة ـ مخطوط ورقه (١) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (١٧/٢٠٢) ، ابن شاكر الكتبي ـ فوات الوفيات (٢/١٧٦) .

وفي ظل رعاية ثقة الدولة يوسف بن عبد الله الكلبي للعلماء والأدباء نجد أنه يرحل اليه الأدباء ، فقد رحل اليه أبو محمد عبد الله بن محمد التنوخي المعروف بابن قاضي ميله[1] ، ومدحه بقصيدة في يوم عيد النحر وقد قال ابن خلكان عن تلك القصيدة : « وهي قصيدة بديعة لاتوجد بكمالها في أيدي الناس ، ولقد ظفرت بها في ظهر كتاب ، ولم يكن عندي منها سوى البعض ، ولاسمعت أحداً يروي منها إلا ذلك القدر فأحببت اثباتها لحسنها وغرابتها »[2] . ومما جاء في تلك القصيدة في مدح ثقة الدولة قوله :

حسامٌ على من ناصب الدين مصلتٌ ... وستر على من راقب الله مغذف

يسايره جيشان رأي وفيلق ... ويصحبه سيفان عزم ومرهف

يرى رأيه مالاترى عين غيره ... ويفري به ماليس يفري المثقف

رعى الله من ترعى حمى الدين عينه ... ويحمي حمى الإسلام والليل أغضف[3]

ومن مظاهر رعاية الأمراء الصقليين للعلماء والأدباء ، أن الأمير ثقة الدولة يوسف بن عبد الله ، عندما جاءه الشاعر والأديب المغربي محمد بن عبدون السوسي[4] اضافه الى ابنه جعفر حتى منعه جعفر بن ثقة الدولة من العودة الى بلاده .

---

(١) وصفه ابن رشيق في الأنموذج ونقل عنه الصفدي في الوافي بالوفيات أنه « شاعر مقتدر يؤثر الاستعارة ويكثر الرجز ، ويسلك طريق ابن ابي ربيعه في نظم الأقوال والحكايات ، وله في الشعر قدم سابقه ومجالٌ متسع .. » .

ابن رشيق ـ الأنموذج (ص ٢٠٩) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٥١٢/١٧) .

(٢) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٥٩/٦) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١٦١/٦) .

(٤) محمد بن عبدون الوراق السوسي ، بل هو من أكابر القيروان ، لكن أباه سكن سوسه ، فعرف بها ، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته .

ابن رشيق ـ الأنموذج (ص ٣٩٠) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣/٢٠٥ ـ ٢٠٦) .

وقد كانت رحلته الى صقليه في سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ، وامتدح بها الأمير ثقة الدولة يوسف بن عبد الله ، فأحسن إليه ، وكان من أكرم الناس عنده[١] . وقد وصف ابن عبدون السوسي بأنه « شاعر وطيء الكلام ، كلفٌ بعذوبة اللفظ والتوصل الى المعنى البعيد بلطافة وسكون جأش لايكاد يلغي بالشعر إلا قال »[٢] وظل ابن عبدون في صقليه حتى هزه الحنين الى وطنه ، فكتب الى جعفر بن يوسف قصيدة يتشوق فيها الى أهله وأحبابه ، فلما سمعها جعفر ازداد به تعلقا واشتد حرصه على استبقائه عنده ، فعاد وكتب قصيدة أخرى الى الأمير يوسف يمدحه فيها ويطلب منه السماح له بالعودة ، فكان مطلعها :

ياقصر طارق حبي فيك مأسور   شوقي طليق وخطوي عنك مأسور

ولم تفلح محاولته تلك ، فعاد يلجأ الى جعفر بن يوسف ، فعتب عليه جعفر وحجبه حتى عزّ وصوله اليه[٣] .

وفي تمسك الأمير بابن عبدون السوسي مايدل على حرص صاحب صقليه على شاعر جيد ، له مكانته في البلاط الحاكم « يعود الى حاجة صقليه الى شاعر قدير كابن عبدون السوسي »[٤] .

وعن هذا الشاعر الذي عاش في البلاط الصقلي ، قد خصّه ابن رشيق بترجمة في كتابه الأنموذج ، وامتدحه كثيرا ، ومما قال فيه : « ومن ملح مارأيت له قوله لجعفر حين استأذنه في الرجوع الى وطنه ، فعتب عليه وحجبه :

ولما رأيت البدر قمت مسلّماً   عليه وأظهرت الخضوع لديه
وقلت له : إن الأمير ابن يوسف   شبيهك قد عزّ الوصول اليه
فكن لي شفيعاً عنده ومذكرا   إذا جئته تبغي السلام عليه[٥] .

---

(١) ابن رشيق ـ الأنموذج (ص ٣٩٠) ، التجاني ـ الرحلة (ص ٣٨) .
(٢) ابن رشيق ـ الأنموذج (ص ٣٩٠) .
(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٣٩٢) .
(٤) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ١٧٠) .
(٥) ابن رشيق ـ الأنموذج (ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣) .

وقد أكرم الأمير جعفر بن يوسف الكلبي الشاعر ابن عبدون ، عند سماعه لهذه الأبيات وذلك بأن بالغ في إكرامه بمنحه مال كثير ، وازداد اعجابه به[1] .

واحتضنت صقليه بعض الأدباء الوافدين ، والراغبين في تحسين معيشتهم في ظل رعاية امرائها ، فهذا أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي[2] وفد الى صقليه في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م ، بعد أن كان تحت رعاية المنصور بن أبي عامر[3] ، في الأندلس . وفي صقليه اتصل بأمرائها من الأسرة الكلبية فأكرموه وبذلك : « فارق البؤس وراجع النعمة »[4] . وظل بصقليه الى أن توفي في سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م[5] .

ومن الشعراء الذين هاجروا الى صقليه لينعموا بكرم امرائها الكلبيين عبد الحليم بن عبد الواحد السوسي[6] ، الذي سكن مدينة بلرم ، واستدر من ذوي كرمها الكرم ، وقد وصف بأن له : « نظم كالعقود وحلب كالعنقود »[7] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ٣٩٣) .

(٢) أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي ، اللغوي ، البغدادي ، دخل الأندلس ايام خلافة هشام بن الحكم المؤيد وولاية المنصور بن أبي عامر ، اشتهر بسرعة الجواب عما يسأل عنه ، وقد ألف للمنصور بن أبي عامر كتاب « الفصوص» .

ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن الجزيرة (٧/٥٥) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (١٦/٢٢٦) .

(٣) محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد ، المعافري القحطاني ، المعروف بالمنصور بن أبي عامر الحاجب الملك المنصور الأندلسي ، أحد الشجعان الدهاه ، قام بشئون الدولة عندما كان المؤيد بالله هشام بن المستنصر صغيرا . وهو الذي بنى مدينة الزاهرة بشرق قرطبه . واشتهر بحبه للعلم والعلماء والأدباء .

الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣/٣١٢) ، المقري ـ نفح الطيب (٢/١٢٠) .

(٤) ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٧/٥٥) .

(٥) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (١٦/٢٢٧) .

(٦) انظر موضوع (الدراسات الأدبية والشعرية في صقليه) .

(٧) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/٢١) ، التجاني ـ الرحلة (ص ٤٢) .

وقد عشق عبد الحليم السوسي صقليه منذ نعومة اظفاره ، ولكن لم يقدر له وصلها إلا بعد اكتهاله وقد صوّر لنا ذلك الشاعر في البيتين التاليين اللذين قالهما في صقليه :

عشقت صقلية يافعا وكانت كبعض جنان الخلود

فما قدر الوصل حتى اكتهلت وصارت جهنم ذات الوقود(١) .

وكان الشاعر عبد الحليم السوسي اثناء اقامته في صقليه لدى امرائها الكلبيين ، قد شهد فترة الفوضى والاضطراب السياسي بها ، واستبداد كل قائد بحكم اقليم من الأقاليم ، وبذلك نجد أنه ينحاز الى أحد هؤلاء القادة وظل يمتدحه بشعره ، حيث انحاز الى ابن منكود ، فكا مما قال فيه :

تغار العلا لابن منكودها فلا تقبل المدح فيه اختصار(٢) .

ومن مظاهر رعاية امراء صقليه للأدباء والشعراء ، الصفح عن المخطيء والعفو عند المقدرة ، فقد ذكر ابن رشيق القيرواني في الأنموذج ، خبرا يدل على ذلك الأسلوب ، فذكر أن عبد الله بن ابراهيم بن مثنى الطوسي المعروف بابن المؤدب(٣) : خرج مرة يريد صقليه فأسره الروم في البحر ، وأقام مده إلى أن هادن ثقة الدولة ملك الروم ، وبعث اليه بالأسرى ، وكان ابن المؤدب فيهم ، فمدح ثقة الدولة بقصيدة ، راجياً صلته ، فلم يصله بما أرضاه ، فتكلم فيه ،

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٢٢/١) .

(٢) السلفي ـ معجم السفر ـ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٩٣٢ تاريخ ص (١٥٧) .

(٣) عبد الله بن ابراهيم بن مثنى الطوسي ، المعروف بابن المؤدب ، أصله من المهدية ، كان شاعرا مذكورا ، مشهورا ، متصرفا ، ذا حيلة وكيد ، وكان صديقا لابن رشيق القيرواني ، وهو يؤدب بعض أولاد تجار القيروان . توفي بعد أن سقط من ظهر دابته ، فكسرت فخذه حتى ظهر مخه وعظمه ، في سنة ٤١٤ هـ .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٥٧/٦ ـ ١٥٨) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٩/١٧) .

فبلغ ذلك ثقة الدولة ... فاختفى وطالت المدة ، فخرج وهو سكران في بعض الليالي يشتري نَقْلا[1] ، فما شعر إلا وقد قُيد ، وحُمل بين يدي ثقة الدولة ، فقال له : ماالذي بلغني عنك ؟ فقال : المحال ياسيدنا . فقال : من الذي يقول في شعره :

والحر ممتحن بأولاد الزنا[2] .

فقال : الذي يقول :

وعداوة الشعراء بئس المقتنى[3] .

فتنمّر ساعة ، ثم أمر له بمائة رباعي[4] ، وأخرجه من المدينة كراهية أن تقوم عليه نفسه فيعاقبه . فخرج »[5] .

وبعد أن عفا ثقة الدولة عن ابن المؤدب ، مدحه بقصيدة ، وذلك اعترافا منه بفضل ثقة الدولة عليه ، وإكرامه اياه[6] .

ومن الشعراء الذين هاجروا الى صقليه وانضموا الى مجالس امرائها وكتّابها ، الشاعر عبد الكريم بن فضال القيرواني الحلواني[7] الذي اتصل

---

(١) النُّقْل : مايعبث به الشارب على شرابه ، وهو مايُتنقّل به على الشراب . ابن منظور ـ لسان العرب (٦٧٦/١١) ، الفيروزابادي ـ القاموس المحيط (٦١/٤) .

(٢) صدر هذا البيت : وأنه المشير عليك فيّ بِضلّةٍ .

(٣) صدر هذا البيت : ومكايد السفهاء واقعة بهم .

الشطران المستشهد بهما هما من قصيدة للشاعر ابي الطيب المتنبي قالها في مدح بدر بن عمار .

ديوان المتنبي بشرح العكبري (٢٠٦/٤) .

(٤) الرباعي : المقصود بها العملة من فئة ربع الدينار التي كانتا تضرب في صقليه .

مارتينو ـ المسلمون في صقليه (٣٢) .

(٥) ابن رشيق ـ الأنموذج (ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٧٩) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص ١٧٩) .

(٧) وصف ابن فضال الحلواني بأن له كلام في النسيب رائق ، ومتأخر سابق ومديحه عليه طلاوة ، وبالجملة ففي الفاظ الحلواني حلاوة » ـ ابن بسام ـ الذخيرة (٢٨٤/٧) .

بالشيخ ابراهيم بن محمد الكناني الشامي صاحب الخمس بصقليه[1] ، ومدحه بقصيدة منها قوله :

شدّوا الحدوج وزرّوها على قمر   في الحسن تنجاب عن انواره الظلمُ[2]

والشاعر بذلك يصوّر صاحب الخمس بصقليه بأنه ممن تشدّ اليه الرحال وذلك لكرمه وحسن وفادته ، وأنه حصن منيع لمن يأوي إليه .

كما مدح هذا الشاعر أحد الأمراء الكلبيين ولقبّه « بشيخ القبيلة في الجزيرة وخلع عليه بعض الصفات التي ذكر أنها لاتوجد عند غيره » .

فمن ذلك قوله :

شيخ القبيلة في الجزيرة والذي   سبقت ظنون الحاسدين أناتُه
ماتفعل الأيام غير مراده   فكأنما حركاتها أدواتُهُ
هذا الثناء عليك يعبق طيبُه   ياابن الكرام وحاسدوك رواتُه[3] .

ومن أمثلة اهتمام امراء وحكام صقليه بأهل العلم والأدب ، أنهم احتضنوا عالم اللغة والأدب الحسن بن رشيق القيرواني ، صاحب كتاب « العمدة في صناعة الشعر ونقده » وهو « أجل كتبه وأكبرها »[4] . ولم يزل ابن رشيق في حاضره البلاط الصقلي مكرّماً الى أن توفي في حدود سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م[5] .

وتترامى الأخبار في صقليه بوجود ابن رشيق فيها ، فيفد عليه اصدقاؤه وأحباؤه من أهل المعرفة ، ومن ذوي المروءة والنجدة ، ولايلبث أن يتحول مجلس ابن رشيق الى مجلس أدب ونقد ، يقرأ ابن رشيق فيه كتاب « العمدة » وقد أحب أهل صقليه هذا الكتاب ، واختصره احد اعلامهم في اللغة والأدب وهو أبو عمرو عثمان بن علي الخزرجي الصقلي في كتاب أسماه « العدة » .

---

(١) انظر موضوع (الحياة الاقتصادية في صقليه) .

(٢) ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٢٩١/٧) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢٩٣/٧) ، ابن سعيد ـ رايات المبرزين وغايات المميزين (ص ١٤٣) .

(٤) القفطي ـ أنباه الرواه (٣٣٨/١) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٣٣٨/١) .

وبهذا تحول ابن رشيق من كبير أدباء البلاط الأدبي للمعز بن باديس في افريقية الى كبير البلاط الأدبي في صقليه[1] .

ومن مظاهر اهتمام حكام صقليه بالعلماء نجد أن عالم صقليه المشهور في اللغة ابن البرّ الصقلي[2] ، وبعد عودته من رحلاته العلمية ، استقر بمدينة مازر من جزيرة صقليه ، واتصل بأميرها ابن منكود ، فقربه اليه وأكرمه ، وكان ابن منكود هذا على غاية من الصيانة والدين والزهد ، وبلغه عن ابن البرّ أنه يشرب الخمر ، فعزّ عليه ذلك وأرسل اليه من يقول له : « أننا انما أردناك لعلمك ودينك ، وأردنا منك الصيانة ، وإذا كان ولابد من شرب الخمر ، فهذا النوع ببلرم كثير ، وربما يعزّ وجوده هنا »[3] . وخجل ابن البرّ من هذا الكلام وخرج من مازر الى مدينة بلرم وظل يدرس اللغة بها الى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[4] .

ومن أهم مظاهر اهتمام ورعاية حكام صقلية بالعلماء والأدباء ، أن تؤلف المؤلفات وتهدى لهم ، مقابل كريم صنيعهم وحسن وفادتهم ورعايتهم للعلم وأهله ، وخير دليل على ذلك مانجده في مقدمة كتاب « سلوان المطاع في عدوان الأتباع » لابن ظفر الصقلي ، والذي أهداه مؤلفه لأحد القادة المسلمين في صقليه ويدعي أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم علي بن علوي القرشي[5] ، ومما جاء في تلك المقدمة : « فإن مما أفضى اليه اضطراب الاغتراب ، وانتياب الاكتئاب ، أن أظفرني الله وله الحمد ، بمؤاخاة مقيل عثرات السادات السراه ومسل انفس الحسدة حسرات ، سيد السادة ، وقائد القادة ابي عبد الله محمد بن ابي القاسم علي بن علوي القرشي ... ولما كانت الهدايا تزرع الحب

---

(١) عبده قلقيله ـ البلاط الأدبي للمعز بن باديس (ص ١٧٠) .

(٢) انظر موضوع (الدراسات اللغوية في صقليه) .

(٣) القفطي ـ أنباه الرواه (١٩٠/٣) .

(٤) المصدر السابق نفسه (١٩٠/٣) .

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

وتضاعفه ، وتعضد الشكر وتساعفه ، احببت أن أهدي له هدية فائقة ، تكون عنده نافقه ، وبقدره لائقه فلم أجد ذلك الا العلم الذي شغفه حبا ، والحكمة التي لم يزل بها صبا ، والأدب الذي استوعبه مولوداً وكسباً(١) .

ويتضح مما سبق ان ابن ظفر وأثناء اقامته بصقليه قد حظى بكرم وعطف واحسان ذلك القائد المسلم بصقليه(٢) .

ونختتم الحديث عن رعاية أمراء وحكام صقليه للعلم والعلماء فنذكر هذه الرواية التي ذكرتها المصادر والتي تبين مدى اهتمام حكام صقليه بالعلماء والأدباء ، بل هي من أهم مظاهر اهتمام الأغالبة حكام صقليه بالعلماء ذلك ، أنهم كانوا يأتون الجوامع ليلة النصف من شعبان ، والنصف من رمضان ، ويعطون من الصدقات كثيرا ، ثم يخرجون في حشمهم وأهل بيتهم الى أنحاء المدينة فيزورون دور الزهاد والعلماء والكتاتيب ، فيوزعون عليهم الأموال والعطايا الجسيمة(٣) .

---

(١) ابن ظفر ـ سلوان المطاع في عدوان الاتباع (ص ١٥ ـ ١٦) .

(٢) عبد الحميد حاجيات ـ نظرية ابن ظفر الصقلي في اخلاق الملوك من خلال كتاب سلوان المطاع ـ مقال بمجلة اوراق ٤ ـ ٥ ـ ٦ المعهد الاسباني العربي للثقافة مدريد ـ ص ٤٤ .

(٣) المالكي ـ رياض النفوس (٤١١/١ ـ ٤١٢) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (١١٦/٢ ـ ١١٧) ، حسن عبد الوهاب ـ ورقات عن الحضارة العربية (٨٧/١) .

الفصل الثاني

الحركة العلمية في صقلية الإسلامية وتطورها



الحركة العلمية في صقليه الإسلامية وتطورها

عندما دخل المسلمون الى صقليه دخلت معهم لغتهم وقيمهم ، ومعتقداتهم وعاداتهم . واذا كانت غيرتهم على الإسلام تتمثل في الجهاد في سبيل الله ، فإن غيرتهم على التراث الإسلامي تتمثل في مراجعته وإحيائه ونشره في مواطن الإغتراب والهجرة .

وعندما وطئت أقدام المسلمين صقليه ، بادروا بتوطين الثقافة الاسلامية بها ، كما فعل اخوانهم في شمال افريقيا والأندلس ؛ فمن المعروف أن المسلمين لم يدخلوا بلداً من البلدان فاتحين ، إلا فتحوه لغوياً ، كما فتحوه سياسياً ؛ وأبدلوه من لغته الأصلية ، لغتهم العربية . وكان القرآن الكريم هو القبس الذي يضيء ذلك الصنيع ، إذ لقّنوه الأمم المفتوحة وبثوا في أبنائها إعجاباً لاحدّ له بأدبهم وعلومهم ، سواء في ذلك من اعتنق دينهم الإسلامي ، ومن ظل على دينه القديم(١) .

ومن حسن الطالع أن تقع صقليه في مكان متوسط بين افريقيا والأندلس وتعاصر مدينتين مشعتين بالثقافة والعلوم ، القيروان في أفريقيا وقرطبه في الأندلس . ولكن الواضح أن ارتباط صقليه بالقيروان كان قوياً وعميقاً ، وذلك لاقتران صقليه بالقيروان سياسياً .

ولأجل ذلك بدت صقليه تتمثل في نقل الثقافات المختلفة بين افريقيا والأندلس ، وأصبحت جسراً تعبره الثقافات الإسلامية الى أوربا .

يضاف الى ذلك كله أن صقليه كانت مهداً لحضارات قديمة تعاقبت عليها وامتزج قديمها بحديثها ، وعربيها بعجميّها .

---

(١) شوقي ضيف ـ نوابغ الفكر العربي (ابن زيدون) (ص ١١) .

وعن هذا الامتزاج الثقافي في صقليه قال أحد الباحثين المحدثين :

« وصقليه بحكم مركزها كانت مهيأة بصفة خاصة لتكون وسيلة لنقل علوم العصور القديمة والعصور الوسطى ، وكان من بين سكانها بعض العناصر الإغريقية التي تتكلم اللغة العربية ، وفريق من العلماء الذين يعرفون اللاتينية ، ومن ثم نقل كثير من الكتب الإسلامية إلى اللغة اللاتينية ، وقد شهدت الجزيرة خلال الحكم العربي امتزاج الحضارات العربية باليونانية وبالرومانية »[١] .

وإن سيادة الثقافة الإسلامية في جزيرة صقلية ، جعلت منها مركزاً هاماً من مراكز الحضارة الإسلامية ، ويعتبر العصر الذي سادت فيه الثقافة الإسلامية في هذه الجزيرة هو العصر الذهبي لها ذلك العصر الذي طغت فيه صقليه على جميع ممالك أوربا من حيث الحضارة والمدنية[٢] .

وبعد ان استقرت صقليه سياسياً أصبحت مركزاً من مراكز الثقافة الإسلامية تشع أنوارها ، متصلة ببلدان العالم الإسلامي ومراكزه الثقافية من جهة ، وبأوربا من جهة أخرى . قال السمعاني عن صقليه : « خرج منها جماعة كثيرة من العلماء المسلمين قديماً وحديثاً »[٣] . قال السمعاني ذلك وهو يتحدث عن صقليه وهي تحت السيادة النورمندية .

وقال الأنصاري عن صقليه : « لما كانت في أيدي المسلمين كانت كثيرة العلماء والأدباء والفضلاء مضاهية الأندلس »[٤] . ويقول ابن فضل الله العمري : « ولقد كان بها أيام الإسلام من أمرائها ملوك البّاء وأعيان أدباء مامنهم إلا من يقصد له ويمدح ويقصد ويمنح »[٥] .

---

(١) علي الخربوطلي ـ العرب والحضارة (ص ٣٢) .

(٢) علي ابراهيم ـ تاريخ جوهر الصقلي (ص ٢٠) .

(٣) السمعاني ـ الانساب (٥٤٩/٣) .

(٤) الأنصاري ـ نخبة الدهر وعجائب البر والبحر (ص ١٤٠) .

(٥) ابن فضل الله العمري ـ مسالك الأبصار في المكتبة الصقلية (ص ١٥٢) .

ونحن عندما نتحدث عن الحركة العلمية في صقلية الإسلامية فإن ذلك يعني أن نتطرق في الحديث الى نقطتين رئيستين ، أولاهما : اتصال صقليه السياسي والثقافي بالقيروان على وجه الخصوص وذلك لتأثير القيروان المباشر على صقليه في كافة النواحي وخاصة السياسية والثقافية . واتصال صقليه بالقاهرة . لتأثير القاهرة الفاطمية على صقليه في فترة التبعية السياسية لها .

وثانيهما : الرحلة في طلب العلم على اعتبار ان الرحلة تمثل ركيزة أساسية في انتعاش ثقافة وعلوم أيّ بلد ، واعتبار أن الرحلة كانت من أهم طرق البحث عن العلم عند المسلمين ، هذا فضلاً عن أن الرحلة في طلب العلم كانت تمثل جانباً من جوانب الإتصال الثقافي بين بلدان العالم الإسلامي .

فقد كانت صقلية تهتدي بالأنوار المنبعثة من القيروان ، وكان لكل حادث افريقي هام صدى فيها ، وسر هذا ليس في أن صقلية قريبة في موقعها من شمال افريقيا فحسب ، ولكن لأن أهل افريقيا هم الذين افتتحوها . ومن ثم ظلت العلاقات قائمة بين المهاجرين واخوانهم في الوطن الأصلي . وزاد هذه العلاقة توثيقاً تجدد الهجرة من افريقية الى صقلية ، ورحلة الصقليين الى القيروان في طلب العلم وهي ظاهرة نراها موجودة حتى بعد أن أصبح لصقلية في النواحي العلمية اسم مذكور(١) .

وفي عهد سيادة الأسرة الكلبية على صقلية تمتعت صقلية بشيء من الإستقلال الذاتي مصحوب ببعض السيطرة الفاطمية .

وكان لارتباط صقليه السياسي بالقيروان وبالفاطميين يعكس أثراً على الناحية العلمية ذا مظهرين : أولاهما : فقد تبلورت في صقلية جهود علمية خاصة وأصبح الجيل الناشيء من أبناء الفاتحين صقلي الروح والإنتاج الى حد

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٨٥) .

ما(١) . ويتضح لنا ذلك من خلال خروج عدد كبير من العلماء وخاصة في مجال الدراسات الشرعية ، الذين كوّنوا لصقلية مدرسة فقهية كابن يونس وعبد الحق والسمنطاري . وثانيهما : فقد أصبحت القاهرة تشارك القيروان في توجيه الحياة الثقافية في الجزيرة(٢) . وقبل القاهرة الفاطمية ، كانت بلاد المغرب بعد قيام الدولة الفاطمية ، تؤثر في الحياة الثقافية في صقلية ، وكانت تنعكس الاضطرابات السائدة في افريقيا والخلافات المذهبية التي قامت في القيروان ، على صقليه . فأصبحت صقليه ميداناً للشقاق بين أنصار السنة ودعاة الشيعة ، وعلى الخصوص بين العرب الذين كانوا قوام الدولة الأغلبية ، والعناصر البربرية التي كانت ترى أنها هي أقطاب الدولة الفاطمية .

من أجل ذلك كله كان شأن الثقافة الإسلامية ضعيفاً في ظل الأحداث السابقة ، هذا إذا استثنينا فترة ولاية الأسرة الكلبية على صقلية .

وعلى الرغم من الأحداث السابقة فقد خرجت مدينة « بلرم » معلنة عن وجودها الثقافي واصبحت تذكر مع القيروان ، وقرطبة ، والقاهرة . ولم تكن صقلية تعيش في عزلة تباعد بينها وبين غيرها من البلاد الإسلامية ، ولكن الحركة كانت بطيئة ، وكانت أخطار البحر تحد من نشاطها ، ومع ذلك فقد كانت الأسواق الصقلية مجالاً لتبادل السلع والأفكار ، وعاملاً أكيداً في تفاعل الآراء ، كما كانت الرسائل المتبادلة بين أهلها وناس في خارجها حلقة من حلقات الربط الثقافي(٣) .

أما عن الرحلة في طلب العلم ، فقد كانت من أهم مميزات جهود المسلمين في طلب العلم ، وكان العلماء يحثون الطلبة عليها ، فكان الطالب يترك

---

(١) المرجع السابق نفسه (ص ٨٥) .
(٢) المرجع السابق نفسه (ص٨٥) .
(٣) المرجع السابق نفسه (ص ٨٥ ـ ٨٦) .

بلدته بعد أن يحصل مالدى علمائها ، فيتوجه الى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي ويكابد مشّاق السفر وأخطاره التي يعجز المرء عن وصفها ، ولكن هذه المشاق وتلك الأخطار لم تقف حائلاً دون تلك الرحلات التي ملأت اخبارها بطون الكتب . فقد حمل حب العلم المسلمين الى آفاق بعيدة ، وقلما نجد بين العلماء من لم يرحل في طلبه ، وربما قطع الواحد منهم آلاف الأميال لمجرد قراءة كتاب واحد ، أو لسماع حديث واحد[1] .

والرحلة في طلب العلم لم تكن مقتصرة على فئة معينة من العلماء ، وطلاب العلم . بل كان علماء القرآت يرحلون في طلب العلم ، وكذلك أصحاب الفقه والحديث ، والأدباء ، ولكن أصحاب الحديث كانوا أنشط الطلاب على الرحيل في طلب العلم . قال الخطيب : « ولو كان حكم المتصل والمرسل واحداً لما أرتحل كتبة الحديث وتكلفوا مشاق الأسفار الى مابعُد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق »[2] . ويقول ابن الصلاح : « وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل الى غيره[3] .

أما ابن خلدون فيذكر انه لابد من الرحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال . ويشير الى أن : « الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم ، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم ومايتنحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاءً ، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول

---

(١) منير أحمد ـ تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم (ص ٦٥) .

(٢) الخطيب ـ الكفاية في علم الرواية (ص ٤٠٢) .

(٣) ابن الصلاح ـ علوم الحديث (ص ٢٢٢) .

الملكات ورسوخها ، والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلّطة على المتعلم ، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ، ولايدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق من المعلمين ، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرّد العلم عنها »[١] .

ونظراً لأهمية الرحلات العلمية في تاريخ المسلمين التعليمي ، فلقد صنف فيها عدد من العلماء كالخطيب البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م[٢] . وأبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي الأندلسي المتوفي سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م[٣] .

ان الرحلة في طلب العلم كانت سمة كثير من علماء المسلمين وطلاب العلم في كافة أنحاء البلاد الإسلامية ، وعلى مر العصور ، فقد كانت الرحلات العلمية تمثل ركيزة أساسية من ركائز الوحدة الثقافية بين بلدان العالم الإسلامي على الرغم من تمزق العالم الاسلامي من الناحية السياسية ، فقد كانت الرحلة مجالاً لتبادل الأفكار بين سكان مختلف الأقاليم ، مما أبقى على تلك الوحدة حية وزاد في تماسكها ، والسرعة التي يتم انتقال الأفكار بين البلاد الاسلامية أمر يدعو الى الإعجاب .

ونظراً لأن لغة العلوم كانت اللغة العربية ، فقد ساعد ذلك من يرحل في طلب العلم أن يدرس اينما ذهب في أنحاء العالم الإسلامي بصرف النظر عن لغة أهل البلاد التي يزورها ، فقد كانت اللغة العربية هي اللغة السائدة في المساجد ودور العلم ، وكان يتقنها الشيوخ والطلبة على السواء[٤] .

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة (ص ٥٤١) .

(٢) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص ٢٤٨) . وكتاب الخطيب البغدادي هو كتاب الرحلة في طلب الحديث وهو كتاب مطبوع عدة طبعات ، ونشره عدد من دور النشر .

(٣) وكتابه عرف بإسم كتاب « الرحلة » حاجي خليفة ـ كشف الظنون (١٤١٩/٢) .

(٤) منير الدين أحمد ـ تاريخ التعليم عند المسلمين (ص ٦٧) .

وعلماء وطلبة العلم في صقلية الإسلامية لم يكونوا بمعزل عن مراكز الثقافة الإسلامية في كافة الأمصار الاسلامية ؛ في القيروان ، والقاهرة ، وقرطبة ، وبغداد ، والحجاز وغيرها من مراكز الثقافة الاسلامية ؛ فقد خرج طلبة العلم من صقلية يبحثون عن العلم في كل مكان ويتتبعون العلماء والمشائخ ، ويدرسون على أيديهم ، وينقلون مؤلفاتهم .

وقد أشارت كتب التراجم الى كثير من ذلك فكانت تذكر لنا وهي تتحدث عن أعلام صقلية ، رحلاتهم العلمية . ونحن هنا سوف نشير الى بعض الأمثلة فقط حتى لايكون هناك تكرار في المعلومات ، في أكثر من موضع في البحث ، وقد ذكرنا مفصلاً في الجزء الخاص بدراسة النتاج العلمي لعلماء صقلية ، وعلاقة صقلية الثقافية ببلدان العالم الاسلامي .

فهذا محمد بن خراسان الصقلي المتوفي بصقلية سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م ، أحد علماء القراءات المشهورين بصقليه ، رحل الى مصر وأخذ علم القراءات عن علمائها ثم عاد متصدراً للإقراء في صقليه[١] . وكذلك أبو الطاهر اسماعيل ابن خلف بن سعيد بن عمران الصقلي المتوفي سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ، رحل الى مصر وتلقى علم القراءات على شيوخها المشهورين ، وتصدّر للإقراء في جامع عمرو بن العاص قبل أن يعود الى صقليه[٢] .

أما أشهر علماء صقليه في علم القراءات فهو ابن الفحام الصقلي المتوفي سنة ٥١٦ هـ/ ١١٢٢م ، الذي رحل الى المشرق في طلب القراءة على الشيوخ ،[٣] ودرس على مشايخها القراءات السبع[٤] ، ثم تصدّر للإقراء بعد ذلك بعد أن اكتملت فيه شروطه ، وبرز فيه بروزاً واضحاً .

(١) ابن الجزري ـ غاية النهاية في طبقات القراء (١٣٦/٢) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٩٩/١) .
(٢) الذهبي ـ معرفة القراء (٣٤١/١) ، سعيد عاشور ـ بحوث في تاريخ الاسلام (ص ١٨١) .
(٣) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٣٨٧/١٩) .
(٤) المصدر السابق نفسه (٣٨٧/١٩ ـ ٣٨٨) .

وهذا ابن ظفر الصقلي صاحب كتاب التفسير « ينبوع الحياة » يخرج في رحلة لطلب العلم الى كثير من بلدان العالم الإسلامي ، والتقى بالعلماء ، فقد خرج الى مكة المكرمة ونشأ بها والتقى بشيوخها[1] ، كذلك أقام بالمهدية مدة من الزمن درس فيها على علمائها[2] . كما رحل الى الأندلس وبغداد ، وحلب[3] .

ومن المشاق التي تعرض لها في أثناء رحلاته تلك أنه في أثناء اقامته في مدينة حلب تعرض للنهب ، ونهبت كتبه فيما نهب وكان قد ألفّ بها كتابه في التفسير[4] . ثم رحل بعد ذلك الى حماه واستقر بها الى أن مات[5] .

ورحل الى الأندلس أحد علماء صقليه في مجال علم الحديث ، فقد خرج أبو الفضل العباس بن عمرو الصقلي في رحلة علمية الى الأندلس ، روى خلالها كتاب « غريب الحديث » لمؤلفه قاسم بن ثابت السرقسطي[6] .

وممن رحل في طلب العلم من أعلام صقليه الشيخ المحدث أبو بكر عتيق بن علي بن داود المعروف بالسمنطاوي المتوفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ، فقد سافر الى الحجاز واليمن والشام ، وفارس وخراسان ، والتقى بعلمائها[7] .

أما أشهر علماء صقليه في علم الحديث فهو المازري المتوفي سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م . صاحب كتاب « المعلم بفوائد مسلم » فقد كان له رحلة للدراسة على الشيوخ ، فقد درس على شيوخ القيروان المشهورين في الفقه والحديث[8] .

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٩٧/٤) .

(٢) الداودي ـ طبقات المفسرين (١٦٧/٢) .

(٣) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٩٥/٤) ، الفاسي ـ العقد الثمين (٣٤٤/٢ ـ ٣٤٦) .

(٤) الداودي ـ طبقات المفسرين (١٦٧/٢) . (٥) المصدر السابق نفسه (١٦٧/٢) .

(٦) الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص ٣١٧) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص ٤٣٠) .

(٧) عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٥/٤) ، ياقوت ـ معجم البلدان (٢٥٣/٣) ، مخلوف شجرة النور الزكية (ص ٩٨) .

(٨) انظر الفصل الخاص بالدراسات الشرعية .

ورحل فقيه صقليه محمد بن عبد الله بن يونس المتوفي سنة ٤٥١هـ/١٠٤٩م الى القيروان ودرس على شيوخها ، وعاد الى صقليه ، وأسس بها مدرسة صقليه الفقهية المستقلة مع بعض شيوخ صقليه[١] .

وخرج فقيه صقليه عبد الحق الصقلي المتوفي سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م في رحلة علمية الى بعض بلدان العالم الإسلامي ، فالتقى بالشيوخ القرويين في القيروان ، وذهب للحج مرتين والتقى بشيوخ مكة ، وخاصة بأبي المعالي الجويني . فقد دارت بينهما مناقشات ورسائل[٢] . ثم كان لعبد الحق الصقلي رحلة الى مصر حيث استقر بالإسكندرية الى أن توفي[٣] .

واشتهر الفقيه والأديب والنحوي الصقلي محمد بن ابي الفرج المازري المعروف بالذكي المتوفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م ، اشتهر بكثرة الترحال حيث خرج الى القيروان[٤] . كما رحل الى خراسان ، وبلاد الهند وأصبهان[٥] .

وممن رحل في طلب العلم من اعلام صقليه أبو بكر محمد بن علي المعروف بابن البّر الصقلي ، فقد رحل في طلب العلم إلى المشرق وروى كثيراً من اللغة وعاد واستقر بصقليه[٦] . وبها اشتهر ، وتخرج على يديه علماء في اللغة كابن القطاع الصقلي . ثم كانت له رحلة ايضاً الى الأندلس ، التقى فيها بعلمائها المشهورين[٧] .

---

(١) انظر الفصل الخاص بالدراسات الشرعية .

(٢) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٤/٤) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٥٦/٢) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١١٦) .

(٣) المصادر السابقة نفسها (٧٧٤/٤) ، (٥٦/٢) ، (ص ١١٦) .

(٤) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢١/٤) .

(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٢/٤) ، القفطي ـ أنباه الرواه (٧٣/٣) .

(٦) المصدر السابق نفسه (١٩٠/٣) ، ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٦٧١/٢) .

(٧) المصدر السابق نفسه (٦٧٢/٢) .

ومن أشهر علماء صقليه في اللغة والذين كانت لهم رحلة في طلب العلم علي بن جعفر المعروف بابن القطاع الصقلي ، حيث خرج من صقليه وتوقف في الأندلس[1] . ثم رحل الى الديار المصرية ؛ وبها تصدر للتعليم والإفادة[2] .

والرحلة لم تكن مقتصرة على طلاب العلم في الدراسات الشرعية ، فقد رحل كذلك الأدباء الى بلدان العالم الاسلامي يأخذون عن أدبائها ، ويتعلمون من شراحها ونقادها . وخير مثال نورده على ذلك نجد أن الشاعر الصقلي عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس الأزدي الصقلي المتوفي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م ، نجد أنه قد خرج من صقليه الى الأندلس في عهد ملكها المعتمد بن عباد ، وأصبح من أهم شخصيات البلاط الأدبي في الأندلس ، ثم رحل الى مدينة تونس ، ثم رحل وأقام في بلاط ابن باديس الزيري ، وقد كان الشاعر كثير التنقل بين المهدية ، وبجاية وقابس ، وصفاقس[3] .

ورحل زهّاد صقلية ومتصوفوها الى بلدان العالم الإسلامي والتقوا بالعلماء وخاصة ممن يتصف بصفتهم ، فهذا سعيد بن سلاّم الصقلي ، أحد زهّاد صقليه كانت له رحلة الى الحجاز ، وبلاد فارس حيث ظل بها الى أن توفي سنة ٣٧٣هـ /٩٨٣م[4] .

---

(١) السلفي ـ أخبار وتراجم اندلسية مستخرجة من معجم السفر (ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١) .
(٢) القفطي ـ أنباه الرواه (٢/٢٣٦) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٣٢٣) .
(٣) سيد اسماعيل ـ ابن حمديس الصقلي شاعراً (ص ٣ ـ ٤ ـ ٥) .
(٤) القشيري ـ الرسالة (ص ٢٩) ، الشعراني ـ طبقات الصوفية (١٠٤ ـ ١٠٥) .

ورحل ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الصقلي ، المعروف بإمام الحقيقة(١) . وشيخ أهل الطريقة المتوفي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م . الى القيروان والتقى بفقهائها وزهادها ثم سافر الى المشرق ، وفي مكة التقى بالزهاد من المقيمين والمجاورين(٢) .

ومما يجدر ذكره هنا أنه وبعد نشأة المدارس في العالم الإسلامي وانتشارها منذ منتصف القرن الخامس الهجري ، بدأت الرحلات في طلب العلم تتركز نحوها فكان طلبة العلم يقصدونها للإستفادة من شيوخها وعلمائها في مختلف العلوم والفنون(٣) .

ومن أمثلة ذلك ان ابن ظفر الصقلي الذي أشرنا اليه أنفا وفي أثناء رحلته العلمية في عدد من البلدان واستقراره أخيراً بمدينة حلب . نجد أنه يقيم فيها في مدرسة ابن ابي عصرون(٤) .

كذلك ورد في معجم السفر لأبي الطاهر أحمد بن محمد السلفي مايفيد بأن كثيرا من علماء صقليه وطلاب العلم بها ممن كانت لهم رحلة الى المشرق الإسلامي كانوا يقيمون في المدرسة المسمّاة باسمه في الإسكندرية ، والتي

---

(١) الحقيقة مصطلح من مصطلحات الصوفية يقصد به تكلف العبد لاستدعاء جهده وطاقته ، وهذه الحقيقة هي وقوف القلب بدوام اليقظة بين يدي الله وعلى هذا فأهل التحقيق هم من يسعون ويكدون لدوام الوقوف بين يدي ربهم ومداومة مراقبة قلوبهم لذلك . أبو القاسم الصقلي ـ الأنوار في علم الأسرار (ص ٢١) .

(٢) الدباغ ـ معالم الايمان (٣/١٤٤ ـ ١٤٥) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ٩٨) .

(٣) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص ٢٤٨) .

(٤) هي المدرسة التي أنشأها فقيه الشام : شرف الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون التميمي ، أحد الأعلام الفضلاء البارعين في القراءات والنحو والأصول والفقه ، المتوفي سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م .

الذهبي ـ العبر في خبر من غبر (٣/٩٠) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (١٢/٣٣٣) النعيمي ـ الدارس في تاريخ المدارس (١/٣٩٩) .

أنشأها له العادل أبو الحسن علي بن السلار وزير الظافر العبيدي صاحب مصر[1] . حيث كان يلتقي بهم أبو الطاهر ويأخذ عنهم ويأخذون عنه ، وممن يتردد على المدرسة وذلك في كافة العلوم والفنون ، ومن خلال اللقاء في هذه المدرسة كان يتم تبادل الإجازات بين العلماء .

وأخيراً نشير الى أن من العوامل التي كانت وراء نجاح الرحلات التي يقوم بها طلاب العلم في العالم الإسلامي وعلى مر العصور ، أنهم كانوا يتمثلون موقف الإسلام من العلم والحث عليه ، والرحلة في طلبه ، فكانت أولى آيات القرآن الكريم تحث على القراءة والتعلم (اقرأ بإسم ربك الذي خلق)[2] .

وقال الله سبحانه وتعالى ممتدحاً العلماء (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[3] . ويشير الله سبحانه وتعالى الى مكانة العلماء بالمقارنة مع الذين لايعلمون (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون)[4] ، ويبين الله سبحانه وتعالى أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله فقال : (إنما يخشى الله من عباده العلماء)[5] .

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على العلم والسعي في طلبه فقال ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة)[6] . ومن حديث أنس رضي الله عنه أنه قال : (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)[7] .

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١/١٠٥) ، السبكي ـ طبقات الشافعية (٤/٤٣) .

(٢) سورة العلق آية (١) .

(٣) سورة المجادلة آية (١١) .

(٤) سورة الزمر آية (٩) .

(٥) سورة فاطر آية (٢٨) .

(٦) النووي ـ رياض الصالحين (ص ٣٣٨) .

(٧) المصدر السابق نفسه (ص ٣٣٨) .

ومن العوامل أيضاً على نجاح تلك الرحلات أداء فريضة الحج ، فلقد كان الشيوخ والطلبة حريصين على أداء فريضة الحج مرات عديدة ، وهكذا تتاح لهم الفرص للتعليم والتعلم ، عندما يتم اللقاء بينهم في مكة المكرمة . كما أن طلبة العلم كانوا يتلقون من الشيوخ وهم سائرون معهم في الركب خلال الأسفار ، كما ان القوافل كانت تمر بالمراكز العلمية في البلاد الإسلامية كبغداد ، والقاهرة ، والقيروان ، وقرطبة . كما أن الشيوخ المسافرين كانوا يعقدون مجالس الدرس للطلبة من أهل المدن التي يمرون بها ، كذلك يحضرون مجالس المذاكرة التي تعقد مع علمائها[1] .

وللعوامل السياسية والاقتصادية ثر في رحلة عدد من العلماء ففي صقليه نجد أنه خرج كثير من علمائها الى بلدان العالم الإسلامي في الأندلس وبلاد المغرب والعراق ومصر والحجاز ، وذلك بعد أن بدأت فترة الفوضى والاضطراب السياسي في صقليه ، وزاد من خروج العلماء منها استيلاء النورمان عليها فهجرها أهلها وعلى الرغم من أن ذلك الخروج كان بسبب ظروف سياسية وعدم استقرار ، فإنه كان عاملاً مهماً للقاء العلماء في بلدان أخرى ، والاستفادة منهم والدرس عليهم .

(١) منير الدين أحمد ـ تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى منتصف القرن الخامس الهجري (ص ٦٧) .

الإجـازات العلمية :

تعدّ الاجـازات العلمـيـة من أهـم العـوامل التي سـاعـدت على تطور ونمو الحركة العلمية في البلدان الاسلامية .

والإجازة معناها في اللغة اعطاء الإذن . قال الفيروز أبادي : « وأجاز له سوغ له »[١] . والإجازة في الاصطلاح اذن وتسويغ ، وعلى هذا فنقول أجزت له رواية كذا ، كما تقول أذنت له وسوغت له[٢] . وهي بذلك أن يأذن ثقـة من الثقات لغيره بأن يروي عنه حديثاً أو كتاباً سواء كان ذلك الكتاب من تصنيفه أم كان يرويه عن شيوخه بالإسناد الى مؤلفه[٣] .

ويرى الخطيب البـغـدادي أن الإجـازة هـي : « أن يسـأل طالب العلم ، العالم أن يجيزه علمه ، فيجيزه إياه ، والطالب مستجيز ، والعالم مجيز »[٤] . وفي ذلك يقول السيوطي : « فعلى هذا يجوز أن يقال أجزت فلانا مسموعاتي ؛ ومن جعل الإجازة إذناً وهو المعروف يقول : أجزت له رواية مسموعاتي »[٥] .

ومن هنا يتضح أن الإجازة هي اذن ورخصة تتضمن تـخويل المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث معين أو كتاب محدد يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه[٦] .

والإجازة نوعان : شفوية وتحريرية ، والأولى أقدم عهداً من الثانية ، وأول من منحها هو أبو هريرة رضي الله عنه الى بشير بن مهتك ، حيث قال : كتبت عن أبي هريرة كتاباً ، فلما أردت أن أفارقه قلت : يا أباهريرة ، اني كتبت عنك كتاباً ، فأرويه عنك . قال نعم أروه عني[٧] .

---

(١) الفيروزابادي ـ القاموس المحيط (١٧٦/١) .

(٢) عبد الله فياض ـ الاجازات العلمية عند المسلمين (ص ٢١) .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ـ الترجمة العربية (٤٣٣/١) .

(٤) الخطيب ـ الكفاية في علم الرواية (ص ٤٤٧) .

(٥) السيوطي ـ تدريب الراوي (٤٢/٢) .

(٦) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

(٧) عبد الله فياض ـ الإجازات العلمية عند المسلمين (٢١) .

أما الإجازة التحريرية ففيها قد بين الشيخ بالتحديد مايجيزه للطالب أو أن يجيزه بإطلاق(١) .

والإجازة في أصلها ضمان بعلم الطالب ، وقدرته على نقل هذا العلم ، ولقد بدأت مع علم الحديث ، وهو العلم الذي تشدد فيه المسلمون كثيراً بسبب مانالَه من تحريف ودس وتزييف ، ولذلك وضعت له من القواعد الشديدة أكثر من غيره من العلوم للتأكد من صحة الحديث ، ومن هنا كانت الإجازة للدلالة على صحة نقل الناقل من المنقول عنه ، ثم انتقلت بعد ذلك الى العلوم الأخرى(٢) .

ومع مرور الأيام فقدت الإجازة مضمونها الهام فلم تعد ضماناً لمعرفة الطالب لما نقله عن استاذه ، وأصبحت مجرد شهادة باللقاء أو السماع ، دون أن تعني اطلاقاً مدى تعمق حامل الشهادة أو معرفته بما حدد له في الشهادة . بل قد ظهرت بعض الاجازات العامة كإجازة أحد العلماء بقوله : « أجزت لهم جميع ذلك مع سائر ماسمعته من جميع الشيوخ وما أجيز لي من جميع العلوم على اختلافها ولمن أحب الرواية عني من غيرهم من جميع المسلمين أهل السنة ممن هو موجود في هذه السنة »(٣) .

وأخيراً نشير الى أن للإجازة أركان أربعة ذكرها العسقلاني وهي : المجيز ، والمجاز له ، والمجاز به ، ولفظ الإجازة(٤) .

وفي صقليه عرفت الإجازات العلمية بنوعيها التحريرية والشفوية . فهذا

---

(١) محمد عبد الحميد ـ تاريخ التعليم في الأندلس (٤١٤) .
(٢) المرجع السابق نفسه (٤١٤) ، أحمد شلبي ـ التربية الاسلامية (٥/٢٦٤) .
(٣) ابن خير الإشبيلي ـ فهرست مارواه عن شيوخه (ص ٤٥٤) ، ابن الأبار ـ المعجم (ص ١٦١)
(٤) العسقلاني ـ نخبة الفكر (ص ٢١٦) .

الامام أبو عبد الله المازري يكتب كتاباً من المهدية يجيز فيه القاضي عياض المالكي[1] كتابه « المعلم بفوائد مسلم » وغيره من تآليفه[2] .

وأجاز ابو عبد الله المازري ، أحمد بن محمد بن خلصه الحميري ، وهو من أهل الأندلس وآخر من حدث عنه بالأندلس[3] .

والتقى أبو الحسن محمد بن خلف بن صاعد الغساني ، قاضي شلب المتوفي سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م ، بالإمام المازري في المهدية ، وأجاز له مارواه وألفه ، ثم عاد الى الأندلس [4] . وممن أخذ عنه بالإجازة أيضاً عثمان بن سعيد بن خالد بن عمارة الأنصاري من أهل غرناطة المتوفي سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م[5] .

وسمع القاضي محمد بن يوسف بن سعادة ، أحد علماء المريه الثقات من الامام المازري بعض كتابه « المعلم بفوائد مسلم » وأجاز له باقية وعاد الى مرسيه[6] .

---

(١) ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي المالكي ، امام علامة ، حافظ ولد سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م ، ورحل الى الأندلس ، وتفقه بعلمائها ، وهو إمام الحديث في وقته . تولى القضاء في سبته ، وعرف بكثرة الشيوخ فقد زادوا عن المائة ، من مؤلفاته «ترتيب المدارك وتقريب المسالك » وكتاب « الشفا في شرف المصطفى » وغير ذلك من المؤلفات . توفي في رمضان من سنة ٥٤٤ هـ/١١٤٩م . الفتح بن خاقان ـ قلائد العقيان (ص ٢٢٢) ، ابن الآبار ـ المعجم (ص ٣٠٦) ، ابن خلكان وفيات الأعيان (٤٨٣/٣) .

(٢) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢٥٢/٢) ، المقري ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (١٦٥/٣) .

(٣) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (الجزء المفقود ص ١٢٥) ، المراكشي ـ الذيل والتكملة (٣٩٤/١ ـ ٣٩٥) .

(٤) مخلوف ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (ص ١٤٢) .

(٥) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (الجزء المفقود ص ١٨٩) .

(٦) مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٤٩) .

وكذلك الحال بالنسبة لأبي الحسن صالح بن أبي صالح بن خلف الأنصاري الأوسي ، من أهل مالقه المتوفي سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م ، حيث التقى بالإمام ابي عبد الله المازري وحمل عنه « المعلم بفوائد مسلم » سماعاً لبعضه ، وإجازة لباقيه(١) . وأجاز المازري أبا الوليد محمد بن أبي الوليد الشهير بالحفيد الغرناطي المتوفي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م ، أجاز مؤلفاته(٢) .

وكتب الإمام الفقيه الحافظ لمذهب مالك ، أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك بن موسى المرسي المتوفي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ، كتب الى ابي عبد الله المازري يستجيزه ، فأجازه من المهدية(٣) .

وكتب الامام المازري بالإجازة الى صاحب مطالع الأنوار ، الفقيه ، المحدث ابي اسحاق ابراهيم بن يوسف المعروف بابن قرقول ، من أهل المرية ، المتوفي سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م(٤) .

وكتب الإمام المازري مرتين من المهدية يجيز فيهما قاضي قرطبة ، أبا القاسم محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الحاج المتوفي باشبيلية سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م(٥) .

وهذا أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي الإشبيلي المتوفي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م يذكر في كتابه « الفهرست » عن كتاب « المعلم بفوائد مسلم » أنه أخذه بالإجازة عن مؤلفه ابي عبد الله المازري فيقول : « حدثني به مؤلفه رضي الله عنه إجازة فيما كتب به اليّ بخطه رحمه الله »(٦) .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ١٥٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١٤٦ ـ ١٤٧) .

(٣) ابن الابار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢/٥٦١) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٦٢) .

(٤) المصدر السابق (ص ١٤٦) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص ١٥٢) .

(٦) ابن خير الإشبيلي ـ فهرست مارواه عن شيوخه (ص ١٩٦) .

ويذكر ايضاً أنه أخذ كتاب « شرح التلقين » بالإجازة عن مؤلفه ابي عبد الله المازري فيقول : « كتاب شرح التلقين حدثني به مؤلفه المازري رحمه الله إجازة فيما كتب اليّ مع سائر تواليفه ورواياته رضي الله عنه »(١) .

وممن استجاز الإمام المازري وأجازه ابو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الغرناطي محقق علم القراءات(٢)

وأجاز أبو عبد الله المازري محمد بن صاف بن خلف بن سعيد بن مسعود الأنصاري من أهل أريوله المتوفي سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م(٣) .

وكذلك الحال بالنسبة لأبي محمد عبيد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن ذي النون(٤) .

ومن أشهر تلاميذ المازري بالإجازة أبو بكر عبد الرحيم بن محمد بن أبي العبيش المتوفي نحو سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، والذي اعتنى بعلم الحديث عناية خاصة . وجمع بين علمي الرواية وعلم الدراية الذي يعد المازري امامه(٥) .

وأجاز الإمام ابو عبد الله المازري أبا عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأنصاري الخزرجي المعروف بابن الفرس المتوفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ، وكذلك ابنه عبد المنعم المتوفي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ، حيث كتب اليهما من المهدية يجيزهما مؤلفاته(٦) .

ومن أهل مالقة صالح بن عبد الملك الأوسي المتوفي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م ، فقد استجاز ابا عبد الله المازري فأجازه مؤلفاته(٧) .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢٤٤) .

(٢) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (١/١٥٥) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢/٤٨٦) ، محمد النيفر ـ مقدمة المحقق لكتاب المعلم بفوائد مسلم (١/٦٤) .

(٤) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (١/٦٦) .

(٥) المصدر السابق نفسه (١/٧٠) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٥١) .

(٦) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢/٥٠٨) ، (٦٥٢) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص١٥٠ ـ ١٥١) .

(٧) المراكشي ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٤/١٣٣) .

وترتبط رحلات طلاب العلم والعلماء بالإجازات العلمية في بعض الأحيان ، فنجد أن بعض العلماء وأثناء رحلاتهم العلمية ، يجيزون مؤلفاتهم لبعض طلاب العلم ممن يلتقون بهم في الأماكن التي يمرون عليها ، أو يستقرون فيها . فهذا أبو حفص عمر بن يوسف بن محمد بن الحذاء القيسي الصقلي(١) . وأثناء رحلته واقامته بالإسكندرية ، التقى بأبي الطاهر السلفي في سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م ، فسأله أبو الطاهر أن يجيزه جميع مروياته . حيث قال السلفي : « وأجاز لي جميع مايرويه سماعاً وإجازه »(٢) . ثم سأله ابو الطاهر السلفي الاجازة لمن حضر معهم فأجاب حيث قال السلفي : « وسألته الإجازة لي ولإبنه ومن حضر معنا ففعل »(٣) .

وكان أبو حفص الصقلي قبل أن يستقر في الإسكندرية قد استجاز ابا بكر عتيق بن علي بن داود السمنطاري(٤) ، جميع مروياته ، فأجازه السمنطاري . وفي ذلك يقول السلفي « وقفت على سماعه من السمنطاري وإجازته له جميع مروياته »(٥) .

وقال أيضاً : « وقرأت عليه بالإجازة عن السمنطاري فوائد من مشيخته »(٦) .

ومما أخذ ابن الحذاء الصقلي عن السمنطاري موطأ الامام مالك رحمه الله ، حيث يذكر السلفي أن : « الذي وجدت فيه سماعه ، الموطأ لمالك بالإسناد المذكور »(٧) .

---

(١) انظر موضوع (علم الحديث) .

(٢) السلفي ـ اخبار عن بعض مسلمي صقليه مستخرجة من معجم السفر ، جمع امبرتو ريتزيتانو (ص ٦٦) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٦٨) .

(٤) انظر موضوع علم الحديث .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص ٦٦) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص ٦٦) .

(٧) المصدر السابق نفسه (ص ٦٦ ـ ٦٧) .

وابن الحذاء الصقلي هو الذي روى كتاب « الجامع لنكت الأحكام » المستخرج من الكتب المشهورة في الإسلام لمؤلفه ابي القاسم زيدون بن علي السبيعي[1] ، وعنه رُوي حتى وصلت روايته الى القاضي عياض بالإجازة ، عن الوزير ابي جعفر أحمد ابن سعيد بن خالد اللخمي[2] ، [3] .

والقاضي عياض وكما أجازه الامام ابو عبد الله المازري من المهدية ، كما سبق وأن ذكرنا فقد أجازه أيضاً أبو عبد الله محمد بن مسلم المازري ، حيث كتب له من مصر بالإجازة . فقال القاضي عياض : « وكتب اليّ من مصر بإجازة تآليفه ورواياته »[4] .

وهكذا فإن الاجازات العلمية قد ساعدت على تطور الحركة العلمية في صقلية وغيرها من البلدان الاسلامية ، فانتشرت المؤلفات وتبودلت الرسائل والمكاتبات وكانت سبباً من أسباب هجرة الكتب بين بلدان العالم الإسلامي ، وطريقة من طرق رواية وتدريس مؤلف ما في غياب مؤلفه ، وكانت الأمثلة السابقة خير دليل على ذلك ، فقد رأينا مثلاً أن كتاب « المعلم بفوائد مسلم » للإمام ابي عبد الله المازري انتشر في كثير من البلدان ، بعد أجازة مؤلفه كثيراً من طلبة العلم ليقوموا بروايته عنه .

وعلى الرغم من شمولية بعض الإجازات ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ فإن الإجازة كانت من أهم عوامل التبادل الثقافي بين بلدان العالم الإسلامي منذ العصور الأولى .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) ابو جعفر أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللخمي ، من سكان لورقه ، له سماع كثير ، كان ثقة ، واسع الرواية ، كثير الأخذ عالي الإسناد . توفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م .
القاضي عياض ـ الغنية (ص ٩٩) ، ابن بشكوال ـ الصلة (٧٦/١) .

(٣) عياض ـ المصدر السابق نفسه (ص ٩٩) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٨٨) .

وتعتبر المجالس العلمية من عوامل تطور الحركة العلمية في البلاد الاسلامية ، حيث كانت تقوم بدورها في التعليم ، والمناقشة ، والفتوى ، والجدل والمناضرة . ويدرس في هذه المجالس كافة العلوم من حديث وفقه وتفسير ونحو وأدب ، وغير ذلك .

وفي صقليه الإسلامية كان العلماء يعقدون مجالس للتدريس والفتوى وخلاف ذلك ومن أمثلة ذلك نجد أن أبا بكر بن أبي العباس ، أحد فقهاء صقليه ، كان يعقد مجلساً للفتوى . فقد ورد في معالم الايمان : أن أبا بكر بن أبي العباس الصقلي ، يقدّر كثيراً استاذه ابن أبي زيد القيرواني ، وقد ذكره يوماً في مجلس فتاويه ، وذكر فضائله فبكى وقال : كان أعطاني أيام طلبي عليه بالقيروان جارية وأن ولدي هذا منها »(١) .

وهذا ابن يونس الصقلي المتوفي سنة ٤٥١هـ/١٠٤٩م ، كان يعرض في مجلس درسه كتابه المشهور في الفقه المالكي « الجامع على المدونة » وكان يعرف به(٢) .

وكان أبو عبد الله الإمام المازري يعقد مجلساً في شهر رمضان ، ومما قرئ عليه فيه ، صحيح مسلم . فتكلم على نقط منه ، فلما انتهى منه ، عُرض عليه ماكتبه الطلاب ، فهذّبه ورتّبه ، وخرج لنا بذلك « المعلم بفوائد مسلم »(٣) .

وكانت المجالس التي يعقدها الإمام المازري لاتخلو من الاستجمام ، حيث كان يأتي بحكايات بقصد الترفيه علي طلبته ، حتى لايملوا من تتابع المسائل مما يؤدي الى الكلل وسوء الفهم ، وقد اعتنى أحد تلاميذه وهو أبو الحسن طاهر بن علي السوسي الذي صحب المازري بالمهدية ، اعتنى بحكايات المازري ، وجمعها ، وقد قرأها ابن الآبار بخطه(٤) . ومما ذكرته المصادر في

---

(١) الدباغ ـ معالم الإيمان (١١٣/٣) .

(٢) الفاسي ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي (٢١٠/٢) .

(٣) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٩٣٦/٢) .

(٤) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٨٣/١) .

ذلك أن أحد طلبته من الأندلس ، وفي أثناء حضوره مجلس المازري ، دخل شعاع من كوة فوقع على رجل الشيخ المازري . فقال الشيخ : هذا شعاع منعكس . فذيّله الطالب المذكور حين رآه متّزنا فقال :

هذا شعاع منعكس　　لعلـة لاتلتبـس

لما رآك عنصراً　　من كل علم ينبجس

أتى يمدُّ ساعداً　　من نور علم يقتبس[1] .

وبعد فإن ماذكرناه سابقاً فإن ذلك لمجرد اعطاء أمثلة ، وإلا فكافة علماء صقليه كانت لهم مجالس يعلمون فيها تلاميذهم ، وقد تكون تلك المجالس في المساجد أو ملحقة بدورهم . وتنوعت تلك المجالس فكان منها مجالس الحديث ، كما هو الحال في البلاد الإسلامية الأخرى ، وعلى مر العصور ، ومجالس للمحاضرة والمناظرة ومجالس للشعراء ـ والتي كانت لاتؤلف صفوفاً للتدريس بالمعنى التعليمي ولكنها ذات علاقة غير مباشرة بالتعليم[2] .

وكانت تعقد في صقلية مجالس للمذاكرة ، يتناقش فيها التلاميذ في موضوع معين وبحضور استاذهم ، كما هو الحال في تلك التي كانت تعقد بحضور الفقيه الصقلي عبد الحق .

إذاً المجالس العلمية قامت بدورها في تطور الحركة العلمية في صقلية الإسلامية كما هو الحال في البلدان الأخرى ، إذ كانت مجالاً للإلتقاء والتلقي ، والإملاء والمناقشة ، وخلاف ذلك .

المنزل ودوره في تطور الحركة التعليمية :

مما لا شك فيه أن المنزل يقوم بالدور الأساسي في التكوين العقلي للطفل ويترك بصمته الإجتماعية والإقتصادية والثقافية على تربية الأبناء ، والوالدان والأقربون بحكم ثقافتهم وعلمهم يتركون في نفوس أبنائهم حب العلم عامة وحب مادة أو مواد يعمل بها الوالد أو الأقربون .

---

(١) المقري ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (١٦٦/٣) .

(٢) منير الدين حمد ـ تاريخ التعليم عند المسلمين (ص ٥٥) .

والوالدان وأهل المنزل ، يحاولون منذ الأعوام الأولى لطفلهم ، تعليمه بعض الآيات القرآنية ، والكتابة ، والأعداد ، وذلك قبل ذهابه الى المكتب ، أو قبل أن يبدأ معه معلمه تعليمه ، سواء في منزل الصبي ، أو في مكان تعليمه .

والوالد بصفة خاصة يقوم بالدور الرئيسي في هذه الناحية ، فهو المعلم الأول في حياة طفله ، سواء بطريقة مباشرة بأن يتولى بنفسه تعليمه ، أو بطريقة غير مباشرة كأن يحثه على التعليم ، ويساعده على ذلك[١] .

والوضع السابق يكاد يكون صفة ملازمه لكل منزل ، وعلى مر العصور ، مع اختلاف في طرق التطبيق ، ومتابعة للتطور في طرق التعليم حتى عصرنا الحاضر .

وقد أشارت كتب التراجم الى تأثير البيت في عدد كبير من الشخصيات العلمية والأدبية في صقلية .

من ذلك ماأورده ابن حجر العسقلاني من أن ابن ظفر الصقلي ، كان ولده قد سمع منه مؤلفاته[٢] .

وأشارت المصادر الى أن أبا محمد عمار بن المنصور الكلبي ، وهو أحد علماء الحديث المشهورين في صقليه ، من أهل بيت فضل وعلم وفقه وإمارة[٣] . فقد كانت نشأته في بيت العز والجاه[٤] .

وهذا ابن القطّاع الصقلي أحد أشهر علماء صقليه في اللغة والنحو ، قد عاش وتأدب في بيت علم وأدب ، فكان والده جعفر بن علي من أهل اللغة والنحو[٥] . كما كان جده علي بن محمد السعدي ، من الشعراء المجيدين[٦] ،

---

(١) محمد عبد الحميد ـ تاريخ التعليم في الأندلس (ص ٢١٥) .

(٢) ابن حجر ـ لسان الميزان (٤٢١/٥) .

(٣) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١٠٠/١) ، عزيز أحمد ـ تاريخ صقليه الاسلامية (ص ٥٠) .

(٤) احمد توفيق المدني ـ المسلمون في صقليه (ص ٢٠٨) .

(٥) ابن حجر ـ لسان الميزان (٢٤١/٤) ، القفطي ـ أنباه الرواه (٣٠٠/١) .

(٦) ابن حجر ـ لسان الميزان (٢٤١/٤) .

وكذلك الحال بالنسبة لجد أبيه محمد بن عبد الله السعدي(١) ، وجد جده عبد الله بن الحسين السعدي(٢) . فهو اذا من أسرة شريفة عرفت بالعلم والأدب . وكان لذلك كله تأثير كبير على ابن القطّاع الصقلي فقد أصبح اماماً في اللغة والأدب والنحو(٣) .

وقد يستقطب الأب أحد العلماء أو الأدباء فاذا أعجب به أضافه الى أولاده ليقوم بتعليمهم ، ويؤثر فيهم بأدبه وعلمه . فهذا الأمير الصقلي يوسف ابن عبد الله ما إن اعجب بالشاعر والأديب محمد بن عبدون السوسي ، حتى اضافه الى ولده جعفر فأدناه منه ، وقربه وأكرمه ، حتى أنهما لم يسمحا له بالعودة الى وطنه ، مما اضطر معه ان يخرج الشاعر والأديب المذكور سراً الى بلده الأصلي سوسه(٤) ، وهذا فيه دلالة على أن المنزل قد يستخدم أحياناً مكاناً للتعليم ، وخاصة بيوت الحكام والأمراء .

وبعد فإن المنزل والى جانب قيامه بمهمة التعليم في مراحله الأولى وتأثيره المباشر على الطفل ، فإنه كان يقوم أيضاً بمهمة تحمل مسئوليات أخرى في متابعة الطفل عند ذهابه للمكتب ، وفي تطور تعليمه ، ودفع أجرة التعليم وتحديد الفترة التي يجب ان يستمر فيها الطفل في المكتب ، والسن التي توجب عليه الانتقال الى حلقات المدرسين بالمساجد أو غيرها ، ثم يواصل المنزل بعد ذلك دوره في المراحل التالية من تعليم الطفل(٥) .

ومن أهم الأدوار التي كان يقوم بها المنزل في نمو وتطور الحركة العلمية ، أن الآباء كانوا يسمحون لأبنائهم بالرحلة في طلب العلم الى أقاصي البلاد ، فقد رأينا من خلال حديثنا عن الرحلات العلمية ان عدداً كبيراً من طلاب العلم

---

(١) المصدر السابق نفسه (٤/٤٢١) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٤/٢٤١) .

(٣) ابن خلكان ــ وفيات الأعيان (٣/٣٢٣) .

(٤) التيجاني ــ الرحلة (ص ٣٨ ــ ٣٩) .

(٥) محمد عبد الحميد ــ تاريخ التعليم في الأندلس (ص ٢١٧) .

في صقليه قد طافوا البلاد والتقوا بالعلماء في أماكن عدة من بلدان العالم الإسلامي بل قد استمرت رحلات بعضهم الى سنين كثيرة ، وهذا خير دليل على تشجيع الآباء لابنائهم ، والانفاق عليهم بسخاء في سبيل دراستهم ورحلاتهم العلمية ، على أن بعض العلماء كانوا فقراء ، فلم تكن اسرهم ميسورة الحال ، فقد يضطر أحدهم الى بيع حاجيات داره من أجل أن يشتري كتاباً كما فعل فقيه صقليه عبد الحق عندما أراد أن يشتري كتاباً فلم يتيسر له ثمنه فباع حوائج من داره حتى تمكن من شرائه[1] .

وأخيراً نشير أن الحركة العلمية في صقليه ازدهرت بفضل توفر عامل هام يُعدّ من أهم العوامل التي تساعد على نمو وتطور الحركة العلمية في أي مكان . ذلك أن صقليه الاسلامية كانت تشتهر بأن « البردي » كان متوفراً بها ، وأنه لايضاهي مصر في كثرته إلا صقليه ، حيث أشار ابن حوقل الى جودته وكثرته[2] . وأنه يعمل من طوامير[3] ، القراطيس[4] .

كما ذاعت شهرة صقلية في صناعة المداد حتى اختص عرب صقليه بصناعته ، إذ كان ذلك جزءاً من علم الكيمياء ، وعاملاً من مقومات الثقافة عندهم ، وقد صنع الصقليون الحبر صناعة جيدة ليكون عاملاً في تكملة ثقافتهم ، ولم يقتصر الصقليون على صناعة المداد العادي الذي كان يستعمله الصبية في كتابة الألواح ، والمؤلفون في كتابه الكتب ، بل استعملوا أيضاً التذهيب والتفضيض ، فصنعوا مداداً مفضضاً[5] .

كما أن دخول صناعة الكاغذ[6] أو الورق الى صقليه له دوره في تطور

---

(١) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (١/٣٥٢) .

(٢) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٧) .

(٣) الطوامير : جمع طومار ، وهو الصحيفة ، ابن منظور ـ لسان العرب (٤/٥٠٣) .

(٤) ابن حوقل ـ المصدر السابق (ص ١١٧) .

(٥) عبد الشافي غنيم ـ الحالة الإجتماعية والثقافية في صقليه في العصر النورمندي دكتوراه لم تطبع ـ جامعة القاهرة (ص ١٢٥ ـ ١٢٦) .

(٦) الكاغذ : القرطاس . وهو فارسي معرّب . الفيروزابادي ـ القاموس المحيط (١/٣٤٥) .

ونمو الحركة العلمية ، فقد وصلت صناعة الكاغد الى صقليه ، ويغلب على الظن انه صنع من القطن وذلك لكثرة انتشار هذا النبات في صقليه وايطاليا(١) ، وقد بقى لنا من الكاغد الصقلي وثيقة محفوظة بخزانة أوراق بلدية بلرم ، وهي مرسوم أصدرته الملكة اديلاييد بالعربية واليونانية سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م(٢) .

---

(١) عثمان الكعاك ـ الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط (ص ٨٨) ، يوسف حواله ـ ابن حوقل ورحلاته الجغرافية . (ص ٤٨) .

(٢) الكعاك ـ الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط (ص ٨٨) .

الفصل الثالث

نظام التعليم ومؤسساته



نظام التعليم ومؤسساته

الكتـاب[١] :

يعتبر الكتاب محوراً أولياً من محاور العلم والتعليم ، خاصة إذا عرفنا أنه كان معروفاً منذ العصر الجاهلي[٢] . ويهدف الى تعليم الصبيان القراءة والكتابة ، ثم تعدى ذلك الى تعليم مبادئ الدين والصلاة وقراءة القرآن والحساب[٣] . وبذلك يوجد نوعين من المكاتب الأول منها خاص بتعليم القراءة والكتابة ، والآخر لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي[٤] .

ومما يؤسف له أن يسعى البعض الى مهاجمة مهمة الكتّاب ، ونعتها بأنها طريقة أدت الى جمود التعليم وعدم تطوره بحجة أن الكتاتيب والعاملين فيها قد اقتصروا في غايتهم على تحفيظ القرآن الكريم للنشء وتلقينه أصول الدين ، والبعد عن المسائل الدنيوية مما أدى الى عدم قدرة متعلمي الكتّاب على الخوض في العلوم العقلية التي تدور أحياناً حول الأمور الدينية[٥] .

والواقع أن هذا الرأي مجانب للحقائق التاريخية الواضحة التي تؤكد شمولية التعليم في الكتّاب ، وامتزاجه مع التربية ؛ وأن الكتاتيب ماهي إلا المرحلة التمهيدية التي تهيء الصبيان لمرحلة الدراسة التالية في المساجد وحلقات الشيوخ ، التي كانت تقوم بدور بارز في التعليم منذ صدر الإسلام .

---

(١) قال ابن منظور : هو موضع تعليم الكتّاب ، والجمع الكتاتيب ، والمكاتب ، والمكتب : موضع التعليم ؛ والكتّاب : الكتبه .
لسان العرب (٦٩٩/١) .

(٢) حسام السامرائي ــ المدرسة مع التركيز على النظاميات ــ بحث من أبحاث الفكر التربوي في الإسلام المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (ص ١ ــ ٢) .

(٣) الشيرزي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة (ص ١٠٣) .

(٤) أحمد شلبي ــ التربية الإسلامية (ص ٤٤ ــ ٤٩) .

(٥) أحمد فؤاد الأهواني ــ التربية في الاسلام (ص ٨٣ ــ ٨٦) ، رشاد معتوق ــ الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ــ رسالة دكتوراه ــ أم القرى ١٤١٠هـ (ص ٢١٠) .

كما أن الدولة الإسلامية قد تبنّت مسئوليتها في هذا الاطار حيث أمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببناء بيوت المكاتب ونصّب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم[1] .

وكان الذين يتولون التعليم في المكاتب يطلق عليهم اسم المعلمين ، أو المكتبيين كما كان الآباء يدفعون بأبنائهم الى المكتب منذ الصغر في الخامسة أو السادسة وبعضهم في السابعة والثامنة[2] . وفي ذلك يقول الغزالي : « ان التربية الدينية يجب أن تبدأ في سن مبكرة ، ذلك لأن الصبي في هذه السن يكون مستعداً لقبول العقائد الدينية والإيمان بها دون أن يطلب عليها دليلا »[3] كما أشار الى أن الصبي لابد وأن يتعلم في الكتاتيب القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم ، وبعض الأحكام الدينية والشعر[4] .

وصقليه الإسلامية ليست إلا واحدة من البلدان الاسلامية ، التي لاتكاد تختلف فيها طريقة التعليم كثيراً عن غيرها من البلاد الاسلامية سواء في غرب العالم الإسلامي أو مشرقه . فقد وجدت الكتاتيب في صقليه ، وقامت بدورها في تعليم الناشئة من أبناء صقليه ، ومن هاجر اليهم من المسلمين . فهذا ابن حوقل يشير الى كثرة المكاتب بصقليه فيقول : « والمكاتب به في كل مكان »[5] . ولقد رأى ابن حوقل ذلك بنفسه عندما زار صقليه ، وأبدى استغرابه من كثرة المعلمين والكتاتيب ، وأبدى تحاملاً كبيراً على معلمي صقليه ، فذكر : « أن الغالب على البلد المعلمون ، والمكاتب به في كل مكان ، وهم فيه على طبقات مختلفة ومنازل شتى »[6] .

---

(١) السامرائي ـ المدرسة مع التركيز على النظاميات (ص ٣) .
(٢) الغزالي ـ احياء علوم الدين (٤٨/١) .
(٣) المصدر السابق نفسه (٨٣/٣) .
(٤) المصدر السابق نفسه (٦٣/٣) .
(٥) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١٢٠) .
(٦) المصدر السابق نفسه (ص ١٢٠) .

ولقد كثر المعلمون في المكتب الواحد في صقليه ، وهي صورة راقية من صور التعليم في صقليه ، فأحد الكتّاب بها لم يقتصر على معلم واحد بل كان فيه خمسة معلمين ، ولهم من بينهم مدير للكتّاب ، وهذا أمر له دلالته في اهتمام الصقليين بتعليم الناشئة ، ويفسر لنا ذلك ان عدد طلاب المكتب لابد وأن يكونوا كثيري العدد ، وإلا لما احتاج الى خمسة معلمين ، ويرأسهم أحدهم .

كما أن ذلك يعطينا صورة للتنظيم الإداري للكتاتيب في صقليه ، حيث وُجد مسئول يرأس الكتّاب ، مما سيضفي على العملية التعليمية والتربوية بعداً تنظيمياً ، ينعكس على التحصيل العلمي والثقافي لمرتادي تلك الكتاتيب .

على أن الصورة السابقة لم تعجب ابن حوقل ، فقد تضايق من ذلك الوضع مبدياً استغرابه ودهشته من وجود خمسة معلمين في مكتب واحد . فقال : « ومن أرث مارأيته بصقليه خمسة معلمين في مكتب واحد ، يعلمون فيه الصبيان ، شركاء متشاكسون على باب عين شفاء ، يرأسهم شيخ يعرف بالملطاط »[1] .

وكثرة المعلمين في صقليه والكتّاب تدل على نشاط تعليمي واسع ، قال ياقوت عن مدينة بلرم « والغالب على أهل المدينة المعلمون فكان في بلرم ثلاثمائة معلم »[2] .

وقد أشار ابن حوقل الى أن تلاميذ المكتب كثيرون[3] ، وقد ذكرت احدى الروايات الى أن عدد الطلبة كان يصل أحياناً الى ثمانين طالباً في الحلقة الواحدة ، وأن هذا العدد كان يضم طلبة من بلدان مختلفة[4] . وهذا العدد

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ١٢٠) .

(٢) ياقوت ـ معجم البلدان (٣ / ٤١٩) .

(٣) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١٢٠) .

(٤) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٩١) .

يعتبر قليلاً اذا قارناه بحلقات بعض العلماء في المشرق الإسلامي ، إذ كان يحضر في حلقة الجويني[1] ، مايقرب من ثلاثمائة من الطلبة والأئمة ، وذلك كل يوم[2] .

وفي هذه المكاتب ، كان الصقلي يتلقى علومه الأولى ، ثم ينتقل الى حلقات الشيوخ فإذا أراد أن يسافر الى المشرق أو غيره كان له ذلك حيث يلتقي بعلماء البلاد الإسلامية ، ويدرس على أساتذة مشهورين ، ويرجع وقد حمل اجازات كثيرة ، أو قد يكاتب هؤلاء الأساتذة دون أن يرحل اليهم ، واستجازهم كتبه[3] .

أما عن أماكن الكتاتيب في صقليه فهي اما أن تكون في بيوت المعلمين أو المكتبيين ، وقد تكون في المساجد ، فقد ذكر ابن حوقل عند حديثه عن المساجد في صقليه مايشير الى أن بها كتاتيب حيث قال بعد أن ذكر أن الأب الصقلي قد يكون له مسجد خاص به والإبن له مسجد خاص ، وليس بينهما سوى أربعين خطوة : « وفي هذه الأربعين خطوة التي ذكرت بين مسجده ومسجد أبيه مسجد آخر معلّق له أمام وبه مكتب »[4] .

وذكر الرحالة ابن جبير وهو يصف مدينة « بلرم » من جزيرة صقليه ، مايفيد بأن أكثر المساجد ، كانت « محاضر لمعلمي القرآن[5] ولعله بذلك يشير إلى المرحلة الثانية من مراحل التعليم في الكتاتيب ، وهي تعليم القرآن وبعض العلوم الدينية .

أما فيما يتعلق بطريقة التعليم في الكتّاب ، فتكاد تكون واحدة في كافة البلدان الإسلامية وذلك نظراً لوحدة الهدف الذي أنشئت من أجله ، المتلخص

(١) عن الامام الجويني انظر حديثنا عن الدراسات الشرعية في صقليه ، ولقاء بعض علماء صقليه معه في مكة المكرمة .

(٢) السبكي ـ طبقات الشافعية (٣/٢٥٥) .

(٣) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٩١) .

(٤) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٥ ـ ١١٦) .

(٥) ابن جبير ـ الرحلة (ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦) .

في تعليم القراءة والكتابة ، وتعليم القرآن وبعض العلوم الدينية ، على أن طرق المعلمين والمؤدبين قد تختلف من شخص لآخر ، إلا أنها في كل الأحوال لن تخرج عن الإطار الذي حدده من كتب عن المعلمين وآدابهم وواجباتهم ، والمحتسبين .

ومن الطبيعي أن تكون الأيام الأولى للطفل صعبة ، لذلك كان على المعلم وأهل الطفل العمل على تعويده على المناخ الجديد .

وكان من العادة أن يذهب الطفل الى الكتّاب مبكراً ، حيث يظل هناك الى منتصف النهار ويعود الطفل الى منزله للغداء والراحة قليلاً ، ثم بعد ذلك يتجه إلى الكتّاب مرة ثانية لكي يبدأ الدراسة فترة ثانية من وسط النهار حتى بعد العصر بقليل فينصرف الى منزله[1] .

ويرتكز ذلك على ما أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أمر أحد معلمي الصبيان بأن يلازمهم : « بعد صلاة الصبح الى الضحى الأعلى ، ثم من الظهر الى صلاة العصر ، ويسرحهم بقية النهار »[2] .

ومن طرق التعليم في الكتاتيب أن يقوم المعلم بقراءة آية من آيات القرآن الكريم ، ثم يقوم بعض المعلمين بتعليم الأطفال السور القرآنية القصيرة أولاً ؛ وعندما ينتقل الطفل من جزء الى جزء ، كان عليه أن يقرأ على معلمه ماقد سبق وتعلمه ، وهكذا يمضي الصبي من جزء الى جزء[3] .

كما كان معلم الكتّاب مسئولاً عن تعليم الصبيان القراءة والكتابة ، ولذلك كان على الأطفال ان يحملوا معهم الواحهم ومحابرهم ؛ وقد نص ابن سحنون أنه « ينبغي أن يجعل لهم وقتاً يعلمهم فيه الكَتْب »[4] .

---

(١) محمد عبد الحميد ـ تاريخ التعليم في الأندلس (ص ٢٤١) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٢٤٢) .

(٣) المرجع السابق نفسه (ص ٢٤٣) .

(٤) ابن سحنون ـ آداب المعلمين (ص ١٠٠) .

ويرى ابن سحنون ان يكون ذلك الوقت من الضحى الى وقت الظهر ، فيقول : « وليجعل الكتب من الضحى الى وقت الإنقلاب »(١) .

ومن توجيهات ابن سحنون لمعلمي الكتّاب « أن يعلمهم أعراب القرآن ، والشكل والهجاء ، والخط الحسن ، والقراءة الحسنة ، والتوقيف والترتيل ولابأس أن يعلمهم الشعر »(٢) . ومنها أيضاً : « أن لاينقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها »(٣) .

وقوله : « وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة اذا كانوا بني سبع سنين ، ويضربهم عليها اذا كانوا بني عشر »(٤) . « ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة لأن ذلك دينهم ، وعدد ركوعها وسجودها ، والقراءة فيها ، والتكبير .. »(٥) .

ومنها أيضاً قوله : « ويتعاهدهم بتعليم الدعاء ، ليرغبوا الى الله ، ويعرّفهم عظمته وجلاله ليكبروا على ذلك ، واذا أجذب الناس ، واستسقى بهم الإمام فأحَبُّ للمعلم أن يخرج بهم ، من يعرف الصلاة منهم ، وليبتهلوا الى الله بالدعاء ويرغبوا اليه »(٦) .

وبعد فإن الكتاتيب في صقليه ، كانت تقوم بدورها الهام كمرحلة أولى من مراحل تعليم الناشئة ، وكثرة الكتاتيب في صقليه ماهو إلا دليل واضح على اهتمام أهل صقليه بتعليم ابنائهم ، حيث أوكلت تلك المهمة الى معلمي الكتاتيب على الرغم من أن مهنة التعليم في الكتّاب لم تكن تدر رزقاً كبيراً على المعلمين فقد لايصيب أحدهم أكثر من عشرة دنانير في السنة حيث أورد ابن حوقل : « أن فيهم الكثير تمر عليه السنة فلا يصيب من جميع صبيانه وهم كثير عشرة دنانير »(٧) .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ١٠٦) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١٠٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ١٠٦) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ١٠٩) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص ١١٠) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص ١١١) .

(٧) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١٢٠) .

المساجد والمعلمون :

يعتبر المسجد أهم مؤسسة تعليمية اسلامية ، على الاطلاق ، ودراسة هذه المؤسسة في أي منطقة من العالم الإسلامي ، هي دراسة المكان الرئيسي للحياة الثقافية الإسلامية . وقد قام المسجد بدوره في التعليم منذ صدر الإسلام ، وظل يحتفظ بهذا الدور قروناً متوالية .

وحلقات العلم التي كانت تعقد في المساجد منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، استمرت وتعمقت عبر العصور .

ولعل السبب الرئيسي في اتخاذ المسجد مركزاً ثقافياً يرجع الى الدراسات الإسلامية في الفترة الأولى ، والتي كانت دراسات دينية تتضمن تعليم الدين الجديد ، وتفسيره وشرحه وتوضيح أسسه وأحكامه ، وتلك العلوم ترتبط بالمسجد أوثق ارتباط ، ومن هنا كان من السهل على المسلم التوجه الى المسجد للتفقه في الدين وأداء الفروض الدينية[1] .

كما أن المسجد قد قام بدور أكبر من ذلك ، فلم يكن مجرد مكان لأداء الفروض ، أو مركزاً لتعليم الدين ، بل كان مقراً للقضاء ، وموطن بيت المال ، وساحة الاجتماعات العامة ، وغير ذلك[2] .

ومن الضرورة هنا الإشارة الى أن ماكان يدرس في حلقات المساجد ، انما هو في الأساس ماعُرف بإسم « العلوم النافعة »[3] . ومع أن الأصل في المساجد أن تفرد لعبادة الله سبحانه ، كما في قوله تعالى « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً »[4] . فإن دراسة الفقه قد عدّت من أفضل العبادات[5]

(١) محمد عبد الحميد ـ تاريخ التعليم في الأندلس (ص ٢٦٦) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٢٦٦) .

(٣) رشاد معتوق ـ الحياة العلمية في العراق في العصر البويهي ـ رسالة دكتوره جامعة أم القرى ١٤١٠هـ .

(٤) سورة الجن (آية ١٨) .

(٥) الماوردي ـ أدب الدنيا والدين (ص ٢٦) .

والى جانب الفقه كانت تدرس في المساجد مختلف العلوم الإسلامية الشرعية والمساندة[1] .

وصقليه الإسلامية اشتهرت بكثرة المساجد ؛ وقد سجل لنا الرحالة ابن حوقل ماشاهده في صقليه عن كثرة مساجدها ، وأبدى دهشته من تلك الكثرة فذكر أن : « بمدينة بلرم من المساجد والمدينة المعروفة بالخالصة والحارات المحيطة بها ... نيّف وثلاثمائة مسجد »[2] . وفي مدينة بلرم وحدها : « مايزيد على مائتي مسجد »[3] ، ويضيف ابن حوقل أن ذلك العدد من المساجد لم يسمع عنه ببلد من البلدان الا ماذكر عن أهل قرطبه[4] ، فانه كان بها خمسمائة مسجد . فقال : « ولم أر مثل هذه العدة من مساجد بمكان ، ولا بلد من البلدان الكبار ، التي تستولي على ضعف مساحتها شبها ، ولاسمعت به الا مايتذاكره أهل قرطبة من أن بها خمسمائة مسجد ، ولم أقف على حقيقة ذلك من قرطبة وذكرته في موضعه على شك مني فيه ؛ وأنا محققه بصقليه لأني شاهدت أكثره »[5] .

وكانت المساجد في صقليه قريبة من بعضها البعض ، وقد يختص أحدهم بمسجد له دون غيره ، وقد يكون للأب مسجد ، وللإبن مسجد ، وذلك مايدلنا عليه قول ابن حوقل : « ولقد كنت واقفاً ذات يوم بها ـ أي بلرم ـ بجوار دار أبي محمد عبد الواحد بن محمد المعروف بالقفصي الفقيه الوثائقي[6] ، فرأيت من مسجده في مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصري ، ومنها

---

(١) حسام السامرائي ـ المدرسة مع التركيز على النظاميات (ص ٢) .

(٢) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٥) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ١١٥) .

(٤) قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها ، وبها كانت ملوك بني أمية ، ينسب اليها عدد كبير من العلماء والأدباء . ياقوت ـ معجم البلدان (٤/٣٢٤) .

(٥) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٥ ـ ١١٦) .

(٦) لم أعثر له على ترجمة .

شئ تجاه شئ ، وبينهما عرض الطريق فقط ... وربما كان اخوان منهم متلاصقة دارهما وقد عمل كل واحد منهما مسجداً لنفسه ليكون جلوسه فيه لوحده . وفي جملة هذه العشرة مساجد التي ذكرتها مسجد يصلي فيه أبو محمد بن القفصي هذا ، وبينه وبين دار ولد له دون الأربعين خطوة ، وقد ابتنى ابنه مسجد الى جانب داره .. وفي هذه الأربعين خطوة التي ذكرت بين مسجده ومسجد أبيه مسجد آخر معلّق له امام وفيه مكتب »[1] .

ويعلل ابن حوقل ظاهرة كثرة المساجد بصقليه بتعليل استقاه من سؤاله للناس ، وذلك « ان القوم لشدة انتفاخ رؤوسهم كان يحب كل واحد منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه لايشركه فيه غير أهله وحاشيته »[2] .

ولكن ظاهرة كثرة المساجد في البلاد الإسلامية ، عملية صاحبت الفتوحات الإسلامية ، فقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى واليه على البصرة يأمره باتخاذ مسجداً للجماعة ، ومساجد للقبائل ، فاذا كان يوم الجمع انضموا الى مسجد الجماعة . وكتب الى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك[3] .

أما تعليل ابن حوقل عن كثرة المساجد بصقليه ، فربما يكون صحيحاً ، اذا كانت الروح الفردية هي الغالبة على الحياة الإسلامية هناك ، وهذا يتعارض مع روح الجماعة التي ينادي بها الإسلام . كما أننا « لاننسى أن المسجد لازم استيطان المسلمين في كل بلد من بلدان صقليه ، حتى كان القائد يبني المسجد ، أو المنبر إثر استيلائه على بلد أو حصن ، وهي ظاهرة صاحبت الفتح الإسلامي في أقطار أخرى ، ولكنها كانت في صقليه أشدّ وأعنف ، لرسوخ

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ١١٦) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١١٥ ـ ١١٦) .

(٣) احمد شلبي ـ التربية الإسلامية (ص ١٠٤) .

المسيحية فيها عند الفتح ، فالإكثار من بناء المساجد خير مايقنع الجماعة الإسلامية بانتصارها على كل موروث صقلي ، وخير مايطمئن الأذهان الى تثبيت الصبغة الإسلامية في تلك البلاد »(١) .

وهناك شئ آخر وهو أن ابن حوقل انما دهش لكثرة المساجد في «بلرم» وحدها لأنه لم يزر من صقليه بلداً آخر فيما يظهر ، وكانت بلرم يومئذ هي العاصمة ، ومجتمع أهل الأدب ، ومنتجع طلاب العلم من سائر أنحاء صقليه ، فنشاط الحركة التعليمية فيها كان سبباً في الاستكثار من المساجد ، والتكاثر بها(٢) ، وأصبح غرض كل واحد من بناء المسجد « أن يقال : مسجد فلان لاغير »(٣) .

أما الرحالة ابن جبير فيصف مدينة « بلرم » ، من جزيرة صقليه ، ويشير الى كثرة مساجدها ، وأنه تستخدم الى جانب الصلاة أماكن لتعليم القرآن فيقوله : « وللمسلمين بهذه المدينة رسم باق من الإيمان ، يعمرون أكثر مساجدهم ، ويقيمون الصلاة بأذان مسموع .. وبها جامع يجتمعون للصلاة فيه .. أما المساجد فكثيرة لاتحصى ، وأكثرها محاضر لمعلمي القرآن »(٤) .

وفيما أشار اليه ابن حوقل ، وابن جبير عن المساجد في صقليه ، وقيامها بالعملية التعليمية نستطيع أن نذكر أن المسلمين في صقليه كان لهم اهتمام بتعليم النشء وتربية عقولهم ، وتهذيب نفوسهم ، ويدلنا على ذلك كثرة المساجد وانتشارها . اضافة الى أن علماء صقليه كانوا يتناوبون على التعليم فيها فقد نص ابن حوقل على أنه : « يتواطأ أهل الخبرة منهم في عملها ويتساوون في معرفتها وعددها »(٥) .

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٨٧ ـ ٨٨) .
(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٨٨) .
(٣) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٥) .
(٤) ابن جبير ـ الرحلة (ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦) .
(٥) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٥) .



ويؤكد ذلك ابن جبير حيث يذكر أن تلك المساجد كانت تستخدم محاضر لمعلمي القرآن »[1] .

اذاً المساجد في صقليه كانت تقوم بمهمتها التعليمية خير قيام ففيها يتلقى التلاميذ المبادئ الأولى للقراءة والكتابة ، وذلك تمهيداً لقراءة وحفظ القرآن الكريم الذي يمثل أساس الثقافة الإسلامية .

وهذه الكثرة في المساجد والتي فسرها ابن حوقل بأن كل واحد يريد مسجداً له ، وذلك لانتفاخ رؤسهم ، تدلنا بتفسير آخر على أن تعليم التلاميذ انتشر في المساجد مقابل مبلغ بسيط يدفعه التلاميذ ، وبذلك يعتبر التلاميذ طريقة للتكسب ، وبذلك يكون تفسير ابن حوقل متعارضاً مع الأحاديث التي تحث على صلاة الجماعة وفضلها عن صلاة المنفرد ، إضافة الى أن كثرة المساجد تزيد من نمو وتطور الحركة التعليمية حيث كانت تقوم بوظيفة التعليم والتثقيف ، بدليل ان ابن حوقل استدرك وقال : « وفي جملة العشرة مساجدة التي ذكرتها مسجد لولده ابتناه ليثقفه فيه »[2] .

ونستطيع أن نقول أيضاً أن التنافس في بناء المساجد الذي كان موجوداً في صقليه له دوره الكبير في انتشار التعليم في الجزيرة ، وكثرة العلماء ، وهذا يتفق مع ماأفادتنا به المصادر وكتب التراجم من العدد الكبير لعلماء صقليه ومؤلفاتهم التي وصل بعضها الينا ، هذا فضلا عن بعض العلماء والمؤلفات التي لم تشر اليها المصادر .

وابن حوقل عندما يشير الى المساجد بصقليه يتحدث عن « اجنتها وابراجها » فكأنه يذكر أن بها حدائق وبساتين ، وأبراج وكأنها تتكون من أكثر من طابق ، واذا كان الكلام كذلك ، فان تلك المساجد تطغي عليها بالدرجة الأولى الصبغة التعليمية على الصبغة الدينية .

---

(١) ابن جبير ـ الرحلة (ص ٣٠٦) .

(٢) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٥) .

والتدريس في المساجد يقوم به مجموعة من العلماء بعد أن تكتمل المرحلة الأولى عند التلاميذ تلك المتمثلة في القراءة والكتابة وحفظ القرآن . فقد اشارت المصادر وكتب التراجم وكتب الطبقات الى أن هناك علماء متبحرين في العلوم الشرعية واللغوية والقراءات والتفسير والحديث والأدب والعروض ، وغيرها من العلوم في مختلف المعارف والفنون ويقومون بالتدريس في الجوامع لطلاب العلم ولهم فيها حلقات يحضر فيها من الطلاب من أتم دراسته في المرحلة الأولى من أبناء صقليه ، وغيرهم ممن قدم اليها من أبناء العالم الإسلامي .

فقد اشارت المصادر الى أن التعليم في مرحلته الثانية في الجوامع يقوم على ثلاثة أسس أولاها : تعلّم القراءات بعد حفظ القرآن الكريم ؛ وثانيهما : دراسة الفقه الذي يقوم على الأساسين السابقين ، ويؤكد لنا ذلك ماأورده ابو الطاهر السلفي في معجمه عند سؤاله لأحد علماء صقليه عن دراسته بالجزيرة فأجاب : « قرأت القرآن على ابي محمد عبد الله بن فرج المدين ، ومحمد بن ابراهيم بن الشامي المديني وأبي بكر محمد بن علي الأزدي بن بنت العروق ، وابي عبدالله محمد بن عبد الله الفتّال ، وهؤلاء شيوخ المدينة بصقليه ، والمقدمون في الإقراء . وسمعت الحديث على عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي ، وعتيق بن علي بن داود السمنطاري ؛ وقرأت الفقه على محمد بن يونس ، وأبي العباس أحمد بن محمد ... »[1] .

وارتبطت كثرة المساجد في صقليه بكثرة المعلمين والكتاتيب ، وهذه الكثرة تشير بوضوح الى نشاط تعليمي كبير في صقليه ، قال ابن حوقل : « والغالب على البلد المعلمون ، والمكاتب به في كل مكان »[2] . ويقول عن بلرم

---

(١) السلفي ــ أخبار عن بعض مسلمي صقليه ، جمع أ مبرتو ريزيتانو (ص ٨٤ ــ ٨٥) .

(٢) ابن حوقل ــ صورة الأرض (ص ١٢٠) .

وكثرة المعلمين بها : « وبالبلد مايقارب من ثلاثمائة معلم ولم ينقص من ذلك إلا القليل ، وليس كهذه العدّه بمكان من الأماكن ولا بلد من البلدان »(١) .

ويعلل ابن حوقل كثرة المعلمين في صقليه بأن ذلك فراراً من الجهاد ، لأن المعلمين كانوا يعفون من الجهاد ، فيقول : « وانما توافرت عدتهم مع قلة منفعتهم لفرارهم من الغزو ، ورغبتهم عن الجهاد ، وذلك ان بلدهم ثغر من ثغور الروم ، وناحية تحادّ العدو . والجهاد فيهم لم يزل قائماً ، والنفير دائماً منذ فتحت صقليه ، وولاتهم لايفترونه واذا نفروا لم يفتروا بالبلد أحداً ، إلا من بذل الفدية عن نفسه ، أو أقام العذر في تخلّفه مع رابطة السلطان ، وكان قد سبق الرسم بإعفاء المعلمين قديماً بينهم من النوائب وحُملت عليهم المغارم ، ففزع الى التعليم بُلههم ، وحسنّه لديهم جهلهُم ، مع قلة الانتفاع به والجدوى منه »(٢) .

وفكرة ابن حوقل عن المعلم مستمدة من الصورة الساخرة التي رسمها الجاحظ ، وهي فكرة وجدت سبيلها أيضاً الى الأندلس ، حيث نجد أحدهم يصوّر ثقافة المعلم بقوله : « وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على أجزاء من النحو وحفظ كلمات من اللغة ، يحثّون على أكباد غليظة ، وقلوب كقلوب البعران ، ويرجعون الى فطن حمئه ، وأذهان صدئة ، سقطت اليهم كتب في البديع والنقد ، فهموا منها مايفهمه القرد اليماني من الرقص والإيقاع »(٣) .

ومما يؤيد وجود هذه الفكرة وتخمرها في ذهن ابن حوقل عن المعلمين وصفه لهم بالصراع والخباط ، بصفة عامة لكن معلمي صقليه في نظره أشد وأنكى من غيرهم : « وهم فيه على طبقات مختلفة ومنازل شتى من الصُراع

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ١٢٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١٢٠) .

(٣) ابن بسام ــ الذخيرة في محاسن الجزيرة (٢٠٥/١) ، احسان عباس ــ العرب العرب في صقليه (ص ٨٨) .

والخُباط على مايفوق جنون معلمي كل بلد وحمق كل ناحية »[١] . ويغلو ابن حوقل في تهكمه بمعلمي صقليه عندما يقول : « وبالإجماع منهم ومن كل انسان أن المعلم أحمق محكوم عليه بالنقص والجهل والخفّه وقلة العقل »[٢] .

أما أهل صقليه فإنهم يخالفون ابن حوقل في نظرته الى معلميهم فقد كانوا : « يعتقدون أن هذه الطائفة أعيانهم ، ولبابهم ، وفقهاؤهم ، ومحصلوهم ، وأرباب فتاويهم وعدولهم وبهم عندهم يقوم الحلال والحرام ، وتعقد الأحكام ، وتنفذ الشهادات ، وهم الأدباء والخطباء »[٣] .

وقد رأى منهم ابن حوقل من يقوم ويخطب في الناس يوم الجمعة ، كما وصف بعضهم بأنهم من أهل السيّر والعدالة ، ورأى منهم القضاه ، والفقهاء[٤] ؛ وكانوا هم الذين يوجهون العامة في أمور الدين والدنيا ، كما كانوا يتدخلون في الأمور السياسية ، ولعل ذلك هو سبب تضايق ابن حوقل من معلمي صقليه ــ خاصة اذا علمنا أنه زار صقليه في فترة التبعية الفاطمية ــ مما جعله يصبّ عليهم نقمته ويرميهم بكل رذيلة ، ويدل على ذلك قوله فيهم : « حتى إنهم المتكلمون على السلطان في سيره واختياراته ، والاطلاق بالقبائح من السنتهم بمعائبه ، وإضافة محاسنه الى قبائحه »[٥] .

وبعد فإن الكثرة في عدد المعلمين والمساجد والكتاتيب تشير بوضوح الى نشاط تعليمي واسع ، وبصرف النظر عن الأسباب التي أدت الى كثرة المساجد وكثرة المعلمين فقد كان المسجد يقوم بمهمة التعليم الى جانب وظيفته الأساسية ، فقد كان الصقلي يتعلم في حلقات الشيوخ في المساجد ، ثم اذا أراد ان

---

(١) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١٢٠) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١٢١) .
(٣) المصدر السابق نفسه (ص ١٢١) .
(٤) المصدر السابق نفسه (ص ١٢١) .
(٥) المصدر السابق نفسه (ص ١٢٠) .

يغادر صقليه الى أماكن أخرى كان له ذلك ، والتقى بعدد من العلماء والشيوخ، وعاد وهو يحمل اجازات كثيرة ، أو كاتب هؤلاء دون أن يرحل ، واستجازهم كتبهم ، أو زار البيت الحرام والتقى بالعلماء في مكة من المقيمين والمجاورين ، أو مّر على مصر وهو في طريقه الى الحج والتقى بعلمائها وأدبائها .

ولم تكن مهنة التعليم هرباً من الجهاد كما ذكر ابن حوقل فهي لاتدر رزقاً كثيراً على المشتغلين بها كما ذكر هو بان أحدهم لايصيب عشرة دنانير في السنة من تلاميذه ، بل كان يزاول مهنة التدريس عدد كبير من أعيان البلاد وأنه كان يتخرج على ايديهم عامة الناس وكثير من أولاد السراة(١) .

وفي مقابل ماذكره ابن حوقل عن معلمي صقليه ، فإننا نذكر نصوصاً مما ورد في كتاب « الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار » لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد الصقلي ، أحد علماء القرن الرابع الهجري(٢) ، وتلك النصوص يظهر من خلالها احترام المعلمين والعلماء ، وتدلنا على سمو التعليم وقدر علمائه وفضل مرتادي مجالسه ، وماينبغي ان يتصف به كل من العالم والمتعلم ، وقد قدر علماء صقليه وتلاميذها وطلاب العلم فيها كل ذلك . فمن ذلك قوله : « لايزال العبد جاهلاً حتى يطلب العلم بالأدب ، ولايزال مدعياً بالعلم حتى يعمل به على الخوف والرجاء »(٣) .

وقوله أيضاً : اذا حدث في قلوب الجهال الغنى عن العلم أحدث الله في قلوب العلماء الجفاء لهم »(٤) . كما قال : « من ترك طلب العلم تحكمت فيه دواعي الجهل ومن طلب العلم بغير أدب تحكمت فيه دواعي العُجب »(٥) . ومنه

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ١٢٠) .
(٢) انظر موضوع (الزهد والتصوف في صقليه) .
(٣) ابو القاسم الصقلي ـ الأنوار في علم الأسرار ومقامات الابرار (ص ٤٥٠) .
(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٤١٨) .
(٥) المصدر السابق نفسه (ص ٤٠٩ ـ ٤١٠) .

قوله : « اذا لم يكن المتعلم أرضى للمعلم قل نفعه بما تعلم »[1] . ومن ظن أن العلم ينفعه دون العمل به فهو مفتون بالقوة . ومن استغنى برأيه دون شيخه فهو هالك مستدرج في حالتي العلم والجهل »[2] . ويقول أيضاً : « تكبّر العلماء فتنة عامة . وتواضع العلماء رحمة خاصة »[3] .

وبعد هذا العرض الموجز لما أوردته المصادر عن الكتاتيب والمساجد والمعلمين في صقليه نستطيع ان نشير الى الأمور التالية :

ذلك أن المسلمين في صقليه كانوا يهتمون بتنشئة ابنائهم وتثقيف عقولهم ، بدليل تلك الكثرة الهائلة من المساجد ، والتي كان أهل الخبرة من علماء الجزيرة يتناوبون على تعليم الناس بها ، مما يدلل على كثرة العلماء أيضاً وكثرة المتعلمين . كما أن القوم جميعاً كانوا يعلمون تعدادها ويتساوون في معرفتها ، مما يدل على اهتمام المعلمين والمتعلمين بدور العلم فيها .

ثم يأتي ابن جبير ، ويؤكد لنا في صراحة ووضوح فيذكر ان تلك المساجد الكثيرة لاتحصى ، كان أكثرها محاضر لمعلمي القرآن ، وهكذا يبدو لنا كيف كانت تمتلئ المساجد بالتلاميذ المسلمين في صقليه ، لتلقى مبادئ القراءة والكتابة التي هي ضرورة لازمة لمن يتصدى لحفظ القرآن .

ويتضح لنا ايضاً من كلام ابن حوقل ، أنه لم تكن هناك ادارة عامة تسيطر على هذه الأماكن التعليمية في ذلك الوقت عدا ماذكره عن الكتاتيب وأن بأحدها خمسة معلمين يرأسهم أحدهم مما يشير الى تنظيم اداري كان بذلك المكتب ـ بل كانت اشبه بمدارس حرة يستطيع اصحابها عن طريقها التكسب ، ولعل هذا هو السر الذي خفي على ابن حوقل عندما أدهشته الكثرة العددية لهذه المساجد .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ٣٣٦) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٣٥٧) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٤٢٧) .

وتشير رواية ابن حوقل التاريخية ، أنه استطا ع على قدر جهده وطاقته أن يحصي اكثر من ثلاثمائة معلم في مدينة « بلرم » وحدها ، كما أحصى المساجد بنيّف وثلاثمائة في حين أن أبن جبير الذي أتى بعده بقرنين من الزمان يذكر ان المساجد كانت كثيرة لاتحصى ، وانها كانت تستخدم كمحاضر لمعلمي القرآن ؛ وقد أُستنتج أن سكان مدينة « بلرم » في القرن الرابع الهجري وقت زيارة ابن حوقل لها ، كان ثلاثمائة وخمسين ألف نسمة[1] ، لأن ابن حوقل يذكر في معرض حديثه عن « بلرم » « أنه زار مسجد القصابين بها ، وأنه يتسع لسبعة آلاف رجل ، اذا غص بأهله ، يتسع لستة وثلاثين صفاً في الصلاة ، كل صف منها لايزيد على مائتي رجل »[2] . وفي ذلك يقول أحد الباحثين المحدثين : « أنه يمكننا القول ان كل معلم في بلرم كان يمثل الفا من سكانها في القرن الرابع الهجري ، ثم حدث بعد ذلك تناقص كبير في تعداد سكان الجزيرة بعد زوال السيادة الاسلامية عنها ، واستيلاء النورمنديين عليها ، نتيجة لما أصابهم من فزع وللإضطهادات الدينية المتتالية ، وعلى الرغم من هذا التناقص في عدد السكان ، ظلت اماكن التعليم في صقليه على ماهي عليه ، ودليلنا على ذلك قول ابن جبير في القرن السادس الهجري ، أن المساجد كانت كثيرة لاتحصى ، وأنها كانت محاضر لمعلمي القرآن ، مما يدل على نسبة عدد المعلمين الى عدد المتعلمين قد ازداد عما كان عليه في القرن الرابع الهجري ، وذلك عامل من عوامل رقي الثقافة الاسلامية في ذلك العصر »[3] .

---

(١) عزيز أحمد ـ تاريخ صقليه الإسلامية (ص ٧٤) .

(٢) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٤) .

(٣) عبد الشافي غنيم ـ الحالة الثقافية والاجتماعية فى صقليه في العصر النورمندي ـ رسالة دكتوراه جامعة القاهرة (ص ١٢١ ـ ١٢٢) .

الأربطـــة :

أطلق الرباط في صدر الإسلام على رباط الخيل ، وذلك مستمداً من قول الله تعالى « واعدوا لهم ماستطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »[1] .

والرباط هو زاوية أو ثكنه يرابط بهـا المتطوعـون لمدة يعـينونهـا ، وذلك لحراسة الثغور[2] .

ومع مرور الزمن تغيرت وظيفة الربط في البلاد الإسلامية ، فلم تعد مكانا عسكريا ، بل أصبحت أماكن لحياة الزهد ، والتقشف ، والتصوف . يرتادها الصوفيه للعبادة والإنقطاع إلى الله ، والتوبه ، ومجاهدة النفس ، والحد من شهواتها ، كما أصبحت تؤدي خدمات اجتماعية ودينية ، إضافة الى دورها الثقافي في الوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء ومنح الاجازات العلمية ، وتصنيف الكتب . وساعد على ذلك أن الواقفين لهذه الرباطات قد أنشأوا فيها الخزائن ، ووقفوا فيها الكتب . فكان الزهاد والمتصوفة يترددون على مكتباتها ، وكذلك كان يفعل الطلاب الذين يرحلون في طلب العلم ، وكان العلماء يتخذون من الربط ، أماكن للقراءة والمطالعة والاستنساخ والتأليف ويساعدهم على ذلك مكتبات الأربطة العامرة ، وإمكانية مكوثهم فيها وقتا طويلا ومايتهيأ لهم فيها من معونة بشرية تتمثل في الطلاب والمتصوفة ، الذين كانوا على استعداد تام للتعاون طلبا للثواب[3] .

وفي صـقليـه الإسـلامـيـة عـرفت الأربطة ، التي كـان يرتادهـا النسـاك والشيـوخ ، ولكن لم تعطنا المصـادر معلومـات عن تلك الأربطة ، ومـرتاديهـا ، ودورهم في النشاط الثقافي مما يجعلنا نتوقف عن الحديث عن ابراز دورها

---

(١) سورة الأنفال (آية ٥) .

(٢) عثمان الكعاك ـ الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط (ص ٦٠) .

(٣) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص ٢٣٩) .

الثقافي ، ونشاط طلاب العلم بها ، على الرغم أن هناك كثير من علماء صقليه كانوا من الزهاد والمتصوفه ، ولم تشر المصادر إلى أنهم كانوا مقيمين في الأربطة ، على أن بعضهم زار بعض البلدان والتقى بعلمائها من الزهاد والصوفية ، وقد يكون ذلك اللقاء في الأربطة ، كما هو الحال بالنسبة لأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد الصقلي(١) . فقد التقى بأبي بكر محمد بن سعدون التميمي(٢) ، والذي كان مرابطا ببلاد المغرب(٣) .

وقد تحدث ابن حوقل عن الأربطة في صقليه ، وكعادته كان مغالياً في نعتهم بكل ماهو قبيح كما هو الحال بالنسبة للمعلمين ، فقد وصف ابن حوقل رباطات صقليه وأهلها بقوله : « وبها ـ أي بلرم ـ رباطات كثيره على ساحل البحر مشحونة بالرياء والنفاق ، والبطّالين الفسّاق ، متمردين ، شيوخ وأحداث ، أغثاث رثاث ، قد عملوا السجادات منتصبين لأخذ الصدقات ، وقذف المحصنات ، نقمٌ مُنزله ، وبلايا شامله ، وحتوف مصبوبه منصوبه ، وأكثرهم يقودون ومنهم من لايرى ذلك لشدة الرياء والسمعة ، وأكثرهم بالزور تطوعاً يشهدون مع جهل لايفرق فيه بين فرض الوضوء وسنتّه ، ويقصدهم من أعوزه المكان لبطالته ، والموضع لعيارته ، فيؤونه ، وربما شاركوه بتافه من المأكول على أحوال يقبح ذكرها . وأحسب تأسيسها كان على غير التقوى ، فهارت وباد أهلها بما جنوه من الفتن والعصيان وشق عصا السلطان »(٤) .

وهذا الرأي لإبن حوقل لايمكن أخذه على اطلاقه ، وقد سبق أن أشرنا أن ابن حوقل انما زار صقليه في القرن الرابع الهجري ، أثناء سيادة الدولة

---

(١) أنظر موضوع الزهد والتصوف في صقليه .

(٢) أبو بكر محمد بن سعدون التميمي الجزيري المتعبد ، كان حسن الصوت بالقرآن ، وصحب الفقراء ، سمع بمصر وبمكه ، وحج أكثر من مره ، وطاف ببلاد الشام .
المقري ـ نفح الطيب (٢/٣٤٣) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢/٣٤٣) .

(٤) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١١٦) .

الفاطمية عليها ورأى معارضة أهل صقليه للمذهب الشيعي بها ، فأخذ يكيل الذم لأهلها وخصوصاً علمائها ومؤدبيها . ويكفي دليلاً على ذلك وصفه لهم بأنهم شقوا عصا السلطان .

وماذكره ابن حوقل قد ينطبق على بعض الزهاد المتصوفة من مرتادي تلك الأربطة ، وهذا يعكس لنا الحالة الإجتماعية التي تضايق منها بعض من كتب في الزهد والتصوف حيث قال أبو القاسم عبد الرحمن الصقلي في كتابه : « الأنوار في علم الأسرار » : « ويلكم يامعشر النساك ، والجهلة بدينهم . أظهرتم زهدكم بالعجز عن مكاسبكم واستعملتم تواضعكم في لباسكم ، وأخفيتم الكبر والحرص في صدوركم فلا أنتم وجدتم راحة في قلوبكم ، ولا أنتم أرحتم الناس من أذاكم فما ظنكم غداً عند ربكم إذا وضع ميزان الحق وذهب الباطل »[1] .

وفي اشارة ابن حوقل ان تلك الأربطة كانت على ساحل البحر ، مايؤكد أنها بينت كثكنة عسكرية يرابط بها المتطوعون ، وأنه مع مرور الزمن تغيرت وظيفة تلك الأربطة في صقليه فأصبحت مكاناً يرتاده الزهاد ، والعباد ، والمتصوفة من المنقطعين للعبادة مع الله ؛ ثم أصبحت مكاناً يأوي اليه بعض العلماء وطلاب العلم ممن هذه صفاتهم كما هو الحال في مشرق العالم الإسلامي .

على أن مما تجدر الاشارة اليه هنا أن المسلمين في البداية لم يكن لهم أسطول يجابه الأسطول البيزنطي ، ويحمي سواحلهم البحرية على طول الشاطئ في البحر الأبيض المتوسط ، فبنوا الأربطة على طول الساحلي المغربي من طنجة الى الإسكندرية على طول ٦٠٠٠ كيلو متر ، فهي الف رباط ، لأن الواحد يبعد عن الآخر ٦ كيلو مترات[2] .

---

(١) ابو القاسم الصقلي ـ الأنوار في علم الأسرار (ص ٢٥٢) .

(٢) عثمان الكعاك ـ الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط (ص ٦١) .

والحال في صقليه كذلك فلابد أن تكون الأربطة كثيرة لأنها مذ فُتحت كانت ثغرة من ثغور الروم ، وكان المرابطون يتصدون للهجمات الخاطفة التي كانت تقوم بها وحدات من الجيش البيزنطي . هذا فضلاً عن اعتبار صقليه كلها رباط كبير يدافع فيه المسلمون عن بلادهم .

دور العلماء :

لقد قامت منازل العلماء بدور كبير في نشر العلم ، وتوسيع التعليم ، والعلماء في ذلك ، انما يتمثلون قول الله تعالى : « ان الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »[1] . وقد أورد البخاري رحمه الله في صحيحه في باب فضل من علم وعلّم عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ؛ فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ؛ وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ ؛ فذلك مَثَلُ من فقه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلّم . ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »[2] .

وعلى هدي الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف ، اضطلع علماء المسلمين مهمة التعليم الجليلة على مر العصور ، فكان من جملة الآداب التي يحرص عليها العلماء « أن لايبخلوا بتعليم مايحسنون ، ولايمتنعوا من إفادة مايعلمون »[3] ؛ واعتبروا ان إفادة المتعلم فرض على المعلم ، كما قال الماوردي[4] .

---

(١) سورة البقرة (أية ١٥٩) .

(٢) البخاري ـ صحيح البخاري (٤٢/١) .

(٣) الماوردي ـ أدب الدنيا والدين (ص ٤٦) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٦٤) .

ومن هذا المنطلق كانت بيوت الشيوخ والعلماء من بين أماكن التعليم خلال العصور الإسلامية المتوالية ، وكافة البلدان الإسلامية ، خاصة وأن المسلمين يقدرون العلم ، ويوقرون العلماء ، ويسعون اليهم أينما كانوا ، ويعتبرون ذلك تكريماً للعلم والعلماء ؛ ومما ساعد على انتشار عادة التدريس في بيوت الشيوخ والعلماء سهولة رجوع الشيخ الى مصادره ومعلوماته ، بالاضافة الى حصوله على الراحة والغذاء في الوقت نفسه[1] .

وفي صقليه الإسلامية قامت دور العلماء بدورها في تعليم الناس ، وتفقيههم ولكن الإشارات في المصادر الى ذلك قليلة ، فلم نجد نصوصاً صريحة تدل على ذلك إلا ماذكرته من أن أبا عمرو ميمون بن عمرو قاضي صقليه[2] . والمتوفي سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م لم ينزل في دار القضاء ، واستقر في منزله ، وكانت خادمته تغزل وتبيع غزلها وتطعمه . وكان الناس يأتون اليه فيقرعون عليه الباب ، فيخرج اليهم ويقضي بينهم ، واستمر حاله على ذلك سنين حيث خرج الى القيروان وبها توفي[3] .

أما فيما يتعلق بقصور الحكام والأمراء ، فقد كانت من بين مجالس العلم والأدب ، فهذا الأمير مستخلص الدولة عبد الرحمن بن الحسن الكلبي يدعو الى مجلسه أصحاب المواهب والإبداع ، وأصبح منزله عامراً بالأدباء[4] .

– وقد سبق ان أشرنا الى ذلك في الفصل الخاص بعناية حكام صقليه بالعلم والعلماء – .

---

(١) رشاد معتوق – الحياة العلمية في العراق في العصر البويهي – رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ١٤١٠هـ (ص ٢١٨) .

(٢) انظر موضوع (الزهد والتصوف في صقليه) .

(٣) الدباغ – معالم الإيمان (٢/٢٥٧) ، ابن فرحون – الديباج المذهب (٢/٣٢٨) . الذهبي – العبر (٢/١٠) .

(٤) العماد الاصفهاني – الخريدة (١/٨٥) .

وبعد فإنه لابد ان يكون علماء صقليه قد قاموا بالتعليم في بيوتهم ، الى جانب قيامهم بمهمتهم في الكتاتيب والمساجد والجوامع وحلق الدروس ، وعدم وجود نصوص صريحة في المصادر تشير الى ذلك ، لايعني أنهم لم يقوموا بتلك المهمة ، خاصة إذا علمنا أن في صقليه علماء لهم مكانتهم في المجتمع الصقلي ، وخاصة في مجال الدراسات الشرعية واللغوية والنحوية كابن يونس صاحب « الجامع على المدونة » ؛ وعبد الحق الصقلي صاحب « تهذيب الطالب وفائدة الراغب » . وابن البرّ الصقلي اللغوي المشهور بصقليه ؛ وغيرهم . والعلماء المسلمون في كافة البلاد الإسلامية ، لايمتنعون عن اجابة وتعليم من طلبهم المعرفة حتى في بيوتهم .

دور الكتب :

من خلال ماذكرته المصادر عن النتاج العلمي لعلماء صقليه ، نجد أنهم قاموا بتأليف عدد كبير من المؤلفات ، وفي شتى المجالات ، وهذا كان سبباً رئيسياً في انشاء المكتبات ؛ يضاف الى ذلك وصول عدد كبير من المؤلفات الى صقليه ، نتيجة للصلات الثقافية بين صقليه والبلدان . فقد دخلت « المدونة » في الفقه المالكي عند فتح صقليه ، وكان كل نشاط الفقهاء يدور حولها اختصاراً وشرحاً ، وبياناً لما فيها من غريب ونسجاً على منوالها .

كما كان « الموطأ » للإمام مالك يدرس في صقليه ، ويقوم بتدريسه محدثون مثل الفقيه السمنطاري .

ودور الكتب في صقليه كانت بالجوامع والأربطة والمدارس ، وأعظمها يكون بقصر الأمير ، فأهم مكتبة بصقليه مكتبة بني الحسين بالقصر الكبير (الموجود الآن) كما أشار الى ذلك أحد الباحثين المحدثين(١) .

---

(١) عثمان الكعاك ـ الحضارة العربية في المتوسط (ص ٦٤) .

كما كان بقصر الوالي ابن منكود مكتبة كبيرة بمدينة « مازر » وكان هو نفسه أديباً[1] . وفي العصر النورمندي اتخذ روجار مكتبه عربية ضم اليها أهم التصانيف العربية ، وغيرها[2] .

كما كان يوجد بالجوامع مكتبات ولاسيما الجامع الكبير بمدينة « بلرم »[3] وقد أدخل المسلمون على المكتبة عناصر جديدة منها انهم نشروا الكاغذ ، فكثرت الكتب ، ومنها الإنتقال من الدرج الملفوف الى الدفتر المبسوط ، ومنها تزيين الكتاب وابتداع الخط الكوفي المزهر ، والمزين ، والمذهب ، ومنها الطباعة الخشبية التي جلبها العرب من الصين على عهد هارون الرشيد[4] .

ونختتم الحديث هنا فنذكر أن هناك آداباً للتعامل مع الكتب ذكرها ابن جماعة من ذلك قوله : « ولايجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها ، أو مخدة ، أو مروحة ولا مكسباً ، ولامسنداً ولامتكئاً ، ولا مقتلة للبق وغيره ، ولاسيما في الورق فهو على الورق أشد »[5] . ويقول فيما يتعلق بإعارة الكتب : « وإعارة الكتب للطلبة والمشيخة أمر قد استحسنه الأولون والآخرون لما فيه من نشر العلم خاصة ، وإفادة الناس عامة ، حتى عد من صفات العلماء المحمودة »[6] .

ومن آداب التعامل مع الكتب عند شرائها أو استعارتها أو إعادتها أن يتفقدها المشتري أو المستعير ، أو مالكها بأن يتعهد أولها وآخرها ووسطها وترتيب أبوابها[7] .

---

(١) عبد الرزاق الطنطاوي ـ صقليه الفاطمية (ص ١٠٢) .
(٢) عثمان الكعاك ـ المرجع السابق (ص ٦٤) .
(٣) المرجع السابق نفسه (ص ٦٤) .
(٤) المرجع السابق نفسه (ص ٦٤) .
(٥) ابن جماعة ـ تذكرة السامع والمتكلم (ص ١٧٢) .
(٦) المصدر السابق نفسه (ص ١٦٨) .
(٧) المصدر السابق نفسه (ص ١٦٨) .

الباب الثالث

دراسة شاملة للنتاج العلمي في صقلية الإسلامية



الفصل الأول

الدراسات الشرعية



على الرغم من أن صقليه كانت في طرف ناءٍ من العالم الإسلامي ، إلا أن موقعها في مكان متوسط بين افريقيا والأندلس ، ومعاصرتها لمدينتين هامتين لهما مكانتهما العلمية القيروان وقرطبة ؛ جعلها تتمتع بمركز ثقافي كبير بين بلدان العالم الإسلامي .

وعلى الرغم من التاريخ السياسي المضطرب . الذي مرت به صقليه الإسلامية ، فقد خرج منها علماء كثيرون في شتى المجالات ، وهذا ماجعل صاحب كتاب « نخبة الدهر ، وعجائب البر والبحر » يقول عن صقليه مبيناً مركزها الثقافي : « لما كانت في أيدي المسلمين كانت كثيرة العلماء ، والأدباء ، والفضلاء ، مضاهية للأندلس »[1] . وتلك الكثرة في العلماء والأدباء ، أشار اليها صاحب كتاب « الروض المعطار في خبر الأقطار » حيث قال : « كان فيها من العلماء والعباد والفقهاء والشعراء وأعيان الناس مالايأخذه عدّ ، ولا يأتي عليه إحصاء »[2] .

وقد سبق لنا الحديث عن بعض العوامل التي أدت الى الازدهار الثقافي في صقليه خلال الباب السابق ، ونحن عندما نتحدث عن النتاج العلمي والأدبي في صقليه الإسلامية ، فإننا نبين الدور الذي قامت به صقليه الإسلامية كإحدى البلدان الإسلامية في إثراء الحركة الثقافية في العالم الإسلامي . ولكن ليس كل ماسيرد في ثنايا هذا الباب ، هو كل نتاج علماء صقليه ، فقد تكون المصادر سكتت عن الإشارة عن بعض علمائها ومؤلفاتهم ودورهم في الحياة الفكرية الإسلامية ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن من طبيعة البشر النقص وعدم القدرة على الوصول الى الكمال ، فلربّما لم استقص كل ماورد في كتب التراجم والطبقات والتاريخ وغيرها ، فيما يتعلق بعلماء وأدباء صقليه .

---

(١) الأنصاري ـ نخبة الدهر وعجائب البر والبحر (ص ١٤٠) .

(٢) الحميري ـ الروض المعطار في خبر الأقطار (ص ٣٦٦) .

ونعرض للدراسات الشرعية على النحو التالي :

أولاً : علوم القرآن :

القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، يعدّ مصدر المعرفة لدى المسلمين . وقد اهتم المسلمون في كل العصور بالقرآن الكريم قراءة وتلاوة وتجويدا وتفسيرا . وأخرج لنا كثير من علماء المسلمين مؤلفات عظيمة تتعلق بالدراسات القرآنية . كما حرص المسلمون على تعليم أبنائهم القرآن الكريم وذلك بالمداومة على حفظه وقراءته وتجويده ، متمثلين في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه »(١) .

ويعتبر هذا الحديث دافعاً قوياً عند أهل السنة والجماعة في تعلّم القرآن وتفسيره واستخراج أحكامه .

والعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة ، وقد لخصها السيوطي ونذكر منها مايلي :

« معرفة سبب النزول ــ معرفة المناسبة بين الآيات ــ الفواصل ــ معرفة الوجوه والنظائر ــ علم المتشابه ــ علم المبهمات ــ أسرار الفواتح ــ خواتم السور ــ المكي والمدني ــ أول مانزل ــ على كم لغة نزل ــ كيفية انزاله ــ بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة ــ معرفة تقسيمه ــ معرفة اسمائه ــ معرفة ماوقع فيه من غير لغة الحجاز ــ معرفة مافيه من غير لغة العرب ــ معرفة غريبة ــ معرفة الأحكام .. »(٢) .

وهذه الأنواع التي ذكرها السيوطي ، قام العلماء المسلمون بدراستها والبحث فيها والتأليف فيها ، وكل باب منها يحتاج الى وقت وجهد كبيرين ، ولذلك يقول السيوطي : « وأعلم أنه مامن نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره »(٣) .

---

(١) ابن حجر ــ فتح الباري في شرح صحيح البخاري (٧٤/٩) .

(٢) السيوطي ــ الاتقان في علوم القرآن (١/٥ ــ ٦) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٦/١) .

وأول علوم القرآن التي اهتم بها المسلمون علم القراءات الذي يعني بمذاهب الأئمة في قراءة القرآن الكريم ، وهذه المذاهب باقية اجماعاً يقرأ بها الناس ومنشأها اختلاف في اللهجات وكيفية النطق ، وطرق الأداء من تفخيم وترقيق وإمالة ، وإدغام ، وإظهار ، وإشباع ، مد ، وقصر ، وتشديد وتخفيف[١] .

وفي ذلك يقول ابن خلدون : « القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف ، وهو متواتر بين الأمة ، إلا أن الصحابة رووه عن الرسول صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكيفيات الحروف في أدائها ، وتُنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة ، تواتر نقلها أيضاً بأدائها ، واختصت بالإنتساب الى من اشتهر بروايتها من الجمّ الغفير ، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة ، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع ، إلا أنها عند أئمة القراءة لاتقوى قوتها »[٢] .

والقراءات التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الأئمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خط مصحف عثمان رضي الله عنه الذي أجمع الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن أتى بعدهم عليه وترك ماسواه[٣] .

والقراء السبعة الذي اشتهرت قراءاتهم بين المسلمين هم نافع المدني[٤] ،

---

(١) مناع القطان ـ مباحث في علوم القرآن (ص ١٧٢) .

(٢) ابن خلدون ـ المقدمة (ص ٤٣٧) .

(٣) مكي بن أبي طالب ـ الإبانة عن معاني القرآن (ص ٢١ ـ ٢٢) ، البشري ـ الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ـ دكتوراه ـ جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ (ص ٣٠٩) .

(٤) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ـ امام أهل المدينة وعليه استندوا في قراءاتهم توفي سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م .

ابن الباذش ـ الاقناع في القراءات السبع (١/٥٥) .

وعاصم بن أبي النجود[1] ، وأبو عمرو بن العلاء[2] ، وعبد الله بن كثير المكي[3] ، واليحصبي[4] ، وأبو عماره الزيات[5] ، والكسائي[6] .

ولقد مثل كل واحد من أولئك العلماء السبعة مدرسة خاصة به في القراءات متواتره عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد ظهرت هذه المدارس السبع في كل من الحجاز والشام والعراق وأصبح لها شهرة عريضة في كل العالم الإسلامي ، وإلى جانب هذه المدارس نشأت ثلاث مدارس أخرى ، فأصبح عددها عشر مدارس ارتبط بها علم القراءات[7] .

---

(١) كان ضريراً من أهل الكوفة ، تصدر للإقراء سنة ٧٣هـ/٦٩٢ بالكوفة ، وظل كذلك الى أن توفي بها سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م ، وقيل ١٢٨هـ/٧٤٥م ، وقيل سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م .
المصدر السابق نفسه (١/١١٥) .

(٢) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان ، كان أعلم الناس بالغريب والعربية والقرآن والشعر ، وبأيام العرب والناس ، وقد تتبع حروف القرآن تتبعًا استحق بها الإمامة توفي سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م .
المصدر السابق نفسه (١/٩٢ ـ ٩٣) .

(٣) هو عبد الله بن كثير المكي ، الداريّ ، والداريّ بطن من لخم . كان شيخاً كبيراً طويلاً جسيماً ، ولد بمكة سنة ٤٥هـ/٦٥٥م . وتوفي بها سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م .
المصدر السابق نفسه (١/٧٧ ـ ٧٨) .

(٤) عبد الله بن عامر اليحصبي ، قاضي دمشق أيام الوليد بن عبد الملك ، وإمام مسجد دمشق . وهو من التابعين ، سمع أبا الدرداء ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وغيرهما . توفي بدمشق سنة ١١٨هـ/٧٣٦م . المصدر السابق نفسه (١/١٠٣ ـ ١٠٤) .

(٥) أبو عماره حمزه بن حبيب الكوفي ، الزيات ، أحكم القراءة ، وذاع صيته في القراءات والفرائض . ولد سنة ٨٠هـ/٦٩٩م ، وتوفي سنة ١٥٦هـ/٧٧٢م .
المصدر السابق نفسه (١/١٢٥) ، ابن الجزري ـ تحبير التيسير (ص ١٦) .

(٦) أبو الحسن علي بن حمزه بن عبد الله الكوفي الكسائي ، كان واسع العلم بالقرآن والعربية وكان عمدة أهل الكوفة في النحو . توفي في خلافة هارون الرشيد ١٩٣هـ/٨٠٨م .
المصدران السابقان (١/١٣٨ ـ ١٣٩) ، (ص ١٦) .

(٧) عبد السلام الكنوني ـ المدرسة القرآنية في المغرب منذ الفتح الإسلامي الى ابن عطيه (ص ٥٣ ـ ٥٤) ، يوسف حواله ـ الحياة العلمية في افريقية ـ المغرب الأدنى منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ـ دكتوراه ـ جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م (ص ٤٠٩ ـ ٤١٠) .

وعلم القراءات الذي يعني كيفية النطق بالقرآن ووجوهه المحتملة ، كان أسبق في الظهور من التفسير وغيره من العلوم الأخرى التي تتعلق بالدراسات القرآنية[1] . ولقد نشطت الدراسات القرآنية في صقليه الإسلاميه ، وخاصة علم القراءات الذي يعد أهم العلوم القرآنية ، بل يرى بعض العلماء أنه فرع من فروع علم التفسير ، بل هو الأساس لذلك العلم لأن التفسير لايتم إلا بصحة القراءة كما أن التفسير يتأثر بأسلوب النطق ، وطريقة الرسم ، وعلى ذلك يكون علم القراءات المرحلة الأولى أو المدخل الصحيح لعلم التفسير[2] .

ولذلك نجد أنه ظهر علماء متخصصون في القراءات في صقليه الإسلامية وتصدروا للإقراء بها ، وبعض بلدان العالم الإسلامي أثناء رحلاتهم العلمية ، أو إقامتهم في تلك البلدان . وكان من الطبيعي أن يسبق الاهتمام بعلم القراءات حفظ القرآن وترتيله والذي كان يمثل مرحله من مراحل التعليم في الكتّاب كما سبق وأن ذكرنا .

ولقد أمدتنا المصادر بذكر بعض أعلام صقليه ممن اهتموا بالدراسات القرآنية ، عموماً والقراءات على وجه الخصوص ، ولكن تلك الإشارات في المصادر يخلو بعضها من تفصيلات عن نشاط ذلك العالم ومؤلفاته ، ورحلاته وشيوخه وتلاميذه ، فنجد اشارات مثلاً أن فلانا الصقلي كان مقرئا أو مفسراً ، وأحياناً نجد معلومات تفيدنا بأن لبعض علماء صقليه نشاط في القراءات والتفسير والفقه والنحو والأدب دون أن تعطينا تفصيلات نتبين من خلالها بروز أحد الجوانب على الآخر ، مما يجعلنا نشير أحياناً الى هذا العالم في أكثر من موقع في البحث ، فنذكره مثلاً في مجال الدراسات القرآنية ، ثم نشير اليه عند حديثنا عن الفقه مثلاً ، على اعتبار أن ذلك الشخص مقريء وفقيه .

---

(١) محمد الفاضل ـ التفسير ورجاله (ص ٣٦ ـ ٣٨) .

(٢) محمد عبد الحميد ـ تاريخ التعليم في الأندلس (ص ٢٨٦) .

على أن ارتباط الدراسات القرآنية وعلم القراءات على وجه الخصوص لايمكن أن ينفكّ بحال من الأحوال عن علم اللغة والنحو ، فالقرآن نزل بلغة العرب ، وقراءته المختلفة كانت نتيجة لتشعّب معاني وألفاظ تلك اللغة ، واختلاف النطق بها بين العرب أنفسهم ، ولذلك لاحظنا من خلال استعراضنا لعلماء القراءات في صقليه أن غالبية المهتمين بهذا العلم كانوا متضلعين في اللغة العربية والنحو ، هذا فضلاً عن الدراسات الشرعية الأخرى .

وأقدم اشارة وصلتنا عن علماء صقليه في مجال القراءات ، ماأورده ابن الزبير في « صلة الصله »[1] ، من أن أبا علي الحسن بن عبد الرحمن بن عبد ربه البجلي الصقلي ، كان مقرئاً بصقليه ، وقد أخذ القراءة عن صهره يوسف بن تعيشّت المقريء . وقد توفي بصقليه سنة ٢٦٠هـ/٨٣٥م . ولم يعطنا النص أي تفصيل عن الصقلي المذكور سوى تلك الإشارة فقط . إلا أنه يفيد أن ذلك العالم كان في زمن متقدم بصقليه .

ومن علماء صقليه الذين ورد ذكرهم في المصادر ، وكان لهم اهتمام بعلم القراءات محمد بن خراسان الصقلي المتوفي بصقليه سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م[2] ، فقد وصف بأنه : مقريء متصدر ، الى جانب أنه نحوي ، وكانت له رحلة الى مصر سمع فيها من بعض علمائها المتخصصين في علم القراءات ، وأخذ عنهم ، فقد درس على يد المظفر بن أحمد بن حمدان المتوفي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤[3] ، وأخذ القراءة عنه . كما أنه التقى بأحد العلماء المشهورين في الدراسات

---

(١) ابن الزبير ـ صلة الصلة ـ (ص ٢٢٠) .

(٢) ابن الجزري ـ غاية النهاية في طبقات القراء (١٣٦/٢) ، المقريزي : المقفى (٦٢٢/٥ـ٦٢٣) ، السيوطي ـ بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه (٩٩/١) ، سعيد عاشور ـ بحوث في تاريخ الإسلام (ص ١٨١) .

(٣) أبو غانم المظفر أحمد بن حمدان ، مقرئ ، ونحوي ، له مصنف في اختلاف القراء السبعة ، وقرأ عليه عامة أهل مصر ، واختلفت المصادر في اسمه فذكر الذهبي أن اسمه عامر بن احمد بن حمدان . الذهبي ـ معرفة القراء (٢٣٠/١) ، السيوطي ـ بغية الوعاه (٢٩٠/٢) .

القرآنية والنحوية بمصر وهو أبو جعفر النحاس المتوفي سنة ٣٣٨هـ/٩٥٠م[١] وسمع منه مؤلفاته وكتبها عنه[٢] .

ومن خلال ماأوردته المصادر عن ابن خراسان الصقلي ، وردت اشارة الى أن له مؤلفات تتعلق بالدراسات القرآنية ، كما أن وصفها له بأنه مقرىء متصدر يدل دلالة واضحة على أنه صاحب باع كبير في علم القراءات . فقد تصدر للإقراء بمساجد صقليه وحدث بها[٣] . وذلك بعد عودته من رحلته الى مصر وقراءته على علمائها[٤] ، قال ابن الجزري : « قال الداني[٥] : سمعت أبا الحسن عبد الله بن ميمون يقول : كان أبو عبد الله محمد بن خراسان النحوي مقرئاً بصقليه »[٦] .

وقد أفاد ابن خراسان من علومه تلك فدرس عليه طلاب العلم ، ومن الذين وردت الإشارة الى أنهم درسوا على يديه ، يوسف بن أبي حبيب بن محمد[٧] قال المقريزي : « وخرّج عنه في شرح الشهاب له »[٨] . وسمع منه أيضاً أبو الحسن غيلان بن تميم الفزاري[٩] .

---

(١) أحمد بن محمد بن اسماعيل ، مصري ، مفسر وأديب . له من المصنفات « تفسير القرآن » و « اعراب القرآن » ، « وناسخ القرآن ومنسوخه » ، « ومعاني القرآن » ، كماله في الأدب كتفسير ابيات سيبويه ، وشرح المعلقات السبع .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٩٩/١) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (٢٢٢/١١) ، ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة (٣٠٠/٣) ، الزركلي ـ الاعلام (٢٠٨/١) .

(٢) ابن الجزري ـ غاية النهاية (١٣٦/٢) . (٣) المقريزي ـ المقفى (٦٢٣/٥) .

(٤) ذكر المقريزي أنه سمع كذلك بمصر من محمد بن بدر القاضي ، ومروان بن عبد الملك بن بحر بن شادان المكي ، وأحمد بن مروان المالكي .
المصدر السابق نفسه (٦٢٢/٥) .

(٥) الداني هو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني القرطبي ، العلامة ، الحافظ ، وشيخ المقرئين ، له مؤلفات كثيرة منها كتاب « جامع البيان » فيما رواه في القراءات السبع ، وكتاب « طبقات القراء » في أربعة أسفار . توفي سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م . ابن الجزري ـ غاية النهاية في طبقات القراء (٥٠٣/١ ـ ٥٠٤) .

(٦) المصدر السابق نفسه (١٣٦/٢) . (٧) لم أعثر له على ترجمة . وانظر المقريزي ـ المقفى (٦٢٣/٥) ، (٨ ، ٩) المصدر السابق نفسه (٦٢٣/٥) .

ومن علماء القراءات الصقليين ، أبو العباس أحمد بن محمد الصقلي المتوفي في النصف الأول من القرن الخامس الهجري[1] . حيث رحل في طلب العلم الى بلاد المشرق الإسلامي ، والتقى بعلمائها ، وقرأ عليهم ، وعاد الى صقليه وتصدر للإقراء بها ، ومن العلماء الذين درس عليهم أبو العباس أحمد الصقلي ، قسيم بن مطير[2] ، وعلي بن داود الدراني[3] ، واسحاق بن السراك البكري[4] كما قرأ على أبي الفتح فارس بن أحمد[5] . وبالنظر الى شيوخ أبي العباس الصقلي نجد أنهم علماء لهم مكانتهم ومن الضابطين لأكثر من رواية ، وبذلك يتبين لنا مدى ماتمتع به أبو العباس الصقلي من دراية في علم القراءات جعلته يتصدر للإقراء .

ولقد تخرج علي يديه في صقليه أحد علمائها المشهورين في علم القراءات وهو أبو بكر محمد بن أبي الحسن والذي يعرف بابن نبت العروق[6] .

وقد ذكرت المصادر أيضاً علمين من أعلام صقليه في القراءات ، كانت دراستهم على أحد مشاهير القراء في مصر وهو العلامة عبد المنعم بن عبيدالله

---

(١) ابن الجزري ـ غاية النهاية (١/١٣٤) .

(٢) أبو القاسم قسيم بن أحمد بن مطير ، الظهروائي المصري ، مقرئ ضابط مشهور . كان ضابطاً لرواية ورش ، وتؤخذ عنه ، وكان خيرا فاضلا . توفي بمصر سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م وقيل سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م .

الذهبي ـ معرفة القراء (١/٣٠٧) ، ابن الجزري ـ غاية النهاية (٢/٢٧) .

(٣) أبو الحسن علي بن داود بن عبد الله الداراني ، امام مقرئ ضابط متقن زاهد ، ثقة . كان حاذقاً لرواية ابن عامر . انتهت اليه رئاسة الشاميين في الإقراء ، تفرغ للإمامة والإقراء ، وكان لايقبل ممن يقرئهم براً . توفي سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م .

المصدران السابقان (١/٢٩٤) ، (١/٥٤١) .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) أبو عمران ، أبو الفتح فارس بن أحمد بن موسى الحمصي ، مقرئ ، ضرير . كان حافظاً ضابطاً ، حسن التأدية . قال عنه ابو عمرو الداني : لم ألق مثله في حفظه وضبطه ، توفي بمصر سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م . المصدران السابقان (١/٣٠٤) ، (٢/٥) .

(٦) ابن البادش ـ الإقناع في القراءات السبع (١/٧١) .

ابن غلبـــون صـــاحب كـــتـــاب « الارشـــاد في الســـبع » والمتـــوفي سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م[1] حيث ذُكر أن الحسن بن عبد الله الصقلي وأبا الحسين محمد بن قتيبة الصقلي قد عرضا قراءتهما على الشخص المذكور[2] ، ولم تزد على ذلك شيئاً ولم تعطنا معلومات أوفى عن هاتين الشخصيتين .

ومن أشهر علماء القراءات الصقليين ، والمبرزين فى هذا الميدان ، وميدان النحو أبو الطاهر اسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران الصقلي المتوفي سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[3] .

وكـان أبو الطاهـر قـد التـقى بأبي القـاسـم عـبـد الجـبـار الطرطـوسي بمصر[4] . وأخذ القراءة عنه ، كما التقى بأحد علماء القراءات المشهورين في القراءات والنحو وصَاحَبَهُ وأخذ عنه ، حيث التقى بأبي الحسن علي بن ابراهيم الحـوفي المقرئ النحـوي المتوفي سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م[5] ، واستـفـاد منه مـدة مصاحبته له[6] .

---

(١) وصف ابن غلبون بأنه أستاذ ماهر كبير ، وأنه كان حافظاً للقراءة ، ضابطاً ذاعفاف ونسك وفضل وحسن تصنيف .
الذهبي ــ معرفة القراء (٢٨٦/١) ، ابن الجزري ــ غاية النهاية (٤٧٠/١) سعيد عاشور ــ بحوث في تاريخ الاسلام (ص ١٨١) .

(٢) المصدران السابقان ، والمرجع السابق نفسه (٢٨٦/١) ، (٤٧٠/١) ، (ص ١٨١) .

(٣) بعض المصادر تنسبه الى الأندلس والبعض ينسبه الى صقليه . انظر مصادر ترجمته : ابن بشكوال ــ الصلة (١٠٥/١) ، ياقوت ــ معجم الأدباء (١٦٥/٦ ــ ١٦٦) ، الذهبي ــ معرفة القراء (٣٤١/١) ، ابن الجزري ــ غاية النهاية (١٦٤/١) .

(٤) أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن عمر بن الحسن الطرطوسي ، نزل مصر ، وكان شيخها في القراءة . كان شيخاً فاضلاً ، وضابطاً . وهو صاحب كتاب « المجتبى الجامع » . توفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م . ابن الجزري ــ غاية النهاية (٣٥٧/١) .

(٥) أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سعيد من علماء النحو والتفسير . ينسب الى حوف مصر ، له مصنفات في اعراب القرآن تقع في عشر مجلدات .
القفطي ــ انباه الرواه (٢١٩/٢) ، السيوطي ــ حسن المحاضرة (٥٣٢/١) ، ابن العماد ــ شذرات الذهب (٢٤٧/٣) .

(٦) سعيد عاشور ــ بحوث في تاريخ الإسلام (ص ١٨١) .

وقد أخرج ابو الطاهر مؤلفات تتعلق بالدراسات القرآنية ، فقد صنف كتاب «العنوان في القراءات»[1] والذي قيل عنه : « أن عمدة الناس في الإشتغال بهذا الشأن عليه »[2] .

كما صنف أيضاً كتاب « الاكتفاء » وهو في القراءات أيضاً ، ثم لخص من كتاب الإكتفاء كتاباً مختصراً « فيما اختلف فيه القراء السبعة »[3] . ذكر فيه اختلاف القراء السبعة بإيجاز واختصار في أسلوب سهل وبسيط[4] .

كما أن أبا الطاهر قد اختصر كتاب « الحجة » لأبي علي حسن بن أحمد الفارسي[5] . وانتفع الناس بذلك العمل الذي قام به[6] .

وله كتاب أيضاً في اعراب القرآن يقع في تسع مجلدات[7] .

من ذلك كله ندرك أن ابا الطاهر الصقلي قد تمكن من علم القراءات على وجه الخصوص الى جانب بروزه في علم النحو والأدب ، وذلك جعله يتصدر لإقراء الناس في جامع عمرو بن العاص بمصر[8] . ومع مابلغه أبو الطاهر من الشهرة في مجالي القراءاتوالنحو إلا أن المصادر لم تشر الى أحد من تلاميذه

(١) توجد نسخ مخطوطة من كتاب « العنوان في القراءات » في برلين واستانبول وبانكبور . عزيز أحمد ـ تاريخ صقليه (ص ٥٠) .

(٢) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢٣٣/١)

(٣) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (١٤١/١) .

(٤) المصدر السابق (١١٧٦/٢ ـ ١١٧٧) .

(٥) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي المشهور . ألّف كتاب « التذكرة » وكتاب « الحجة » وهو شرح لكتاب القراءات السبع للإمام أحمد بن موسى المعروف بابن مجاهد . توفي سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م .
ابن الجزري ـ غاية النهاية (٢٠٦/١) .

(٦) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (١٤٤٨/٢) ، رضا كحاله ـ معجم المؤلفين (٢٦٨/٢) .

(٧) ياقوت ـ معجم الأدباء (١٦٥/٦ ـ ١٦٦) ، حاجي خليفة ـ كشف الظنون (١٢٣/١) ، كحاله ـ معجم المؤلفين (٢٦٨/٢) .

(٨) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢٣٣/١) ، الذهبي ـ معرفة القراء (٣٤١/١) ، ابن الجزري ـ غاية النهاية (١٦٤/١) .

، أو حتى تأثيره في صقليه نفسها ، ولكن لايعتقد أن لايكون لأبي الطاهر تلاميذ نقلوا عنه وانتفعوا بمؤلفاته ، ولو لم يكن إلا حلقته في جامع عمرو بن العاص لكان ذلك كافياً ؛ على أن ذلك يعطينا تصوراً آخر وهو أن الصقليين الذين خرجوا من صقليه وقت الفتنة وبعد السقوط ، قد رغب أكثرهم عنها ، واستقروا في بلاد أخرى .

ومن علماء صقليه في القراءات أبو بكر محمد بن أبي الحسن علي الأزدي الصقلي المتوفي سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م والذي يعرف بابن نبت العروق[١] . وقد وصف بأنه شيخ متصدر ، وكان قد تلقى القراءات في صقليه على ابي العباس أحمد بن محمد الصقلي ـ الذي أشرنا اليه آنفاً ـ ثم التقى في القيروان بأبي علي الحسن بن بليمة[٢] . وقرأ عليه .

وهكذا درس ابن نبت العروق ببلده صقليه ثم ارتحل في طلب العلم الى القيروان ، وعاد الى صقليه للإقراء بها ، فدرس عليه طلاب العلم في صقليه ؛ وكان أشهر من وفد الى صقليه من المقرئين ودرس على ابن نبت العروق ، أبو القاسم خلف بن ابراهيم المعروف بابن الحصار الأندلسي[٣] . حيث التقى به ،

---

(١) المقريزي ـ المقفى (٣٩٦/٦) ، ابن الجزري ـ غاية النهاية (٢١١/١) ، (١٢٧/٢) .

(٢) الحسن بن خلف بن عبد الله بن بليمه ، نزيل الاسكندرية ، وهو من أهل القيروان وهو مؤلف كتاب « تلخيص العبارات بلطيف الإشارات » اهتم بالقراءات ورحل في طلبها الى مكة . توفي سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م .
ابن الجزري ـ غاية النهاية (٢١١/١) .

(٣) خلف بن ابراهيم بن خلف بن سعيد المعروف بابن الحصار الخطيب المقرئ الأندلسي ، أمام المسجد الجامع بقرطبة ، وشيخ المصنف ، كان ثقة صدوقاً ، حسن الخطبة بليغ الموعظة ، فصيح اللسان ، حسن البيان ، وكانت الرحلة في وقته اليه ، ومدار الإقراء عليه . توفي سنة ٥١١هـ/١١١٧م .
ابن بشكوال ـ الصلة (١٧٤/١) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص ٢٨٩) ، ابن الجزري غاية النهاية (٢٧١/١) .

وقرأ عليه القرآن بقراءة ورش ،[1] حيث قال أبو القاسم الأندلسي : « قرأت بها ـ أي بقراءة ورش ـ بصقليه على أبي بكر محمد بن أبي الحسن المقري[2] .

وهذا يدلنا أن ابن نبت العروق كان ضابطاً لقراءة ورش .

ومن علماء القراءات الصقليين خلوف بن عبد الله البرقي والذي كان حياً وسط المائة الخامسة ، فقد ورد أنه كان عالماً بالقراءات والإعراب ، فكان بذلك من كبار علماء القراءات في صقليه ؛ الى جانب كونه أديباً فقد ذكر له القفطي بعضاً من شعره في الوعظ والإرشاد[3] .

وتتحدث المصادر عن أحد علماء صقليه المشهورين في القراءات والنحو والعروض ذلك هو عثمان بن علي بن عمر السرقوسي الصقلي ، الذي كان حياً في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، والذي ينتسب الى مدينة « سرقوسة » من جزيرة صقليه .

فقد أشارت المصادر[4] ، الى أنه درس علم القراءات ، وبرع فيه ، فألف فيه مؤلفات ، ثم تصدر للإقراء . وقد درس القراءات على أحد أعلام صقليه المشهورين في علم القراءات وهو ابن الفحام الصقلي ، كما قرأ على أبي علي الحسن بن بليمه .

أما عن مؤلفاته فيما يتعلق بعلوم القرآن فمن ذلك كتاب « مخارج الحروف » وكتاب « الهدى لأولي النهي »[5] . وله مؤلفات أخرى في النحو

---

(١) هو عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان بن داود بن سابق المصري ، مولى آل الزبير ابن العوام ، ويكنى بأبي سعيد ، وورش لقب له لشدة بياضه ، ولد بمصر سنة ١١٠هـ/٧٢٨م ، وقرأ على نافع ، وتوفي بمصر سنة ١٩٧هـ/٨١٢م ، في خلافة المأمون .
ابن الباذش ـ الإقناع في القراءات السبع (٥٧/١ ـ ٥٨) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٧١/١) .

(٣) القفطي ـ انباه الرواه (٣٩٣/١) .

(٤) ياقوت ـ معجم الأدباء (١٣٠/١٢) ، القفطي ـ انباه الرواه (٣٤٢/٢) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (١٣٤/٢) .

(٥) البغدادي ـ هدية العارفين (٦٥٣/١ ـ ٦٥٤) ، كحالة ـ معجم المؤلفين (٢٦٣/٦) .

والعروض والأدب[1] .

وذكر ابو الطاهر السلفي في معجمه ، أنه التقى بأبي عمرو عثمان بن علي السرقوسي في الإسكندرية ، ووصفه بأنه : « كان من العلم بمكان نحواً ولغة »[2] . وقد لازم أبو عمرو عثمان السرقوسي ، أبا الطاهر السلفي في مصر ، وسمع عليه كثيراً ، وعلى من كان يقرأ عليه[3] .

وبعد رحلة أبي عمرو عثمان السرقوسي الى مصر ، ودراسته على شيوخ المقرئين بها أصبح له مكانة كبيرة ، مما جعل الناس يتوافدون عليه في حلقته التي أقامها في جامع عمرو بن العاص لتدريس القرآن ، والنحو والعروض[4] .

وللأسف لم تمدنا المصادر بمعلومات عن تلاميذه الذين تخرجوا على يديه ، ولكن كان من الطبيعي أن يكون له تلاميذ ، في حلقته التي أقامها بجامع عمرو بن العاص ، فلابد أنهم قد استفادوا من علمه ، واطلعوا على مؤلفاته ، ونشروها .

وكما سكتت المصادر عن تلاميذه ، فقد سكتت كذلك عن الحديث عن ولادته ومكانها وعن دوره في صقليه ـ إذا كان عاد اليها ـ وعن تاريخ وفاته .

وعند استعراضنا لما أورده أبو الطاهر السلفي في معجمه عن علماء صقليه في الدراسات القرآنية ، نجد أنه أشار الى عدد منهم ، وذكر ملاقاته لهم ، وتبادل الحديث معهم ؛ ومن هؤلاء : أبو عبد الله محمد بن عبد الله القناد[5] . حيث وصفه بأنه : « من شيوخ المدينة بصقلية والمقدمين في الإقراء »[6] . وقد سماه السلفي في موضع آخر بـ « الفتال »[7] . ومنهم أبو

---

(١) انظر موضوع (الدراسات اللغوية والأدبية في صقلية) .

(٢) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٧٧) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٧٧) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٧٧) ، الفيروزابادي ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة (ص ١٣٩) .

(٥) لم أجد له ذكراً عند غير السلفي .

(٦) السلفي ـ معجم السفر ، تحقيق امبرتو (ص ٦٧) ، ولفظ المدينة الذي أورده السلفي يعني عند أهل صقليه مدينة « بلرم » .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص ٨٥) .

محمد عبد الله بن فرج المديني ، ووصفه أيضاً بأنه من شيوخ مدينة بلرم والمقدمين في الإقراء بها[1] . ومنهم محمد بن ابراهيم الشامي[2] .

وممن أوردهم السلفي في معجمه ، أبو حفص عمر بن يوسف بن محمد ابن الحذاء الصقلي المتوفي سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م ، وكان قد قرأ القرآن على المقرئين السابقين محمد بن عبد الله القناد ، وعبد الله بن فرج المديني[3] .

وأشار ابن الجزري في طبقاته الى ابن الحذاء الصقلي ، ووصفه : « بالمقرئ الزاهد القدوة »[4] .

ومنهم ابو البهاء عبد الكريم بن عبد الله بن محمد المقرئ الصقلي ، والذي ولد بصقليه سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م[5] ، وكان قد قرأ القرآن في صقليه على يد علمائها وشيوخها في الإقراء ، فقد قرأ على أبي محمد عبد الله بن فرج المديني ، ومحمد بن ابراهيم الشامي ، وأبي بكر محمد بن الأزدي الصقلي ، المعروف بابن نبت العروق ، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله القناد ؛ وهؤلاء هم الذين وصفهم السلفي بأنهم « شيوخ المدينة بصقليه ، والمقدمون في الإقراء »[6] .

كما درس أبو البهاء الصقلي على علماء القراءات الوافدين على صقليه[7] ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن عباد الأشبيلي[8] . وأبي عبد الله بن جميهير[9] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ٦٧) ، و (ص ٨٥) ، ولم أجد له ذكراً عند غير السلفي .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٨٤ ـ ٨٥) ولم أجد له ذكراً عند غير السلفي .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٦٧) . (٤) ابن الجزري ـ غاية النهاية (٥٩٩/١) .

(٥) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٤) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص ٨٤ ـ ٨٥) ، حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في صقليه (ص ٥٧) .

(٧) المصدر السابق نفسه (ص ٨٤) . (٨) لم أعثر له على ترجمة .

(٩) لم أعثر له على ترجمة .

وفي مصر نجد أن أبا البهاء الصقلي ، بعد رحلته اليها قد التقى بأبي الطاهر السلفي وكتب عنه أبو الطاهر ، وسمع بعضاً من حفظه ، فقال السلفي : « روى لي شيئاً يسيراً من حفظه وكتبت من أجزائه فوائد »[١] .

ووصف ابن الجزري في طبقاته أبا البهاء الصقلي بأنه : « مقرئ متصدر »[٢] .

أما السلفي فقد وصفه بأنه « من حفظة الإسكندرية ، وأنه من أهل القراءات والحديث »[٣] .

وكان أبو البهاء الصقلي قد روى كتاب « التيسير » عن ابن النفاط الصدفي[٤] ، صاحب أبي داود[٥] ، كما أن أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثماني الديباجي[٦] ، قد روى الكتاب المشار اليه آنفاً عن أبي البهاء الصقلي[٧] .

ونظراً لتضلع أبي البهاء الصقلي في القراءات ، فقد درس عليه طلاب العلم وأصبح لهم شأن كبير بعد ذلك ، ونذكر منهم على سبيل المثال ، سالم الأموي الاسكندري[٨] . وقد بقي أبو البهاء الصقلي آخر حياته في الإسكندرية حيث توفي بها سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م[٩] .

كما أشار أبو الطاهر السلفي في معجمه الى أحد علماء القراءات الصقليين ، ويدعى عبد الله بن الحسن بن مسلم القرشي الصقلي ، وذلك عند

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ٨٣ ـ ٨٤) .

(٢) ابن الجزري ـ غاية النهاية (١/٤٠٢) .

(٣) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٨٢ ـ ٨٣) .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

(٦) ذكره ابن الجزري ، ولم يزد على أنه روى الكتاب المذكور عن ابي البهاء . غاية النهاية (١/٤٢٨) .

(٧) المصدر السابق نفسه (١/٤٠٢) و (ص ٤٢٨) .

(٨) ابو الغنايم سالم بن ابراهيم بن خلف بن عبد الله الأموي الاسكندري ، مقرئ ثقة . ولد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، وتوفي سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م . المصدر السابق نفسه (١/٣٠٠) .

(٩) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٨٥) .

حديثه عن شخص يدعى « ابن العريف » حيث وصفه بأنه من أهل البيوتات المشهورة بالإسكندرية ، وأنه قرأ القرآن بروايات في صغره على مجموعة من علماء القراءات ومنهم ابن مسلم الصقلي(١) . وأضاف السلفي أن يحى بن محمد الشيباني الاسكندراني ، قد قرأ كذلك على ابن مسلم الصقلي(٢) .

وقد أشار الدكتور حسن حسني عبد الوهاب ، أن الشخص المذكور ، انما هو أبو عبد الله محمد بن مسلم بن محمد بن ابي بكر القرشي المازري ، وأنه رحل الى الحجاز ، ومصر ، واستقر أخيراً بالإسكندرية وأقرأ بجامعها(٣) .

وممن أشارت اليهم المصادر بأن لهم باع كبير في علوم القرآن وقراءاته ، أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج بن أبي القاسم المازري ، المعروف بالذكي(٤) . حيث ذكرت أنه : « كان نبيلاً فهيماً متقدماً في علوم المذهب واللسان ، ومتفقنا في علوم القرآن وغيره »(٥) . وكان للمازري المذكور مؤلفات في علوم القرآن وتفسيره ، ومن ذلك كتاب « الاستيلاء » وهو كتاب في علوم القرآن »(٦) .

وذكرت لنا المصادر مقرئاً من صقليه يدعى علي بن كموس ، حيث وصف بأنه : « شيخ مقرئ »(٧) ، وأنه قرأ على ابن نفيس(٨) ، وابي الطاهر اسماعيل ابن خلف ، كما قرأ عليه أحمد بن محمد بن خلف(٩) .

(١) المصدر السابق نفسه (ص ٨٧) ، و (ص ٨٥) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١١٠) .
(٣) حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٩٤) .
(٤) انظر موضوع (الدراسات الفقهية في صقليه) .
(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٢/٤) ، القفطي ـ أنباه الرواه (٧٣/٣) ، الدباغ ـ معالم الايمان (٢٠٣/٣) .
(٦) المصادر السابق نفسها (٧٩٢/٤) ، (٧٣/٣) ، (٢٠٣/٣) .
(٧) ابن الجزري ـ غاية النهاية (٥٦٢/١) .
(٨) ابن نفيس هو شيخ ابن الفحام الصقلي أشهر علماء القراءات الصقليين .
(٩) ابو جعفر أحمد بن محمد بن خلف بن محرز الانصاري ، الأندلسي ، المقرئ ، الأستاذ مؤلف كتاب « المقنع في القراءات السبع » وكتاب « المفيد في الثمان » .
ابن الجزري ـ غاية النهاية (١١٣/١ ـ ١١٤) .

ونجد أحياناً في المصادر اشارات مقتضبة ، تفيدنا بأن فلاناً كان مقرئاً ، دون ان تعطينا أي تفصيلات أخرى ، فمن ذلك ماأورده العماد الأصفهاني في « الخريدة » نقلاً عن ابن القطاع الصقلي في الدرة الخطيرة ، وذلك ضمن مجموعة الشعراء الصقليين ، حيث يقول : « ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الغني المقرئ الواعظ »(١) . ويقول أيضاً : « أبو بكر عتيق بن عبد الله بن رحمون الخولاني المقرئ »(٢) .

أما أشهر علماء صقليه في القراءات فذلك هو ابن الفحام الصقلي ؛ واسمه عبد الرحمن بن عتيق بن خلف الصقلي ، ويكنى بأبي القاسم ، ويعرف بأبن الفحام الصقلي(٣) .

وعلى الرغم من شهرة ابن الفحام الصقلي في مجال علم القراءات والنحو ، الا أن المصادر لم تمدنا بمعلومات وافية عن حياته الأولى ونشأته وبداياته في صقليه ، فكل مالدينا من معلومات عن ذلك أنه ولد في صقليه سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م ، وقيل سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م(٤) . ثم رحل الى القيروان والتقى فيها بالشيخ الفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد اللواتي ، المعروف بالخرقي(٥) . حيث كان الشيخ الخرقي يجتمع عنده المشيخه ، ويتناظرون في مجلسه ، فكان لأبي القاسم ابن الفحام الصقلي نصيب من ذلك حيث سمع من الخرقي وحضر مجلسه(٦) .

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/١١٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١/١١٠) .

(٣) القفطي ـ أنباه الرواه (٢/١٦٤ ـ ١٦٥) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/٣٨٧) ، معرفة القراء (١/٣٨٣) ، ابن الجزري ـ غاية النهاية (١/٣٧٤) ، ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة (٥/٢٢٥) ، السيوطي ـ حسن المحاضرة (١/٤٥٣) .

(٤) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/٣٨٧) .

(٥) من شيوخ القيروان ، وفقهائها ومحدثيها ، وأسند من كان في وقته . عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧٧٨) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٤/٧٧٨) .

ثم رحل بعد ذلك الى المشرق لطلب القراءة على الشيوخ[1] . وفي مصر استقر ابن الفحام ودرس على مشائخها القرآن وقراءاته ، ومنهم ابراهيم بن اسماعيل المالكي[2] ، الذي قال عنه ابن الجزري : « قرأ عليه أبو القاسم ابن الفحام وهو أحد شيوخه المعتمد عليهم »[3] .

وأحمد بن سعيد بن نفيس[4] ، وعبد الباقي بن فارس[5] ، ونصر بن عبد العزيز الشيرازي[6] ، وقد نص ابن الجزري على أن هؤلاء الأربعة هم شيوخ ابن الفحام في كتابه الذي ألفه في علم القراءات ويعرف بأسم « التجريد لبغية المريد »[7] .

وذكر الذهبي في سيّره ، أن قراءة ابن الفحام الصقلي على هؤلاء الشيوخ الأربعة ، إنما كانت بالقراءات السبع[8] .

---

(١) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/٣٨٧) .

(٢) أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن غالب المصري المعروف بابن الخياط المالكي ، شيخ ، مقرئ عدل مشهور . روى « الروضة سماعاً وتلاوة عن مؤلفها ابي علي الحسن بن محمد البغدادي .
ابن الجزري ـ غاية النهاية (١/١٠) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١/١٠) .

(٤) أبو العباس أحمد بن سعيد بن أحمد الأطرابلسي ، المعروف بابن نفيس ، والذي انتهت إليه رئاسة الاقراء ، وعلو الإسناد ، وهو امام ثقة . توفي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م ، وقيل سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م .
المصدر السابق نفسه (١/٥٦) ، الذهبي ـ معرفة القراء (١/٣٣٥) .

(٥) عبد الباقي بن فارس بن أحمد الحمصي . مقرئ متصدر مجود ، قرأ القراءات على والده ، وجلس للإقراء ، وعمر طويلاً . توفي في حدود سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م .
المصدران السابقان (١/٣٥٧) ، (١/٣٤١) .

(٦) ابو الحسين نصر بن عبد العزيز بن أحمد بن نوح الفارسي الشيرازي . شيخ محقق امام مسند ، ثقة عدل . له كتاب « الجامع في القراءات العشر » وكان مقرئ الديار المصرية ومسندها . توفي سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م .
المصدران السابقان (٢/٣٣٦) ، (١/٣٤٠) .

(٧) ابن الجزري ـ غاية النهاية (١/٣٧٤) .

(٨) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/٣٨٧ ـ ٣٨٨) .

ونشير هنا الى كيفية قراءة ابن الفحام على شيوخه ؛ فقد ذكر لنا ابن الجزري رواية عن ابن الفحام الصقلي ينقلها عن شيخه الشيرازي ، وفيها بيان الطرق والروايات التي قرأ بها الشيخ الشيرازي ، وتبعه فيها ابن الفحام . « قال أبو القاسم ابن الفحام : قال لنا ابو الحسين نصر الشيرازي الفارسي : أنه قرأ بالطرق والروايات ، والمذاهب المذكور في كتاب « الروضة » لأبي علي المالكي البغدادي[1] ، على شيوخ أبي علي المذكورين في الروضة ، كلهم ، القرآن كله ؛ وأن أبا علي كان كلما قرأ جزءاً من القرآن ، قرأت مثله ، وكلما ختم ختمه ، ختمت مثلها ، حتى انتهيت إلى ماانتهى اليه من ذلك[2] ، ثم قال ابن الفحام : « فتعلو لنا القراءات من طريقه عن طريق صاحب الروضة بواحد »[3] .

وبعد دراسة ابن الفحام الصقلي على هؤلاء الأعلام في القراءات نجد أنه يتصدر للإقراء بعد أن اكتملت فيه شروطه ، وبرز فيه بروزاً واضحاً ، ويؤكد ذلك ماأوردته المصادر من ثناء على ابن الفحام ومؤلفاته .

فقد قال ابو الربيع سليمان بن عبد العزيز الأندلسي[4] : « مارأيت أحداً أعلم بالقراءات منه لا بالمشرق ولا بالمغرب ، وأنه ليحفظ القراءات كما نحفظ نحن الفاتحة »[5] .

وقال عنه القفطي : « كان حافظاً للقراءات ، صدوقاً ، متقناً ، عالماً ، كبير السن »[6] .

---

(١) أبو علي الحسن بن محمد بن ابراهيم المالكي البغدادي ، مؤلف « الروضة » في القراءات الأحدى عشرة ، نزل مصر ، وتصدر بها ، وصار شيخها ، توفي سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م .
ابن الجزري ـ غاية النهاية (٢٣٠/١) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٢٣٦/٢ ـ ٢٣٧) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢٣٧/٢) .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) القفطي ـ أنباه الرواه (١٦٤/٢) ، ابن الجزري ـ غاية النهاية (٣٧٤/١) .

(٦) المصدر السابق نفسه (١٦٥/٣) .

ووصفه الذهبي بأنه : « الامام ، شيخ القراء »[1] ، وأضاف بأنه : « طال عمره وتفرد وتزاحم عليه القراء »[2] ، ووصفه ايضاً بأنه : « علامة أستاذ »[3] .

أما ابن الجزري فقد قال عنه : « كان يعرف بشيخ الاسكندرية حيث انتهت إليه رئاسة الإقراء بها علواً ومعرفة »[4] ووصفه بأنه : « ثقة محقق »[5].

وقال عنه ابن تغري بردي : « وكان يقصده الناس من النواحي ، وذلك لعلو اسناده واتقانه »[6] ، اما ابن العماد فقد ذكر أنه : « كان أسند من بقي بالديار المصرية في القراءات »[7] .

وقد وثق ابن الفحام أحد الذين أخذوا عنه العلم ؛ حيث كان أبو الطاهر السلفي أحد الذين كتبوا عن ابن الفحام أسانيد القراءات ، وكتب عنه بعض الفوائد[8] . فقد ذكر الذهبي أن الحافظ السلفي قد وثق ابن الفحام[9] ، وأشار الذهبي أيضاً الى أن علي بن المفضل[10] قد وثقه أيضاً[11] .

ونظراً للشهرة العظيمة التي بلغها ابن الفحام الصقلي في علم القراءات ، فقد درس عليه كثير من طلاب العلم ، ونشروا مؤلفاته في الآفاق ، ونذكر منهم

(١ ، ٢) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/٣٨٧) .
(٣) الذهبي ـ معرفة القراء (١/٣٨٣) .
(٤ ، ٥) ابن الجزري ـ غاية النهاية (١/٣٧٤) .
(٦) ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة (٥/٢٢٥) .
(٧) ابن العماد ـ شذرات الذهب (٤/٤٩) .
(٨) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٦٢) .
(٩) الذهبي ـ معرفة القراء (١/٣٨٣) .
(١٠) علي بن المفضل بن علي بن مفرج ، الشيخ الامام ، الحافظ الكبير ، المقدسي ، ثم الاسكندراني . ولد سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م . وهو صاحب كتاب « الأربعون في طبقات الحفاظ » . توفي سنة ٦١١هـ/١٢١٤م . الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢٢/٦٦) .
(١١) الذهبي ـ معرفة القراء (١/٣٨٣) .

على سبيل المثال : أبو الطاهر السلفي ، والذي كتب عن ابن الفحام أسانيد القراءات[1] . ومنهم ابو العباس اللخمي الفاسي[2] الذي كان مقدماً في القراءات السبع[3] ، ومحمد بن عبد الرحمن الاشبيلي[4] . استاذ علم القراءات في اشبيلية[5] ويحى بن سعدون الأزدي[6] الذي روى عنه كتاب « التجريد »[7] وعبد الرحمن بن خلف الله المالكي[8] ، الذي أقرأ الناس حتى توفي[9] ، وقد تأثر تلاميذ ابن الفحام بشيخهم ، فجلسوا لتعليم القرآن ؛ ولو استعرضنا الدور الذي قام به تلاميذ ابن الفحام في تدريس القرآن وقراءاته ، لتبين لنا مكانة ابن الفحام الصقلي ، ولكن لأن ذلك يخرج عن اطار بحثنا ، فقد آثرنا أن نشير الى بعضهم اشارة عابرة .

---

(١) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٦٢) .

(٢) احمد بن عبد الله بن هشام بن الحطيئة ، مولده بفاس ، ورحل الى الشام ، وحج ، ونزل بمصر واستوطنها ، وكان رأساً في القراءات السبع والأدب والعربية ، توفي في المحرم من سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م .
القفطي ـ انباه الرواه (٧٤/١ ـ ٧٥) ، ابن الجزري ـ غاية النهاية (٧١/١) ، الذهبي ـ معرفة القراء (٤٢٢/٢ ـ ٤٢٣) .

(٣) المصادر السابقة نفسها : (٧٤/١ ـ ٧٥) ، (٧١/١) ، (٤٢٢/٢ ـ ٤٢٣) .

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الطفيل ، الاشبيلي المقرئ ، والذي يعرف بابن عظيمة ، استاذ كامل . اهتم بالقراءات ، واشتهر بالصدق ، والاتقان ؛ ونظم أرجوزة في القراءات . توفي سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م .
ابن الجزري ـ غاية النهاية (١٦٦/٢) ، الذهبي ـ معرفة القراء (٤١١/٢) .

(٥) المصدران السابقان (١٦٦/٢) ، (٤١١/٢) .

(٦) يحى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي ، المقرئ ، النحوي ، ضياء الدين . رحل الى المهدية ثم الى الاسكندرية ، توفي بالموصل سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م . ابن الزبير ـ صلة الصلة (ص ١٧٧) ، الذهبي ـ معرفة القراء (٤٢٩/٢) ، ابن الجزري ـ غاية النهاية (٣٧٢/٢) .

(٧) المصادر السابقة نفسها (ص ١٧٧) ، (٤٢٩/٢) ، (٣٧٢/٢) .

(٨) ابو القاسم عبد الرحمن بن خلف الله بن محمد القرشي ، الاسكندري ، المالكي ، شيخ مقرئ صالح ثقة . أقرأ الناس مدة طويلة . توفي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م .
ابن الجزري ـ غاية النهاية (٣٦٧/١) .

(٩) المصدر السابق نفسه (٣٦٧/١) .

فقد أجاز ابن الفحام الصقلي الكثير ممن درس عليه ، كما تدل على ذلك مصادر تراجمهم ، وكان آخر اصحابه بالإجازة ، أبو طاهر الخشوعي[١] .

أما فيما يتعلق بمؤلفات ابن الفحام الصقلي ، فإن أشهرها كتاب « التجريد لبغية المريد »[٢] . وهو كتاب في القراءات . ومما جاء في نسخته المخطوطة من مقدمة المؤلف قوله : « وسميته بكتاب التجريد لبغية المريد ، وجمعت فيه الكثير ، باللفظ اليسير ، وتوسلت بالأسهل عن الأصعب ، والأقرب عن الأبعد ، والله أسأل أن يجنبني من التكليف فيما قصدت لقوله سبحانه وتعالى : (قل ماأسئلكم عليه من أجر وماأنا من المتكلفين)[٣] ، وهو تعالى ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة وهو حسبي ونعم الوكيل »[٤] .

وقال المؤلف في آخره : « وقد أنجزت القراءات السبع على مارسمت ، والله سبحانه يجزل الاثابه عليّ على ذلك في العقبى بمنه وكرمه ، انه على كل شيء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحب وسلم تسليماً كثيراً ، دائماً الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين »[٥] .

ومن أمثلة ماورد في الكتاب من أبواب : باب السند ، حيث ذكر المؤلف فيه عدة فصول تتعلق باسناد الرواية ، كرواية نافع ، وابي عمرو بن العلاء . وغيرهم . وباب ذكر الهمز وضروبه . وباب ذكر المدّ . وباب ذكر السكوت على الساكن . وباب ذكر الوقف على الحروف المرفوعة والمجرورة . وغير ذلك مما يتعلق بعلم القراءات .

---

(١) بركات ابن ابراهيم بن طاهر الدمشقي ، الخشوعي ، الأنماطي . روى كتباً كباراً بالسماع والإجازة . كان صاحب دين ومروءة . وكان مولده في سنة ٥١٠هـ/١١١٦م . ووفاته في سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م . الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢١/٣٥٥) .

(٢) تم تحقيق الكتاب وإخراجه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، في رسالة ماجستير تقدم بها الباحث مسعود أحمد سيّد في قسم التفسير في عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(٣) سورة ص (آية ٨٦) .

(٤) ابن الفحام ـ التجريد ـ مخطوط دار الكتب المصرية برقم (٦١٠ قراءات) ورقة (٢) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ورقة ٦٣) .

كما أن المؤلف يفرد لكل سورة من سور القرآن الكريم باباً عنوانه : « ذكر اختلافهم في سورة .. » .

وقد انتشر الكتاب المذكور انتشاراً واسعاً في بلدان العالم الإسلامي ، وخاصة في مصر ، حيث درسه طلبة العلم بها ، وبالذات في الإسكندرية التي قدم اليها ابن الفحام الصقلي في سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م وبقي فيها الى سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م[1] .

وقد قام بعض العلماء بتدريس كتاب « التجريد » في حلقاتهم العلمية ، في مصر ، على طلبة العلم بها ، وعلى الوافدين اليها . فهذا أحمد بن علي بن محمد الأندلسي[2] ، قد رحل الى المشرق ، وأخذ القراءات على يد أبي الفضل جعفر بن أبي البركات الإسكندراني[3] ، بكتاب « التجريد لبغية المريد »[4] . كما أن أحد علماء القراءات بالأندلس قد روى كتاب « التجريد » بالإجازة عن أحد تلاميذ ابن الفحام الصقلي . فقد ورد أن أبا عبد الله محمد بن علي بن محمد ابن عربي[5] ، قد روى « التجريد » بالإجازة عن يحى بن سعدون القرطبي[6] .

---

(١) السلفي ـ معجم السفر ، تحقيق امبرتو (ص ٦٢) ، القفطي ـ أنباه الرواه (٢/١٦٤) .

(٢) ابو العباس أحمد بن علي بن محمد بن علي بن شكر الأندلسي ، عارف ، حاذق ، نزل الفيوم من بلاد مصر . وشرح القصيد ، واختصر التيسير ، توفي حدود سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م .
ابن الجزري ـ غاية النهاية (١/٨٧) .

(٣) ابو الفضل جعفر بن علي بن هبة الله الهمداني ، الإسكندري ، المالكي ، امام مقرئ ، صنف « مفردات القرآن » وكان مولده سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٦هـ/١٢٨٣م ،
المصدر السابق نفسه (١/١٩٣) .

(٤) ابن الأبار ـ التكملة لكتاب الصلة ـ طبعه مجريط (ص ١٥٠) .

(٥) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي ، المنعوت بمحي الدين الصوفي . قرأ القراءات بالأندلس سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م بدمشق ودفن بالصالحية .
ابن الجزري ـ غاية النهاية (٢/٢٠٨) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٢/٢٠٨) .

وبذلك يكون كتاب « التجريد » لإبن الفحام الصقلي ، قد انتشر في البلدان الإسلامية وقام بتدريسه الشيوخ ، وخاصة المهتمين منهم بعلم القراءات ، وانتقل بالسماع والإجازة من مصر مكان تأليف الكتاب وإقامة المؤلف عن طريق طلاب العلم الوافدين الى مصر .

وقد امتدح ابو الطاهر السلفي كتاب « التجريد » عند حديثه عن ابن الفحام في معجمه فقال : « وله تأليف حسن سماه التجريد لبغية المريد ، كتبت أنا منه أسانيد كل قراءة »[1] .

أما ابن الجزري فقد تحدث عن كتاب « التجريد » فقال إنه : « من أشكل كتب القراءات حلاً ومعرفة »[2] . ثم ذكر بعد ذلك أنه قام بتوضيحه في أحد مؤلفاته فقال : « ولكني أوضحته في كتابي التقييد في الخلف بين الشاطبية والتجريد ، من وقف عليه أحاط بالكتاب علماً بيناً »[3] .

ومن مؤلفات ابن الفحام الصقلي كتاب « مفردة يعقوب »[4] ، وهو في القراءات ايضاً .

ونختتم الحديث عن ابن الفحام الصقلي بما أورده الذهبي في طبقاته من قول نتبين من خلاله مكانة ابن الفحام العلمية ، حيث قال الذهبي : « وأعلى ماتلوتُ كتاب الله من طريقه »[5] .

أما بالنسبة لوفاته فقد كانت في الإسكندرية سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م[6] .

---

(١) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٦٢) .
(٢) ابن الجزري ـ غاية النهاية (١/٣٧٤) .
(٣) المصدر السابق نفسه (١/٣٧٤ ـ ٣٧٥) ، وبالرجوع الى مصادر ترجمة ابن الجوزي ، لم أجد ذكراً للكتاب المذكور ، حتى فيما كتبه المؤلف عن نفسه في كتاب غاية النهاية .
(٤) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (٢/١٧٧٣) ، والكتاب المذكور مفقود .
(٥) الذهبي ـ معرفة القراء (١/٣٨٣) .
(٦) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/٣٨٩) ، ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة (٥/٢٢٥) .

وقد انقطع بعض علماء صقليه لتعليم القرآن الكريم في الكتاتيب خارج صقليه ، فهذا أبو بكر الصقلي ، والذي يعرف بالمكتب ، اشتغل بتعليم الصبيان القرآن الكريم مقابل أجر بسيط ، قد ذكر ابن الآبار : « أن أبا بكر الصقلي ، قد سكن قرطبة حيث فارق صقليه فاراً بدينه من الفتنة ... وقد ترك الناس جانباً وقنع بأدنى معيشة مقتصراً على أخرجة صبيه ، يعلمهم القرآن ، متعيّشاً بالقلّ الذي يؤثر به ، غير منتقص عليهم ، ولامقصر في تعلّمهم ، مشتغلاً عن الخوض في الفتنة ... ثم خرج في رفق الجالية من قرطبة منتصف ذي القعدة سنة ستين واربعمائة ، وقاسى الناس لفراقه وتفاقدوا بركة دعائه »[١] .

ونظراً لأهمية كتاب الله عز وجل ، فإن علماء صقليه لم يسمحوا باللحن فيه ، فقد تتبع ابن مكي الصقلي[٢] . وهو أحد علماء اللغة وصاحب كتاب « تثقيف اللسان » تتبع أخطاء قراء القرآن الكريم ، وأفرد لها باباً في كتابه المذكور ، وحذّر منها ، واسترشد بأقوال الفقهاء في ذلك .

ومن أمثلة مأأوره ابن مكي في هذا الباب قوله :[٣] سمعت من يقرأ : « وصوّركم فأحسن صوّركم » تشديد الواو من قوله تعالى « فأحسن صوركم»[٤] وتشديدها لايجوز .

وسمعت من يخفف العين من قوله تعالى : « فذلك الذي يدّع اليتيم »[٥] . وتخفيفها لايجوز لأنه من قوله تعالى : « يوم يدعّون الى نار جهنم دعّا »[٦] . يقال : دعّه ، يدعّه ، إذا دفعه ، على وزن شدّه يشدّه .

---

(١) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (١/٢٢٣) .
(٢) انظر موضوع (الدراسات اللغوية والنحوية في صقليه) .
(٣) ابن مكي الصقلي ـ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان (ص ٢٤٧) .
(٤) سورة غافر (آية ٦٤) .
(٥) سورة الماعون (آية ٢) .
(٦) سورة الطور (آية ٦) .

وقال أيضاً : ومنهم من يبالغ في اظهار النون الخفيفة والتنوين عند العين وماأشبهها ، حتى تصير الى التشديد ، فيقول : « يومئذنّ » في قوله تعالى : « ثم لتسألنّ يومئذٍ عن النعيم »[1] .

وقال أيضاً : ورأيت بعض أئمة المساجد يتعمد الوقف على قوله تعالى : « وإذا رأيت ثمّ « ويبتدئ » رأيت نعيماً »[2] . وعلى قوله : « مطاع ثمّ « ويبتدئ » أمين »[3] . وعلى قوله تعالى : كيف فعل ربك بعاد « ويبتدئ » إرم ذات العماد »[4] . وبعضهم يتعمد الوقف على « إرم » ويبتدئ « ذات العماد » .

ثم ذكر ابن مكي الصقلي أن تلك الأخطاء كثيرة ، وأنه انما ذكر بعض الشيء ليستدل به على جميعه . ثم ذكر : « أنه لايقدر على التحرز منه إلا من قرأ شيئاً من العربية ، أو واظب على قراءة القرآن على الأئمة »[5] .

وأخيراً فإنه إذا اتخذنا القيروان مثالاً لصقليه ، فإن قراءة نافع هي كانت شائعة فيها . فمنذ أن حلّ محمد بن عمر بن خيرون المعافري الأندلسي[6] ، مدينة القروان ، أخذ يقرئ الناس بها في مسجد ابن خيرون ، فقد عرف بإسمه ، وكان يأخذ أخذاً شديداً على مذهب المشيخة من أصحاب ورش ، وقد روى القراءة عنه عامة أهل القيروان وسائر المغرب[7] .

---

(١) سورة التكاثر (آية ٧) .
(٢) سورة الإنسان (آية ٢٠) .
(٣) سورة التكوير (آية ٢٠) .
(٤) سورة الفجر (آية ٦ ـ ٧) .
(٥) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص ٢٤٧) .
(٦) محمد بن عمر بن خيرون الأندلسي ، سكن القيروان ، وكان إماماً في قراءة نافع مأموناً ، ثقة كريم الأخلاق . توفي بمدينة سوسة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م .
ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٣٦٠/١) .
(٧) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ١٠٤) .

أما بالنسبة للتفسير ، وهو القسم الثاني من الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم ، فقد عُرف بأنه العلم الذي : « يعرف به نزول الآيات ، وشئونها ، وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيّها ومدنيّها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ، ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وأمثالها »[1] .

وفي صقلية الإسلامية فإن المصادر شحيحة في اعطائنا معلومات عن المفسرين بصقليه وجهودهم في مجال التفسير ، وكل ماأمدتنا به المصادر لايتعدى الكلمات عن بعض أعلام صقليه ، فتشير الى أنه من أهل القرآن والتفسير ، ومن ذلك ماأورده القفطي من أن أبا بكر محمد عبد الله المقرئ النحوي الصقلي ، كان « من أهل القرآن والتفسير ، والورع والتعفف »[2] .

---

(١) التهانوي ـ كشاف اصطلاحات الفنون (١/٢٤) .

(٢) القفطي ـ انباه الرواه (٣/١٦٣) ، وأنظر : (موضوع الدراسات اللغوية والنحوية في صقلية)

ثانياً : علم الحـديث :

عني المسلمون بالحديث النبوي عناية خاصة ، فهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي فوضعوا له قوانين الرواية ، التي هي أدق وأصح طريق علمي في نقل الروايات واختبارها . وكان من أهم هذه القوانين ، البحث في سند الحديث ، وفحص أحوال الرواه . وبذلك تمكنوا من تقسيم الأحاديث بحسب متونها من جهة ، وبحسب أسانيدها من جهة أخرى ، واستنبطوا مصطلحات خاصة عرّفوا بها ودققوا في الإلتزام بها ، فأصبحت علماً قائماً بذاته .

قال السمعاني : « اعلم وفقك الله ان علم الحديث ، أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى ، إذ الأحكام مبنيّة عليها ، ومستنبطة منها ، والله سبحانه وتعالى شرف نبينا عليه السلام ، حيث قال ، (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[1] . وألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وتقريراته وأخبار ذلك لابد لها من النقل ، ولاتعرف صحتها إلا بالإسناد الصحيح ، والصحة في الإسناد لاتعرف إلا برواية الثقة عن الثقة ، والعدل عن العدل »[2] .

وقد ذكر السمعاني الآداب التي يجب أن يتحلى بها من يملي الحديث . فذكر خمسين صفة ، مدعّمة بالأحاديث الصحيحة ، والأقوال المأثورة عن الصحابة ورجال الحديث[3] .

كما ذكر صفات وشروط الاستملاء . فعدّها ثلاثة عشر صفة وشرطا[4] . وتحدث عن آداب كتّاب وطلاب علوم الحديث ، فذكر تسعة وعشرين شرطا[5] .

---

(١) سورة النجم (آية ٤) .

(٢) السمعاني ـ أدب الإملاء والاستملاء (ص ٣) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٢٥ ـ ٨٥) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٨٨ ـ ١٠٨) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص ١٤٦) ، مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص ٣٢٦) ، رشاد معتوق ـ الحياة العلمية في العراق في العصر البويهي ـ رسالة دكتوراه جامعة أم القرى ١٤١٠هـ (ص ٢٨١) .

ولقد ازداد حرص المسلمين على العناية بالحديث النبوي الشريف ، عندما تعمد دعاة التشيع ، وضع الكثير من الأحاديث المفتراه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكثروا من وضع الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عن طريق أئمتهم الذين يزعمون أنهم يتميزون بالعصمة ، وكان الهدف من وضع تلك الروايات الملفقة الكاذبة ، تشويه عصر الرسالة ، وتجريح الآل ، والأصحاب ، والتطاول على التاريخ الإسلامي ، والمجتمع القدوة بأسره ، مما استلزم التصدي لذلك بشكل علمي منظم ومدروس . وهكذا ظهرت الحاجة الى الاسناد أولا ، وإلى التاريخ ، وعلم الأنساب والطبقات لغرض تدقيق الأسانيد ، والتعريف برجالها ، والتأكد من لقياهم ، وهكذا تطور الحال الى ظهور علوم الحديث ، ومصطلحه ، ومعرفة مدى دقة الرواه والوصول الى الاسناد العالي ، والتعريف بالكذابين ، والمتروكين والضعفاء والمجروحين[1] .

وكل ذلك أدى الى تطور علم الحديث ، فخرج لنا علم الرجال ، وعلم الناسخ والمنسوخ ، وعلم الإسناد ، كما قام العلماء بنقد الحديث ، ونقد السند ، ثم انصرفت العناية الى تصحيح الأمهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفيها[2] .

ولتحقيق ذلك كله كانت الرحلة في طلب الحديث ، وملاقاة الشيوخ والتثبت من الأسانيد ، فكان أصحاب الحديث انشط الطلاب على الرحيل في طلب العلم وأصبرهم على عنائه . وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت الوجاده[3] ، إلا أنها لم تحل محل الأسفار في طلب الحديث كما ذكر آدم ميتز[4] . وإنما كانت تمثل أسلوباً من أساليب تطور تلقي الحديث ، فلقد استمرت الرحلة عند علماء

---

(١) المرجع السابق نفسه (ص ٢٨١) .

(٢) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨) .

(٣) الوجاده : هي أن يجد حديثا أو كتابا بخط شخص معين ، ويتأكد من صحة نسبة الكتاب اليه فيأخذ منه ويقول : « وجدت في كتاب فلان » .

ابن كثير ـ الباعث الحثيث (ص ١٠٩) ، السيوطي ـ تدريب الراوي (٢/٨) .

(٤) آدم ميتز ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (١/٣٣٥ ـ ٣٣٦) .

الحديث وطلابه عبر العصور الإسلامية ، ومن لايرحل من بلده في طلب الحديث النبوي كان :

« ممن لايؤنس منهم رشدا »[1] .

وفيما يتعلق بالدراسات المتعلقة بالحديث النبوي في صقليه ، وجهود علمائها في هذا المجال ، فقد ذكرت المصادر أن من أوائل محدثيها ، أبو العباس القلّوري[2] ، المتوفي سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م . واسمه محمد بن عمرو بن العباس ، وقيل : أحمد بن عمرو بن عبيدة ، وقيل : عمرو بن العباس . وقيل : عبدك[3] .

وقد روى عنه وحدّث عن أبو داود السجستاني[4] ، في سننه ، وسمّاه في بعض الروايات ، محمد بن عمرو بن العباس[5] .

---

(١) العراقي ـ فتح المغيث (٣/٨٦) .

(٢) نسبة إلى قلّورية من جزيرة صقليه ، ياقوت ـ معجم البلدان (٤/٣٩٢) .

(٣) ابن حجر ـ تهذيب التهذيب (١٢/١٦٣ ـ ١٦٤) ، تقريب التهذيب (ص ٦٥٤) .

(٤) أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني ، أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله . وكان في الدرجة العالية من النسك والصلاح . طاف البلدان ، وجمع كتاب « السنن » وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل فاستحسنه ، وكانت ولادته سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م . وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢/٤٠٤) .

(٥) ابن حجر ـ تهذيب التهذيب (١٢/١٦٣ ـ ١٦٤) .

وقد روى الحديث عن جماعة من أهله منهم يعقوب بن اسحاق الحضرمي[1] ، وسعيد بن عامر الضبعي[2] ، وعثمان بن عمر بن فارس[3] ، وعلي بن عثمان اللاحقي[4] ، وقره بن حبيب القنوي[5] ، وغيرهم .

ومن خلال استعراضنا لشيوخ ابي العباس القلّوري في الحديث ، نجد أن قراءته عليهم كانت بالبصرة ، فهم من أهلها وعلمائها .

ويعدّ أبو العباس من أقدم علماء صقليه في هذا المجال ، إذ أن دراسته للحديث وروايته له كانت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري .

وذكرت المصادر أن أبا الفضل العباس بن عمرو الصقلي ، المعروف

---

(١) أبو محمد يعقوب بن اسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي ، المقرئ ، النحوي البصري . كان متقدماً في علم الحديث ، وفاق الناس في القراءة ، وازدحم عليه القراء ، قيل أنه كان أعلم الناس بالحروف والإختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه ، ومذاهب النحو ، توفي سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م .
الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٠/١٦٩) ، ابن حجر ـ تهذيب التهذيب (١١/٣٣٥) .

(٢) أبو محمد سعيد بن عامر الضبعي ، البصري ، الزاهد ، كان رجلاً صالحاً ثقة مأمونا . ولد سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م ، وتوفي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م .
ابن سعد ـ الطبقات الكبرى (٧/٢٩٦) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٩/٣٨٥) ، ابن حجر ـ تهذيب التهذيب (٤/٤٤) .

(٣) أبو محمد عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط ، العبدي ، البصري ، الحافظ ، كان رجلاً صالحاً ، ثقة ، ثبتاً في الحديث ، توفي سنة ٢٠٩هـ/٨٨٤م .
المصادر السابقة نفسها (٧/٢٩٦) ، (٩/٥٥٧) ، (٧/١٢٩) .

(٤) علي بن عثمان بن عبد الحميد بن لاحق اللاحقي ، البصري ، من علماء الحديث بالبصرة ، كان ثقة ، مات سنة ٢٢٨هـ/٨٤٢م .
الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٠/٥٦٨) .

(٥) أبو علي قره بن حبيب بن يزيد بن شهرزاد القنوي ، الرمّاح ، البصري التستري ، النيسابوري الأصل ، امام ، محدث ، ثقة ، توفي سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م .
المصدر السابق نفسه (١٠/٤٢٦) ، ابن حجر ـ التهذيب (٨/٣٣١) .

بالوراق الزاهد[1] . كان له اهتمام بالدراسات المتعلقة بالحديث ، وقد رحل الى الأندلس في سبيل ذلك ، وروى كتاب « غريب الحديث » لمؤلفه قاسم بن ثابت السرقسطي[2] ، عن أبيه ثابت . وبذلك نجد أن الكتاب المذكور قد انتشر عن طريق ابي الفضل الصقلي ، حيث رواه عنه يونس بن عبد الله الصّفار[3] .

ومن علماء صقليه في مجال الحديث علي بن الحسن الصقلي القزويني ، المتوفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م حيث ذكر ابن حجر : أنه سمع الكثير في بلده صقليه ثم سافر ورجع ، فألف وأملى[4] . وله كتاب « سرور الأسرار من كلام الشيوخ للأخبار »[5] .

وكان علي بن الحسن الصقلي قد التقى في رحلاته ببعض الشيوخ ودرس عليهم ، ومن هؤلاء ابن شاهين[6] .

---

(١) الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص ٣١٧) ، ابن خير الأشبيلي ـ فهرست ماروا‌ه عن شيوخه (ص ١٩١) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص ٤٣٠) .

(٢) أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف السرقسطي ، محدث ، لغوي ، نحوي رحل من الأندلس الى مصر ، وقدم مكه وسمع بها ، وأدخل الى الأندلس علماً كثيراً . كان ورعاً فاضلاً ، عالماً ، زاهداً ، توفي بسرقسطة سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م .

ابن الفرضي ـ تاريخ علماء الأندلس (١/٣٦٠) ، الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص ٣٣١) ، ابن خير الأشبيلي ـ فهرست ماروا‌ه عن شيوخه (ص ١٩١) .

(٣) أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، المعروف بابن الصفار ، قاضي الجماعة بقرطبة ، ومن أعيان أهل العلم ، كان فاضلاً ، زاهدا يميل الى التحقيق في التصوف ومن كتبه « المنقطعين الى الله » وكتاب « المتهجدين » . وله أشعار في الزهد والرقائق .

الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص ٣٨٤) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص ٥١٢) .

(٤) ابن حجر ـ لسان الميزان (٤/٢٥٣ ـ ٢٥٤) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٤/٢٥٤) .

(٦) أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي ، الواعظ ، المعروف بابن شاهين كان ثقة أمينا ، سمع بالشام والعراق وفارس ، وهو صاحب التفسير الكبير ، والذي يقع في نيّف وعشرين مجلدا ، كلّه بأسانيد . ولد سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م . وتوفي سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م .

الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد (١١/٢٦٥) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٦/٤٣١) .

والقطيعي[1] ، كما درس كتاب « الايجاز في الفرائض[2] على يد مؤلفه ابن اللبان الفرضي الشافعي [3] .

وقد وصف ابن حجر العسقلاني ، على بن الحسن الصقلي بأنه : « كان يغلب عليه الوعظ[4] » ، وأضاف بأنه : « كان حافظاً ، ولكنه كان يركب الاسناد بعضه على بعض »[5] .

ومن أقوال ابن الحسن الصقلي قوله ـ عند حضور وفاته ، رداً على من سأله كيف أنت ؟ ـ متمثلاً قول سهل بن عبد الله التستري[6] : « أنزل الدواء ثم الداء ، وحبس اللسان عن الدعاء لينفذ القضاء »[7] .

وممن أشتهر بدراسة الحديث في صقليه أحد الأمراء الكلبيين ، حيث ذكرت المصادر أن أبا محمد عمار بن المنصور الكلبي ، كان عالماً مشهوراً من علماء الحديث ، وأنه من أفاضل العلماء وسادات الأمراء . وأنه ذو يد في الفقه والحديث النبوي الشريف[8] .

---

(١) أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي . صدوق في نفسه ، مقبول ، كما قال ابن حجر . وهو محدث من أهل بغداد ، وله القطيعيات في خمسة أجزاء في الحديث توفي سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م .

ابن حجر ـ لسان الميزان (١٥١/١) ، كحاله ـ معجم المؤلفين (١٨٢/١) .

(٢) المصدر والمرجع السابقان (٢٥٤/٤) ، (٢٠٧/١٠) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢٥٤/٤) ، وابن اللبان هو ابو الحسين محمد ابن عبد الله بن الحسن البصري الفرضي ، الشافعي المعروف بابن اللبان ، انتهى اليه علم الفرائض وكان اماما في الفقه والحديث . قدم بغداد وحدث بها . وتوفي سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م .

الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢١٧/١٧) .

(٤) ابن حجر ـ لسان الميزان (٢٥٤/٤) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٢٥٤/٤) .

(٦) انظر موضوع (الزهد والتصوف في صقليه) .

(٧) ابن حجر ـ لسان الميزان (٢٥٤/٤) .

(٨) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١٠٠/١) .

ومن أعلام صقليه في هذا المجال أبو بكر محمد بن ابراهيم بن موسى التميمي ، المصري ، الصقلي ، الصوفي المتوفي بعد سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م[١] . وقد سافر في طلب الحديث الى العراق وحضر بعض مجالس اهل العلم ، وعاد الى صقليه وكتب الكثير[٢] .

قال عنه المقريزي : أنه حدّث بأحاديث يسيرة ، وروى عن عبد الله بن محمد المباركي[٣] ، وحفص بن عمر شيخه[٤] ، وقد حدّث عنه أبو سعد الماليني[٥] ، بواسطه[٦] .

وهناك أيضاً عدد كبير روى عنه ، ومنهم أبو علي الحسين بن علي بن خلف[٧] ، وأبو الحسن محمد بن عبد العزيز القنّي[٨] .

كما أن أبا بكر الصقلي وفي أثناء رحلته الى المشرق الإسلامي حضر مجالس الجنيد[٩] ، والنوري[١٠] . مما يشير الى ميله الى الزهد والتصوف .

---

(١) المقريزي ـ المقفى (٦٠/٥) ، وفي قول المقريزي في تاريخ وفاته أنها كانت بعد سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م نظر ، ذلك لأنه حضر مجالس الجنيد المتوفي سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م ، ومجالس النوريّ المتوفي سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م . ولم يذكر أحد بأنه من المعمرين طويلاً .

(٢) المصدر السابق نفسه (٦٠/٥) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) لم أعثر له علي ترجمة .

(٥) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص ، الأنصاري ، الهروي ، الماليني ، الصوفي ، أحد الرحّالين في طلب الحديث ، والمكثرين منه . كان ثقة صدوقاً خيّرا ، صالحاً ، فاضلاً ، توفي سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م . المقريزي ـ المقفى (٧٠١/١) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٦٠/٥) .

(٧) لم أعثر له على ترجمة . (٨) لم أعثر له على ترجمة .

(٩) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد ، النهاوندي ، البغدادي ، شيخ الصوفية كان فقيها ، تفقه على أبي ثور ، وكان يفتي في حلقته . توفي سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م .
السلمي ـ طبقات الصوفية (ص ١٥٥) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٦٦/١٤) .

(١٠) أبو الحسين أحمد بن محمد الخراساني ، البغوي ، الزاهد ، شيخ طائفة الصوفية بالعراق . كان حسن الطريقة ، لطيف الكلام . توفي سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م .
المصدران السابقان (ص ١٦٤) ، (٧٠/١٤) .

ومن أهل الحديث في صقليه : أبو عمران موسى بن الحسن بن عبد الله ابن يزيد الصقلي ، والذي سافر في طلب الحديث الى مصر ، ودرس بها ، وحدّث بها[1] .

ومنهم ابن الفراء الصقلي ، حيث ذكر أنه من المحدثين الصقليين[2] .

وأشارت المصادر الى أسماء بعض الصقليين الذين لهم دور في الدراسات المتعلقة بالحديث ، دون أن تعطينا أي تفصيلات عن ذلك الدور ومن هؤلاء عبد الرحمن بن محمد بن بكر ، الذي وصف بأنه كان ينزع الى الصوفية ، وسافر عبر بلاد المغرب ومصر والحجاز لطلب العلم[3] . والحسن بن علي الصقلي الذي توفي بمكة سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م[4] . وأبو القاسم الصقلي المتوفي سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م[5] . وكذلك أبو مسعود سليمان الصقلي ، والذي وصف بأنه من صغار المحدثين الصقليين ، وأنه استقر في بغداد[6] .

ومن العلماء الصقليين الذين كان لهم دور بارز في الحديث ، أبو بكر الفرضي الصقلي[7] ، وهو أحد فقهاء صقليه ، فقد روى الحديث عن أحد علماء الحديث بالقيروان وهو الشيخ علي بن محمد المعافري ، المعروف بالقابسي[8] ،

---

(١) السمعاني ـ الأنساب (٥٤٩/٣) ، عزيز أحمد ـ تاريخ صقليه الإسلامية (ص ٥٠) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٥٠) ، ولم يشر صاحب تاريخ صقليه الى مصادره ولم أجد له ذكراً فيما أطلّعت عليه من مصادر .

(٣ ، ٤) المرجع السابق نفسه (ص ٥٠) .

(٥ ، ٦) المرجع السابق نفسه (ص ٥٠) .

(٧) عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٦/٤) ، انظر موضوع (الدراسات الفقهية في صقلية) .

(٨) أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري ، القروي ، القابسي ، المالكي صاحب كتاب « الملخص » كان عارفا بالعلل والرجال ، والفقه والأصول والكلام . وكان ضريرا زاهدا . له مؤلفات بديعة منها كتاب « الممهّد » في الفقه ، وكتاب « أحكام الديانات » وكتاب « المناسك » وكتاب « الاعتقادات » . ولد سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م . وتوفي بالقيروان سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م . عياض ـ ترتيب المدارك (٦١٦/٤) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٥٨/١٧) .

صاحب كتاب « الملخّص » الذي هو تلخيص لكتاب « الموطأ » للإمام مالك رحمه الله . وقد وصل الكتاب المذكور الى صقليه ، وكان الناس بها يسمّونه «الملخّص» بالفتح(١) ، وكان دخوله اليها عن طريق تلميذ الشيخ القابسي ، ابن الفرضي الصقلي(٢) .

وفي صقليه درس ابن يونس الصقلي فقيه صقليه ، والمحدث عتيق السمنطاري ، على أبي بكر الفرضي(٣) .

وأورد السّلفي في معجمه أن أبا حفص عمر بن يوسف بن محمد بن الحذاء القيسي الصقلي(٤) ، قد درس الحديث على الشيخ المحدث عتيق السمنطاري(٥) ، وذكر السّلفي أنه روى عن شيخه عتيق السمنطاري حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر : « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »(٦) . وكان ابن الحذاء الصقلي قد سمع كتاب «الموطأ» للامام مالك رحمه الله ، على الشيخ المحدث عتيق السمنطاري(٧) .

وقد وصف ابن الحذاء الصقلي بأنه : « من مشاهير الزهاد ، وأعيان العباد »(٨) . وكان لابن الحذاء الصقلي مكانة كبيرة عند أهل صقليه ، حيث ذكر السّلفي بأن : « له محل كبير عند أهل صقليه ، وغرب الوسط ، باستحقاق ، فقد كان من أهل العلم ملازما ، للثغر منذ سكنه لسكنه . غير متصرف في أمور الدنيا طول زمانه »(٩) .

---

(١) ابن مكي الصقلي ـ تثقيف اللسان (ص ٢٥١/٢٥٢) .
(٢) تقي عارف الدوري ـ صقليه وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص ١٨٧) .
(٣) انظر موضوع (الدراسات الفقهية في صقليه) .
(٤) انظر موضوع (الدراسات القرآنية في صقليه) .
(٥) السّلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٦٦) .
(٦) الامام مسلم ـ صحيح مسلم بشرح النووي (١٢٥/٥) .
(٧) السّلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٦٧) .
(٨) المصدر السابق نفسه (ص ٦٦) .
(٩) المصدر السابق نفسه (ص ٦٦) .

وقد كان ابن الحذاء الصقلي يمتنع من الرواية ، ويتحرز منها كثيرا ، وذلك خشية من الوقوع في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى دار بينه وبين السّلفي حديث طويل حول الرواية وفضلها ، فاقتنع بذلك ، وقال السّلفي : « وجرى بيني وبينه خطب طويل حول الرواية ، وأن روايته أولى من امتناعه منها . فاعتل بعلل ، تكلمت عليها معه ، فوجدت عمدته في تحريه ، التحرز من الوقوع في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يتقدم له قراءة للعربية . فقلت : قد كان في الرواة على هذا الوضع ، واحتج برواياتهم في الصحاح ، ولايجوز تخطئتهم ، وتخطئة من أخذ عنهم . فلان بعد ذلك حتى قرأت عليه ماقرأت على منع شديد »[١] . ثم ذكر السلفي أنه « لم يقرأ عليه أحد شيئا من الحديث غيري عن أبي بكر عتيق السمنطاري »[٢] .

ومن علماء صقليه في الحديث أبو البهاء عبد الكريم بن عبد الله الصقلي[٣] . الذي وصف بأنه من أهل القراءات والحديث[٤] ، وروى حديث ابن عمر السابق الذكر « الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله »[٥] . عن المالكي صاحب كتاب « رياض النفوس »[٦] كما درس عليه السّلفي شيئا من حفظه ، وكتب عنه عدة فوائد ، ووصفه بأنه من حفظة الإسكندرية »[٧] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ٦٨) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٦٨) .
(٣) انظر موضوع (الدراسات القرآنية في صقليه) .
(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٨٣) .
(٥) الإمام مسلم ـ صحيح مسلم بشرح النووي (١٢٥/٥) .
(٦) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي ، ولد في العقد الأول من القرن الخامس الهجري وروى عن علماء عصره ، أقام مدة بصقليه ودرس بها ، توفي بعد سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م
المالكي ـ رياض النفوس (١٨/١ ـ ١٩) .
(٧) السّلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٨٢ ـ ٨٤) .

ومن محدثي صقليه محمد بن مسلم بن محمد بن أبي بكر القرشي المازري ، المتوفي سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م بالإسكندرية[1] . وكان قد درس الحديث على أبي بكر الطرطوشي[2] .

ومن علماء الحديث الصقليين المهاجرين الى مصر ، أبو عبد الله الحضرمي ، والذي قام بتدريس الحديث بها[3] ، فدرس عليه طلاب العلم ، ومنهم أبو موسى عيسى بن خليفة بن مروان اللخمي ، المالكي[4] ، وأبو السيار غادي بن سند بن عياش الغساني المتوفي سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م[5] ، وكرم بن الصفار[6] .

وكان لابن الفحام الصقلي دور في تدريس الحديث الى جانب شهرته في علم القراءات ، فقد درس عليه الحديث في الإسكندرية ، أبو السيار غادي بن سند سابق الذكر آنفا[7] .

وفي مصر كذلك نجد أن الأديب الصقلي مجبر بن محمد بن عبدالعزيز[8] ، قد قام بتدريس الحديث في الإسكندرية ، وكان ممن درس عليه أبو الطاهر السلفي حيث قال : « وقرأت عليه شيئاً من الحديث ، سمعه على ابي الحسن الخلعي »[9] .

---

(١) انظر موضوع (الدراسات الفقهية في صقليه) .

(٢) عياض ـ الغنية (ص ٨٨) ، التنبكتي ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص ٢٢٧) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٢٤) .

(٣) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٨٢ ـ ٨٤) .

(٤ ، ٥ ، ٦) لم أعثر لهم على ترجمة .

(٧) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٩٨ ـ ٩٩) .

(٨) المصدر السابق نفسه (ص ١٠٦) ، الذهبي ـ المشتبه في الرجال (٥٧٢/٢) .

(٩) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ١٠٥ ـ ١٠٦) ، والخلعي هو : ابو الحسن على ابن الحسن بن الحسين بن محمد ، الموصلي الأصل ، المصري ، الشافعي ، صاحب « الفوائد العشرين » وراوي السيرة النبوية ، وهو فقيه ، وولي قضاء مصر ، وكان يبيع الخلع لملوك مصر . توفي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م .
الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٧٤/١٩) .

وهذا أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن خير الصقلي ، كان يتردد كثيرا على مجلس ابي الطاهر السلّفي ، على الرغم من كبر سنّه ، وذلك لقراءة شيء من الحديث[1] . وقد وصفه السلّفي بأنه : كان معجونا من الخير ، صالحاً ، مسنّاً ، حافظاً لكتاب الله ، كثير التلاوة ، محباً للعلم وأهله[2] . وأضاف أنه ألزم على التاذين بحي على خير العمل ، فأبى . فأركب حماراً ، وجرّس عليه وهو يضحك ، ويسلم على الناس ويقول : هذا وقت التهنئة فهنئوني[3] . وقد توفي في شوال من سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م أثناء تأدية صلاة العصر وهو ساجد[4] .

ومن أشهر علماء صقليه في الحديث ، الشيخ المحدث ، أبو بكر عتيق بن علي بن داود بن يحي ، التميمي ، المالكي ، الصقلي ، والذي يعرف بالسمنطاري ، المتوفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م[5] . وكان قد درس الحديث والفقه على علماء بلده .

وظلّ يدّرس الحديث في صقليه حتى بدأ النورمان في السيطرة عليها ، كما رحل في البلدان فسافر الى الحجاز ، اليمن والشام وفارس وخراسان ، والتقى بعلمائها وألّف في الفقه والزهد[6] .

(١) السلفي معجم السفر (ص ٦٠) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٦٠) .
(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٦٠) .
(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٦٠) .
(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٥/٤) ، ياقوت ـ معجم البلدان (٢٥٣/٣) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ٩٨) ، البغدادي ـ هدية العارفين (٦٥١/١) .
(٦) انظر موضوع : « الدراسات الفقهية » .

وقد سمع عتيق السمنطاري بأصبهان من أبي نعيم الحافظ[1] . وببغداد من أبي القاسم الأزجي[2] . كما روى عن ابي بكر محمد بن الحسن بن احمد الفارقي ماسمع منه بميّا فارقين[3] .

وقد وصفت مؤلفات السمنطاري بأنها : « تآليف حسان في غاية الترتيب والبيان »[4] . وقد تركزت دراسة السمنطاري في الحديث على كتاب « الموطأ » للإمام مالك والذي افرغ له كثيرا من جهده ، وأفاد به طلاب العلم في صقليه وخارجها [5] . وقد سبق أن أشرنا الى دراسة ابن الحذاء الصقلي علي الشيخ السمنطاري الحديث في صقليه ، والدور الذي قام به ابن الحذاء في رواية ماأخذه عن شيخه[6] .

---

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران ، الإمام الحافظ ، الأصبهاني ، الصوفي ، صاحب « حلية الأولياء » وكتاب « المستخرج على الصحيحين » وكتاب « تاريخ اصبهان » . وهو من العلماء الذين هاجر للقيام الحفاظ . توفي سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨ .

الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٤٥٣/١٧) ، كحاله ـ معجم المؤلفين (٢٤٨/٦) .

(٢) المحدث أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل البغدادي الأزجي من المهتمين بالحديث ، كان صدوقاً ، كثير الكتب ، ولد سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م ، وتوفي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م .

الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد (٤٦٨/١٠) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٨/١٨) .

(٣) عياض ـ ترتيب المدارك (٦٩٥/٤ ـ ٦٩٦) ، ولم أعثر للفارقي على ترجمة .

وميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر ، فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ياقوت ـ معجم البلدان (٢٣٥/٥) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٢٣٥/٥) .

(٥) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ١٠١) .

(٦) السلفي ـ معجم السفر (ص ٦٦) .

ومن أسهم في دراسة الحديث النبوي ، ابن عقال الصقلي[1] . الذي كتب كتاباً بعنوان « فوائد ابن عقال » وكان تأليفه له في سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م[2] . وهو كتاب تناول فيه مؤلفه ، المقارنة بين كتب الصحاح الستة . ويروي فيه عن أحد فهاء القيروان ، وهو اسماعيل بن اسحاق بن عذره[3] .

فقد تحدث عن صحيح مسلم أولا مبيناً طريقته في تأليف كتابه الصحيح ، مستشهدا بقول الامام مسلم : « ماوضعت شيئا في هذا المسند إلا بحجه ، وما أسقطت منه شيئا إلا بحجة »[4] .

كما أشار الى صحيح البخاري وعدد أحاديثه ، وعدد الذين ذكرهم الإمام البخاري في كتابه « التاريخ الكبير » وكتاب « الضعفاء والمجروحين »[5] .

كما أن ابن عقال الصقلي أشار الى أبي داود السجستاني وكتابه « السنن » حيث ذكر عدد أحاديثه مشيرا الى قول ابي داود : « لم أضف في هذا الكتاب إلا الأحكام »[6] وقوله : « مافي كتاب السنن حديث إلا وقد عرضته على أحمد بن حنبل ، ويحي بن معين »[7] .

كما أشار ابن عقال في كتابه الى موطأ الامام مالك ، وبعض أقواله ،

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٤٨٢/٤) .

(٢) ابن عقال ـ فوائد ابن عقال ـ مخطوط ـ دار الكتب المصرية رقم ب ٢٢٧٣٥ ص (١) .

(٣) هو أحد فقهاء القيروان ، ومن طبقة ابن أبي زيد ، والقابسي والضبي ، رحل الى المشرق فلقى ابن مجاهد الطائي المتكلم وأخذ عنه .
عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٨/٤) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢٦٥/٢) .

(٤) ابن عقال ـ فوائد ابن عقال (ص ١) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص ١) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص ٢) .

(٧) المصدر السابق نفسه (ص ٢) ، وابن معين هو : أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد البغدادي ، الحافظ المشهور ، كان اماما عالما حافظا ، وهو صاحب الجرح والتعديل . توفي سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م . ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٣٩/٦) .

وأقوال الإمام الشافعي ، ونقل عن الإمام احمد بن حنبل [1] .

كما تحدث المؤلف عن دور الخليفة عمر بن عبد العزيز في تدوين الحديث النبوي[2] . وختم المؤلف كتابه بقولين أولهما لإبن عيينه[3] . حيث قال : « من أراد الإسناد الصحيح ، والحديث المعروف الذي تسكن اليه القلوب ، فعليه . بحديث أهل المدينة »[4] . وثانيهما للإمام الشافعي حيث قال : « ما من كتاب بعد كتاب الله أكثر صوابا من كتاب مالك رحمه الله تعالى »[5] .

ومن المحدثين الصقليين عبد الحق بن الحسن بن عبد الله الصقلي ، والذي وصف بأنه من أهل الصلاح[6] . وكان قد خرج من صقليه بعد استيلاء النورمان عليها . وذهب للحج ثم عاد واستقر بالإسكندرية ، والتقى بأبي الطاهر السلفي ، ولازمه وحضر مجالسه ، وسمع عليه الحديث . وظل كذلك الى أن توفي بعد أن خلّف مالاً كثيرا أُخذ الى بيت المال لعدم وجود وارث له[7] .

ومن علماء صقليه الذين روى عنهم أبو الطاهر السلفي الحديث : أبو عبد الله محمد بن عتيق بن عمر بن الحرس الصقلي ، المتوفي بالإسكندرية سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م[8] .

أما عن أشهر علماء صقليه في علم الحديث فهو : محمد بن علي بن عمر

---

(١) ابن عقال الصقلي ــ فوائد ابن عقال (ص ٢) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٣) .

(٣) أبو محمد سفيان بن عيينه بن ابي عمران ميمون ، الإمام الكبير ، الهلالي الكوفي المكي . طلب الحديث وهو صغير . وانتهى اليه علو الإسناد . وأصبحت الرحلة اليه في وقته . توفي بمكة ١٩٨هـ/٨١٣م .

ابن سعد ــ الطبقات (٤٩٧/٥) ، ابن خلكان ــ وفيات الأعيان (٣٩١/٢) .

(٤) ابن عقال الصقلي ــ فوائد ابن عقال (ص ٥) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص ٥) .

(٦) السلفي ــ معجم السفر (ص ٨٦ ــ ٨٧) .

(٧) المصدر السابق نفسه (٨٦ ــ ٨٧) .

(٨) المقريزي ــ المقفى (١٨٩/٦) .

بن محمد ، التميمي المازري ، المالكي ، المكنى بأبي عبدالله ، والذي يعرف بالإمام المازري المتوفي سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م[١] .

والامام المازري لم تذكر المصادر تاريخ ولادته ، إلا أن ابن خلكان ذكر أنه عندما توفي كان عمره ثلاثا وثمانين سنة[٢] ، وعلى ذلك تكون ولادته في سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م . بمدينة « مازر » من جزيرة صقليه . ثم استوطن « المهدية » من أفريقية[٣] .

وقد وصفت المصادر الامام المازري بأنه صاحب باع كبير في الحديث والفقه والأصول والأدب ، والطب ، والحساب وغير ذلك من العلوم[٤] . فقال ابن خلكان : « أحد الأعلام المشار اليهم في حفظ الحديث والكلام عليه[٥] » ووصفه الذهبي بقوله : « الشيخ ، الإمام ، العلامة ، البحر المتفنن .. احد الأذكياء الموصوفين ، والأئمة المتبحرين »[٦] . وأضاف بأنه : « كان بصيرا بعلم الحديث »[٧] . وأنه : « كان من كبار أئمة زمانه »[٨] . ووصفه الصفدي بأنه : « أحد الأئمة الأعلام »[٩] . وسماه ابن فرحون : « امام اهل افريقية وما وراءها من

---

(١) ابن خلكان ــ وفيات الأعيان (٢٨٥/٤) ، الذهبي ــ سير أعلام النبلاء (١٠٤/٢٠) ، الصفدي ــ الوافي بالوفيات (١٥١/٤) ، ابن فرحون ــ الديباج المذهب (٢٥٠/٢) ، ابن فهد المكي ــ ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٧٢ ــ ٧٣) ، المقري ازهار الرياض (١٦٥/٣) ، حسن عبد الوهاب ــ الامام المازري (ص ٤٩) .

(٢) ابن خلكان ــ وفيات الأعيان (٢٨٥/٤) .

(٣) ابن فرحون ــ الديباج المذهب (٢٥٠/٢) .

(٤) نظراً لأن شخصية الامام المازري سوف تتكرر معنا في أكثر من موضوع في هذا البحث وذلك عند الحديث عن علم الفقه وعلم الكلام ، وعلم الطب . نظرا لذلك فإننا سنتحدث في هذا المبحث عن شخصيته ونشأته وتعليمه ، مما لاداعي لتكراره مرة أخرى .

(٥) ابن خلكان ــ وفيات الأعيان (٢٨٥/٤) .

(٦) الذهبي ــ سير أعلام النبلاء (١٠٤/٢٠) .

(٧) المصدر السابق نفسه (١٠٥/٢٠) .

(٨) الذهبي ــ العبر في خبر من غبر (٤٥١/٢) .

(٩) الصفدي ــ الوافي بالوفيات (١٥١/٤) .

المغرب »[1] . وأضاف قائلا بأنه كان : « آخر المشتغلين من شيوخ افريقية بتحقيق الفقه ، ورتبة الإجتهاد ، ودقة النظر »[2] . ثم قال : « لم يكن للمالكية في عصره في أقطار الأرض في وقته أفقه منه ، ولاأقوم لمذهبهم »[3] . ووصفه ابن فرحون أيضا بأنه : « حسن الخلق ، مليح المجلس ، أنيسه ، كثير الحكايات ، وإنشاد قطع الشعر ، وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه »[4] .

أما عن تسميته بالامام ، فذلك يعود الى علو مرتبته ، وإمامته لأهل افريقية والمغرب ، وأورد ابن فرحون أن الامام المازري ، رأى في ذلك رؤيا . حيث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : يارسول الله أحقّ مايدعونني برأيهم ، يدعونني بالإمام . فقال : أوسع صدرك للفتيا[5] .

ومع علو مرتبة الامام المازري في الاجتهاد ، إلا أنه لم يدع لنفسه هذه المرتبة فقد أورد الصفدي تعجّب أحد الأعلام من ذلك بقوله : « أخبرني من أنسيته عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد[6] ، أنه كان يقول : مارأيت أعجب من هذا ـ ويعني المازري ـ لأي شيء ماأدعّى الإجتهاد »[7] ، وقد ذكر الحطاب في مواهب الجليل ، أن الإمام المازري ، قد بلغ رتبة الإجتهاد وما أفتى بغير المشهور[8] .

---

(١) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٢٥٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٢/٢٥١) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢/٢٥١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٢/٢٥١) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٢/٢٥٠) .

(٦) تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المنفلوطي ، المصري ، المالكي ، الشافعي ، أحد الأعلام ، وقاضي لقضاة . ولد بينبع . له مصنفات كثيرة ، منها كتاب «الإلمام» و « علوم الحديث » . كان اماماً محدثاً فقيهاً أصولياً أديباً ، نحوياً ، توفي سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م . الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٤/١٩٣) ، ابن شاكر الكتبي ـ فوات الوفيات (٢/٢٤٤) .

(٧) الصفدي الوافي بالوفيات (٤/١٥١) .

(٨) الحطاب ـ مواهب الجليل (١/٣٢) .

أما بالنسبة لشيوخ الإمام المازري ، لم تشر المصادر إلا إلى عدد قليل منهم ، وهم من أعلام الحديث ، والفقه ، وأشهرهما علي بن محمد اللخمي[1] ، والامام المازري أشهر تلاميذ ابي الحسن اللخمي ، ولذلك كل من ترجم للخمي ، وذكر تلاميذه ، فإنه يصدّرهم بالامام المازري .

وأبي محمد عبد الحميد القيرواني ، المعروف بابن الصائغ المتوفي سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[2] .

أما فيما يتعلق بمؤلفات الإمام المازري ، فقد كتب في الحديث والفقه والأصول ، وسنذكر هنا مؤلفاته في علم الحديث . فقد ألف الإمام أبو عبد الله المازري كتاباً شرح به صحيح الامام مسلم رحمه الله ، وعرف ذلك الكتاب بإسم « المعلم بفوائد مسلم » ، وأشارت اليه كل المصادر التي ترجمت له . حتى أن بعضها عندما تعرّف بالإمام المازري ، تعرّفه بكتابه « المعلم » فتقول : « أبو عبد الله المازري صاحب المعلم » .

وكتاب « المعلم » هو أول شرح لصحيح الامام مسلم رحمه الله ، ولم يسبقه الى ذلك أحد ، وإنما شرحه بعض المعاصرين له . ومن هؤلاء : أبو

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد الربعي ، المعروف باللخمي ، امام ، حافظ ، له معرفة بالحديث والفقه ، قيرواني الأصل . كانت الرحلة إليه في وقته . صنف كتبا مفيدة من أحسنها تعليق كبير على المدونة سماه « التبصرة » وهو مشهور معتمد في المذهب . توفي بصفاقس سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .

الدباغ ــ معالم الإيمان (١٩٩/٣) ، مخلوف ــ شجرة النور الزكية (ص ١٧٧) .

(٢) أبو محمد عبد الحميد بن محمد الهروي ، القيرواني ، المعروف بابن الصائغ . سكن سوسه وكان فاضلاً فقيها ، نبيلا ، له تعليق على المدونة . وأصحابه يفضلونه على ابي الحسن اللخمي .

ابن فرحون ــ الديباج المذهب (٢٥/٢) ، مخلوف ــ شجرة النور الزكية (ص ١١٧) .

الحسن بن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي المتوفي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م[١] ، حيث ألف كتابا بعنوان « المفهم في شرح غريب صحيح مسلم »[٢] ، وهو شرح اقتصر فيه على الغريب[٣] .

كذلك اكمل أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي ، المعروف بقوام السنة المتوفي سنة ٥٣٥ هـ/١١٤٠م[٤] . أكمل شرح ابنه على صحيحي البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ، حيث ذكرت المصادر أنه : « كان يملي شرح صحيح مسلم عند قبر ولده ابي عبد الله محمد[٥] ، ويوم تمامه عمل مأدبة وحلاوة كثيرة »[٦] . وكان ابنه قد أملى جملة من شرح الصحيحين على الرغم من صغر سنّه[٧] .

---

(١) أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر . امام ، عالم بارع ، حافظ . كان فقيهاً محققاً ، فصيحاً مفوهاً ، ومحدثاً مجوداً ، مصنف كتاب «مجمع الغرائب» في غريب الحديث ، وكتاب « السياق لتاريخ نيسابور » .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢٢٥/٣) ، الذهبي ـ تذكرة الحفاظ (١٢٧٥/٤) .

(٢) المصدران السابقان (٢٢٥/٣) ، (١٢٧٥/٤) .

(٣) الشاذلي النيفر ـ المازري الفقيه والمتكلم (ص ٨٢) .

(٤) أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد القرشي ، التيمي ، الطلحي . صاحب كتاب « الترغيب والترهيب » كان من أئمة العربية . وإمام في الحديث والتفسير . ولد سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م .

ابن الجوزي ـ المنتظم (٩٠/١٠) ، الذهبي ـ تذكرة الحفاظ (١٢٧٧/٤) ، سير أعلام النبلاء(٨٠/٢٠) .

(٥) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن محمد بن الفضل . كان اماماً في اللغة والعلوم والفصاحة والبيان والذكاء ، وكان أبوه يفضله على نفسه في اللغة وجريان اللسان . وله مؤلفات كثيرة مع صغر سنّه . مات بهمذان سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م .

الذهبي ـ تذكرة الحفاظ (١٢٨٠/٤) .

(٦) المصدر السابق نفسه (١٢٨٠/٤) ، سير أعلام النبلاء (٨٣/٢٠) .

(٧) المصدران السابقان (١٢٨٠/٤) ، (٨٤/٢٠) .

وهذا الشرح لصحيح مسلم الذي أكمله ابو القاسم بعد وفاة ابنه ، إنما أكمله وهو في آخر عمره ، ثم إنه تكملة لشرح ابنه الصغير السنّ . كما أن الشرحين السابقين لصحيح مسلم لم يكتب لهما البقاء[1] .

وكتاب « المعلم بفوائد مسلم » تم تأليفه في شهر رمضان من عام ٤٩٩هـ/١١٠٥م حيث قرئ صحيح مسلم على ابي عبد الله المازري ، فتكلم على نقاط فيه ، كتبها عنه تلاميذه ، ثم جمعت ، فنظر فيها الإمام المازري ، وهذّبها ، وأخرجها في كتابه المذكور الذي جاء في مقدمته : « هذا كتاب قصد فيه الى تعليق ماجرى في مجالس الفقيه الامام الجليل أبي عبدالله محمد بن علي المازري رضى الله عنه حين القراءة عليه لكتاب مسلم بن الحجاج رحمه الله في شهر رمضان المكرم من سنة تسع وتسعين واربعمائة ، منقولا ذلك بحكاية لفظ الفقيه الإمام أيده الله ، وأكثره بمعناه[2] .

وتذكر المصادر أن الإمام المازري لم يكن يقصد تأليف « المعلم » ، حيث شرح ابن الآبار كيفية تأليف المعلم عند ذكره لأبي مروان عبيد الله بن عبد الله بن عيشون[3] ، ونصه : « لقي أبا عبد الله المازري بالمهدية ، وحكى عنه أنه سمعه يقول وقد جرى ذكر كتابه « المعلم بفوائد مسلم » : أني لم أقصد تأليفه ، وإنما كان السبب فيه : أنه قرئ عليّ كتاب مسلم في شهر رمضان فتكلمت على نقط منه ، فلما فرغنا من القراءة عرض عليّ الأصحاب ماأمليته عليهم فنظرت فيه وهذّبته . فهذا كان سبب جمعه »[4] .

وقد أصبح لكتاب « المعلم » شهرة واسعة في البلاد الإسلامية شرقاً

---

(١) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم ـ مقدمة التحقيق (١/١٨٩ ـ ١٩٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١/٢٦٩ ـ ٢٧٠) .

(٣) أبو مروان عبيدالله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عيشون المعافري ، وقيل اسمه : عبد الملك . من أهل بلنسيه . كان على غاية من الفضل والصلاح . توفي سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م .
ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢/٩٣٦) ، مخلوف ـ شجرة النور الزاكية (ص ١٥٢) .

(٤) المصدران السابقان (٢/٩٣٦) ، (ص ١٥٢) .

وغرباً ، وتحدث عنه العلامة ابن خلدون فقال : « وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به ، وأكبوا عليه ، وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح ، مما لم يكن على شرطه ، وأكثر ماوقع له في التراجم . وأملى الإمام المازري من كبار فقهاء المالكية عليه شرحاً سمّاه « المعلم بفوائد مسلم » اشتمل على عيون من علم الحديث ، وفنون من الفقه ، ثم أكمله القاضي عياض بعده وتمّمه وسمّاه « اكمال المعلم » وتلاهما محي الدين النووي(١) ، بشرح استوفى مافي الكتابين وزاد عليهما فجاء شرحا وافيا »(٢) .

وقد علق حسن حسنى عبد الوهاب على كلام ابن خلدون قائلا : « وغفل ابن خلدون في تعريفه بشرح المازري ، على أنه اشتمل ايضا على مسائل كثيرة في أصول الكلام ، وأبحاث قيّمه في الأنظمه الإسلامية ، ومسائل الخلاف ، كمسألة الاجتهاد ، والامامة ، وشروط البيعة ، والمفاضلة بين الصحابة ، وجواز الجوسسة في الحرب وغيره مما يطول تعداده(٣) .

---

(١) أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسن الحوراني ، النووي ، الشافعي علامة بالحديث والفقه ، من أهل نوا من قرى حوران بسورية . صاحب المؤلفات الكثيرة منها : « تهذيب الأسماء واللغات » و « روضة الطالبين » و « رياض الصالحين » و « الأربعون حديثاً النووية » وغير ذلك توفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م .
السبكي ـ طبقات الشافعية (١٦٥/٥ ـ ١٦٦) ، الزركلي ـ الاعلام (١٤٩/٨) .

(٢) ابن خلدون ـ المقدمة (ص ٣٧٠) .

(٣) حسن حسني عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٠) ، وقد أكمل القاضي عياض السبتي المتوفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م ، كتاب الامام المازري « المعلم » بشرح سمّاه « اكمال المعلم » وطريقته فيه ان يذكر مافي الأصل « المعلم » ثم يعقب عليه بكلامه . وأكمل محمد بن خلفه بن عمر الأبي الوشتاتي المالكي المتوفي سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م كتابي المازري وعياض بكتاب سماه « اكمال المعلم » جمع فيه شرحي الامام المازري والقاضي عياض ، وأضاف اليهما شرحي ابي زكريا يحى بن شرف النووي المتوفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م ، وأحمد بن عمر القرطبي المتوفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م . المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٢٠١/١ ـ ٢٠٢) .

وللإمام المازري كتاب آخر يتعلق بالحديث ، وهو عبارة عن تعليق على أحاديث أبي بكر الجوزقي[1] ، التي جمعها من مسند الإمام مسلم القشيري رحمه الله ، وهي كالشرح لما كان مغمضاً منها[2] .

وتعليقه الإمام المازري على كتاب الجوزقي لم يكتبها بقلمه ، وإنما علقها بعض تلاميذه ، كما أفاد ابن غازي[3] ، في تعليقه على البخاري حيث يقول عندما يحكي عن الإمام المازري : فيما علق عنه على كتاب الجوزقي[4] .

وقد اعتمد ابن غازي في تعليقه على صحيح البخاري تعليقه المازري على كتاب الجوزقي ، فذكر أنه يشير بحرف (ز) الى هذه التعليقه [5] .

وكانت طريقة الإمام المازري في هذه التعليقه غير طريقته في «المعلم» إذ يظهر منها أنه اعتمد على شيوخه فيها[6] .

---

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا ، الشيباني ، الخراساني ، الجوزقي ، صاحب الصحيح المخرّج على كتاب مسلم ، وهو محدث بنيسابور وله كتاب الأربعون في الحديث » وكتاب « الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم » وكتاب « المتفق الكبير » الذي يقع في ثلاثمائة جزء ، و« المتفق في الفروع » . توفي سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م .
الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٤٩٣/١٦) ، البغدادي ـ هدية العارفين (٥٦/٢) .

(٢) حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٣) .

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي ، العثماني ، المكناسي ، الفاسي ، مقرئ محدث ، مؤرخ ، فقيه . ولي خطابة مكناسه . وكان حسن الأخلاق والهيئة . من مؤلفاته « شفاء الغليل في حل مقفل خليل » و« تكميل التقييد » على المدونه . وله تقييد على صحيح البخاري . توفي سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م .
التنبكتي ـ نيل الإبتهاج بتطريز الديباج (ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤) ، كحاله ـ معجم المؤلفين (١٦/٩) .

(٤) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٨٩/١) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٩٠/١) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٩٠/١) .

وللإمام المازري تلاميذ ، بعضهم التقى به وأخذ عنه مباشرة ، وبعضهم أخذ عنه بالإجازة عن طريق المكاتبة[1] . ودراسة هؤلاء على الامام المازري ليست مقتصرة على علم الحديث ، وإنما شملت جوانب أخرى كالفقه مثلاً[2] .

فمن تلاميذ الامام المازري ، أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي[3] ، الذي أخذ عنه كتاب « المعلم بفوائد مسلم » ونشره في شرق العالم الإسلامي . كما أن الميانشي هو الذي حكى عن الامام المازري البسملة في الفرض[4] .

وكتب أحمد بن طاهر بن علي الأنصاري الخزرجي المتوفي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م[5] ، عن الامام المازري ، وانصرف الى بلده بلنسية بما حمله من علم[6] .

وحمل إبراهيم بن محمد المخزومي القرطبي[7] . كتاب الإمام المازري «المعلم» الى بلده بعد أن التقى بالإمام في المهدية ، وذلك بعد عودته من رحلة الحج[8] .

---

(١) انظر موضوع (الإجازات العلمية في الفصل الثاني من الباب الثاني) .

(٢) عندما نذكر بعض تلاميذ الإمام المازري هنا ، فإن ذلك يغنينا عن ذكرهم مرة أخرى وخاصة عند الحديث عن الإمام المازري كأحد أعلام الفقه .

(٣) أبو حفص تقي الدين عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسين القرشي ، المعروف بالميانشي ، نزيل مكه وشيخها وخطيبها . توفي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م . العقد الثمين (٦/٣٢٤) .

(٤) الونشريسي ـ ايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك (ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨) .

(٥) أبو العباس أحمد بن طاهر الأنصاري الخزرجي . كان عالماً بالمسائل ، محدثا ضابطا . له تصنيف علي الموطا سمّاه كتاب « الإيماء » .

ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة ـ طبعة مجريط (ص ٥٥ ـ ٥٦) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص ٥٥) .

(٧) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن أحمد المخزومي ، من أهل قرطبه ، يعرف بكوزان . كان ثقة عدلاً . المصدر السابق نفسه (ص ١٨٨) ، وطبعه الحسيني (١/١٥٤) .

(٨) المصدر السابق نفسه (ص ١٨٨) ، (١/١٥٤) .

ومن أخذ عن الامام المازري ونشر علمه ، أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن العبيدي[1] ، حيث التقى بالإمام المازري في المهدية[2] .

وأخذ أبو الحسن طاهر بن علي السوسي[3] ، عن الإمام المازري ، ثم رحل الى الأندلس[4] .

وأفاد ابن الآبار أن أبا الحسن السوسي انتقل من سوسة الى المهدية لملازمة أبي عبد الله المازري ، ونتج عن تلك الملازمة ، أن جمع ابو الحسن حكايات عن المازري تلقاها الناس عن ابي الحسن السوسي ، ووقف عليها ابن الآبار بخطه[5] .

والتقى أبو عبد الله محمد بن عيسى ، قاضي شلب[6] ، بالامام المازري وصحبه قرابة ثلاثة أعوام ، قبل أن يذهب للحج ، وأخذ عنه علماً كثيراً[7] .

---

(١) أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الطفيل العبيدي ، المعروف بابن عطيه . امام فقيه محدث . له أرجوزة في القراءات السبع . وأخرى في مخارج الحروف . توفي سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م .
مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٣٥ ـ ١٣٦) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١٣٥ ـ ١٣٦) .

(٣) أبو الحسن طاهر بن علي من أهل سوسه ، صاحب الصلاة والخطبة فيها وقاضيها ، توفي بالأندلس .
المصدر السابق نفسه (ص ١٤٤ ـ ١٤٥) ، الزناد ـ ذكرى المازري (ص ١٦) .

(٤) المصدر والمرجع السابق (١٤٤ ـ ١٤٥) ، (ص ١٦) .

(٥) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٣٤٣/١) .

(٦) أبو عبد الله محمد بن عيسى الشلبي ، من بيت علم وشرف وجاه ، كان من أهل الحفظ للحديث ورجاله والعلم بالأصول والفروع ومسائل الخلاف . توفي بهراه سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م .
المقري ـ نفح الطيب (٤٠٣/٣) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٤٣) .

(٧) المصدران السابقان (٤٠٣/٣) ، (ص ١٤٣) .

ومن تلاميذ الامام المازري أبو صالح علي بن أبي القاسم خلف الأنصاري[1] ، حيث رحل الى المهدية ، وحمل علماً كثيراً عن المازري[2] .

ومن أهل غرناطة ، نجد أن أبا الحسن المعروف بالمقري الغرناطي[3] ، قد التقى بأبي عبد الله المازري ، ودرس عليه وأخذ عنه[4] .

أما الذين أجازهم الإمام المازري فقد ذكرت المصادر بعضاً منهم . ومنهم من أجازه بعد أن تم اللقاء بينهما ، ومنهم من أجازة بالمكاتبة[5] .

وأشهر تلاميذ الامام المازري بالإجازة القاضي عياض اليحصبي السبتي[6] . ومنهم أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلصه الحميري من أهل الأندلس ، وآخر من حدّث عنه بالأندلس[7] .

---

(١) أبو صالح علي بن أبي القاسم خلف بن عامر الأنصاري . الإمام الفقيه المقرئ ، المتكلم رحل الى فأس وتونس . توفي سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م .
مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٥٦) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١٥٦) .

(٣) أبو الحسن علي بن محمد المقري الغرناطي ، الفقيه ، المحدث ، المتكلم . من مؤلفاته « نزهة الأصفياء في فضل الصلاة على خير الأنبياء » ، و« شمائل النبي صلى الله عليه وسلم » ، « السداد في شرح الإرشاد » ، توفي سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م .
المصدر السابق نفسه (ص ١٤٥) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ١٤٥) .

(٥) انظر موضوع (الاجازات العلمية في الفصل الثاني من الباب الثاني) .

(٦) انظر موضوع (الإجازات العلمية) .

(٧) أبو سليمان أحمد بن محمد بن ابراهيم بن يحي بن ابراهيم ابن خلصه الحميري من أهل قرطبه ، والخطيب بجامعها . درس علوم اللسان . وتصدر للإقراء بجامع قرطبه وتوفي وهو على المنبر يخطب الجمعه في سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م .
ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة ـ طبعة مجريط (ص ١٢٥) ، المراكشي ـ الذيل والتكملة (٣٩٤/١ ـ ٣٩٥) .

ومنهم أبو يحي زكريا بن الحداد المهدوي ، قاضي المهدية ، وآخر من أخذ عنه شرح مسلم[1] .

وقد عني الامام المازري بتلميذه ابن الحداد عناية خاصة ، وذلك نظرا لتحققه من دينه وعلمه وفضله ، فرشحه للمناصب الشرعية التي اعتذر عن قبولها لنفسه ، حيث أشار على الأمير الصنهاجي يحى بن تميم بن المعز[2] ، باختياره لمنصب القضاء بالمهدية ، فسار فيها سيرة العدل والصلاح ، وخلف شيخه المازري في الرئاسة الدينية الى أن توفي[3] .

ومن تلاميذ الامام المازري بالإجازة ، عثمان بن سعيد الأنصاري[4] ، ومنهم أبو الحسن محمد بن خلف بن صاعد الغساني[5] ، الذي التقى بالامام المازري في المهدية ، وأجاز له ماروواه وألفه ورجع الى الأندلس[6] .

---

(١) أبو يحي زكريا بن الحداد المهدوي ، فقيه ، عالم امام محدث . قاضي المهدية . كان من أكبر تلاميذ الامام المازري . وله فتاوي محرره .
مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٤٤) ، عبد الله الزناد ـ ذكرى الامام المازري (ص ١٦) ، محمد الشاذلي ـ المازري الفقيه والمتكلم (ص ٣٢) .

(٢) يحى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي الحميري ، من ملوك الدولة الصنهاجية . كان عاقلا ، شجاعا ، محبا للفتح . توفي سنة ٥٠٩ هـ/١١١٦م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٦/٢١١) . الزركلي ـ الأعلام (٨/١٣٩) .

(٣) حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٤٠) .

(٤) أبو اسحاق عثمان بن سعيد بن خالد بن عماره الأنصاري من أهل غرناطه . كان من أهل المعرفة في القراءات والحديث ومسائل الفقه . توفي سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م .
ابن الأبار ـ التكملة لكتاب الصلة (ص ١٨٩) .

(٥) أبو الحسن محمد بن خلف صاعد الغساني ، ويعرف باللبلي ، قاضي شلب . كان اماما في القراءات والفقه . توفي سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م .
مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٤٢) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص ١٤٢) .

ومن المرية أجاز أبو عبد الله المازري ، محمد بن يوسف بن سعاده[1] ، بعد أن تم اللقاء بينهما في المهدية ، فسمع ابن سعاده من المازري بعض كتاب «المعلم» وأجاز له باقيه ، وعاد الى مرسيه وألف مؤلفاته بها[2] .

وكذلك التقى أبو الحسن صالح بن أبي صالح بن خلف بن عامر الأنصاري[3] ، وهو من أهل مالقه ، بالمازري وأخذ عنه «المعلم» سماعا لبعضه ، وإجازة لباقيه[4] .

ومن تلاميذه أيضا بالإجازة ، أبو الوليد محمد بن أحمد الشهير بالحفيد الغرناطي[5] .

وممن درس على الامام المازري ، مؤسس دولة الموحدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت وذلك في المهدية[6] .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعاده ، عالم عادل ثقة ، برع في القراءات والتفسير والفقه والحديث والكلام واللغة ، توفي سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م .
مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص١٤٩) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١٤٩) .

(٣) أبو الحسن صالح بن أبي صالح بن خلف بن عامر الأنصاري الأوسي ، العالم الفقيه . كان مقدما في علم الكلام . توفي سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م . المصدر السابق نفسه (ص ١٥٧) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ١٥٧) .

(٥) أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي الوليد بن رشد الشهير بالحفيد الغرناطي ، الفقيه الأديب . حفظ الموطأ . وله مؤلفات كثيرة منها « بداية المجتهد » وكتاب « الكليات في الطب » . ذكر عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل ، إلا ليلة وفاة والدته ، وليلة بنائه بزوجه . توفي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م . المصدر السابق نفسه (ص ١٤٦ ـ ١٤٧) .

(٦) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن . المنعوت بالمهدي الهرغي . صاحب دعوة عبدالمؤمن بن علي ملك المغرب . وواضع أسس الدولة الموحدية . توفي سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م . ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٤٥/٥) ، الزركلي ـ الأعلام (٢٢٨/٦) ، مراجع الفناي ـ قيام دولة الموحدين (ص ١٦٠) .

وبعد فإن ماذكرناه عن تلاميذ الامام المازري ليس إلا نماذج ، ففي استقصاءهم إطالة . وقد نشر تلاميذ المازري علمه ومؤلفاته في بقاع العالم الإسلامي ودرّسوا مؤلفاته ، وشرحوها واكملوها ، ولكن كان للأحداث السياسية أثر على عطائهم مما جعل بعض الباحثين المحدثين[1] ، يتساءل مستفسرا ، لماذا لم يكن للمازري طلبة مثل سحنون قبله ، وابن عرفه بعده[2] ؟ فقد أحياهما تلاميذ هذين العالمين ، فأصبح لكل منهما مدرسة شهيرة . والمازري لايقل أهمية عن سحنون ، ومنزلته العلمية تفوق منزلة ابن عرفه .

ويجيب الشيخ النيفر على هذا السؤال ، بأن تلاميذ المازري كثيرون ، وتأثرهم به بالغ ، لايقل عمن تقدم عنه ، أو تأخر عنه ، وإنما لم يتمكنوا من نشر علمه في الناس بسبب ماوقع من سقوط المهدية العاصمة ، وغيرها من البلدان الساحلية في يد النورمان ، ومن أحداث أخرى بلبلت الأفكار . فإنهم لاشك قد تفرقوا شذر مذر ، لقرب مابين وفاته التي كانت سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م ، وسقوط المهدية الذي كان في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م .

ثم إن الفوضى التي كانت عليها البلاد لاتدع وقتا لطلبته أن يبثوا علمه حتى يشار اليهم بأنهم من تلاميذ المازري الذي يحملون فكرته ، كما هو الأمر مع سحنون وابن عرفة ، فإن تلاميذهما كانوا تعريفا بالغاً بهما .

وهناك سبب آخر لاشك أن له تأثيره . وهو أن افريقية دخلت تحت لواء الموحدين ، وهم محاربون لمذهب مالك . ففي هذا الجو المعاكس تضاءل المذهب

---

(١) الشاذلي النيفر ـ المازري الفقيه والمتكلم (ص ٣٣ ـ ٣٤) .

(٢) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفه الورغمي ، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره ، من مؤلفاته « المختصر الكبير » في فقه المالكية ، و« المبسوط » في الفقه ويقع في سبعة مجلدات ، و« المختصر الشامل » في التوحيد . كان متقدما في النحو والفقه والتفسير . توفي سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م .
الزركلي ـ الأعلام (٧/٤٣) .

المالكي ، فلم يستطع رجاله أن يشتهروا كما اشتهر غيرهم في الأزمنة السابقة واللاحقة .

كذلك من الأمور التي أدت الى عدم قيام تلاميذ الامام المازري بدورهم ، أن المهدية التي عاش فيها ، لم تصل في اتساع العمران مثل القيروان وتونس في عصري سحنون وابن عرفة ، كما أن سحنون وابن عرفه عاشا في فترة استقرار سياسي ، وتحت رعاية دولة قوية كالأغالبة في عصر سحنون . وهذا بخلاف الدولة الصنهاجية فإنها توالت عليها المحن من الزحف المتدفق من الأعراب ومن انقسام الدولة[1] .

وهذا يدل بوضوح على أهمية الاستقرار السياسي للدول وماينتج عنه من تطور في شتى المجالات الثقافية والاقتصادية ، والاجتماعية وغيرها . ففي ظل الاستقرار السياسي يخرج لنا طلاب العلم ، والشيوخ ، والمؤلفون والشارحون ، وغيرهم . والاستقرار المذهبي ، لايقل أهمية عن الاستقرار السياسي ، بل هما مرتبطان ببعض . ذلك أنه إذا اختلف المذهب لدولة معينة بانحسار مذهب سابق ، فإنه يؤدي تلقائياً الى عدم بروز علماء ذلك المذهب المنحسر ، وتلاميذ مشائخه ، ويبدأ المذهب الجديد وعلمائه وطلابه في الظهور على الساحة .

ونختتم القول عن علم الحديث ببيان الدور الذي قام به عمر بن خلف بن مكي الصقلي المتوفي سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م في مجال الحديث .

وابن مكي الصقلي ليس لغوياً فحسب ، وإنما هو من علماء الحديث الصقليين ، فقد ذكرت المصادر التي ترجمت له أنه محدث ، فقيه ، خطيب ، شاعر ، ولقبتّه بـ « الامام »[2] ، و«الشيخ الجليل»[3] ، و«اللغوي المحدث»[4] .

وكان ابن مكي الصقلي من أكابر علماء عصره ، وقد أدى به تقدمه في العلم الى أن تولى منصب القضاء في تونس بعد خروجه من صقليه ، اثر

---

(١) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم ـ مقدمة المحقق (١/٧٥ ـ ٧٦) .

(٢) ابن دحية ـ المطرب (ص ٨٨) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٩٢) . (٤) السيوطي ـ بغية الوعاة (٢/٢١٨) .

استيلاء النورمان عليها . قال ابن خلدون وهو يتحدث عن نهاية صقليه والصراعات الأخيرة بها : « ورجع الى افريقية عمر بن خلف بن مكي فنزل وولي قضاءها »[1] .

وقد أفرد ابن مكي الصقلي باباً في غلط أهل الحديث في كتابه « تثقيف اللسان »[2] . وهو بذلك انما يدلنا على اهتمام اللغويين في صقليه بالحديث النبوي ودراسته وعلومه وعدم الأخطاء في نقل معلوماته . ومن أمثلة ماأورده ابن مكي مايلي :

يقولون : « موطا مالك » بغير همز . والصواب : « الموطأ » مهموز .

ويقولون : «الملخَّص» بفتح الخاء . والصواب : « الملخِّص » بكسرها[3] .

ويقولون : « هذا يوم عاشورا » ، والصواب : « عاشوراء » بالمد[4] .

ويقولون : « المسيخ الدجال » بالخاء معجمة . والصواب بالحاء غير معجمة[5] .

---

(١) ابن خلدون ـ العبر (٤/٢٦٩) .
(٢) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص ٢٥١) .
(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٢٥١) .
(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٢٥٣) .
(٥) المصدر السابق نفسه (ص ٢٥٤) .

ثالثاً : علم الفقــه :

للفـقـه أهمـيـتـه عند علمـاء المسلمين ، وذلك لارتبـاط هذا العلم بالدين الإسـلامي ، وعمق اتصاله بمصادره الكريمة المتمثلة في كتـاب الله عـز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فقد نال من المسلمين عناية بالغة ، وخـرج لنا كثيـر من الفقـهاء لدراسة هذا العلم في كافة ارجاء البـلاد الاسلامـية ، فيسروا قواعده ، ووضحوا تعاليمه للمسلمين .

وقـد عرف ابن خلدون الفـقه بقـوله : « هو مـعـرفة أحكام الله تعـالى في أفعـال المكلفين بالوجوب والحذر ، والنـدب ، والكراهة ، والإباحـة . وهي مـتلقـاه من الكتـاب والسنة ومانصبه الشـارع لمعرفـتها من الأدلة ، فإذا اسـتخـرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها : فقه . وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم »(١) .

أما عن الدراسات الفـقهية في صـقلية فإنها تاثرت بما كـان في القيروان من دراسـات فقهية في البدايات الأولى(٢) ، حيث وفد اليها عدد كبير من العلماء والفقهاء من القيروان بعد فتحها ؛ وكان على رأس هؤلاء القاضـي القائد الفاتح أسد بن الفرات ، وبعض أتبا ع فقيه افريقية سـحنون . كعبد الله بن حمـدون الكلبي(٣) . وعبد الله بن سـهل القبرياني الذي تولـى قضـاء صـقليه(٤) . ودعامـه بن مـحمد الفقيه ، وكان قـاضـياً على صـقليه(٥) . والفقـيه أبو عمرو مـيمون بن عمرو بن المغلوب الافريقي ، وهـو أيضـاً ممن تولى قضـاء صـقليه(٦) .

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة (٤٤٥) .

(٢) ذكرنا ذلك مفصـلاً في الفصل الثاني من البـاب الأول ، وأشرنا الى دور هـؤلاء الفقـهاء في صقليه .

(٣) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ٩٥) .

(٤) الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص ١٣٤) ، عياض ـ ترتيب المدارك (٩٤/٣) .

(٥) ابن عذاري ـ البيان المغرب (١٦١/١) .

(٦) المالكي ـ رياض النفوس (١٧٩/٢) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٣٥٦/٢) .

ومن أصحاب سحنون أيضاً أبو الربيع سليمان بن سالم القطان والذي يعرف بابن الكحاله ، وقد وفد إلى صقليه قاضياً عليها[1] . وفيه قال الشيرازي : « وعنه انتشر مذهب مالك بها »[2] .

ومن الفقهاء الذين وفدوا على صقليه ابو سعيد لقمان بن يوسف الغساني الذي ظل يدرس المدونة لمدة أربعة عشر عاماً بها[3] . ومنهم أيضاً محمد بن ابراهيم بن أبي صبيح الذي درس الفقه على أصحاب سحنون ، وخرج الى صقليه[4] . وكذلك محمد بن محمد بن خالد القيسي ، وهو من أصحاب محمد ابن سحنون ، فقد تولى قضاء صقليه لمدة عشرين سنة[5] . وكان لاستقرار البرادعي بها أثره الكبير على الدراسات الفقهية ، وهو الذي ألف كتبه بها[6] .

وليس معنى أن صقليه تأثرت بدراسات القيروان الفقهية ، أنه لم يتكون لها مدرسة فقهية خاصة بها من أبنائها الصقليين . فقد ظهرت تلك المدرسة ولكن في وقت متأخر نسبياً يرجع الى القرن الرابع الهجري ، ومن أسباب ذلك التأخير ، طول فترة الفتح وماتبع ذلك من أحداث سياسية .

ومن أوائل فقهاء صقلية وشيوخها أبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن ، المعروف بابن الحصائري[7] ، الذي كان حياً في القرن الرابع الهجري ، وبداية الخامس ، حيث درس عليه بعض فقهاء صقليه المشهورين كابن يونس الصقلي المتوفي سنة ٤٥١هـ/١٠٤٩م ، وعتيق السمنطاري ، وعتيق بن عبد الجبار الربعي الفرضي الصقلي . وبذلك يكون ابن الحصائري الصقلي صاحب الدور

---

(١) الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص ١٤٧) ، عياض ـ تراجم أغلبية مستخرجة من المدارك (ص ٢٦٠) .

(٢) الشيرازي ـ طبقات الفقهاء (ص ١٥٨) .

(٣) الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص ١٧١) ، المالكي ـ رياض النفوس (١٩٣/٢) .

(٤) عياض ـ ترتيب المدارك (٣٥٧/٣) .

(٥) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٠/٣) .

(٦) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٠٨/٤) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٦/٣) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٣٤٩/١) .

(٧) عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٥/٤) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ٩٨) .

الأكبر في تأسيس مدرسة صقليه الفقهية المستقلة عن القيروان ، حيث أن هؤلاء الذين تخرجوا على يديه أصبحوا يمثلون فيما بعد شعلة النشاط الفقهي في صقليه .

والمعلومات التي بين أيدينا عن ابن الحصائري الصقلي قليلة ولاتمثل الدور الذي قام به .

وبالنظر الى شيوخ ابن الحصائري الصقلي نجد أن من بينهم ابن أبي زيد القيرواني[١] ، الفقيه المالكي المشهور ، فقد التقى به في القيروان وأخذ عنه علماً كثيراً[٢] ؛ وأبي الحسن بن بكرون[٣] . كما درس على الفقيه محمد بن أحمد بن يزيد القروي[٤] . وقد وصف ابن الحصائري بأنه : « عالم فقيه فاضل الرواية مع ورع ودين »[٥] .

ومن فقهاء صقليه أبو بكر بن العباس[٦] . وهو فقيه فاضل ، درس على يد الفقيه علي بن محمد المعافري ، المعروف بالقابسي ، صاحب كتاب «الملخّص»[٧] . وقد أدخل أبو بكر بن العباس كتاب «الملخص» الى صقليه .

وفي صقليه قام بتدريس «المدونة» ، وعنه أخذها أهل صقليه ، فكان من أشهر تلاميذه ابن يونس الصقلي ، وعتيق السمنطاري . وقد أثنت المصادر على أبي بكر ابن العباس الصقلي ووصفته بأنه : « امام علم الفرائض »[٨] . ولذلك تذكره المصادر بإسم « الفرضي »[٩] ، وأنه : « فقيه صقليه وعالمها ومدرسها »[١٠] .

---

(١) انظر (ص ١٢٧) من هذا البحث .

(٢) المصدران السابقان (٤/٧١٥) ، (ص ٩٨) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .   (٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ٩٨) .

(٦) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧١٦) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ٩٨) .

(٧) انظر موضوع (علم الحديث في صقليه) .

(٨) المصدران السابقان (٤/٧١٦) ، (ص ٩٨) .

(٩) المصدران السابقان (٤/٧١٦) ، (ص ٩٨) .

(١٠) المصدر السابق نفسه (ص ٩٨) .

ومن شيوخ ابي بكر الفرضي ، ابن ابي زيد القيرواني ، حيث درس عليه علوم الفقه ، وكان أبو بكر بن العباس يقدّر كثيرا شيخه ابن ابي زيد ويجلّه ، فقد ذكره يوماً في مجلس فتاويه ، وذكر فضائله فبكى[1] .

ومن فقهاء صقليه الذين أشارت اليهم المصادر اشارة عابرة ، ولم توضح مايتعلق بدراساتهم ومؤلفاتهم وخلاف ذلك ، عتيق بن عبد الجبار الربعي الفرضي . فقد ورد أنه من شيوخ ابن يونس الصقلي ، ومن تلاميذ ابن الحصائري الذي سبق ذكره آنفا[2] .

ومن أشهر فقهاء صقليه وعلمائها ، ابن يونس الصقلي وهو أبو بكر محمد ابن عبد الله بن يونس التميمي ، الصقلي ، المتوفي سنة ٤٥١هـ/١٠٤٩م[3] . والذي أسس مع الفقيه عبد الحق الصقلي ، والشيخ المحدث عتيق السمنطاري مدرسة صقليه الفقهية المستقلة .

ومع أن ابن يونس الصقلي من أشهر فقهاء صقليه ، إلا أن كثيرا من المصادر لم تشر اليه ، وخاصة تلك التي تتحدث عن التراجم .

وقد امتدح القاضي عياض ، ابن يونس الصقلي بقوله : « كان فقيها فرضيا حاسبا »[4] ، وقال عنه ابن فرحون : « كان فقيهاً ، اماماً ، عالماً ، فرضياً »[5] ، وأضاف بأنه كان : « ملازماً للجهاد ، موصوفاً بالنجدة »[6] . وقال مخلوف عنه : « أنه أحد العلماء وأئمة الترجيح الأخيار »[7] .

(١) الدباغ ـ معالم الإيمان (١١٣/٣) .

(٢) عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٥/٤) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢٤٠/٢) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ٩٨) .

(٣) المصادر السابقة نفسها (٨٠٠/٤) ، (٢٤٠/٢) ، (ص ١١١) .

(٤) عياض ـ ترتيب المدارك (٨٠٠/٤) .

(٥) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢٤٠/٢) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٢٤٠/٢) .

(٧) مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١١١) .

وقد درس ابن يونس الصقلي الفقه على علماء بلده ، فمن شيوخه الذين تتلمذ عليهم أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحصائري الصقلي ، وأبي بكر بن العباس وعتيق بن عبد الجبار الفرضي ، وكان هؤلاء يمثلون البدايات الفعلية لبروز صقليه في مجال الدراسات الفقهية .

كما درس ابن يونس الصقلي على شيوخ القيروان ، وأخذ عنهم علماً كثيراً ومن هؤلاء علي بن محمد الربعي ، المعروف باللخمي ، وأبي الحسن القابسي(١) . وأبي عمران الفاسي(٢) ، وعبد الحميد الهروي ، المعروف بابن الصائغ(٣) .

أما عن نشاط ابن يونس الصقلي في مجال التآليف فقد ألف كتاباً في الفرائض لم تشر المصادر الى أسمه ، ولكنها أكدّت ذلك بوصفها لابن يونس الصقلي بـ« الفرضي » .

أما عن أشهر مؤلفات ابن يونس فهو كتابه « الجامع » على المدونه . والذي سمّاه مؤلفه كما هو مكتوب على ورقته الأولى : « الجامع لمسائل المدونة وشرحها وذكر نظائرها وأمثالها »(٤) . وقد وصف القاضي عياض جامع ابن يونس على المدونة بأنه : « شرح كبير للمدونة وعليه اعتماد الطالبين بالمغرب للمذاكرة »(٥) .

---

(١) سبقت الاشارة اليهما .

(٢) أبو عمران موسى بن عيسى بن ابي حجاج الغفجومي . أصله من فاس ، واستوطن القيروان ، وحصلت له بها رئاسة للعلم ، رحل الى قرطبه ، والى المشرق . وكان من أحفظ الناس وأعلمهم بالمذهب المالكي . له كتاب « التعليق على المدونة » . توفي سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٣٣٧) .

(٣) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٨٠٠) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٢٤٠) ، كحاله ـ معجم المؤلفين (١٠/٢٥٢) .

(٤) ابن يونس ـ الجامع لمسائل المدونة ـ مخطوط ـ معهد البحوث بجامعة أم القرى رقم (١٥٨) فقه ورقه (١) ، ويعمل حالياً مجموعة من الباحثين على تحقيق الكتاب وإخراجه بجامعة أم القرى .

(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٨٠٠) .

وذكر ابن فرحون أن ابن يونس الصقلي لم يقتصر على « المدونة » في كتابه الجامع وإنما أضاف على « المدونة » غيرها من الأمهات[1] . ثم قال : «وعليه اعتماد طلبة العلم للمذاكرة»[2] .

وتزداد أهمية ومكانة جامع ابن يونس ، إذا عرفنا أن فقهاء المالكية المتأخرين يطلقون عليه اسم « مصحف المذهب » وذلك نظراً لصحة مسائله ووثوق صاحبه[3] .

وجاء في أرجوزة الشنقيطي عن جامع ابن يونس :

واعتمدوا الجامع لابن يونس وكان يدعى مصحفاً لكن نسي[4] .

وكان ابن يونس الصقلي بكتابه الجامع ، أحد الأربعة الذين اعتمد الشيخ خليل[5] ، ترجيحاتهم في مختصره حيث قال : « قد سألني جماعة أبان الله لي ولهم معالم التحقيق ، وسلك بناويهم انفع طريق ، مختصراً على مذهب مالك بن أنس رحمه الله ، فأجبت سؤالهم بعد الاستخارة . مشيراً بـ (فيها) للمدونة . وبـ (أُوِّل) إلى إختلاف شارحيها في فهمها . وبـ (الترجيح) لابن يونس »[6].

وهذا يدل على أن ابن يونس الصقلي بلغ مرتبة عظيمة بين فقهاء المالكية ، حتى انفرد بالاعتماد عليه عند الترجيح في المذهب . قال ابن عرفه عن تخصيص ابن يونس بالترجيح : أنه من ضمن الذين تعبوا في تحرير المذهب وتهذيبه[7] . كما أن ابن يونس لم يأخذ كثيرا من أقوال سابقيه . قال ابن

---

(١) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٢٤٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٢/٢٤٠) .

(٣) الفاسي ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (٢/٢١٠) ، عبد العزيز بن عبد الله ـ معلمة الفقه المالكي (ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨) .

(٤) الشنقيطي ـ الطليحة (ص ٨٠) .

(٥) ضياء الدين خليل بن اسحاق بن موسى ، فقيه مالكي من أهل مصر ، ولي الافتاء على مذهب مالك . له « المختصر » في الفقه شرحه كثيرون وترجم الى الفرنسية ، وله كتاب « التوضيح » شرح به مختصر ابن الحاجب ، توفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م . الزركلي ـ الاعلام (٢/٣١٥) .

(٦) الشيخ خليل ـ المختصر (ص ٣ ـ ٤) .

(٧) ابن عرفه ـ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/٢٠ ـ ٢١) ، محمد عليش ـ شرح منح الجليل (١/١١) .

عرفه : « وخص ابن يونس بالترجيح لأن اجتهاده في الميل الى بعض أقوال من سبقه ومايختاره لنفسه قليل »[١] . أي التزام ابن يونس بالمذهب كان السبب في الاعتماد على ترجيحاته[٢] .

كما أعتمد فقهاء المالكية جامع ابن يونس كتاباً للفتوى في مذهبهم ، فقد ورد في المعيار[٣] أن أحد فقهاء المالكية سُئل عن الكتاب المعتمد في الفتوى ، فأجابه ، اعتمدوا الموطأ ، والمنتقى[٤] ، والمدونة لسحنون ، وابن يونس ، والمقدمات[٥] ، والنوادر[٦] .

ومما جاء في مقدمة ابن يونس قوله : « فقد أنهى اليّ مارغب فيه جماعة من طلبة العلم ببلدنا في اختصار كتب المدونة وتآليفها ، وبسط ألفاظها ، وتتبع الآثار المروية فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه رضي الله عنهم ، واسقاط اسناد الآثار ، وكثير من التكرار ، وشرح ماأشكل من مسائلها وبيان وجوهها ، وتمامها من غيرها ، فسارعت الى ذلك رجاء النفع والمثوبة عليه ، وأدخلت فيها مقدمات أبواب ابن أبي زيد رحمه الله وزياداته إلا اليسير ، وطالعت في كثير منها مانقله في النوادر ، ونقلت كثيرا من الزيادات من أمهات كتاب ابن المواز[٧] ، ولم أخل من العزو إلى نقل ابي محمد واختصاره فيها ، وعملت على الأصح عندي من ذلك ، وربما قدّمت وأخرت مسائل يسيرة »[٨] .

---

(١) المصدران السابقان (١/٢٠ ـ ٢١) ، (١/١١) .
(٢) المصدران السابقان (١/٢١) ، (١/١١) .
(٣) الونشريسي ـ المعيار المغرب (١١/١٠٩ ـ ١١٠) .
(٤) كتاب المنتقى في شرح الموطأ لمؤلفه أبي الوليد خلف بن سعد الباجي .
(٥) كتاب المقدمات لمؤلفه أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، الفقيه المالكي .
(٦) كتاب النوادر لمؤلفه أبي محمد ابن أبي زيد القيرواني .
(٧) أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن زياد الاسكندراني ، المالكي ، ابن المواز . انتهت اليه رئاسة المذهب في وقته . توفي سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م .
الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٣/٦) .
(٨) ابن يونس ـ الجامع لمسائل المدونة (ورقة ١) .

وجامع ابن يونس تزداد أهميته لأنه ينقل عن كتب مفقودة ، ولم يعثر عليها حتى الآن مثل كتاب « المبسوط » للقاضي عبد الوهاب المالكي[1] . وكتاب « الواضحة » لعبد الملك بن حبيب السلمي . و« المجموعة » لابن عبدوس[2] .

وقد خرج جامع ابن يونس من صقليه إلى بلدان العالم الإسلامي بعد تأليفه ، فقد وصل الكتاب الى سبته[3] ، حيث أدخله الشيخ أبو عبد الله محمد بن خطّاب اليها[4] . وانتسخه منه قاضي سبته محمد بن عيسى التميمي[5] ، وكان يعرف به في مجلسه حتى كثر عنده الناس[6] .

وأخيرا إذا عرفنا أن ابن يونس الصقلي عاش في نهاية القرن الرابع الهجري وبداية الخامس الهجري ، وأن هذه المرحلة في مصطلح المالكية تعتبر حلقة الوصل بين المتقدمين والمتأخرين من المذهب ، أدركنا أهمية مايمثله هذا الكتاب بالنسبة للفكر الفقهي بصفة عامة ، والمالكي بصفة خاصة ، إذ أن هذه المرحلة تعتبر امتداداً لمرحلة الأزدهار الفقهي الذي بدأ من القرن الثاني الهجري .

---

(١) أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد التغلبي العراقي صاحب كتاب «التلقين» وكتاب «المعرفة» . توجه الى مصر وولي قضاءها الى أن مات بها سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٢١٩) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٢٦) .

(٢) محمد بن ابراهيم بن عبدوس بن بشير . من كبار أصحاب سحنون وأحد أئمة الفقه ، ومن حفاظ مذهب مالك . وله كتب أخرى غير المجموعة . توفي سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م .
المصدر السابق نفسه (٢/١٧٤ ـ ١٧٥) .

(٣) مدينة مشهورة بالمغرب ، وينسب اليها مجموعة من العلماء والجغرافيين كالقاضي عياض ، والشريف الإدريسي . ياقوت ـ معجم البلدان (٣/١٨٢) .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) محمد بن عيسى بن حسين السبتي . كان محدثا ، عالي الرواية وهو امام المغرب في وقته تولى قضاء سبته وحدث بها ، ورحل الى الأندلس . وكان كثير الكتب . توفي سنة ٥٠٥هـ/١١١٠م .
اسماعيل الخطيب ـ الحركة العلمية في سبته (ص ١٥١ ـ ٢٢٩) .

(٦) الفاسي ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (٢/٢١٠) .

وهـذا الكتـاب إذا قـدر له أن يحـقق ويطبع سـيكون أول شـرح يظهـر «للمدونة» وأول دراسة كاملة لها .

ومن فـقـهـاء صـقليه أبو بكر عتـيق بن علي بن داود بن يحي التـميمي ، المالكي ، الصـقلي المعـروف بالسـمنطاري المتـوفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م[1] ، والذي وصـف بأنه « رجـل صـالح عـابد »[2] . وله مـؤلفات في الفقـه والحـديث وصفت بأنها : « حسان وفي غاية الترتيب والبيان »[3] .

وكان قد درس بصـقليه على شيوخـها أمثال الحصـائري ، وأبي بكر بن العباس الفرضي[4] .

ويعتبـر الفقيه السمنطـاري ، من مؤسسي مدرسة صـقليه الفقهية فهو من معاصري ابن يونس وعبد الحق الصقلي .

أما الفقيه أبو محمد عبد الحق بن مـحمد بن هارون السـهمي القرشي الصقلي ، الملقب بالإمام شيخ المالكية ، المتوفي سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م[5] ، فيعد من أشـهر فقـهاء صـقليه ، وعلى يديه تخرج كثير من فقـهاء صقليه المتـأخرين الذين أدركـهم الغـزو النورمندي على الجزيرة ، وبعضـهم استـقـر بهـا في ظل الولاية النورمندية ، والبعض الآخر خرج منها .

أما عن مـصـادر علمـه وفقهه ، فقد كانت متنوعة ، حيث أخذ عن الشيوخ القـرويين المشـهـورين في عـصـره أمـثـال ابي بكر أحـمـد بن عـبـد الرحـمن

---

(١) عياض ــ ترتيب المدارك (٤/٧١٥) ، ياقوت ــ معجم البلدان (٣/٢٥٣) ، مخلوف شجرة النور الزكية (ص ٩٨) ، البغدادي ــ هدية العارفين (١/٦٥١) ، كحاله ــ معجم المؤلفين (٦/٢٤٨) .
(٢) ياقوت ــ معجم البلدان (٣/٢٥٣) .
(٣) المصدر السابق نفسه (٣/٢٥٣) .
(٤) عياض ــ ترتيب المدارك (٤/٧١٦) ، مخلوف ــ شجرة النور الزكية (ص ٩٨) .
(٥) عيـاض ــ ترتيب المـدارك (٤/٧٧٤) ، الذهبي ــ تذكرة الحـفـاظ (٣/١١٦٠) ، سيـر أعلام النبلاء (١٨/٣٠١) ، ابن فرحون ــ الديباج المذهب (٢/٥٦) ، مخلوف ــ شجرة النور الزكية (ص ١١٦) .

الخولاني[1] ، وأبي عمران الفاسي ، وعبد الله الأجدابي[2] ، كما درس عبد الحق الصقلي على أحد الشيوخ القرويين البارزين في الفقه ، وهو الشيخ ابراهيم بن حسن المعافري التونسي[3] . ومن شيوخه أيضا عبد الخالق السيوري ، أحد أئمة القيروان[4] ، ومنهم أيضا ابن بنت خلدون[5] .

وفي صقليه تفقه عبد الحق على شيوخها ومنهم أبو بكر بن أبي العباس ، ولم تقتصر ثقافة عبد الحق الفقهية على شيوخ القيروان وصقليه ، بل نجد أنه حج مرتين والتقى في مكة بشيوخها ، حيث التقى في المرة الأولى بالقاضي ابي محمد عبد الوهاب المالكي ، صاحب كتاب «التلقين» كما التقى بأبي ذر الهروي[6] .

---

(١) أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الخولاني . من أهل القيروان ، وهو أحد الفقهاء المبرزين والحفاظ المعدودين ، لم يكن في وقته أحفظ منه في اجتهاد في العبادة ، توفي سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م .

الدباغ ـ معالم الإيمان (١٦٥/٣) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (١٧٧/١) .

(٢) أبو عبد الله محمد بن يحى الأجدابي ، والذي ينتسب الى اجدابيه من مدن برقه . اليعقوبي ـ البلدان (ص ٣٤٤) ، المالكي ـ رياض النفوس (٣٨٣/٢) .

(٣) أبو اسحاق ابراهيم بن حسن بن يحى المعافري التونسي صاحب كتاب «التعليقه» على المدونة . كان جليلاً ، فاضلاً ، عالماً ، إماماً . وقد قيل فيه البيت التالي :

حاز الشريفين من علم ومن عمل   وقلّما يتأتى العلم والعمل .

توفي سنة ٤٤٣هـ/١٠٤١م .

الدباغ ـ معالم الايمان (١٧٧/٣) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢٦٩/١) .

(٤) أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث التميمي ، المعروف بالسيوري من أهل افريقية وآخر شيوخ القيروان . كان فاضلاً زاهداً . له تعليق على المدونة . توفي سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م .

المصدران السابقان (١٨١/٣) ، (٢٢/٢) .

(٥) أبو الطيب عبد المنعم بن ابراهيم الكندي امام مشهور له تعليق على المدونة . توفي سنة ٤٥٣/١٠٦١م مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٠٧) .

(٦) أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الهروي . أصله من هراه تفقه بمذهب مالك . سكن الحرم فجاور فيه إلى أن توفي . من مؤلفاته . «فضائل القرآن» و«دلائل النبوة» و«فضل مالك بن أنس» توفي سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م .

ابن فرحون ـ الديباج المذهب (١٣٢/٢) ، كحاله ـ معجم المؤلفين (٣٢/٦) .

وفي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م حجّ الفقيه عبد الحق الصقلي للمرة الثانية ، بعد أن كبر سنّه ، وذاع صيته ، واشتهر في الآفاق ، والتقى في حجته تلك بأبي المعالي الجويني ، امام الحرمين(١) . وفي لقائه بأبي المعالي تباحث معه في عدة أشياء وسأله عن مسائل ، أجابه عليها أبو المعالي الجويني ، واعتبرت تلك المسائل مناظرة بينهما ، وانتشرت بأيدي الناس ، واشتهرت .

وهؤلاء هم بعض شيوخ الفقيه عبد الحق الصقلي ، ومن خلال تلك المعلومات التي أمدتنا بها المصادر ، نجد أن مصادر علمه وثقافته متنوعة . فقد أخذ عن شيوخ بلده وشيوخ القيروان ، وشيوخ مكه ، كما أن في مشيخته الامام الجويني ، وهو امام في المذهب الشافعي ، بل هو شيخ الشافعية في عصره ، وذلك يدلنا على أن فقه عبد الحق الصقلي لم يقتصر على المذهب المالكي ، بل كان لديه القدرة على مناظرة شيخ الشافعية في ذلك الوقت ، مما يفيد في تقدمه في علم المذهب الشافعي ، وتلك المناظرات والمسائل التي جرت بينه وبين أبي المعالي الجويني لم تصل الى أن يقدح كل منهما في الآخر ، أو يخطئ وجهة نظره ، أو مسألته بدليل أن الوفاء والودّ بقي بينهما متبادلا ، حيث قال الفقيه عبد الحق معترفاً بفضل أبي المعالي : « لولا كبر سنّي مافارقت عتبة منزله »(٢) . وفي المقابل كان أبو المعالي الجويني يجلّ عبد الحق الصقلي ويحترمه(٣) .

---

(١) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف الجويني ، النيسابوري ، ضياء الدين الشافعي ، امام ، محقق ، مدقق ، أصولي ، متكلم ، وصف بأنه : « إمام الأئمة على الإطلاق شرقا وغربا ، وأنه : نزهة زمانه ، من مؤلفاته كتاب «نهاية المطلب في المذهب» وكتاب «الارشاد في أصول الدين» وكتاب «البرهان في أصول الفقه» وكتاب «مدارك العقول» وغيرها . توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .

ابن الجوزي ـ المنتظم (١٨/٩) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٦٧/٣) ، السبكي ـ طبقات الشافعية (٢٤٩/٣) .

(٢) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٤/٤ ـ ٧٧٥) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٥٦/٢) .

(٣) المصدران السابقان (٧٧٥/٤) ، (٥٦/٢) .

وقد أثنت المصادر على الفقيه عبد الحق الصقلي ، فقد ذكر القاضي عياض في مداركه أنه كان : « من الصالحين ، المتقين ، وفيه قدر أهل العلم ، وسكينتهم وإذعانهم للحق ، وأنه كثير الإنصاف[١] . كما وصف أيضاً بأنه كان : « فقيهاً فهماً ، صالحاً ، ديناً ، مقدماً ، بعيد الصيت ، شهير الخير ، مليح التأليف ، ذكياً »[٢] .

أما بالنسبة لمؤلفاته ، فإنه وبعد عودته من حجته الأولى ألف كتاب «النكت والفروق لمسائل المدونة»[٣] . وذلك في سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م وعنوانه كما يظهر على ورقته الأولى « نكت أعيان مسائل المدونة ، والمختلطة ، والتعريف بمسائل شاعت الفاظها ، وافترقت أحكامها »[٤] .

وقد وصف هذا الكتاب بأنه : «مفيد عند الناشئين من حذّاق الطلبة »[٥] ، ولكن الفقيه عبد الحق الصقلي قد ندم على بعض ماذكره في كتاب «النكت والفروق» فقد استدرك ذلك في كتابه الآخر «تهذيب الطالب وفائدة الراغب»[٦] ، بل قال : « لو قدرت على جمعه وإخفائه لفعلت »[٧] ، حيث رجع عن كثير من اختياراته وتعليلاته ، واستدرك كثيرا من كلامه »[٨] .

ومن مؤلفاته كتاب «تهذيب الطالب وفائدة الراغب» ، وهو كتاب تعقّب فيه بعض ماذكره في كتابه « النكت والفروق » وشرح فيه مايحتاج الى توضيح

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٥/٤) .

(٢) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٥٦/٢) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١١٦) .

(٣) يعمل حالياً أحد الباحثين بجامعة أم القرى على تحقيق الكتاب واخراجه .

(٤) عبد الحق الصقلي ـ النكت والفروق لمسائل المدونة ـ مخطوط ـ معهد البحوث بجامعة أم القرى رقم (٢٠٣) فقه مالك . (ورقة ١) .

(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٦/٤) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٥٦/٢) .

(٦) منه نسخة مصورة على ميكروفلم ، بمعهد البحوث بجامعة أم القرى رقم (١٧٩) ورقم (١٨٠) فقه مالك .

(٧) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٦/٤) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢٥٦/٢) .

(٨) المصدران السابقان (٧٧٦/٤) ، (٥٦/٢) .

وبيان أكثر ، حيث قال المؤلف : « ولم أذكر من كتاب النكت والفروق الذي كنت قد جمعته في سنة ثمان عشرة واربعمائة ، إلا أشياء تعقبتها ، وبينت وجه التعقب فيها ، ومايحتاج الى ايضاح وبيان أكثر »(١) . أذا فكتابه « تهذيب الطالب » هو استدراك لكتابه السابق « النكت والفروق » ولذلك نجد أن الفقيه عبد الحق كثيرا مايكرر عبارة « وكنت قد ذكرت في كتاب النكت »(٢) .

وكتاب « تهذيب الطالب وفائدة الراغب » اشتمل على كثير من مسائل المدونة والمختلطة ، حيث شرح مجملها ، وفسّر مشكلها ، وأتم نقصان مسائلها ، وفرّق بين متشابه مسائلها ، فقال عبد الحق في مقدمته : « هذا كتاب قصدت فيه الكلام على كثير من مسائل المدونة ، والمختلطة ، مما يشتمل جميعه ، على شرح مجمل ، وتفسير مشكل ، وتمام مسألة ناقصة ، وتفريق بين مسائل مشتبهة »(٣) .

كما أن الفقيه عبد الحق الصقلي ، اعتمد في كتابه «تهذيب الطالب» على كتب شيوخه وأقوالهم . من ذلك اعتماده على كتب ابن أبي زيد القيرواني ، مثل كتاب « النوادر » و« المختصر » . كما اعتمد على كتب المشهورين من الفقهاء المتقدمين والمعاصرين له . قال عبد الحق الصقلي : « واعتمدت في كثير من الزيادات والمقدمات على نوادر الشيخ عبد الله بن أبي زيد رحمه الله وعلى مختصره ، وعلى كتب مشهورة من تواليف علمائنا المتقدمين ، والمتأخرين ، وأضفت الى ذلك أشياء حفظتها عن شيوخي في مجالس التدريس ، وتعاليق

(١) عبد الحق الصقلي ـ تهذيب الطالب وفائدة الراغب ـ مخطوط معهد البحوث جامعة أم القرى رقم (١٧٩) فقه مالك (ورقه ٢) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ورقه ٥) .
(٣) المصدر السابق نفسه (ورقه ٢) .

جمعتها من مواضع »[١] ، وبذلك نجد كثيرا ماتتكرر عبارة : « ذكر هذا بعض شيوخنا من القرويين »[٢] ، ويصرح أحياناً بالإسم فمن ذلك قوله : « رأيت في كلام الشيخ ابي عمران »[٣] ، وهي عبارة تتكرر بكثرة في كتابه .

ويحاول الفقيه عبد الحق الصقلي أن يكون كتابه ميّسراً ليتمن طلاب العلم من الإستفادة منه في غير ملل ومشقة ، فهو يعرض للمسائل ويضحها ، ويبين وجه الخلاف فيها ، والإعتراض عليها ، في أسلوب سهل وميسر ، فقال عبد الحق : « ولم أكثر من الزيادات لكي لاأشق على الطالب النظر فيه ، والاستفادة ، كما ذكرت الحجج في مسائل الخلاف والاعتراضات »[٤].

والكتاب في مجموعه يعدّ شرحاً للمدونة ، والتي تركزت الدراسات الفقهية في صقليه عليها وذلك إما بالشرح ، أو الإختصار ، أو الاستدراك وخلافه .

وللفقيه عبد الحق الصقلي اختصار على « مختصر البرادعي » . حيث وضّح ماوهم فيه البرادعي في اختصاره ، وشرحه ، واستدرك عليه كثيرا من معلوماته[٥] .

وللفقيه عبد الحق الصقلي من المؤلفات أيضاً عقيدة رويت عنه ، وجزء في بسط المدونة ، كما أن له حظ من الأصول والفروع فهو : « امام بكل علم متقدم ، مدرس للأصول والفروع »[٦] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ورقه ٢) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ورقه ٣٨) .
(٣) المصدر السابق نفسه (ورقه ٣٨) .
(٤) المصدر السابق نفسه (ورقه ٢) .
(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٤/٤ ـ ٧٧٥) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٥٦/٢) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١١٦) .
(٦) المصادر السابقة نفسها (٧٧٤/٤) ، (٥٦/٢) ، (ص ١١٦) .

أما فيما يتعلق بالأسئلة التي وجهها الفقيه عبد الحق الصقلي ، الى امام الحرمين ابي المعالي الجويني ، فقد كانت تدور حول عدة موضوعات فقهية وكلامية[1] . وتلك الأسئلة تعطينا صورة عما يدور في ذهن الفقيه عبد الحق الصقلي ، ولكن ليس بالضرورة أن تعطينا فكرة عما يدور في أذهان فقهاء صقليه وطلاب الفقه فيها على وجه العموم ، على أنه لايمكن الجزم بالقول السابق لقد تكون الأسئلة انعكاساً للحياة العقلية بصقليه عموما ، والإجابات عليها هي ماينتظره الفقهاء وطلاب العلم بها .

وما يتوجب ذكره هنا أن تلك الأسئلة التي وجهها عبد الحق الى أبي المعالي في مكة ، كانت عن طريق تبادل الرسائل بينهما ، وهما في بلد واحد . مما يعطي إشارة الى أن الفقيه عبد الحق أراد أن يخرج أجوبة الجويني في كتاب يطلع عليه الناس .

وكانت تلك الأسئلة قد جرت بينهما في عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م كما يتضح من مقدمة المخطوطة ، التي جاء فيها : « كتب الشيخ أبو محمد عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي الى الامام أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري ، مسائل أجابه عليها ، والجواب مشتمل على السؤال فلا معنى لإيراده . وذلك بمكة حرسها الله عام خمسين وأربعمائة »[2].

---

(١) مسائل للشيخ عبد الحق وأجوبتها للامام ابي المعالي الجويني ـ مخطوط ـ دار الكتب المصرية ضمن مجموعة بخط مغربي دقيق تحت رقم ١١ ش فقه مالك ورقتان فقط (١٧٣ ـ ١٧٤) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ورقة ١٧٢) .

ومن أمثلة تلك الأسئلة ، مايتعلق بالكرامات ، وأخرى عن المنجّمين ، وعن معنى تمثل جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي[1] .

ولقد كان الفقيه عبد الحق الصقلي يظهر اهتماماً كبيراً بالرواية المسندة ، وقد حذر من عدم الاهتمام بها ، وأن ذلك يؤدي الى كثرة التصحيف ، فقد أورد المقري : أن الفقيه عبد الحق قد نبّه على ذلك وقال : أنه إذا تُركت الرواية : «كثر التصحيف ، وانقطعت سلسلة الاتصال ، فصارت الفتاوى تنقل من كتب من لايدري مازيد فيها مما نقص منها لعدم صحتها وقلة الكشف عنها»[2] .

ونختتم الحديث عن الفقيه عبد الحق الصقلي بذكر بعض أقواله وفتاويه ، ومواعظه الشعرية مما يستدل معه على منهجه وأسلوبه . من ذلك مأورده ابن مكي الصقلي في كتابه « تثقيف اللسان » عند قولهم : « كل يوم ليلته قبله ، إلا يوم عاشوراء فإن ليلته بعده » فكان رأى عبد الحق : أن كل يوم ليلته قبله ، إلا يوم عرفه . حيث قال إبن مكي : « ذكر لنا ذلك الشيخ أبو محمد عبد الحق أيده الله ، وأنه رأى ذلك لأهل العلم »[3] .

ومن فتاويه قوله : بعدم جواز الصلاة خلف من يلحن في القرآن ، كمن يظهر النون الخفيفة ، والتنوين عند الياء والواو ، حيث قال : « انه إذا غيّر في القرآن كان متكلما في الصلاة ، إذ كلام الله عز وجل غير ملحون ، فليس الذي تكلم به كلام الله تعالى ، وإنما هو كلامه . فصار كمن تكلم في الصلاة متعمدا »[4] .

---

(١) دحيه بن خليفه بن فروة بن فضاله بن زيد بن امرئ القيس الكلبي . صحابي مشهور . شهد الخندق ، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة ، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته . وفي الحديث : « كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة (دحيه الكلبي) .

ابن عبد البر ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤٧٢/١) ، ابن الأثير ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة (١٣٠/٢) ، ابن حجر ـ الاصابة في تمييز الصحابة (٤٧٣/١) .

(٢) المقري ـ نفح الطيب (٢٧٢/٧ ـ ٣٧٢) .

(٣) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص ٢٠٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٢٤٧) .

وقد علق أحد الباحثين المحدثين على فتوى عبد الحق هذه ، بأن ذلك يعتبر تشدّدا في أحكامه وفتاويه ، مما كان له الأثر الواضح في عدم تجلي أثره الصحيح في الفقه[1] .

ومن مواعظه الشعرية وهو يحذر من بهجة الدنيا وزخرفها وفتنتها وكثرة الأهواء مع الجهل ، وقلة المخلصين من أصحاب العقائد الصادقة التي تؤكدها الأفعال والأقوال . كل ذلك صوّره لنا عبد الحق في الأبيات التالية :

أرى فتن الدنيا تزيد وأهلها يخوضون بالأهواء في غمرة الجهل

فما إن ترى من مخلص ذي عقيدة وما إن ترى من صدق القول والفعل

فيا سوء حالي حين أصبح فارغاً ولم أدخر زادا ومازلت في شغل[2].

ومن فقهاء صقليه أبو محمد عبد الجليل بن مخلوف الصقلي المتوفي في الإسكندرية سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ، وهو قرين الفقيه عبد الحق بصقليه[3] . وقد حدّث عن عبد الملك الصقلي[4] ، وروى عن الشيخ ابي محمد عبد القادر القروي[5] .

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص ١٠١) .

(٢) الصيرفي ـ المختصر من كتاب المنتخل من الدرة الخطيرة ـ مخطوط ـ بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم ١٩٦٠ تاريخ (ورقة ١٠) .

(٣) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٦/٤) ، السلفي ـ معجم السفر ، تحقيق امبرتو (ص ٦٤ ـ ٦٥) ، السيوطي ـ حسن المحاضرة (٤٥١/١) ، حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في صقليه (ص ٥٦) .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

وغادر أبو محمد عبد الجليل صقليه الى مصر يدّرس بها المذهب المالكي ، ويفتي فيه لمدة أربعين سنة(١) . والتقى الفقيه عبد الجليل في مصر بأبي الطاهر السّلفي ونقل عن السّلفي بعضا من أقواله(٢) . وأخذ عنه طلاب العلم في مصر كأبي الحسن عمر بن يعلي بن خلف القيرواني(٣) .

وأوردت المصادر معلومات عن فقيه ومتكلم وأصولي من أهل صقليه ، وهو أبو بكر محمد بن سابق الصقلي المتوفي بمصر سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م(٤) .

وكان قد رحل في طلب العلم ، والتقى بمكة بكريمه بنت أحمد المروزيه(٥) ، وروى عنها(٦) . كما التقى بعبد الباقي بن فارس بن أحمد وروى عنه(٧) . ومن تلاميذه الذين رووا عنه أحمد بن أحمد الأزدي(٨) .

وقد رحل أبو بكر محمد بن سابق الصقلي الى الأندلس ، وأخذ عنه بها أهل غرناطة(٩) ، ولأبي بكر محمد بن سابق الصقلي رسالة في معنى كلام الله تعالى والرد على المخالفين(١٠) ، بين فيها أن كلام الله صفة من صفاته ، وأن

---

(١) السّلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٦٥) . (٢) المصدر السابق نفسه (ص ٦٥) .

(٣) أبو الحسن عمر بن يعلى بن خلف القيرواني ، الفقيه ، المالكي ، قال عنه السّلفي : « أينما ذهب لايفارقه جزء من الفقه » ولد بالقيروان سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م . المصدر السابق نفسه (ص ٦٤) .

(٤) ابن بشكوال ـ الصلة (٦٠٤/٢) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص ٨٠) .

(٥) هي الشيخة ، العالمة ، الفاضلة ، كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية المجاورة بحرم الله . راوية صحيح البخاري . كانت عالمة صالحة حدث عنها أناس كثير . ماتت بكراً لم تتزوج في سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م بعد أن بلغت مائة سنة .
ابن الجوزي ـ المنتظم (٢٧٠/٨) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢٣٣/١٨) .

(٦) ابن بشكوال ـ الصلة (٦٠٤/٢) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص ٨٠) .

(٧) المصدر السابق نفسه (ص ٨٠) .

(٨) لم أعثر له على ترجمة . وانظر المصدر السابق نفسه (ص ٨٠) .

(٩) ابن بشكوال ـ الصلة (٦٠٤/٢) .

(١٠) ابن سابق ـ معنى كلام الله والرد على المخالفين ـ مخطوط بخط مغربي عدد صفحاتها (٨)

ذلك ماأجمع عليه أهل السنة والجماعة ، وبين مذهب أهل البدع والخوارج والقدرية في ذلك . كما أشار في رسالته هذه الى تكليم الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه السلام ، وبين أوجه الخلاف فيها ، وتكلم أيضا عن القرآن وحروفه .

ومما جاء في مقدمة هذه الرسالة : « اللهم أني أعوذ بك من الإقدام على قول مالم نعلم جهلاً ، ومن الاحجام عن بيان مانعلم بخلاً ، لأنك قلت وقولك الحق : (ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً)[1] .

وقلت وقولك الصدق : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولاتكتمونه)[2] »[3] . وابن سابق بذلك يبين اهتمامه بتبليغ العلم الى طلابه ، وأن رسالته تلك انما هي اجابة على أسئلة وجهها له طلابه حيث قال : « وقد سألتم أحسن الله عونكم أن أبين لكم مسألة الشارع في القرآن بأوضح بيان ، فأجبتكم راجياً أن ينفعني الله بقول الحق وينفعكم بقبوله »[4] .

ومن فقهاء صقليه ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصقلي المتوفي سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م بغرناطة[5] . وهو الذي روى كتاب «التبصرة» في الفقه لمؤلفه أبي الحسن علي بن محمد الربعي ، المعروف باللخمي . وهو كتاب معتمد في الفقه المالكي[6] .

---

(١) سورة الأسراء (آية ٣٦) .
(٢) سورة آل عمران (آية ١٨٧) .
(٣) ابن سابق الصقلي ـ معنى كلام الله والرد على المخالفين ـ مخطوط (ص ١ ـ ٢ ـ ٣) .
(٤) المصدر السابق نفسه (ص ١) .
(٥) ابن بشكوال ـ الصلة (٢/٦٠٥) .
(٦) الدباغ ـ معالم الإيمان (٣/١٩٩) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١١٧) .

وكان أبو عبد الله قد رحل الى الأندلس ، واستقر بغرناطة ، وفيها أخذ عنه الناس العلم ، وظل كذلك الى أن توفي بمدينة غرناطة[١] .

ومن أشهر فقهاء صقليه أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج بن فرج المازري ، المعروف بالذكي المتوفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م[٢] . فقد أخذ عن شيوخ بلده في صقليه حيث درس على ابن يونس الصقلي كتابه « الجامع » على المدونة في مذهب الامام مالك[٣] . كما درس على الشيخ عبد الخالق السيوري بالقيروان[٤] .

ولم يكن المازري الذكي من أعلام الفقه بصقليه ، وإنما كان نحوياً أديباً وله باع كبير في ذلك[٥] . واشتهر المازري الذكي بكثرة الترحال ، حيث استقر في بلدة صقليه فترة من الزمن ودرس على شيوخها ، ثم ذهب الى القيروان ، وفيها لم يتفق مع شيخه السيوري في بعض المسائل ، مما أدى الى خروجه منها الى الشرق ، فقد ذكرت المصادر أن المازري الذكي كان يتتبّع عثرات الشيوخ[٦] . لذلك لم يستقر له الأمر في بلد من البلدان ، ولم تحل له بها رئاسة في الفقه ، حيث كان الشيوخ يدعون عليه ، فوقع ماأرادوا عليه[٧] .

وقد أشار القاضي عياض الى ذلك الخلاف الذي دار بينه وبين شيخه عبد الخالق السيوري ، فقال معللاً عدم حصوله على رئاسة في الفقه : « أن

---

(١) ابن بشكوال ـ الصلة (٦٠٥/٢) .

(٢) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٢/٤) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢٠٣/٣) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢١/٤) ، السيوطي ـ بغية الوعاه (٢١٠/١) .

(٣) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٢/٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٧٩٢/٤) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢٠٣/٣) .

(٥) انظر موضوع (الدراسات اللغوية والنحوية في صقليه) .

(٦) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢١/٤) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٢١٠/١) .

(٧) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٣/٤) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢١/٤) .

سبب هذا دعاء الشيخ أبي القاسم السيوري عليه ، فإنه يحكي أنه كثيرا ماكان يسيء الأدب معه ، ويتتبع سقطاته ، حتى جمع من فتاويه نحو ثلاثين مسألة ادّعى عليه الخطأ فيها ، فأنكرها الشيخ ، وكتب الى اصحابه ، لاتسمعوا منه فأسقط بهذا[1] .

وأضاف القاضي عياض : « أنه لما صعد الى المشرق ودخل بغداد ، وجد مذهب مالك بها قد درس وقلّ طالبه ، فلم يحصل له بالفقه رئاسة هناك ، ولتقدم أهل المشرق في صنعة النظر ، وحذق الجدل ، الذي بذلك تقدم أئمتهم ، فدرس النحو وعلم لسان العرب »[2] .

واستمر المازري الذكي في رحلاته فاستقر فترة من الزمن في قلعة بني حماد[3] ، ثم اتجه الى خراسان وجال في أقطارها ، وأقام به مدة ، ثم خرج الى غزنه[4] ، وبلاد الهند ، ثم الى اصبهان حيث استقر بها الى أن مات[5] .

ومع ماذكر عن المازري الذكي إلا أن المصادر قد وصفته بصفات حميدة ، وأثنت عليه كثيراً ، وعلى علمه ومؤلفاته . فقال القاضي عياض : « كان فقيها ، حافظاً مدركاً ، نبيلاً ، فهماً ، متقدماً في علم المذهب واللسان ، متفننا في علوم القرآن وسائر المعارف »[6] .

وقال ابن الأنباري : « كان عالماً باللغة والنحو وعلوم الأدب »[7] . كما ذكرت المصادر أنه : « لم يخرج من المغرب إلا وهو امام في الفقه والنحو »[8]

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٣/٤) . (٢) المصدر السابق نفسه (٧٩٣/٤) .

(٣) مدينة بين أكم وافران من أرض المغرب الأدنى ، لها قلعة عظيمة ، وهي قاعدة ملك بني حماد ابن يوسف الملقب : بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري ، وهو أول من أحدثها سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م . ياقوت ـ معجم البلدان (٣٩٠/٤) ، عبد الحليم عويس ـ دولة بني حماد في الجزائر ـ ماجستير ـ كلية دار العلوم القاهرة ، ١٩٧٣م (ص ١٢٣) .

(٤) مدينة عظيمة في طرف خراسان . وهي الحد بين خراسان والهند : ينسب اليها كثير من العلماء . وهي منزل بني محمود بن سبكتكين . ياقوت ـ معجم البلدان (٢٠١/٤) .

(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٢/٤) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢٠/٤) .

(٦) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٢/٤) .

(٧) ابن الأنباري ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص ٣٧٧) .

(٨) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢١/٤) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٢١٠/١) .

ووصفه القفطي بقوله : « كان فاضلاً ، عارفاً باللغة والأدب »[1] . وقال عنه شيخه عبد الخالق السيوري : ابن أبي الفرج أحفظ من رأيت . فقيل له : تقول هذا ، وقد رأيت أبا بكر بن عبد الرحمن ، وأبا عمران الفاسي ؟ فقال : هو أحفظ من رأيت[2] .

ونقل الدباغ عن أبي مهدي عيسى الغبريني[3] ـ وهو أحد شيوخ الدباغ ـ قوله وهو يصف المازري الذكي : « وقفت عليه ويعلم الواقف عليه أنه ذكي عند اسمه رحمه الله »[4] .

وقال عنه أحد تلاميذه وهو أبو عبد الله بن داود[5] : « شيخنا الذكي أفقه من أبي عمران ومن كل مالكي رأيت »[6] ، وعلّق القاضي عياض على قول ابي عبد الله بن داود قائلا : « أنه فضّله على اسماعيل بن اسحاق القاضي »[7] .

أما عن تلاميذ المازري الذكي فلم تشر المصادر إلا الى ثلاثة منهم ، حيث ذكرت أن أبا عبد الله بن داود ـ السابق الذكر ـ قد حمل عنه أدب كثير وعلم جم . وأن تلك الدراسة كانت بالمغرب[8] . ودرس عليه أيضا بالمغرب يوسف بن محمد التوزري[9] ، ومن تلاميذه أيضا أبو نصر بن الفضل بن الحسين

---

(١) القفطي ـ أنباه الرواه (٣/٧٣) .

(٢) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧٩٢) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٣/٢٠٢) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) الدباغ ـ معالم الإيمان (٣/٢٠٣) .

(٥) أبو عبد الله محمد بن داود بن عطيه بن سعيد العكي القلعي . من أهل العلم بالفقه والأصول . تفقه بالمازري الذكي ، وولي قضاء تلمسان ، واشبيليه ، وفاس ، كان جليلا ، فاضلا ، فقيها ، ذكيا . توفي سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م . عياض ـ الغنيه (ص ٦٤) .

(٦) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧٩٢) ، الدباغ ـ معالم الايمان (٣/٢٠٢) .

(٧) المصدران السابقان (٤/٧٩٢) ، (٣/٢٠٢) .

(٨) المصدران السابقان (٤/٧٩٣) ، (٣/٢٠٣) .

(٩) أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي التوزري ، أصله من قلعة بني حماد . كان من أهل العلم والدين . وهو ناظم المنفرجة المشهورة التي أولها :

اشتدي أزمة تنفرجي　　قد أذن ليلك بالبلج

توفي سنة ٥١٣هـ/١١١٩م . مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٢٦) .

الطبراني[١] . الذي قرأ على المازري الذكي كتاب «الشهاب» لأبي عبد الله القضاعي[٢] . وهو الذي نقل عن المازري الذكي تعليقه على «النرد شير»[٣] الوارد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لعب بالنرد شير فكأنما غمس يده في لحم الخنزير ودمه »[٤] حيث قال المازري : « أصله النرد ، وإنما قيل : النرد شير ، لأن أول من لعب به « أرد شير » ، فنسب إليه »[٥] . وقد علّق القفطي على قول المازري السابق فقال : « وفي هذا القول نظر فإن النرد أقدم من أرد شير المشهور »[٦] .

كما نقل أبو نصر الطبراني عن المازري الذكي قوله في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تربت يداك »[٧] أن معناه : لاأصبت خيرا ، وهو على الدعاء ، قال : وقال أبو عبيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعمد الدعاء ولكنها كلمة جارية على ألسنة العرب يقولونها ، وهم لايريدون وقوع الأمر[٨] .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) أبو عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر بن علي القضاعي ، قاضي مصر ، وهو فقيه ، محدث ، مؤرخ . كان كاتباً للوزير علي بن أحمد الجرجاني بمصر أيام الفاطميين . من مؤلفاته كتاب « شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية » توفي سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م . الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٩٢/١٨) ، كحاله ـ معجم المؤلفين (٤٢/١٠)

(٣) النرد : شيء يلعب به . وأرد شير هو أرد شير بن بابك أحد ملوك الفرس ، وهو أول من وضع النرد . الفيروز ابادي ـ القاموس المحيط (٣٥٣/١) ، ابن منظور ـ لسان العرب (٤٢١/٣) .

(٤) رواه مسلم في صحيحه عن سليمان بن بريده عن أبيه . وذلك برواية : « فكأنما صبغ يده ..» الامام مسلم ـ الصحيح بشرح النووي (١٥/١٥) .

(٥) ابن الأنباري ـ نزهة الألباء (ص ٣٧٧) ، القفطي ـ انباه الرواه (٣/٧٣ ـ ٧٤) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٧٤/٣) .

(٧) جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تنكح المرأة لأربع ، لمالها ولحسبها ، وجمالها ، ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » . صحيح مسلم بشرح النووي (٥١/١٠) .

(٨) ابن الأنباري ـ نزهة الألباء (ص ٣٧٧) .

أما عن مؤلفات المازري الذكي ، فقد ذكرت المصادر أنه له « تعليق كبير في المذهب المالكي » وُصف بأنه : تعليق مستحسن خرج على الف سؤال[1] .

وفيما يتعلق بمناظرات المازري الذكي ، فقد كان كثير المناظرات ، وخاصة مع علماء خراسان الذين استقر معهم فترة من الزمن ، ولكن تلك المناظرات والمحاورات انتهت الى طعنه فيهم ، وطعنهم فيه ، كما أنه بسط لسانه بما لايليق عليهم[2] .

وأشارت المصادر أن المازري الذكي حضر املاء محمد بن منصور السمعاني[3] ، ولما بدأ بالإملاء ، أخذ عليه المازري شيئا . وقال : إنه ليس كما تقول ، بل هو كذا . فقال السمعاني : اكتبوا كما قال ، فهو أعرف به . فغيروا تلك الكلمة ، وكتبوا كما قال الذكي . وبعد ساعة قال : ياسيدي أنا سهوت ، والصواب ماذكرت . فقال السمعاني : ظن المغربي أني أنازعه في الكلام ، حتى يبسط لسانه فيّ ، كما بسطه في غيري ، فسكت حتى عرف الحق فرجع »[4] .

ولعل أسباب اعجاب المازري الذكي بنفسه ، هي التي كانت عاملا من عوامل حدّته في النقاش ، وكثرة الاعتراضات ، فقد ذكر القفطي أنه : « كان ينفرد بأشياء من تفسير الأخبار وغيرها لايتابعه أحد فيها ، وسببه اعجابه بنفسه »[5] .

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٣/٤) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢٠٣/٣) .
(٢) القفطي ـ أنباه الرواه (٧٣/٣) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢٠/٤) .
(٣) أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، التميمي ، المروزي ، محدث ، حافظ ، فقيه ، أديب ، مؤرخ ، ولد بمرو ، وسمع ببغداد ، ونيسابور وأصبهان ، والكوفة ، والحجاز ، وأملى الكثير . من مصنفاته كتاب « الأمالي » في الحديث . توفي سنة ٥١٠هـ/١١١٦م .
الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١١٤/١٩) ، كحاله ـ معجم المؤلفين (٥٢/١٢) .
(٤) السيوطي ـ بغية الوعاه (٢١٠/١) ، المدني ـ المسلمون في صقليه (ص ٢١١) .
(٥) القفطي ـ انباه الرواه (٧٤/٣) .

ومن فقهاء صقليه الذين كان لهم دور بارز في الدراسات الفقهية ، عمر ابن يوسف بن محمد بن الحذاء القيسي ، الصقلي[1] ، المتوفي بالاسكندرية سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م[2] .

فقد درس الفقه على فقهاء وشيوخ بلده ، أمثال الفقيه عبد الحق الصقلي ، ومحمد بن عبد الله بن يونس ، وعتيق بن علي السمنطاري[3] . ثم خرج لأداء فريضة الحج وبقي بمكة مجاورا مدة ثلاث سنوات ، التقى فيها بعلماء مكة من أهلها المقيمين والمجاورين ، ثم عاد الى أفريقية ، وقرأ الفقه بها على أبي محمد عبد الحميد بن محمد بن الصائغ القيرواني ، وعلي أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن[4] ، وأبي الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم بن المعلوف[5] .

كما قرأ الفقه بمدينة صفاقس على أبي الحسن علي بن أبي بكر الربعي المعروف باللخمي[6] .

وابن الحذاء الصقلي هو الذي روى كتاب « الجامع لنكت الأحكام » المستخرج من الكتب المشهورة في الإسلام لمؤلفه أبي القاسم زيدون بن علي

---

(١) انظر موضوع (الدراسات القرآنية وعلم الحديث في صقليه) .
(٢) السلفي ـ معجم السفر تحقيق امبرتو (ص ٦٦) .
(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٦٧) .
(٤) أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن العجوز ، كان عالما فاضلا فقيها ثقة ، كما كان عالما بالأحكام والوثائق والاحتجاج ، قال عنه ابن رشيق : حضرت مجلسه في تدريس المدونة ، فما رأيت أحسن منه احتجاجاً ، ولا أبين منه توجيها . توفي بفاس سنة ٥١٠هـ/١١١٦م .
ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٤٧٧/١) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٢٤) .
(٥) لم أعثر له على ترجمة .
(٦) السلفي ـ معجم السفر (ص ٦٧ ـ ٦٨) .

السبيعي[١] ، وعنه رُوي حتى وصلت روايته الى القاضي عياض بالإجازة عن الوزير أبي جعفر أحمد بن سعيد بن خالد اللخمي[٢] .

وتحدثت المصادر عن المحدث والفقيه ، والنحوي والأديب ، أبي عبد الله محمد بن مسلم بن محمد بن أبى بكر القرشي ، المخزومي ، المازري ، الصقلي المتوفي بالإسكندرية سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م[٣] .

وكان قد درس على شيوخ بلده أولا ، كما التقى بأبي العباس الرازي[٤] ، ودرس عليه[٥] ، كما كان من تلاميذ أبي بكر الطرطوشي[٦] .

وقد اشتهر المازري بأنه من أهل الكلام والأصول ، حيث درس على أبي محمد الحنفي[٧] ، وقرأ عليه مصنفاته[٨] . ووصف بأنه قد : « غلب عليه الكلام والتحقيق وتقدم فيه تقدما برز فيه على أهل وقته ، وصنف فيه تصانيف قوية »[٩] .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة . وانظر عياض ـ الغنيه (ص ٩٩) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٩٩) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٨٨) ، التنبكتي ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص ٢٢٧) . مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٢٥) ، حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٩٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ٨٨) ، التنبكتي ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص ٢٢٧) . مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٢٥) ، حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٩٤) .

(٥) أبو العباس أحمد بن ابراهيم الرازي ، فقيه ، محدث ، كان من الثقات ، خيّرا ، كثير المعروف ، درس المازري القرشي في الإسكندرية . توفي سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م .
الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/١٩٠) ، المقريزي ـ المقفى (٢٥٣/٧) .

(٦) عياض ـ الغنية (ص ٨٨) ، المقريزي ـ المقفى (٢٥٣/٧) .

(٧) المصدران السابقان (ص ٨٨) ، (٢٥٣/٧) .

(٨) لم أعثر له على ترجمة .

(٩) عياض ـ الغنية (ص ٨٨) .

وقد رحل اليه الناس للدراسة عليه في علم الأصول ، وبلغ من ذلك مرتبة كبيرة حتى أنه كان يناظر الفرق[1] ، وقد مال المازري في آخر حياته الى التصوف[2] .

أما عن مؤلفات أبي عبد الله المازري ، فقد كانت منصبّة لشرح مؤلفات أبي المعالي الجويني امام الحرمين ، حيث اطلع عليها وقرأها عن طريق أبي علي الحسن بن محمد الحضرمي[3] فقد شرح أبو عبد الله محمد المازري كتاب « البرهان » لأبي المعالي الجويني ، في كتابه الذي سمّاه : « البيان لشرح البرهان »[4] .

كما شرح كتاب « الإرشاد » في علم الكلام وهو أيضا لأبي المعالي الجويني ، وسمّاه كتاب : « المهاد في شرح الإرشاد » وهو أحسن ماشرح به[5] . ومن مؤلفاته أيضاً : « تأييد التمهيد » وكتاب « تقييد التجريد »[6] .

وقد توهم المقريزي عند حديثه عن أبي عبد الله محمد بن مسلم المازري ، حيث ذكر « أن من مؤلفاته كتاب « المعلم بفوائد مسلم » وأنه نزل المهدية ، واستوطن الإسكندرية »[7] . فإن ذلك ليس بأبي عبد الله محمد بن مسلم المازري ، وإنما هو الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازري صاحب «المعلم» .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ٨٨) ، التنبكتي ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص ٢٢٧) ، حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٩٤) .
(٢) عياض ـ الفنية (ص ٨٨) .
(٣) لم أعثر له على ترجمة .
(٤) عياض ـ الفنيه (ص ٨٨) .
(٥) المصدر السابق نفسه (ص ٨٨) ، التنبكتي ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص ٢٢٧) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (١٢٥) ، حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٩٤) .
(٦) المصادر السابقة نفسها والمرجع السابق نفسه (ص ٨٨) ، (ص ٢٢٧) ، (ص ١٢٥) ، (ص ٩٤) . ويوجد من كتاب المازري « المهاد في شرح الإرشاد » نسخة خطية بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب كما أشار الى ذلك في كتابه : الامام المازري (ص ٩٤) .
(٧) المقريزي ـ المقفى (٧/٢٥٤) .

أما فيما يتعلق بتلاميذ أبي عبد الله المازري فنذكر منهم القاضي عياض ، حيث كتب له من مصر اجازة بجميع مؤلفاته[١] ، ومحمد بن محمد بن الحسين المالكي الذي سمع منه بالإسكندرية[٢] .

ومنهم عبد الكريم بن يحى بن عثمان[٣] ، ومخلوف بن علي بن عبد الرحمن الغروي[٤] ، وعبد السلام بن عتيق بن محمد[٥] ، ويحى بن محمد بن علي الشيباني المعروف بابن النبقي[٦] .

ونعود إلى الحديث عن الامام أبي عبد الله محمد بن علي المازري صاحب كتاب « المعلم بفوائد مسلم » ونبين دوره في مجال الدراسات الفقهية . فقد كان الامام المازري من أشهر فقهاء صقليه ، حيث بلغ رتبة الاجتهاد في تواضع خليق بالأعلام أمثاله مع تقدمه من أصحاب المذاهب . وقد قال الامام المازري بعد أن شهد له أهل زمانه بوصوله الى درجة الإجتهاد : « وما أفتيت بغير المشهور »[٧] . وذلك ورعاً منه وسدا لباب الذرائع ، وخوفا من تجاسر الجهلة على الإفتاء بغير المشهور من أمور الدين[٨] .

وقال الإمام المازري أيضا : « ولست أحمل الناس على غير المشهور من قول العلماء لأن الورع قلّ ، بل كاد يعدم ، وكثرت الشهوات ، وكثر من يدّعي

---

(١) عياض ـ الغنيه (ص ٨٨) .
(٢) لم أعثر له على ترجمة ، وانظر : المقريزي ـ المقفي (٢٥٤/٧) .
(٣) لم أعثر له على ترجمة ، وانظر المصدر السابق نفسه (٢٥٤/٧) .
(٤) هو شيخ المالكية أبو القاسم مخلوف المعروف بابن جاره المتوفي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٣٤/٢١) ، المقريزي ـ المقفي (٢٥٤/٧) .
(٥) لم أعثر له على ترجمة وأنظر : المصدر السابق نفسه (٢٥٤/٧) .
(٦) السِّلَفي ـ معجم السفر تحقيق امبرتو (ص ١١٠) .
(٧) حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٥٦ ـ ٥٧) .
(٨) المرجع السابق نفسه (ص ٥٦ ـ ٥٧) .

العلم ، والتجاسر على الفتوى ، ولو فتح لهؤلاء باب في مخالفة المشهور من المذهب ، لاتسع الخرق على الراقع ، وهتكوا حجاب هيبة الدين ، وهذا من المفسدات التي لاخفاء فيها »[1] .

وكان الشيخ خليل يعتمد الامام المازري كأحد علماء المذهب المالكي الأربعة عند الترجيح[2] ، حيث قال : « قد سألني جماعة أبان الله لي ولهم معالم التحقيق ، وسلك بنا وبهم أنفع طريق مختصرا على مذهب مالك بن أنس رحمه الله . فأجبت سؤالهم بعد الإستخارة مشيرا بـ « فيها » للمدونة . وبـ «أوّل» إلى اختلاف شارحيها في فهمها . وبـ «الترجيح» لابن يونس . وبالقول للمازري »[3] .

وقد خص المازري بالقول « لأنه لما قويت عارضته في العلوم وتصرف فيها تصرف المجتهدين ، كان صاحب قول يعتمد عليه »[4] .

أما عن مؤلفات الامام أبي عبد الله المازري في علم الفقه والأصول فهي كالتالي :

١ ـ كتاب « ايضاح المحصول من برهان الأصول » وهو شرح في عدة أجزاء على البرهان للامام أبي المعالي الجويني امام الحرمين . وكتاب البرهان قصد منه مؤلفه الكلام في أصول الديانة[5] ، ويعد شرح المازري له أقدم ماشرح به . ومنه أجزاء متفرقة في مكتبات تونس[6] .

---

(١) المرجع السابق نفسه (ص ٥٧) .

(٢) المقصود بالأربعة أبي الحسن اللخمي ، وابن رشد ، وابن يونس ، والامام المازري ، وقد خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنه لم يقع لأحد من المتأخرين ماوقع لهم من التعب في تحرير المذهب وتهذيبه . الدسوقي ـ الحاشية (١/٢٠ ـ ٢١) .

(٣) الشيخ خليل ـ المختصر (ص ٣ ـ ٤) .

(٤) الدسوقي ـ الحاشية (ص ٢١) .

(٥) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٤/٢٨٥) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٤/٥١) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢٠/١٠٤) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٢٥٠) .

(٦) حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٢) .

وعن كتاب « ايضاح المحصول » للمازري ، تحدث السبكي في طبقاته في معرض حديثه عن كتاب « البرهان » للامام الجويني فقال : « انه لغز الأمة ومفخرة من مفتخرات الشافعية »[1] ، واستغرب السبكي أنه لم ينتدب له أحد من علماء الشافعية بالشرح ثم قال : « وإنما انتدب له المالكية فشرحه الامام أبو عبد الله المازري شرحاً لم يتمه »[2] . وأضاف أن بعض الكلام المشكل في كتاب « البرهان » أبهم أمره على الامام المازري على الرغم من فرط ذكائه ، وتضلعه بعلوم الشريعة[3] . والسبكي بذلك انما يرد على ماذكره الذهبي من أن الامام المازري قال في شرحه «للبرهان» عن بعض العبارات : «وددت لو محوتها بدمي»[4] .

٢ ـ كتاب «التعليق على المدونة»[5] ، وانفرد المقري بذكر هذا الكتاب للإمام المازري[6] . ولم يذكره ابن فرحون الذي يهتم بكتب المالكية ، ووردت عنه اشارة في «معالم الإيمان» عند الحديث عن ترجمة عبد الخالق السيوري حيث ورد : «وله تعليق على نكت المدونة أخذه عنه أصحابه ... وهو لم يؤلفه وإنما أصحابه قيدوا عنه ذلك مما يسمعونه في درسه لقول المازري في تعليقه على المدونة لم يؤلف السيوري إلا كراسة وليس له تآليف»[7] .

٣ ـ الشرح على كتاب « التلقين »[8] ، للقاضي عبد الوهاب المالكي[9] . وكانت طريقته في ذلك الشرح أن يذكر ماذكره القاضي عبد الوهاب في كتابه

---

(١) السبكي ـ طبقات الشافعية (٣/٢٦٤) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٣/٢٦٤) . (٣) المصدر السابق نفسه (٣/٢٦٥) .

(٤) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٨/٤٧٢) .

(٥) منه جزء بمكتبة جامع القرويين . حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٣) .

(٦) المقري ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/١٦٦) .

(٧) الدباغ ـ معالم الإيمان (٣/١٨٢) .

(٨) توجد منه نسخ خطية بمعهد البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم (من ٢٢٧ الى ٢٤٠) فقه مالك .

(٩) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٤/٢٨٥) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٢٥٠) .

«التلقين» ثم يعقب ذلك بأسئلة ، ثم يجيب بإطناب على كل سؤال في المسألة ، ومثال ذلك : غسل الوجه في الوضوء يورد عليه خمسة أسئلة وهي : هل حد الوجه الذي ذكره القاضي في «التلقين» صحيح ؟ هل اللحية من الوجه أم لا ؟ هل يجب تخليلها ؟ هل البياض الذي بين الوجه والصدغ من الوجه أم لا ؟ ثم تحدث عن العنفقه والحاجب(١) .

وقد تبلغ هذه الأسئلة على المسألة الواحدة أكثر من عشرين سؤالا . وفي جواب كل سؤال يطيل المازري ، حتى أن الجواب الواحد يستغرق صفحات . فالإطناب في المسائل هو عادة هذا الشرح(٢) .

والإمام المازري لم يكمل شرح «التلقين» كما قال ابن فرحون : « لم يبلغنا أنه أكمله »(٣) .

وقد ذكر الشيخ الشاذلي النيفر ان كتاب « شرح التلقين » للامام المازري ، لم يكن الإقبال عليه كبيرا ، ولذلك أصبح مرجعا عند الخاصة فقط ، وارجع سبب ذلك الى أمور منها : أنه لم يجعل كتابه أصلا ، بل جعله فرعا لما كتبه القاضي عبد الوهاب ، فطول مباحثه ، وكونه شرحا لغيره ، جعلا الهمم تتقاصر عنه . كما أنه اعتمد الأدلة كثيرا ، والطلبة في العصور بعده ، أعرضوا عن الأدلة اكتفاءا بنصوص المذهب ، إذ كانوا يميلون الى الفقه المجرد المختصر ، دون الميل الى معرفة الخلاف في المذهب ، هذا فضلا عن الخلاف خارج المذهب والذي اعتنى به المازري(٤) .

---

(١) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٧٦/١ ـ ٧٧) .
(٢) المصدر السابق نفسه (٧٦/١ ـ ٧٧) .
(٣) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢٥١/٢) .
(٤) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٨٧/١ ـ ٨٨) .

وأورد صاحب كتاب «عنوان الدراية» قولا سمعه من أحد شيوخه ، يمتدح فيه شرح أبي عبد الله المازري لكتاب «التلقين» . حيث قال وهو يقارن بين شرح المازري ، وشرح أبي العباس احمد بن عثمان الملياني[1] ـ وكان أبو العباس قد شرح كتاب «التلقين» أيضاً ـ : «بينهما مابين بلديهما»[2] وأضاف صاحب عنوان الدراية : «هكذا سمعت منه في مجالس متكررة»[3] .

٤ ـ رسالة مسمّاها «كشف الغطاء عن لمس الخطأ» وهي رسالة كتبها ردا على سؤال من سأله : أنه مدّ يده لمباشرة زوجته ملتذا فصادفت يده ظهر ابنته منها ، والتذ بذلك ، هل تحرم عليه الزوجة ، أم لا ؟[4] . وهي رسالة تقع في عشرين صفحة ، ومما جاء فيها : « الحمد لله منزل الأحكام ومفصل الحلال والحرام ، ومصنف الأحكام صنفين ، ومنوع الأيام نوعين ، فمنها الواضح والملتبس ... وبعد فإنه وصل اليّ كتاب من أشتهر بالنسك والعبادة ، والورع والزهادة ، راغبا في أن أكشف له عن حكم نازلة نزلت ومعضلة أشكلت ....»[5] .

وكان مما جاء في جواب الامام المازري بعد استعراضه لآراء المذاهب والعلماء أن قال : « والذي نختاره من هذه المذاهب نفي التحريم »[6] .

---

(١) أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار الملياني ، رحل الى المشرق ، ولقى الأفاضل ثم رجع الى المغرب ، وسكن بجايه ، وأقرأ بها . كان عالما بالعربية والفقه والأصول ، توفي سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م بمليانه .
الغبريني ـ عنوان الدرايه (ص ١٨٨ ـ ١٨٩) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١٨٩) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ١٨٩) .

(٤) الدباغ ـ معالم الإيمان (٣/٨٩ ـ ٩٠) ، النيفر ـ المازري الفقيه والمتكلم (ص ٦٨) .

(٥) عبد الله الزناد ـ ذكرى الامام المازري (ص ٢٨) .

(٦) المرجع السابق نفسه (ص ٢٩) .

٥ ـ كتاب «أمالي» على رسائل اخوان الصفا[١] ، وقد حررها في ايضاح بعض مشكلات وردت ضمن فصول تلك الرسائل في مسائل من العلوم الرياضية والفلسفية . وكان املاؤه لها بطلب من امير عصره العالم والأديب تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي ، صاحب افريقية[٢] . وهذا التعليق أو الانتقاد على رسائل اخوان الصفا ، مفقود ولم يرد له ذكر إلا ماورد ذكره بين مؤلفات المازري .

٦ ـ رسالة تتعلق بالفتوى والمفتين سمّاها : « تثقيف مقالة أولى الفتوى وتعنيف أهل الجهالة والدعوى » ، وهذه الرسالة ذكرها البرزلي[٣] ، في باب القضاء والشهادات من مجموعته الكبيرة للفتاوى الافريقية المسمّاه : « جامع مسائل الاحكام مما نزل بالمفتين والحكام »[٤] . حيث ذكر سبب تاليف الامام المازري لهذه الرسالة فنقل عنه قوله : « وقد نزل بالمهدية ـ وفيها جماعة من أهل الفتوى ـ مسألة من الشفعة في بعض وجوهها ، وأنفذ اليّ القاضي ابن شعلان رحمه السؤال ، فأفتيته ... ثم ورد بعد ذلك من القيروان جواب من كان يدّعي علم الأصول ، أشار فيه الى المخالفة ، فأمليت فيه املاء طويلا ترجمته : «تثقيف أولي الفتوى ، وتعنيف أهل الجهالة والدعوى » وأشرت بهذه الترجمة الى وجوه خالف فيها من أشرنا اليه ، وأوضحت فساد ماعوّل عليه ، وهو الآن موجود بالمهدية»[٥] .

---

(١) تألفت هذه الجماعة في القرن الرابع الهجري ، وكان موطنها البصرة ، ولها فرع ببغداد ولم يعرف من أشخاصها سوى خمسة . رسائل اخوان الصفا ، مقدمة الناشر (١/٥) .

(٢) المقري ـ أزهار الرياض (٣/١٦٦) ، حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٦) .

(٣) أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني ، أحد أئمة المالكية في المغرب وسكن تونس وانتهت اليه الفتوى بها ، توفي سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م .
الزركلي ـ الأعلام (٥/١٧٢) .

(٤) منه نسخة مصورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى برقم (٢١٠ فقه مالك) .

(٥) البرزلي ـ جامع مسائل الأحكام مخطوط بمعهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ٢١٠ فقه مالك (ورقة ٧١) .

٧ ـ كتاب «الكشف والإنباء عن المترجم بالإحياء»[١] وهو كتاب يرد فيه على الامام الغزالي[٢] ، في كتابه «احياء علوم الدين» .

قال الذهبي : « وللامام محمد بن علي المازري الصقلي كلام على «الاحياء» يدل على امامته»[٣] . وقد نقل عن الامام المازري قوله عن كتاب «احياء علوم الدين» : « وقد تكررت مكاتبتكم في استعلام مذهبنا في الكتاب المترجم بإحياء علوم الدين ، وذكرتم أن آراء الناس فيه قد اختلف ، فطائفة انتصرت ، وتعصبت لإشهاره ، وطائفة حذّرت منه ونفّرت ، وطائفة لكتبه أحرقت . وكاتبني أهل المشرق أيضاً يسألونني . ولم يتقدم لي قراءة هذا الكتاب سوى نبذ منه ، فإن نفّس الله في العمر ، مددت فيه الأنفاس ، وأزلت عن القلوب الالتباس»[٤] .

وقد أشار تاج الدين السبكي في طبقاته الى آراء الامام المازري في الامام الغزالي ، وكتابه احياء علوم الدين ، وبيّن أقوال الامام المازري ورد عليها[٥] .

وعلى الرغم من اختلاف الامام المازري مع الامام الغزالي حول ماورد في كتاب «احياء علوم الدين» إلا أن الامام المازري أثنى على أبي حامد الغزالي في الفقه حيث قال : « هو بالفقه أعرف منه بأصوله »[٦] . وقال أيضا : « انه لايشق غباره في الفقه وفي أصول الفقه »[٧] .

---

(١) المقري ـ نفح الطيب (٣/١٦٦) ، حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٤) .
(٢) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد ، الطوسي ، الشافعي ، الغزالي كان بارعا في الفقه ، والكلام ، والجدل ، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس . له مؤلفات كثيرة منها « إحياء علوم الدين » وكتاب « الاربعين » وكتاب « القسطاس » وكتاب « الأسماء الحسنى » ، وغير ذلك توفي سنة ٥٠٥هـ/١١١١م .
ابن الجوزي ـ المنتظم (٩/١٦٨) ، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان (٤/٢١٦) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٢) ، السبكي ـ طبقات الشافعية (٤/١٠١) .
(٣) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/٣٤٠) . (٤) المصدر السابق نفسه (١٩/٣٤٠) .
(٥) السبكي ـ طبقات الشافعية (٤/١٢٢) . (٦) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/٣٤١) .
(٧) الونشريسي ـ المعيار المغرب (١٢/١٨٤) .

وعن ردّ الامام المازري على أبي حامد الغزالي قال الدكتور حسن حسني عبد الوهاب : « كلنا يعلم أن حجة الاسلام الغزالي ، بالرغم من علو مقامه في العلوم الدينية ، وتفردّه بالآراء الصائبة في فلسفة الإسلام ، والأخلاق ، لم يكن متحريا غاية التحري في الأحاديث التي أوردها في تآليفه «احياء علوم الدين» ومن هنا انتقد عليه المازري ـ وهو المحدث الثقه ـ تلك الانقال فأثبت منها ماأثبت ، وأسقط ماسواه »[1] .

وأضاف حسن حسني قائلا : « ولايظن ظان ـ رجما بالغيب ـ أن المازري ممن يتحامل على الغزالي ، أو يقصد التنقيص من جلالة قدره وعلو كعبه بالإنتقاد عليه وحاشى امام عادل كالمازري أن يزري بأحد أعلام المسلمين المشار اليهم بالبنان ، في العلم والفضل والبيان ، أو يمت الى الحط من عظمته ، بدليل شهادة المازري نفسه في فضيلة الغزالي ، وغزارة علمه ، وقوة عارضته في أصول الشريعة السمحة ، فقد قال في حقه : « أبو حامد الغزالي لايشق غباره في العلم وأصول الدين » . وإنما انتقاده الخالص موجه الى ماورد في الإحياء من الأحاديث الموضوعة المنسوبة كذبا وافتراءا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي من الضعف ، والوهن الثابت بمكان لاينكره إلا معانت جاهل بالحديث الصحيح ، ولايتسنّى لمحدث ثبت قد نهضت به فضائله ، واجتمع فيه العقل الراجح ، والفهم الدقيق ، وممارسة العلوم طول عمره كالامام المازري السكوت على مثل ذلك أو التغافل عنه ، لما يعلم من اقبال المتعلمين على الإحياء ، وانكباب المعلمين على مطالعته . فكأنما نقده الصحيح المجرد من شوائب الطعن ، والحسد ينكر وجود مثل تلك الروايات الضعيفة المعزوه الى صاحب الشريعة العظيم ، ويرى أنها لاتليق أن تكون مثبتة في مأثرة جليلة ، ومفخرة

(١) حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٤) .

من مفاخر التآليف الإسلامية كالإحياء حتى لاينسب اليها الضعف والوهن ، وبذلك تنعدم فائدتها الأخلاقية العظيمة ، وينقص أثرها الكبير في نفوس المطالعين من ابناء المسلمين . ومثل هذا الإنتقاد هو مما يرغب فيه ، ويشكر عليه لما فيه من تنبيه المؤلفين ـ لاسيما إذا كانوا من الأئمة الأعلام ـ الى اتقاء تلك الهفوات ، واجتناب الموضوعات ، والتحاشي عنها ، والاعراض عنها ، وتعويضها بالروايات الصحيحة السالمة من الطعن »[1] .

٨ ـ كتاب « نظم الفرائد في علم العقائد » ، وقد ذكره ابن فرحون في ديباجه[2] ، نقلا عن الحافظ ابي العباس أحمد بن الفهري اللبلي[3] . وهذا الكتاب من أجل مصنفات الامام . إذ أنه أفرغ فيه ماآتاه الله تعالى من العلم الغزير الواسع ، والنظر الدقيق في المعتقدات وأصولها[4] .

٩ ـ « كتاب النكت القطعية في الرد على الحشوية »[5] الذين يقولون بقدم الأصوات والحروف ، وهي فرقة من أهل الملل والنحل . ولم يعثر على هذا الكتاب ولا على سبب تأليفه .

١٠ ـ كتاب « الواضح في قطع لسان النابح » ولايعرف من هذا الكتاب إلا ماذكره المازري نفسه ، حيث ورد في كتاب « اكمال المعلم » للأبي قوله : «هو كتاب تقصينا فيه كلام رجل ، وصف نفسه بأنه كان من علماء

---

(١) المرجع السابق نفسه (ص ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٦) .

(٢) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٢٥١ ـ ٢٥٢) .

(٣) أبو جعفر وأبو العباس أحمد بن يوسف الفهري اللبلي ، الملقب بصدر الزمان الدين . استقر بتونس مقرئا بها . كان عالما بالعربية . له مؤلفات كثيرة منها « شرح الفصيح » لثعلب . «وشرح اصلاح المنطق» لابن السكيت ، توفي سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م .
المقري ـ نفح الطيب (٢/٤١٠ ـ ٤١١) ، رضا عبد الجليل ـ الدراسات اللغوية في الأندلس (ص ١٣١) .

(٤) حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٣) .

(٥) المقري ـ أزهار الرياض (٣/١٦٦) ، حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٧) .

المسلمين ثم أرتد ، وأخذ يلفق القوادح في الاسلام ، ويطعن في زعمه على القرآن وطرق جمعه . تقصينا قوله في هذا الكتاب ، وأشبعنا القول في كل مسألة »[1] . وقد أشار الامام المازري أنه نقض قول هذا الملحد بالأدلة التاريخية الصحيحة ، وأقام البراهين والحجج المنطقية على دحض أقواله وتفنيدها[2] . وقد علق الدكتور حسن حسني عبد الوهاب على كتاب المازري هذا فقال : « ولايخفى أن القرن السادس الذي كان يعيش فيه الامام قد كثر فيه ظهور أهل الأهواء والمخارق والمذاهب الزائغة عن الشريعة الاسلامية ، فكان من واجب العلماء المبرزين في ذلك العهد الذّب عما أجمع عليه المسلمون آرائهم من لدن عصر الصحابة الكرام وتأييد السنة المحمدية ، بدفع الأطعان المموهة ، ودحض الشبهات الملفّقة ، تنبيها للأمة الى مقاصد هؤلاء النازغين[3] .

ونختم الحديث عن الإمام ابي عبد الله المازري بذكر نموذج من أقواله ، حيث قال وهو يتحدث عن الفتوى والمفتين : « الذي يفتي في هذه الأزمان ، أقل مراتبه في نقل المذاهب ، أن يكون قد استبحر في الإطلاع على روايات المذهب ، وتأويل الشيوخ لها ، وتوجيههم لما وقع من الاختلاف فيها ، وتشبيههم مسائل بمسائل يسبق الى الذهن تباعدها ، وتفريقهم بين مسائل يقع في النفس تقاوتها . الى غير ذلك »[4] .

وأخيرا فإن فقه الإمام أبي عبد الله المازري قد امتاز بدقة التحرير ، ولايقتصر في التحرير على مجرد النقل للنصوص ، بل يذكر مع ذلك الأدلة من

---

(١) المرجع السابق نفسه (ص ٦٧) .
(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٦٧) .
(٣) المرجع السابق نفسه (ص ٦٨) .
(٤) الحطاب ــ مواهب الجليل (٣٢/١ ــ ٣٣) .

الكتاب والسنة ، ولايكتفي بالدليل الواحد بل يعدد الأدلة[1] . كما عرف عنه الصراحة في القول والإصداع بالحق ، وكان لاعراضه عن الوظائف الرسمية كولاية القضاء الدور الأكبر في احترام الجميع له وقبول علمه وآرائه[2] .

ومن علماء صقليه وفقهائها ، أبو بكر محمد بن الحسن بن علي الربعي ، الكركنتي ، المتوفي بالإسكندرية سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م[3] . وهو ينتسب الى مدينة «جرجنت» من جزيرة صقليه ، وهو فقيه مالكي ، حيث درس الفقه بصقليه على شيوخها ، ثم أتم تعليمه بالقيروان على شيوخ أفريقية ، وكان من الأخيار وأفاضل المسلمين ، وقد هاجر من صقليه عند زوال سلطان المسلمين عنها ، حيث استقر بالإسكندرية الى أن توفي[4] . ولم تذكر المصادر شيئا عن شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ، واكتفت بالإشارة الى أنه أحد فقهاء صقليه .

ومن فقهاء صقليه أيضا أبو عمر عثمان بن حجاج الشاقي الصقلي المتوفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م[5] . وقد خرج من صقليه بعد استيلاء النورمنديين عليها ، واستقر بالإسكندرية والتقى بأبي الطاهر السِّلَفي ، وقد أخذ عنه أبو الطاهر حيث قال : « وكان يحضر عندي ، وقد علقت أنا عنه شيئا يسيرا من حفظه »[6] .

وقد تفقّه أبو عمر الشاقي في مذهب مالك على الكبر ، كما أنه كتب كتبا كثيرة في الفقه[7] . ولكن لم تشر المصادر الى تلك المؤلفات وأسمائها .

---

(١) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم مقدمة المحقق (٨٩/١ ـ ٩٩) .
(٢) حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٧٢) .
(٣) المقريزي ـ المقفى (٥٥٦/٥) ، المدني ـ المسلمون في صقليه (ص ٢١٠) .
(٤) المصدر السابق نفسه / المرجع السابق نفسه (٥٥٦/٥) ، (ص ٢١٠) .
(٥) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص ٧٧) ، وهو ينتسب الى مدينة شاقة بجزيرة صقليه والتي تقع على ساحل البحر ، وبها عمارات وأسواق ومتاجر وديار كثيرة ، وهي على بعد مرحلتين من مازر . الحميري ـ الروض المعطار (ص ٣٣٦) .
(٦) السِّلَفي ـ معجم السفر (ص ٧٧) .
(٧) ياقوت ـ معجم البلدان (٣١٠/٣) .

وممن ذكرتهم المصادر من فقهاء صقليه أبو عبد الله محمد بن أحمد الهاشمي الصقلي الذي يعرف بابن الخاله[1] . فقد كان على علم بالفرائض الى جانب أنه كان يقرض الشعر ، قال عنه القفطي : « كان عالما بالفرائض ، اضافة الى علم الوثائق كما كان يصنع الشعر للتأدب لا للتكسب »[2] .

ومن فقهاء صقليه أبو الحسن علي بن الفرج بن عبد الرحمن الصقلي[3] ، والذي تولى القضاء بمكة ، وكان قد سمع من أبي بكر محمد بن أبي سعد الاسفراييني[4] ، وأبي ذر عبد بن احمد الهروي المالكي ، وغيرهما . وقد روى عنه الحافظ أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي[5] ، وأبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري[6] وغيرهما .

وقد ذكر العماد الأصفهاني في «الخريدة» اسماء لبعض فقهاء صقليه وشعرائها والذين امتازوا بفقههم الى جانب كونهم من الأدباء ، ومن هؤلاء الفقيه أبو محمد بن صمنه الصقلي والذي وصفه بأنه «حسن المحاضرة والمحاورة ، وطيب المفاكهة والمذاكرة ، واستضافة علم الشرع ، وظرافة الخلق ، وسلامة الطبع ، وله شعر سنّي الصنع ، جنّي الينع»[7] . ومنهم الفقيه عيسى بن عبد المنعم والذي وصفه بأنه كان : « كبير الشأن ذا الحجة والبرهان ، فقيه الأمة ، وأمثل الأئمة ، له المعاني والأفكار البعيدة مراميها ومراقيها ، والألفاظ التي هي كالرياض »[8] .

---

(١) القفطي ـ المحمدون من الشعراء (ص ٨٨) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٨٨) .
(٣) ابن الأثير ـ اللباب في تهذيب الأنساب (٢/٢٤٥) .
(٤) لم أعثر له على ترجمة .
(٥) أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي ، امام ، حافظ ، محدث ، رحّال . كتب بخراسان ، والحرمين والعراق واليمن ومصر والشام والجزيرة وفارس . كان ثقة كثير العبادة . توفي سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م .
(٦) ابن الأثير ـ اللباب في تهذيب الأنساب (٢/٢٤٥) .
(٧) العماد ـ الخريدة (١/١٩) . (٨) المصدر السابق نفسه (١/٢٠ ـ ٢٧) .

وأورد القاضي عياض في مداركه اسماء لمجموعة من فقهاء صقليه دون أن يعطينا أي تفصيلات عن دراستهم وشيوخهم وتلاميذهم ومؤلفاتهم . ومن هؤلاء : أبو الحسن علي بن عبد الجبار المعروف بابن الكوني فقد ذكر أنه كان : « من فقهاء صقليه ، وأنه كان نبيلا ، أديبا ، وهو القائل يرثي صقليه»[1] .

كانت وكنا بها في ظل عيش ناعم رطب

مدّ عليها الأمن أستاره فسار ذكراها مع الركب

لم يشكروا نعمة ماخولوا فبدلوا المالح من العذب[2] .

ومن خلال الأبيات السابقة يستنتج أنه من فقهاء صقليه المتأخرين الذين عاصروا الغزو النورمندي على الجزيرة والاستيلاء عليها .

ومنهم أيضا ابن فروج الصقلي والذي قال عنه القاضي عياض : « موصوف بعلم له تآليف رتب فيه تمهيد البرادعي على نسق كتاب المدونة ، ورأيت له أسماء تعاليق وتصانيف كثيرة »[3] .

وممن ذكرهم القاضي عياض ، أبو العباس أحمد بن محمد الكلاعي فقد وصفه أنه « من فقهاء صقليه ونبلائها وأنه كان أديبا وشاعرا ظريفا »[4] .

وأشار أيضا الى أن ابن القابله أحد فقهاء صقليه[5] . وكذلك الحال بالنسبة لأبي عبد الله بن البناء والذي وصفه «بالفقيه الزاهد»[6] . ومنهم أبو حفص عمر ابن ساروا اللواتي الذي قال عنه : أنه من فقهاء صقليه ومشاهيرها إضافة الى أنه كان شاعرا أديبا[7] .

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٨٠٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٤/٨٠٠) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٤/٨٠٠) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٤/٨٠١) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٤/٨٠١) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٤/٨٠١) .

(٧) المصدر السابق نفسه (٤/٧٧٣) .

ومن الذين ذكرهم القاضي عياض أحمد بن محمد الجزار والذي وصفه بأنه : « مشهور مقدم في بلده ، وانفرد برئاسة الفتيا والشهرة بالخير والصيانة والديانة وكان من أهل التحقيق بالفقه والأصول ، وبه تفقه أبو القاسم السرقوسي ومتأخروا الصقليين ، وهو قرين عبد الحق في رئاسة العلم بصقليه »[1] .

ومن الذين ذكرتهم المصادر من فقهاء صقليه أبو حفص عمر بن عبد النور ، والذي يعرف بابن الحكّار الصقلي ، والذي وصفته بأنه : « فاضل ، عالم ، نظّار ، حسن الكلام والتأليف ، وأديب شاعر حسن القول »[2] . ومن مؤلفاته الفقهية شرح «المدونة» الذي يقع في نحو ثلاثمائة جزء[3] . كما أنه اختصر كتاب «التمامات» للبرادعي[4] ، وانتقد على علي بن زياد التونسي ألف مسألة [5] . وذكر ابن فرحون ان عبد الله بن خطّاب قال : «حضرت مجلس ابن الحكار وهو يناظر بالبرادعي ويتكلم عليه كلاما عظيما ، ماسمعت بأدق منه»[6] .

وأورد القاضي عياض في مداركه حكاية تدل علي اهتمام ابن الحكار الصقلي بدين الله عز وجل ، وعدم الفتنة فيه ، حيث قال : « ان بعض شباب فقهاء صقليه وحفاظها وهو أبو القاسم ابن الحداد ، تقدم بين يدي الشيخ أبي حفص رحمه الله ، فأصلح له نعله ، أو قرنه ؛ فقال : اصفعني به ياأبا القاسم ولاتفتني في دين الله عز وجل »[7] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٤/٧٧٦ ـ ٧٧٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٤/٨٠١) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٧٧) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٢٥) .

(٣) المصادر السابقة نفسها (٤/٨٠١) ، (٢/٧٧) ، (ص ١٢٥) .

(٤) المصادر السابقة نفسها (٤/٨٠١) ، (٢/٧٧) ، (ص ١٢٥) .

(٥) المصادر السابقة نفسها (٤/٨٠١) ، (٢/٧٧) ، (ص ١٢٥) .

(٦) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٧٧) . (٧) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٨٠١) .

وابن الحكار الصقلي من أتباع المذهب المالكي ، البارعين فيه ، المهتمين بإمامة مالك رحمه الله ، فقد ورد في أبيات شعرية لابن الحكار الصقلي ، صفات أولي النهي من دقة الفقه وخلاقه ، وهو بذلك يشير الى امام المذهب مالك رحمه الله والى أتباعه المجتهدين ، فقال :

تأملت علم المرتضين أولي النهي　　فأفضلهم من ليس في جدّه لعب

ومن فقهه مستنبط من حديثه　　رواه بتصحيح الرواية وانتخب

وما مالك إلا الهدى وإذ اهتدى به　　أمم من سائر العجم والعرب(١) .

أما بالنسبة لوفاته ، فلم تشر المصادر إلى تاريخها ، فقال مخلوف : ولم أقف على وفاته(٢) .

وتحدثنا المصادر دون تفصيل عن فقيه صقلي ، يدعى ثابت الفقيه الصقلي ، والذي أخذ الفقه عن فقيهها وشيخها عبد الحق بن محمد الصقلي ، وعلى غيره من شيوخ وفقهاء صقليه ، كما أنه دخل الأندلس وأفاد بها ، وأخذ عنه الناس الفقه هناك(٣) .

ومن الفقهاء الصقليين علي بن عثمان بن الحسين الربعي الصقلي(٤) . وهو الذي روى كتاب « اللمع في أصول الفقه » لمؤلفه أبي عبد الله الحسن بن حاتم الأزدي(٥) ، وقد رواه عنه أبو علي الغساني(٦) .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٤/٨٠١) .
(٢) مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٢٥) .
(٣) ابن بشكوال ـ الصلة (١/١٢٣) .
(٤) المصدر السابق نفسه (٢/٤٣٢) .
(٥) لم أعثر له على ترجمة .
(٦) أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجيّاني الأندلسي ، رئيس المحدثين بقرطبه كان اماما في الحديث والأدب ، وله كتاب سمّاه «تقييد المهمل» ضبط فيه كل لفظ يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين . توفي سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م .
ابن بشكوال ـ الصلة (١/١٤٢ ـ ١٤٣) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢/١٨٠) .

وكانت رواية الفقيه علي بن عثمان الربعي الصقلي لكتاب « اللمع في أصول الفقه » عن طريق أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي[١] ، عن الأزدي مؤلفه[٢] .

ويعدّ الأمير أبو محمد عمار بن المنصور الكلبي من علماء صقليه في الفقه والحديث ، حيث كان ذا يد في الفقه والحديث ، وهو الأمير الذي نشأ في بيت العز والجاه وانقطع للعلم والأدب ، فكان من أفضل علماء زمانه البارزين في دراسات الحديث والفقه ، الى جانب أنه كان يقول الشعر[٣] .

ومن الفقهاء الصقليين ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن يوسف السرقوسي[٤] ـ نسبة الى مدينة سرقوسه من جزيرة صقليه ـ وكان قد تفقه بالشيخ أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد اللواتي ، المعروف بالخرقي[٥] . وفي مصر قام أبو القاسم بتدريس الفقه ، ودرس عليه تلاميذ كثيرون ، ومن هؤلاء ، أبو محمد روزبه بن محمد الخزاعي الوراق[٦] ، وأبو موسى عيسى بن خليفه بن مروان الاسكندراني اللخمي[٧] ، وأبو السيّار غادي بن سند بن عيّاش الغساني[٨] ، وعطيه بن علي بن عبد الله الفهري[٩] ، ولم يكن السرقوسي فقيها فحسب ، بل كان شاعرا ، وأديبا .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) ابن بشكوال ـ الصلة (٢/٤٣٢) .

(٣) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/١٠٠) ، عزيز أحمد ـ تاريخ صقلية الإسلامية (ص ٥٠) ، المدني ـ المسلمون في صقليه (ص ٢٠٨) .

(٤) السلفي ـ معجم السفر تحقيق امبرتو (ص ٥٧) .

(٥) قال عنه القاضي عياض : أنه من شيوخ الطبقة التاسعة وفقهائها ومحدثيها ، وكان ممن يجتمع اليه بالقيروان ، ويتناظر عنده المشيخه ، وحدث عنه أناس كثير . ترتيب المدارك (٤/٧٧٨) .

(٦) لم أعثر له على ترجمة ، وانظر : امبرتو ـ مساهمة بعض مسلمي صقليه في ثقافة مصر الفاطمية ـ مقال في ابحاث الندوة العالمية لتاريخ القاهرة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠م ، (١/٢٢٣) .

(٧) لم أعثر له على ترجمة .

(٨) السلفي ـ معجم السفر تحقيق امبرتو (ص ٥٧) .

(٩) المصدر السابق نفسه (ص ٥٧) .

ومن فقهاء صقليه أبو محمد المعروف بابن صاحب الخمس والذي وصف بأنه : « فقيه متكلم ، وكان اماما في علم الأصول ، نافذا في علم الفروع ، متورعا عن الفتيا »[1] . وقال عنه الميورقي[2] : « وهو أكبر من لقيت بصقليه ، وكان شيخنا القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري ، قد لقيه بها ، وكان يثني عليه ، وحدّث عنه وأخذ عنه »[3] .

ومن فقهاء صقليه القاضي الرشيد أحمد بن قاسم بن زيد الصقلي ، والذي خرج من صقليه بعد استيلاء النورمان عليها ، واتجه الى مصر ، واستقر بها ، وأصبح أيام الملك الأفضل[4] ، قاضي القضاة بها[5] .

ونتحدث أخيرا عما ذكره ابن مكي الصقلي في كتابه «تثقيف اللسان» عن غلط أهل الفقه[6] ، مما يدل على اهتمامه باللغة مما له علاقة بالفقه وعلومه . فقد قال : أن أكثرهم لايفرق بين « يجب » و« ينبغي » و« يجوز » والصواب

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧٧٦) .

(٢) أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعي ، من أهل ميورقه وهي جزيرة في شرق الأندلس ، كان من أهل العلم والفقه والفهم ، أخذ بالقيروان عن شيوخها علم الكلام والأصول ، كما أخذ بصقليه عن شيوخها مثل عبد الحق وأبي العباس الجزار وأبي محمد بن الأحب ، وقد غلب عليه علم التوحيد والكلام فيه ، وألف في ذلك كتاب «الأعلام» .
المصدر السابق نفسه (٤/٨٢٦ ـ ٨٢٧) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٤/٧٧٦) .

(٤) أبو القاسم شاهنشاه الملقب الملك الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي . كان وزيرا في عهد الدولة الفاطمية بمصر . وكان حسن التدبير . تولي الوزارة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م في عهد المستنصر . واستمر وزارته في عهد المستعلي ، والآمر بأحكام الله . الى أن توفي سنة ٥١٥هـ/١١٢١م . ابن منجب الصيرفي ـ الاشارة الى من نال الوزارة (ص ٥٧) ، ابن ظافر الأزدي ـ أخبار الدول المنقطعة (ص ٩١) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢/٤٤٨) ، زامباور ـ معجم الأسرات الحاكمة (ص ١٤٩) .

(٥) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/٣٣٦) ، ابن ظافر الأزدي ـ أخبار الدول المنقطعة (٩٢) ، المقريزي ـ اتعاظ الحنفا (٣/١٣٢) .

(٦) ابن مكي الصقلي ـ تثقيف اللسان باب غلط أهل الفقه (ص ٢٦١ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٧) .

: ألا توضع لفظة منهن موضع الأخرى . لأن « يجب » إنما تكون في الفرائض ، و « ينبغي » في الندب و « يجوز » في الإباحة .

ومما جاء في هذا الباب أيضا قوله : لايفرقون بين «يجزيك» و «يجزي عنك» بل يضمون أوائلها ، ويتركون الهمز فيهما جميعا . والصواب أنك إذا أتيت بـ « عن » فتحت أول الفعل المستقبل ، ولم تهمز ، فقلت : « يجزي عنك كما جزى عن غيرك » واذا لم تأت بـ « عن » ضممت أوله في المستقبل وهمزت آخره ، والماضي تدخل الهمزة في أوله وفي أخره فيقول : « أجزأك فعلك » « أي كفاك » و « قراءة فاتحة الكتاب وحدها ، تجزي عنك ولايُجزئك أن تقرأ غيرها وتدعها » .

ويقولون : « إذا حنث في يمينه » بفتح النون . والصواب : حنث ، بكسرها .

ويقولون : « إذا أعطى الامام النّفل » والصواب : « النفل » بفتح الفاء .

ويقولون : « أرض العنوه » بضم العين . والصواب : « العنوه » بفتحها .

ويقولون : « إذا استبريت الأمة » . والصواب « استبرأت » بالهمز .

ويقولون : « كتاب الولا والمواريث » بالقصر . والصواب « كتاب الولاء » ممدود .

ويقولون : « كتاب العاريه واللقطه » . والصواب : « العاريّه » بتشديد الياء ، واللّقطه . بفتح القاف .

ويقولون : « كتاب القسم » . والصواب « القسم » بفتح القاف ، لأن القسم هو النصيب ، والقسم هو مصدر « قسمت » ، وليس المراد أن يقال : « كتاب النصيب المقسوم » . ولكن المراد القسمة ، القسم بمعناها .

ويقولون : « كتاب الشّفعه » و « للشريك أن يأخذ بالشّفعه » بضم الفاء . والصواب : الشّفعه . بإسكانها .

رابعاً : علم الكلام :

عرفه الفارابي : بأنه ملكة يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها صاحب الملة ، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل (١) .

وعرف ابن خلدون علم الكلام بأنه : « علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المنحرفين في الإعتقادات عن مذاهب السلف ، وأهل السنة وسرّ هذه العقائد هو التوحيد (٢) .

ويذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن المسلمين في صدر الاسلام كانوا يرون أن : « التنافر والتجادل في الاعتقاد يؤدي الى الانسلاخ من الدين ، ولذلك كان المسلمون عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على عقيدة واحدة ، ولم يظهر البحث والجدل في مسائل العقيدة إلا بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام ، حين ظهرت البدع ، واضطر المسلمون الى مدافعتها ، ومن ثم تفرقت الفرق ، ونشأ علم الكلام ضرورة تقدر بقدرها » (٣) .

وقد نقل عن الامام الشافعي رحمه الله أن أحد تلاميذه كان يسأله عن مسائل بلسان أهل الكلام ، وكان يجيبه عليها باختصار ، ثم قال له : « يا بني أدلك على ما هو خير من هذا . ـ ثم قال ـ : يا بني هذا علم أن اصبت فيه لم تؤجر ، ، وإن انت أخطأت فيه كفرت ، فهل لك في علم ، إن اصبت فيه أجرت ، وإن أنت أخطأت لم تأثم . قال التلميذ : وما هو ؟ قال الشافعي : الفقه » (٤) .

وقد كان الفقهاء في كافة الأمصار الإسلامية يعدّون أهل الكلام على أنهم ليسوا في طبقات الفقهاء والعلماء . وفي ذلك يقول ابن عبد البر النمري حافظ

---

(١) الفارابي ـ احصاء العلوم (ص ١٠٧) .
(٢) ابن خلدون ـ المقدمة (ص ٤٥٨) .
(٣) ابن تيمية ـ العقيدة الواسطية (ص ٢٤ ـ ٢٥) .
(٤) السبكي ـ طبقات الشافعية (٢٤١/١) .

الأندلس : « أجمع أهل الفقه ، والآثار في جميع الأمصار ، أن أهل الكلام ، أهل بدع وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء ، وإنما العلماء ، أهل الأثر ، والتفقه فيه ، ويتفاضلون فيه في الاتفاق والميز والفهم »[1] .

ولقد بدأ علم الكلام في بداية الأمر كلاما في مسألة القدر ، ولم يكن علما حينذاك بل كان شكلا فكريا من أشكال التحول الكيفي لتراكمات التطور الاجتماعي والثقافي . وعلى أساس مسألة القدر من حيث علاقاتها بحرية الانسان في اختيار أفعاله ، أثيرت مباحث متفرقة ومتنوعة في الفقه وأصوله فكونت بالتالي مايسمى بعلم الكلام[2] .

وكان لخروج المشتغلين بهذا العلم عن منهج أهل السنة والجماعة أثر في تألّب الفقهاء ضدهم ، فالفقهاء يرون في هذا العلم بدعة من البدع التي يجب محاربتها ، ومطاردة أتباعها[3] .

ويرى الإمام الغزالي أن المتكلمين كانوا يدافعون عن السنة ويحرسونها من أهل البدع فقال : « وإنما مقصودة ـ أي علم الكلام ـ حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة ... ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة ، فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها ، فأنشأ الله طائفة من المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف أهل السنة المأثورة ، فمنه نشأ علم الكلام »[4] .

---

(١) الضبي ـ بغية الملتمس (ص ١٥٧) .

(٢) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص ٤٧٥) .

(٣) سعد البشري ـ الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ـ ماجستير ـ جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ (ص ٢٠٩) ، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، دكتوراه ، جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ . (ص ٣٣٠) . (٤) الغزالي ـ المنقذ من الضلال (ص ١٤) .

وفي صقليه الاسلامية كان المذهب السائد هو مذهب الامام مالك رحمه الله ، وذلك استنادا الى ماتقدم من نصوص تثبت ذلك(١) . لذلك فإن لفقهاء المالكية موقفهم من علم الكلام وأهله ، المتمثل في قوة نفوذهم لإرساء قواعد مذهبهم ، والتضييق على الاشتغال بالمذاهب الأخرى . وقد أشار المقدسي الى موقفهم من علم الكلام وبغضهم لأتباعه ، وأنهم إن صادفوا شخصا يشتغل بالإعتزال ، أو يعتنق بعض أفكاره ، فقد يكون نصيبه القتل على أيديهم(٢) .

وقد أورد ابن حوقل مايفيد كره الصقليين للمتكلميين ، فقال : « حدثني أبو عبد الله محمد بن عيسى المعروف بالناشئ القروي المتكلم ـ وكنا معا بصقليه قال : « بينما أنا واقفا بالسماط ، بقرب مكتب ابن مطر أحادث إخوانا لي ، إذ وقف بهم ابن مطر ، فسلموا عليه وسلم عليّ ، فرددت عليه ، وأخذ يصفني بأقبح عبارة وأبشع لفظ وإشارة ، وقال في خلال قوله لي : يعزّ عليّ بعدك عن الحق . فقلت : لعن الله أبعدنا عن الحق ، وأقلّنا علما به . فتغير لونه . فقال له القوم : قد أنصفك لأنه إنما لعن الأبعد من الحق ، ولم يقصد إلا الأقلّ علما بالله . فقال : ألست عراقي المذهب ؟ فقلت : لا . وذلك أن أهل العراق يدعون مرجئه(٣) .

لذلك فإن علم الكلام لم يكن مرغوباً في صقليه ، ذلك لأن آراء فقهاء المالكية ترى أن المشتغلين بهذا العلم ، إنما هم أهل أهواء وبدع ، ولاتقبل لهم شهادة في الاسلام ويفجرون ويؤدبون على بدعهم فإن تمادوا عليها استتيبوا منها(٤) . وقد فصل ابن حزم في كتابه « الفصل في الملل والنحل » عن أهل الكلام ومواقف العلماء منهم(٥) .

---

(١) انظر : (موضوع الدراسات الفقهية في صقليه) .
(٢) المقدسي ـ أحسن التقاسيم (ص ٢٣٦) .
(٣) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص ١٢١ ـ ١٢٢) ، وانظر : (الأوضاع الدينية في صقليه) .
(٤) الضبي ـ بغية الملتمس (ص ١٥٧) .
(٥) ابن حزم ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١١/٢) .

وإن سيادة فقهاء وعلماء أهل السنة والجماعة في صقليه ، قد اضفت على الحياة الفكرية نقاء وصفاء ، مع البعد عن الجدل والفرق المختلفة . ومع ذلك لم تخل صقليه من وجود من تكلم بلسان أهل الكلام ، ولكن المصادر لم تذكر لنا إلا فئة يسيرة .

ومــاذكــرته المصـادر عن أولئك الأشــخــاص من أنه كـان لهم دور في الاشـتـغـال بعلم الكلام ، فإن ذلك لم يكن صـفـتـهم الأسـاسـيـة بل الى جـانب تضلّعهم في العلوم الشرعية ، نجد أن منهم من يميل الى علم الكلام ، ولم تكن تلك صناعتهم .

وممن اشتغل بعلم الكلام من أهل صقليه ، أبو الفضل العباس بن عمرو بن هارون الكناني الوراق المتوفي سنة ٣٧٩هـ/٩٢٧م[١] . وكان قد خرج من صقليه الى القيروان سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م ، واستقر بها سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م ، ثم خرج الى الأندلس واتصل بولي العهد الحكم بن عبد الرحمن[٢] . وأصبح من جملة الوراقين لديه[٣] .

وقد وصف العباس بن عمرو بأنه : « كان وسيما حليما ، حسن الحكاية ، بصيرا بالرد على أصحاب المذاهب ، عالما بالكلام ، حافظا لأخبار أبي عثمان الحداد الغسّاني ، في مجلسه ومناظراته »[٤] .

وقد غلبت عليه صفة علم الكلام حيث قال ابن الفرضي : « وكان هذا الفن ـ أي علم الكلام ـ أكثر علمه »[٥] . وقد عاش العباس بن عمرو حتى علت

---

(١) ابن الفرضي ـ تاريخ علماء الأندلس ، طبعه الحسيني (٣٤٣/١) ، وانظر : (علم الحديث) .
(٢) الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله . الخليفة الأموي الأندلسي . ولد بقرطبة سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م . وتولى الخلافة سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م . كان عالما بالدين ملما بالأدب والتاريخ ، ضليعا في معرفة الأنساب . توفي سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م .
الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٨) .
(٣) ابن الفرضي ـ تاريخ علماء الأندلس (٣٤٣/١) .
(٤) المصدر السابق نفسه (٣٤٣/١) .
(٥) المصدر السابق نفسه (٣٤٣/١) .

سنّه ، وذهب بصره ، وأصابه الفالج ، فقد جاوز الثمانين سنة إذ كان مولده سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م(١) .

وذكرت المصادر أن أبا بكر محمد بن سابق الصقلي المتوفي سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م(٢) . كان : « متكلما أصوليا »(٣) . ولأبي بكر الصقلي رسالة في معنى كلام الله تعالى والرد على المخالفين ، بيّن فيها مذهب أهل السنة والجماعة ، ومذاهب أهل البدع والخوارج والقدرية ، في صفة كلام الله سبحانه وتعالى(٤) .

وكان أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج بن فرج المازري المعروف بالذكي المتوفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م(٥) ، كان يميل الى الجدل والمناظرة ، وقول أهل الكلام ، فقد وصف بأنه كان : « فقيها ، حافظا ، مدركا ، نبيلا ، فهما ، متقدما في علم المذهب واللسان متفننا في علوم القرآن وسائر المعارف »(٦) .

وكان لكثرة رحلاته أثر كبير في ميله الى علم الكلام ، ذلك أنه دخل الى بغداد ــ وهو فقيه مالكي ــ ولم يجد بها إلا القليل من أتباع المذهب المالكي ، فلمّا لم تحل له بها رئاسة الفقه ، مال الى صنعة النظر وحذق الجدل(٧) .

وكان المازري الذكي كثير النقاش والاعتراضات مع حدّة وغلظة كما كان « ينفرد بأشياء من تفسير الأخبار وغيرها ، لايتابعه أحد فيها ، وسببه اعجابه بنفسه »(٨) .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣٤٣/١) .
(٢) ابن بشكوال ــ الصلة (٦٠٤/٢) ، الضبي ــ بغية الملتمس (ص ٨٠) .
(٣) المصدران السابقان (٦٠٤/٢) ، (ص ٨٠) .
(٤) ابن سابق الصقلي ــ معنى كلام الله تعالى ، مخطوطة عدد صفحاتها (٨) .
(٥) عياض ــ ترتيب المدارك (٧٩٢/٤) ، الدباغ ــ معالم الإيمان (٢٠٣/٣) .
(٦) المصدران السابقان (٧٩٢/٤) ، (٢٠٣/٣) .
(٧) عياض ــ ترتيب المدارك (٧٩٣/٤) .
(٨) القفطي ــ أنباه الرواه (٧٣/٣) .

ووقع بينه وبين الامام الغزالي جدل ومناظرات ، فقد كان كثير الاعتراض على الغزالي ويصفه بصفات غير محمودة ، ويذكر بشرّ[1] . قال عياض : « وقد جرى له حروب في مطالبة الغزالي »[2] .

كما كان له مع أهل خراسان محاورات ومناظرات ، وانتهت بطعنه فيهم ، وطعنهم فيه ، وتعدى الأمر ذلك بأن بسط لسانه بما لايليق عليهم[3] .

وممن كان يميل الى علم الكلام من أهل صقليه محمد بن مسلم بن محمد ابن أبي بكر القرشي المازري الصقلي المتوفي سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م[4] .

حيث ذكر أنه قد : « غلب عليه الكلام والتحقيق ، وتقدم فيه تقدما ، برز فيه على أهل وقته ، وصنف فيه تصانيف قوية »[5] . وقد رحل اليه الناس للدراسة عليه في علم الأصول والكلام ، وبلغ من ذلك مرتبة كبيرة حتى أنه كان يناظر الفرق»[6] .

وقد كانت مؤلفات محمد بن مسلم المازري منصبّة على شرح مؤلفات أبي المعالي الجويني امام الحرمين ، حيث شرح المازري كتاب «البرهان » في أصول الفقه وكتاب «الارشاد» في علم الكلام .

وإذا عرفنا أن كتاب «الارشاد» لأبي المعالي الجويني ، هو كتاب قصد منه مؤلفه بيان العقائد الدينية ، والاستدلال لها ، ثم الدفاع عنها ، ومناهضة أصحاب المقالات ، والمذاهب المخالفة للدين ، وذلك في اسلوب قوي وواضح

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣/٧٣) .

(٢) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧٩٣) .

(٣) القفطي ـ أنباه الرواه (٣/٧٣) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٤/٣٢٠) ، السيوطي ـ بغية الوعاه (١/٢١٠) .

(٤) عياض ـ الغنية (ص ٨٨) ، التنبكتي ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص ٢٢٧) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص ١٢٥) ، حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٩٤) .

(٥) عياض ـ الغنية (ص ٨٨) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص ٨٨) .

ومركز في غير تعقيد[1] . ـ إذا عـرفنا ذلك ـ أدركنا تضلـع المازري فـي علم الكلام واخراجه لكتاب «المهاد في شرح الارشاد»[2] ، ويعتبر كتاب «المهاد» للمازري أحسن شرح لكتاب «الارشاد»[3] .

وهذا أبو عبد الله الامام المازري ، والذي يعد من أشهر فقهاء صقليه . والذي توفي سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م . بالمهدية قد شـرح كتـاب «البـرهان» لأبي المعالي الجويني وهو كتاب قصد منه مؤلفه الكلام في أصول الديانة . وشرح المازري له هو أقدم شرح له . وعرف كتابه بإسم «ايضاح المحصول من برهان الأصول»[4] .

كما ألف الامام المازري كتاب «الكشف والإنباء عن المترجم بالإحياء»[5] .

وهو كتـاب يرد فيه على الغزالي في كتـابه « احياء علوم الدين » . قال الذهبي : « وللإمام محمد بن علي المازري الصقلي كلام على «الاحياء» يدل على امامته . ويقول : ـ مجيبا على الاستفسارات الموجهة اليه عن كتاب الاحياء ـ وقد تكررت مكاتبتكم في إستعلام مذهبنا في الكتاب المترجم بـ « احياء علوم الدين » وذكرتم أن أراء الناس فيه قد اختلفت ، فطائفة انتصرت ، وتعصبت لإشـهاره ، وطـائفـة حـذّرت منه ونفّرت ، وطـائفة لكتبـه أحـرقت . وكاتبني أهل المشرق أيضـا يسـألوني ، ولم يتقدم لي قراءة هذا الكتاب سـوى نبذ منه ، فإن نفّس الله في العمر ، مددت فيه الأنفاس ، وأزلت عن القلوب الالتباس »[6] .

---

(١) الجويني ـ الارشاد (ص ٥) .
(٢) نسخة خطية بمكتبة الدكتور حسن حسني عبد الوهاب .
(٣) حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٩٤) .
(٤) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢٨٥/٤) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (١٥١/٤) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢٥٠/٢) ، حسن عبدالوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٢) .
(٥) المقري ـ ازهار الرياض (١٦٦/٣) ، حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٦) .
(٦) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٣٣٩/١٩ ـ ٣٤٠) .

ثم قال الامام المازري عن أبي حامد الغزالي : « وأما علم الكلام فإنه صنّف فيه ، وليس بالمتبحر فيها ، ولقد فطنت لعدم استبحاره فيها ، وذلك أنه قرأ الفلسفة قبل استبحاره في فن الأصول ، فأكسبته الفلسفة جرأة على المعاني ، وتسهّلا للهجوم على الحقائق ، لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها ، لايزعها شرع »[1] .

وأضاف الامام المازري قائلا : « وعرّفني صاحب له أنه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا . وهي احدى وخمسون رسالة ، ألّفها من قد خاض في علم الشرع والنقل ، وفي الحكمة فمزج بين العلمين ، وقد كان رجل يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تصانيف ، أدّته قوته في الفلسفة الى أن حاول ردّ أصول العقائد الى علم الفلسفة ، وتلطّف جهده ، حتى تم له مالم يتم لغيره ، وقد رأيت جملا من دواوينه ، ووجدت أبا حامد يعوّل عليه في اكثر مايشير اليه من علوم الفلسفة »[2] .

وقد تكلم تاج الدين السبكي في مسألة الخلاف بين المازري والغزالي في كتابه « طبقات الشافعية » وقد أرجع انتقاد المازري للغزالي إلى المخالفة المذهبية في الأحكام ، حيث أن المازري مالكي ، والغزالي شافعي[3] .

وقد علق الشيخ الشاذلي على قول السبكي السابق قائلاً : « وماذهب اليه التاج السبكي من هذا التعليل بعيد كل البعد ، لأن انتقاد المازري ، ليس متوجها في هاتين الناحيتين ، وانما هو متوجه نحو ناحية خارجة عنهما ، وهي رواية الأحاديث الواهية دون تثبت فيها باثبات ماثبت اسناده ، ورد مالم يثبت .

---

(١) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٣٣٩/١٩ ـ ٣٤٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٣٤٠/١٩) .

(١) السبكي ـ طبقات الشافعية (١٢٤/٤) ، وقد فصل كثيرا في مسألة الخلاف .

فأي دخل في المذهبية واختلافها في هذه المسألة ، وقصارى ماذكره المترجم نقدا للاحياء ، هو أن التورع يقتضي ان يتحرى غاية التحري في الرواية حتى لاينسب قول الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لم يصدر عنه ، والتشديد في الوعيد في التساهل في أمر الحديث لايخفى »[١] .

وأضاف النيفر : « ثم أن المازري في رده عليه لم ينسب اليه الوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه برئ من هذا ، وإنما لم ينقد ماروا ه ، فجاءت بعض الأحاديث مروية في كتابه « الاحياء » وهي محل نظر »[٢] .

والامام المازري أيضاً كتب كتابا للرد على فرقة من فرق أهل الملل والنحل وذلك بكتابه «النكت القطيعة في الرد على الحشوية»[٣] .

وله أيضاً رد على أحد علماء المسلمين الذين أرتدوا ، وبدأ يلفّق القوادح في الاسلام ويطعن في القرآن . وطرق جمعه . وغير ذلك . وقد نقض الامام المازري قول هذا الملحد بالأدلة التاريخية الصحيحة ، وأقام البراهين والحجج المنطقية على دحض أقواله وتفنيدها وذلك في كتابه : « الواضح في قطع لسان النابح »[٤] .

ومن فقهاء صقليه والذين كان لهم دور في علم الكلام : أبو محمد المعروف بابن صاحب الخمس ، حيث وصف بأنه : « فقيه متكلم ، اماما في علوم الأصول ، نافذا في علم الفروع ، متورعا عن الفتيا »[٥] ، وكان من

---

(١) الشاذلي النيفر ـ المازري الفقيه والمتكلم (ص ٧٦) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص ٧٦) .

(٣) المقري ـ أزهار الرياض (١٦٦/٣) ، حسن عبد الوهاب ـ الامام المازري (ص ٦٧) .

(٤) المرجع السابق نفسه ـ الامام المازري (ص ٦٧) ، نقلا عن كتاب اكمال المعلم للأبي (٢٩٥/٦) .

(٥) عياض ـ المدارك (٧٧٦/٤) .

أشهر تلاميذه في علم الكلام محمد بن موسى بن عمار الكلاعي الميورقي . الذي أصبح من المتكلمين في وقته . والذي قال عن شيخه : « أنه أكبر من لقيت بصقليه »[1] .

كما كان ابو العباس أحمد بن محمد الجزار الصقلي يميل الى علم الكلام فقد وصف بأنه كان « من أهل التحقيق بالفقه والأصول »[2] . هذا إضافة الى أن الميورقي وهو أصولي متكلم ، قد تتلمذ على ابي العباس الجزار[3] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٤/٧٧٦) .
(٢) المصدر السابق نفسه (٤/٧٧٦ ـ ٧٧٧) .
(٣) المصدر السابق نفسه (٤/٨٢٦ ـ ٨٢٧) .

الفصل الثاني

علوم اللغة والدراسات الأدبية والشعرية



علوم اللغة والنحو :

لقد حظيت اللغة العربية وعلومها المختلفة بعناية كبيرة جدا منذ أن شرفها الله بأن أنزل القرآن بها . فأصبحت لغة الأمة الاسلامية ذات الجذور العريقة الممتدة في أعماق التاريخ . لذلك نرى أهل هذه اللغة قد اهتموا بها كبير الاهتمام فأرّخوا لها ، وجمعوا واستنبطوا منها الأصول ووضعوا القواعد ، كل ذلك بغية المحافظة عليها من الدخيل أو التأثر بلغات الأقوام الأخرى ، وحمايتها من العجمة ، واللحن ، والتصحيف ، والتحريف وخاصة بعد الفتوحات الاسلامية الكبرى ، والتى نجم عنها اختلاط واسع بين العرب وشعوب البلدان المفتوحة من غير العرب ، حيث شاعت الأعجمية والدخيلة ، فظهرت الحاجة إلى حفظ اللغة العربية ، خدمة للقرآن وتفسيره ، وطرق ضبط الحديث ومتونه ، وكذلك لضبط اللغة العربية وأصولها .

ومن هنا يلاحظ أن الاهتمام باللغة قد بدأ أول مابدأ في حلقات القراء ، والمحدثين والفقهاء ، كما أن الاهتمام بتعليم الأطفال بعض أمور النحو يبدأ من المراحل الأولى فذكر ابن سحنون أنه مما يجب على المعلم تجاه الصبيان « أن يعلمهم إعراب القرآن ، وذلك لازم له »[(١)] .

وعن اهتمام علماء المسلمين في البلدان الإسلامية باللغة العربية وأصولها فقد ظهر أول ماظهر في مدينة البصرة أولى المدينتين اللتين أسسها المسلمون في العراق بعد فتحه ، حيث أصبحت البصره مركزاً مهما للعلوم اللغوية والنحوية ، هذا مع العلم أن البصرة تختلط فيها العديد من اللغات نتيجة لموقعها الهام حيث تفد إليها القوافل من مختلف أطراف الجزيرة العربية ، والبلاد الأخرى . كما كانت الكوفة ثانى الأمصار الاسلامية بعد الفتح تتمتع

---

(١) ابن سحنون آداب المعلمين (ص١٠٢) .

بنفس الأهمية ، فقد شاركت البصرة في رعاية نشأة وتطور علوم اللغة والنحو ، ولذلك يمكن القول « أن علماء اللغة البصريين ، والكوفيين هم اللذين اهتموا بلغة العرب ، وجعلوا دراستها علما ، وألفوا فيها الكتب ، ثم أُخذ هذا عنهم ونقل ونشر في كافة البلدان الإسلامية »[1] .

ولقد مر علم النحو بأربعة أطوار مهمة هى طور الوضع والتكوين وطور النشء والنمو وطور النضج والكمال ، وطور الترجيح والبسط في التصنيف على أنه ليس في الاستطاعة وضع حد توقيتي ينفصل به كل طور عما سبقه ، أو أعقبه فإن الأطوار لابد من تداخلها[2] ، وحيث أن البصرة كانت منطلق العناية باللغة وعلومها فإن طور الوضع والتكوين لعلم النحو يكون قد حدث بها وقد شاركت الكوفة البصرة فى الطور الثانى ، وفى الطور الثالث التقى البصريون بالكوفيين في بغداد منتصف القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى ، وبدأت بذلك بوادر الطور الرابع[3] .

وقد اتسعت آفاق ومباحث اللغة ، فقد أحاط علمائها بمختلف أنواع فروع اللغة العربية ، ولذلك فإن مؤرخى الانتاج العلمى للمسلمين ، قد صنفوا علماء اللغة مرة في اللغويين ، وثانية في النحويين ، وثالثة في الأدباء ، ورابعة في الأصوليين . وهذا يدل على شمولية هذا العلم لدى علماء المسلمين لدرجة أن بعضهم جمع بين العلوم الشرعية ، والعلوم البحتة ، مع بروز التخصص في فرع من فروع العلوم[4] . وقد كان ذلك سمة غالبة على علماء البلدان الاسلامية في القرون الأولى ، فقد كانوا ملمين بعلوم ومعارف شتى إلى جانب

(١) خديجة الحديثى ـ حضارة العراق (٧/٢١٥) .

(٢) محمد الطنطاوى ـ نشأة علم النحو (ص٣٦) .

(٣) خديجة الحديثى ـ حضارة العراق (اللغة والنحو) ، (٧/٢٢١) .

(٤) رشاد معتوق ـ الحياة العلمية في العراق في العصر البويهى (ص٣١٩) .

تخصصاتهم الأصلية ، كما أن العلماء المسلمين في كل فن من فنون المعرفة لايمكن لهم الاستغناء عن علوم العربية بنحوها وصرفها ، ومفرداتها ، وتركيباتها ، وغريبها ، والمعرّب فيها ، وخلاف ذلك ، وخاصة فيما يتعلق بالدراسات الشرعية ، والتى تعتمد على سبر أغوار اللغة العربية .

وفى صقلية الاسلاميه كانت الناحية اللغوية في الحياة اليومية يشوبها كثير من اللحن فأصبح عمل المكاتب وحلقات الدروس ضبط ألألسنة عن الخطأ في كتاب الله عز وجل وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعند قراءة الكتب والقاء الخطب .

وكان بعض العلماء الصقليين يتحرزون من الرواية ويمتنعون عنها خوفا من الوقوع في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذا أبو حفص عمر بن يوسف بن الحذاء الصقلي ، يمتنع عن الرواية ، وذلك بحجة أنه لم يتقدم له قراءة للعربية ، وبذلك لايقع في الكذب علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عنه أبو الطاهر السّلفى : « وقد كان يمتنع من الرواية ، ولم يقرأ عليه أحد شيئا من الحديث غيرى ، بعد امتناع زائد وخطب طويل جرى بينى وبينه »[1] . وذكر أن سبب ذلك « التحرز من الوقوع في الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم إذ لم يتقدم له قراءة للعربية[2] .

وهذا يدلنا بوضوح أن علوم اللغة ترتبط ارتباطا وثيقا ببقية العلوم الأخرى ، فالمقرىء لابد أن يكون على المام باللغة والنحو ، وكذلك المحدث ، والفقيه ، والمفسر ، وغيرهم ، إذ أن ذلك كله يعتمد على فهم اللغة العربية بفنونها المختلفة .

---

(١) السلفى ـ معجم السفر تحقيق امبرتو (ص٦٦) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص٦٨) .

ومن مظاهر اللحن في الحياة اليومية في صقلية الإسلامية ماأورده ابن حوقل الذى زاد صقلية في القرن الرابع الهجرى ، ونقل لنا حال الخطيب الذى ظل يخطب الناس لمدة عامين ويلحن في كلامه ، ومع ذلك كان الأمر اعتياديا لايؤبه به ، فقال : « ولقد رأيت ولدا كان لاسحاق بن الماجلى المعلم القاضى[1] ، يخطبهم نحو حولين يجزم الأسماء مع الصلة ، ويجر الأفعال ، من أول خطبته إلى آخرها »[2] .

وأثار حال الخطيب هذا ، تساؤلا لدى ابن حوقل ، فذهب يستفسر عن سرّ ذلك اللحن ، وعن عدم قيام العارفين باللغة بمهمة التصحيح ، فأتجه إلى أحد الأدباء قائلاً له : « أما سمعت الخطيب وماكان منه ؟ »[3] فرد عليه قائلا : « كأنه والله ياسيدى كما تقول ، غير انا نحن لانأبه لمثل هذا »[4] .

وكان سبب تأليف ابن مكى الصقلى لكتابه « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » ردة فعل لما كان عليه الحال فى صقلية ، فقد كثرت الأخطاء واللحن في كلام أهل صقلية ، بما فيهم القراء ، والمفسرين ، والمحدثين ، والفقهاء ، وغيرهم من المتخصصين ، هذا بالإضافة إلى اللحن في كلام العامة . وقد عبر عن ذلك كله ابن مكى الصقلي في مقدمة كتابه والتى جاء فيها :

« الحمد لله الذى فضلنا باللسان العربى ، والنبى الأمي ، الذى آتاه جوامع الكلم وفضله على جميع الأمم ... فلما تمت الحجة ، ووضحت المحجة ، هجم الفساد على اللسان ، وخالطت الإساءة الاحسان ، ودخلت لغة العرب ،

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص١٢١) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص١٢١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص١٢١) .

فلم تزل كل يوم تنهدم أركانها ، وتموت فرسانها ، حتى استبيح حريمها وهجّن صميمها ، وعفت آثارها ، وطفئت أنوارها ، وصار كثير من الناس يخطئون وهم يحسبون أنهم مصيبون ، وكثير من العامة يصيبون وهم لايشعرون ، فربما سخر المخطيء من المصيب ، وعنده أنه قد ظفر بأوفر نصيب ، وتساوى الناس في الخطأ واللحن إلا قليلا ... ثم لم يزل الغلط ينتشر بين الناس ويستطير حتى وقع بهم تصحيف المشهور من حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، واللحن فى الواضح المتداول منه ، وتعمد الوقف في مواضع لايجوز الوقف عليها من كتاب الله عز وجل . وتغيير أشعار العرب وتصحيفها . وتصنيف كتب الفقه وغيرها ملحونه ، تقرأ كذلك فلا يؤبه إلى لحنها ، ولايفطن إلى غلطها ، بل إذا سمعوا الصواب أنكروه ونافروه ، لطول ماألفوا فقده ، وركبوا ضده »[1] .

وذكر لنا ابن مكى الصقلى بعض الأمثلة التى أطلع عليها بنفسه ، أو سمعها، من ذلك قوله : ولقد وقفت على كتاب بخط رجل من خاصة الناس وأفاضلهم فيه : وأحب أن تشتهد لي فى كذا وكذا . « بالشين ، وهو يريد « تجتهد »[2] .

ورأى بخط آخر أكبر منه ، وأعلى منزلة ، بيت شعر على ظهر كتاب ، وهو قول الشاعر :

زوامل للأسفار لاعلم عندهم بجيّدها إلا كعلم الأباعر[3].

---

(١) ابن مكي الصقلي ـ تثقيف اللسان (ص٤١ ـ ٤٢) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص٤٢) .

(٣) جاء ذلك من أبيات لمروان بن أبى حفصه في قوم من رواة الشعر لايعلمون ماهو على كثرة استكثارهم من روايته . وجاء بعد البيت السابق قوله :

لعمرك مايدري البعيد إذا غدا بأوساقة أو راح مافى الغرائر

ابن عبد ربه ـ العقد الفريد (٢/٢٧٩) .

والبعير الذى يحمل عليه المتاع والطعام ، زامله ابن منظور ـ لسان العرب (١١/٣١٠) .

فقد كتبه « للأصفار » بالصاد[1] .

ومن أمثلة ماأورده ابن مكى أيضا قوله « وكتب إليّ آخر من أهل العلم رقعة فيها : « وقد عزمت على الإيتيان إليك » بزيادة تاء[2] .

وقوله : « شهدت يوما رجلا قبله تخصص وفقه وحفظ للأخبار والأشعار وقد سمع كلاما فيه ذكر الشدق[3] . فلما سمعه بالدال ـ غير معجمة ـ أنكره وتعجب من أن يجوز ذلك ، وليس يجوز سواه »[4] .

وشمل اللحن الشعر في صقليه ، فذكر العماد الأصفهانى أنه وجد في شعر ابى علي حسن بن داود الغاون الصقلي ، لحنا كثيرا[5] .

ويتضح من كتاب ابن مكي الصقلي ، أن صقليه كانت إلى عصره قد انفردت بلهجة ميزتها عن المشرق والأندلس[6] ، قال : « وأهل البلدان مختلفون في أغاليطهم ، فربما يصيب هؤلاء فيما يغلط فيه أولئك ، وربما يصيب أولئك فيما يغلط فيه هؤلاء وربما أتفقوا في الغلط ، ألا ترى أن أهل المشرق يقولون : « النّسيان » و« آمّين » عند الدعاء ، بالتشديد ، و« أخذت للأمر هبته » . ومثل ذلك كثير مما ذكره علماؤهم وأخذوه عليهم ، وقد يغلطون فيما لايلفظ به أهل بلدنا ولاسمعوا به قط ... وكذلك غلط أهل الأندلس ربما وافق غلط أهل بلدنا ، وربما خالفه ، كقولهم في التبْنْ : تَبِنْ ....[7] .

(١) ابن مكى الصقلي ـ تثقيف اللسان (ص٤٢) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص٤٢) .

(٣) الشدق : جانب الفم ، ابن منظور ـ لسان العرب (١٧٢/١٠) .

(٤) ابن مكى ـ تثقيف اللسان (ص٤٢) .

(٥) العماد الأصفهانى ـ الخريدة (٢٦/١) ، وانظر موضوع (الادب في صقلية) .

(٦) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص١٠٦) .

(٧) ابن مكي الصقلي ـ تثقيف اللسان (ص٤٣ ـ ٤٤) .

وعلق أحد الباحثين المحدثين على انتشار اللحن في صقلية بقوله : « وأكبر الظن أن مكاتب المعلمين ، وحلق المدرسين ، أحسّت أحساسا خفيا بإخفاقها أمام تيار الحياة ، فأخذت تلتوى على نفسها ونسيت واجبها الأول ، فسارت بالنحو إلى مرحلة الألغاز »[1] كالذى نجده فى شعر يوسف بن أحمد الدباغ الصقلي[2] ، والذى أغلبه مسائل في النحو كقوله :

إن عند المليحة الحسناء	وأى من أضمرت لخل وفاء
فعسى أن يكون بحسن من قد	كان من قبل ذاك أن قد أساء[3] .

وفيما يتعلق بالدراسات اللغوية في صقلية ، فإنها قد تأثرت بداية بدخول عدد من علماء اللغة اليها[4] ، من البلاد الإسلامية الأخرى ومنهم على سبيل المثال موسى بن اصبع المرادى القرطبي ، وصاعد البغدادى وغيرهما[5] . ومع مرور الزمن ظهرت مدرسة صقلية اللغوية المستقلة التى أسسها أبناؤها الصقليون ، كما هو الحال بالنسبة لمدرسة صقلية الفقهية التى قامت على يد الفقيه ابن يونس وعبد الحق وعتيق السمنطارى .

ونهضة صقلية اللغوية تكاد تكون معاصرة لنشاطها في الفقه ، وهى في وقت متأخر نسبيا ، وبدايتها كانت على يد عالمها الكبير ابن البر الصقلى ، فهو بحق مؤسس مدرسة صقلية اللغوية ، التى تخرج منها علماء كبار كابن القطاع الصقلي وأبو العرب ، وعمر بن خلف بن مكي ، وغيرهم . وهى مدرسة واضحة المعالم فأصحابها معروفين ، وآثارهم معروفة ، ويضاف إلى ذلك جهود غيرهم

(١) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص١٠٧) .

(٢) القفطي ـ انباه الرواه (٧٠/٤) ، السيوطى ـ بغية الوعاه (٣٥٦/٢) .

(٣) المصدران السابقان (٧٠/٤) ، (٣٥٦/٢) ، ثم انظر موضوع (الأدب في صقلية) .

(٤) انظر موضوع (علاقات صقلية الثقافية ببلدان العالم الإسلامى) .

(٥) انظر آثارهما في صقلية في موضوع (العلاقات الثقافية) .

من العلماء الوافدين الذين كان لهم أثر كبير في اثراء مدرسة صقلية اللغوية كالناقد والأديب ابن رشيق القيرواني .

وابن البر هو : أبو بكر محمد بن علي بن الحسن بن البر اللغوي ، التميمي الغوثي الصقلي المتوفى سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م .[١] وقد ولد ابن البر الصقلي في صقلية ورحل عنها في طلب العلم إلى المشرق ، وروى كثيرا من اللغة ، وعاد واستقر بصقليه[٢] . وفي أثناء رحلته التقى بعدد كبير من العلماء ودرس عليهم ، وخاصة مايتعلق باللغة ، وتنوعت بذلك مصادر ثقافته .

فمن شيوخ اللغة الذين درس عليهم ابن البرّ الصقلي ، ونقل عنهم ، أبو عبد الله القزاز[٣] ، ويتضح لنا ذلك من خلال ماينقله ابن مكي الصقلي في كتابه « تثقيف اللسان » عن ابن البر اللغوي ، ويشير إلى أن ذلك أخذه عن شيخه ابي عبد الله القزاز[٤] ، ومثال ذلك قول ابن مكي الصقلي : « يقولون : برغواطه ـ اسم قبيله ـ والصواب : بلَغْواطه ، بلام مفتوحة واسكان الغين . والنسب اليها : بلغواطيّ . أخبرني بذلك الشيخ أبو بكر عن أبي عبد الله القزاز »[٥] .

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (٣/ ١٩٠) ، ابن الابار ـ التكملة لكتاب الصلة (٦٧١/٢) ، اليماني ـ اشارة التعيين في تراجم النحاه واللغويين (ص٣٣٢) ، الفيروزابادي ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة (ص٢٤٠) ، ابن قاضي شهبة ـ طبقات النحاة واللغويين (١٩٦/١) ، السيوطي ـ بغية الوعاة في طبقات اللغوين (١٧٨/١) .

(٢) القفطي ـ انباه الرواه (١٩٠/٣) .

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي ، النحوي القيرواني المعروف بالقزاز . كان الغالب عليه علم النحو واللغة وبرز في ذلك وكتابه « الجامع » في اللغة خير دليل على ذلك وهذا أكبر كتاب صنف في هذا النوع ، وقد ألفه للمعز لدين الله الفاطمي ، وله كتاب « أدب السلطان والتأدب له » في عشر مجلدات . توفي سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م . القفطي ـ انباه الرواه (٨٤/٣ ـ ٨٥ ـ ٨٦) ؛ اليماني ـ اشارة التعيين (ص٣٠١) .

(٤) ابن مكي ـ تثقيف السلطان (ص٨٤) ، ونقل ذلك ابن دحيه في : المطرب (ص٨٨ ـ ٨٩) .

(٥) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٨٤) .

وفي رحلته إلى المشرق الإسلامي التقى بعدد من علماء اللغة ، فقد التقى بأبي يعقوب النجيرمي(١) ، وهو أحد أعلام اللغة والأدب المشهورين ، كما درس على النحوي واللغوي محمد بن علي الهروي(٢) ، كما التقى بالقاضي المالكي عبد الوهاب بن علي البغدادي(٣) .

وفي سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م أثناء وجوده بمصر سمع شعر أبي الطيب المتنبي(٤) ، من أبي علي صالح بن ابراهيم بن رشدين(٥) .

وقد استفاد ابن البر اللغوي من رحلته هذه كثيراً واستفاد أكثر معرفته اللغوية بمصر حتى أصبح أحد الأئمة في علم العربية واللغة والأدب وجمع إلى ذلك « جودة الضبط وحسن الخط »(٦) . وشهد له مترجموه بأن كل ما وجد له

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن اسماعيل خرزاذ النجيرمي ، ينسب إلي نجيرم وهي محلة بالبصرة . لغوى بصري ، نزل مصر ، من أهل بيت علم بالعربية واشتهر بجودة الخط ، ورواية كتب الأدب . توفى سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٧/٧٥) ، الذهبى ـ سير أعلام النبلاء (١٧/٤٤١) .

(٢) أبو سهل محمد بن على محمد الهروي ، النحوي ، اللغوي ، نزل بمصر ، وكان رئيسا للمؤذنين بجامع عمرو بن العاص ، كتب الكثير في اللغة والنحو ومنها « شرح الفصيح » و « مختصر الفصيح » و « المختصر في النحو » و « شرح شواهد الكتاب » .
توفى سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م .
القفطي ـ انباه الرواه (٣/١٩٥) ، ياقوت ـ معجم الأدباء (١٨/٢٦٣) .

(٣) هو صاحب كتاب « التلقين » .

(٤) أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي الأديب ، بلغ الذروة في النظم وسار ديوانه في الآفاق ومدح سيف الدولة ملك الشام ، والخادم كافورا صاحب مصر ، وصف بأنه « نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر » . توفى سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م .
الثعالبى ـ يتيمة الدهر (١/١٣٩) ، الذهبى ـ سير أعلام النبلاء (١٦/١٩٩) .

(٥) أبو علي صالح بن ابراهيم بن رشدين الكاتب ، أحد الأئمة الكتاب المهرة في سائر الآداب ، صحب المتنبي وروى شعره ، وهو الذي خلف المتنبي بعد خروجه من مصر على رئاسة حلقة المتنبي ورواية شعره وشرحه . الثعالبى ـ يتيمة الدهر (١/٤٨٢) .

(٦) اليماني ـ اشارة التعيين (ص٣٣٢) .

من تقييد في غاية الإفادة والامتاع[1] .

وفي سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م التقى ابن البر اللغوي بأبي الطاهر اسماعيل التجيبي[2] ، في مصر ، واتفقا أن يغادرا مصر من الاسكندرية معاً إلى المغرب ، وفي ذلك يقول التجيبي : « كان أبو بكر محمد بن علي بن الحسن التميمي ، عقد لي على نفسه بمصر سنة خمس عشر وأربعمائة ، أنه يسافر معي في بعض المراكب من الاسكندرية إلى المغرب ، وفارقته على ذلك ، وانحدرت إلى مدينة الإسكندرية واتفق له بعد مفارقتي أن صحب فتيانا من أهل القيروان فألفهم ، وآثر صحبتهم ، وسهل عليه حلّ العقد . وقُدر أن أقلعنا من الاسكندرية في يوم واحد ... فدخلنا مرسى يعرف بمرسى الشقراء ، وأرست السفينة التي هو بها قريبا من سفينتنا ، فرأيته وهو يشير إلى بالسلام ، فرددت عليه ... وصنعت أبياتا أنفذتها اليه »[3] . جاء في أولها :

ياغائبا فضّت نواه ضلوعي	فضُّ الوداع فؤاد كل مروَّع
كيف اشتياقك بين صحبك إنني	صبٌّ اليك مضرّج بدموعي . (٤)

وأضاف التجيبي قائلا : « واستدعيت جوابه في الورقة فأعجله الاقلاع ... والتقينا بعد الوصول بمدينة المهدية ... وقال هذا جوابك » وكان مما جاء فيه :

يافائتا يديه رويّة البلغاء	إعذر فهذا جوابي يمشي على استيحاء

(١) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢/٦٧٢) .

(٢) أبو الطاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي ، من أهل القيروان وسكن المهدية ، ويعرف بالبرقي ، روى عن النجيرمي « ادب الكتاب » لإبن قتيبة كان عالما بالآداب ، شاعرا ، ومن أهل التاليف ، من مؤلفاته كتاب « الرائق بأزهار الحدائق ، توفي بعد سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦هـ . ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (١/١٨٩) .

(٣) الخالديان ـ المختار من شعر بشار وشرحه لأبي الطاهر التجيبي (ص٢٥٣) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص٢٥٣) .

وقوله :

فـاعـذر أخـاك وثق بمالك عنده   من محض ودّ ليس بالمصنوع[١] .

وبعد عودة ابن البر اللغوى الصقلي ، إلى صقلية استقر بمدينة « مازر » وفيها اتصل بأميرها أبي محمد الحسن بن عمر بن منكود ، فقربه إليه وأكرمه ، وكان ابن منكود هذا على غاية من الدين والزهد ، فبلغه أن ابن البر يشرب الخمر سرا فعز عليه ذلك وأرسل إليه من يقول له : أننا انما أردناك لعلمك ودينك ، وأردنا ، منك الصيانة وإذا كان ولابد من شرب الخمر ، فهذا النوع ببلرم كثير ، وربما يعز وجوده هنا »[٢] .

وقد كان لفعل ابن البر اللغوى من شربه للخمر في مدينة « مازر » أثر على حرمان من أراد أن يتعلم على يديه من أبناء « مازر » ومن الوافدين اليها ، فهذا علي بن عبد الجبار بن سلامة الهذلي[٣] ، وهو لغوى من أهل تونس ، قدم إلى « مازر » وأراد أن يقرأ على ابن البّر لولا خروجه من مدينة « مازر » بسبب فعلته تلك . حيث قال : « رأيت أبا بكر محمد بن علي بن البر الغوثي اللغوي بمدينة مازر من جزيرة صقلية ، وكنت على أن أقرأ عليه ، لما اشتهر من فضله وتبحره في اللغة ـ ثم ذكره خبره مع ابن منكود ـ وقال : فأحوجته الضرورة إلى الخروج منها ، ولم أقرأ عليه شيئا[٤] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص٢٥٣ ـ ٢٥٤) .

(٢) القفطي ـ انباه الرواه (٣/١٩٠) .

(٣) علي بن عبد الجبار بن سلامه بن عيذون الهذلي ، اللغوى ، التونسي ، المغربي امام في اللغة وحافظ لها ، خرج من بلده إلى صقليه ، والتقى فيها بالشاعر ابن رشيق القيرواني . ودرس بصقلية على ابي القاسم ابن القطاع الصقلي .
توفى بالاسكندرية سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م .
المصدر السابق نفسه (٢/٢٩٢ ـ ٢٩٣) .

(٤) السلفي ـ معجم السفر (ص٩٣ ـ ٩٤) ، ياقوت ـ معجم الأدباء (٩/١٤) ، القفطي ـ انباه الرواه (٣/١٩١) .

وخرج ابن البّر اللغوى من مدينة « مازر » إلى مدينة « بلرم » وهناك أخذ يدرس اللغة ، وكان موجودا بها إلى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[١] .

وفيها تخرج على يديه أعلام صقلية في اللغة كابن القطاع الصقلي ، وأبى العرب الصقلي ، وابن مكي الصقلي ، وغيرهم ، وكذلك درس عليه بها مجموعة من خارج صقلية ومنهم عبد الرحمن بن عمر القصديري[٢] ، وعبد الله ابن ابراهيم الصيرفي[٣] ، الذى سمع من ابن البّر اللغوى شعر ابي الطيب المتنبي وذلك في ربيع الأول من سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[٤] ، وعبدالمنعم بن منّ الله القروي المعروف بابن الكماد[٥] .

وقبل أن يخرج ابن البّر اللغوي من « بلرم » إلى الأندلس[٦] ، كان تلميذه ابن مكي الصقلي ، قد ألف كتابه « تثقيف اللسان » ، ولولا هذا الكتاب لما استطعنا أن نحكم بوجود علاقة بين ابن البّر وابن مكي الصقلي ، فقد عرض ابن مكي الصقلي كتابه على ابن البّر ، ليقرأه ويثبت مايستحق الإثبات ويمحو مايستحق الانكار ، فقال ابن مكي الصقلي في مقدمته بعد عرضه لسبب تأليفه ، وأبواب كتابه : « وعرضت جميع ذلك على الإمام الأوحد ، والعلم المفرد ، أبي بكر محمد بن علي بن الحسن بن البّر التميمي ـ أيده الله ـ فأثبت جميع ماعرفه وارتضاه ، ومحوت ماأنكره وأباه ، لأزول عن مواقف الاستهداف ، وأريح نفسى من عهدة التغليط ، وأقطع لسان كل حاسد وأفل غرب كل مكابر ومعاند »[٧] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (١٩٠/٣) .

(٢) لم أعثر له على ترجمة ، وانظر : ابن الأبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٦٧٢/٢) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة ، وانظر : المصدر السابق نفسه (٦٧٢/٢) .

(٤) المصدر السابق (٦٧٢/٢) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٦٧٢/٢) ، ولم أعثر لابن الكماد على ترجمة .

(٦) المصدر السابق نفسه (٦٧٢/٢) .

(٧) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٤٧) .

وهذه الصلة بين ابن مكي واستاذه ابن البر ، قد ظهرت في مواطن كثيرة من « تثقيف اللسان » . ويمكن القول بأن ابن البّر ، كان له الاشراف العلمي بأحدث معانيه على اعداد هذا الكتاب . فعلى امتداد هذا الكتاب نجد مواضع كثيرة أخذ فيها ابن مكي بما رواه أستاذه ، أو رآه ، وهو يذكره بقوله : « قال الشيخ أبو بكر ، قال لنا الشيخ أبو بكر ، قال لي ... أخبرنا ... حكى لنا ... أنشدنى ، ماأنشدنيه الشيخ أبو بكر ...» ، وهذا يدل على الصلة الوثيقة بين الأستاذ والتلميذ .

ومن أمثلة ذلك مما ورد في كتاب « تثقيف اللسان » ، ومصدره ابن البر اللغوي : قوله تصويبا لمن يقول : فهرسة الكتب . أن الصواب : فهرستْ ، بإسكان السين ، والتاء فيه أصيله(١) .

ومن تصويباته قوله : أن صواب البطرقة ـ وهى الخفاره : البذرقة ، واستشهد في ذلك بخبر عن أبى الطيب المتنبي ، عندما سئل أن يعطى دنانير ويخفر ، فأبى ، وقال : أبذرق ومعي سيفي ؟ وقاتل حتى قتل(٢) .

ومن ذلك أيضا قوله في نسبة بعض الملابس إلى القبط في مصر ، أن صحة النسبة أن يقال : قُبطية . وليس قِبطية ، بالكسر(٣) . وهذا القول لإبن البّر اللغوى ينقله عن شيخه ابي يعقوب بن خرزاذ النجيرمي ، حيث قال « أملى علينا ذلك أبو يعقوب ابن خرزاذ »(٤) .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص٥٤) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص٨٤) ، وعن الخفارة ومعانيها ، انظر : ابن منظور ـ لسان العرب (٢٥٣/٤) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص١٣٥) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص١٣٥) .

ومما أورده ابن مكي الصقلي أيضا لإبن البر اللغوي وهو ينقل عن شيخه ابي يعقوب النجيرمي ، قوله : ان صحة من ينطق كتاب إقليدِس بالكسر ، أن يقول : أُقليدُس ، بضم الهمزة والدال[1] .

وقوله : طريق الصبًا ، بدلا من : نسيم الصبّا[2] .

ومن أهم ماتجدر الاشارة إليه هنا ، أن كتاب « الصحاح » في اللغة لمؤلفه اسماعيل بن حماد الجوهري[3] ، لايروى بمصر إلا عن طريق ابن البّر اللغوى[4] . الذي قال عنه : « ماصنف في اللغة كتاب مثل كتاب الصحاح للجوهرى »[5] . وابن البرّ بذلك يكون قد اطلع علي كتاب « الصحاح » وقرأه ، وكان من ضمن الكتب التي يدرسها لتلاميذه ، كما هو الحال لإبن القطّاع الصقلي تلميذ ابن البر ، الذى تلقى كتاب « الصحاح » عن طريق أستاذه ، وحدّث به[6] .

ومن علماء اللغة المشهورين في صقليه صاحب كتاب « تثقيف اللسان » ، ابن مكي الصقلي ، اللغوى[7] . الذى قام بجهد كبير في تتبع الأخطاء اللغوية ، واللحن الذى تفشى بين العلماء من المتخصصين ، والعامة من الناس ؛

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص١٤٠ ـ ١٤١) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص٢٧٥) .

(٣) أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ، أصله من بلاد الترك ، ومن أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة ، وهو امام عالم في اللغة والأدب ، وخطة يضرب به المثل في الجودة وهو من فرسان الكلام والأصول . رحل إلى العراق والحجاز ، ثم عاد إلى نيسابور وفيها ألف الصحاح . توفي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م .
أحمد عبد الغفور عطار ـ مقدمة الصحاح (ص١٠٨) .

(٤) القفطي ـ انباه الرواه (٣/١٩٠) .

(٥) السفلي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص١٠١) .

(٦) القفطي ـ انباه الرواه (٣/١٩٠) .

(٧) تكرر ابن مكي الصقلي في اكثر من موضوع في هذا البحث ، وذلك عندما نشير إلى تصحيحه لأخطاء العلماء المتخصصين ، ومثال ذلك ، غلط قراء القرآن ، غلط أهل الحديث ..

وابن مكي هو أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الحميرى المازرى ، الصقلي النحوي اللغوي ، الفقيه ، المحدث ، الخطيب ، الشاعر ، المتوفى سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م[١] .

وكان ابن مكي الصقلي قد تتلمذ على شيوخ بلده ، كابن البر اللغوي الصقلي ، والفقيه عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي ، وعلى بعض الوافدين إلى صقلية كابن رشيق القيرواني ، وهؤلاء أشهر شيوخه .

ودراسة ابن مكي الصقلي على شيخه ابن البر اللغوي تمثلت في عرضه لكتابه « تثقيف اللسان » على شيخه ابن البر ، مسترشداً بآرائه اللغوية والأدبية ومستجيباً لكافة توجيهاته سواء بالحذف أو الإضافة ، حيث يقول ابن مكي : « فاثبت جميع ماعرفه وارتضاه ، ومحوت ما انكره وأباه ، لأزول عن مواقف الاستهداف وأريح نفسى من عهدة التغليط »[٢] .

أما دراسته على الفقيه عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي ، فقد اثبتها ابن مكي في كتابه « تثقيف اللسان » ، حيث أخذ فيها رأيه في ثلاث مسائل فقية ، مشيراً إلى ذلك بقوله : « وذكر لنا الشيخ أبو محمد عبد الحق »[٣] و « قال لنا الشيخ أبو محمد عبد الحق »[٤] و « قال الشيخ أبو محمد »[٥] .

وفيما يتعلق بتتلمذ ابن مكي الصقلي على أبى علي الحسن بن رشيق القيرواني[٦] ، فقد وضحت من خلال كتاب « تثقيف اللسان » ، فقد أخذ عنه

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (ص١٢٦) ، طبعة مصر ، ابن دحية ـ المطرب (ص٨٨) ، القفطي ـ انباه الرواه (٣٢٩/٢) ، ابن خلدون ـ العبر (٢٦٩/٤) ـ السيوطي ـ بغية الوعاة (٢١٨/٢) .

(٢) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٤٧) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص٢٠٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص٢٤٧) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص٢٢٩) .

(٦) انظر موضوع (العلاقات الثقافية) .

ابن مكي الصقلي رأيه في روايات للمتنبى ، وجميل[١] ، وكثير[٢] . ويشير إلى ذلك بقوله : « وهكذا قال لي أبو علي حسن بن رشيق[٣] . و « وقال لي أبو علي » و « قال لي حسن ابن رشيق »[٤] .

وقد أثنت المصادر علي ابن مكي الصقلي ، فقال العماد الأصبهاني في الخريدة : « وفضله بالألسنة في جميع الأمكنة مأثور ومروي »[٥] . ووصفه ابن دحيه في المطرب بقوله : « القاضى الجليل »[٦] . وقال عنه السيوطي انه : « اشتهر بغزارة علمه وكثرة حفظه »[٧] ولقبه ب « الامام اللغوي المحدث »[٨] .

وكان ابن مكي الصقلي يجيد الخطب ، فيخطب كل يوم جمعة بخطبة من انشائه ، واقترن إسمه في الخطابه الدينية بخطب ابن نباته[٩] ، فذكر العماد الأصفهاني أنه : « تروى له خطب لاتقتصر عن خطب ابن نباته ، تعجب رواته » .[١٠] بل وتفوقها كما ذكر القفطي أنه كان : « يجيد الخطب ، حيث

---

(١) أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح ، العذرى ، الشاعر البليغ ، صاحب بثينة ، وأحد عشاق العرب ، توفى سنة ٨٢هـ/٧٠١م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٦٦/١) .

(٢) أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود ، الخزاعي المدنى ، صاحب عزة ، كان شيعياً متعصباً . توفى سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م . المصدر السابق نفسه (١٠٦/٤) .

(٣) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص١٥٠) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص٢٧٧) .

(٥) العماد الأصفهانى ـ الخريدة (ص١٢٦) .

(٦) ابن دحية ـ المطرب (ص٨٨) .

(٧) ، (٨) السيوطي ـ بغية الوعاة (٢١٨/٢) .

(٩) أبو يحى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباته الفارقي ، صاحب الديوان الفائق في الحمد والوعظ . كان خطيباً بحلب للملك سيف الدولة وكان فصيحاً ، مفوها ، بديع المعانى ، جزل العبارة ، وجالس الشاعر المتنبى . توفي سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٥٦/٣) .

(١٠) العماد الأصفهانى ـ الخريدة ـ طبعة مصر (ص١٢٦) .

يخطب في كل جمعة بخطب من انشائه تفوق خطب ابن نباته »[1] .

أما عن كتاب ابن مكي « تثقيف اللسان »[2] فإنه كتاب يمثل خير دليل على الاهتمام بالعربية من علماء صقلية . فقد كان أكبرهمّ للنحاة واللغويين في العالم الاسلامي شرقاً وغرباً ، اللحن في العربية[3] ، ومن اسباب ذلك دخول الأعاجم في الاسلام ، وفي ذلك يقول أحمد أمين : « ولئن أغنى الأعاجم اللغة العربية التحريرية ، فقد أفسدوا اللغة اللسانية بما أدخلوا من لحن ، فقد كانت جزيرة العرب سليمة المنطق قبل الفتح ، وقبل دخول الأعاجم في الإسلام ، ثم بدأ اللحن يفشو فيها »[4] .

ولذلك يقول ابن مكي : « ودُخلت لغة العرب »[5] .

وبدأ ابن مكي الصقلي في تتبع أغلاط أهل صقلية سواء من العلماء أو العامة . وكانت بداية تأليفه لهذا الكتاب استجابة لرغبة أحد فقهاء صقلية ،

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (٣٢٩/٢) .

(٢) ذكر حاجي خليفة هذا الكتاب ونسبه لابن القطاع الصقلي وهذا توهم إذ أن كل المصادر التى ترجمت لابن مكي أجمعت على نسبة الكتاب اليه . وذكر في موضع آخر كتاباً باسم : « سقيف اللسان » نسبة لابن مكي الصقلي ثم قال : « قلت في طبقات النحاه للسيوطي وقع بلفظ تثقيف اللسان ، بالتاء وبعدها ثاء وهو المناسب للسان » .

كشف الظنون (٣٤٤/١) ، (٩٩٣/٢) . وما وقع في كشف الظنون صححه البغدادي فذكر أن لابن القطاع كتاب « تثبيت اللسان » ولابن مكي « تثقيف اللسان » . هدية العارفين (٦٩٥/١) .

(٣) ويظهر ذلك واضحا فيما أخرجه لنا هؤلاء العلماء من مؤلفات في العربية ، الهدف منها تصحيح اللحن . ومن ذلك كتاب : « التنبيه على حدوث التصحيف » لحمزه بن الحسن الأصبهانى المتوفي سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م ، وشرح « مايقع فيه التصحيف والتحريف » لأبى أحمد العسكرى المتوفى سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م . وكتاب « الملاحن » لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، المتوفي سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م . وكتاب « درة الغواص في أوهام الخواص » لأبى محمد القاسم بن علي الحريري المتوفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م .

(٤) أحمد أمين ـ ضحى الاسلام (٢٩٤/١) .

(٥) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٤١) .

الذى سأله ان يجمع أخطاء أهل الفقه ومايصحفه الناس ، حيث قال ابن مكي :
ثم سألنى ـ أي ذلك الفقيه ـ ورغب اليّ أن أجمع له مما يصحف الناس في ألفاظهم ، ومايغلط فيه أهل الفقه ، ماقدرت على جمعه ، فأجبته إلى ماسأل ، عالماً بأني من العجز في الغاية ، ومن التخلف والتقصير في النهاية ، ولو قبل عذري لما هتكت سترى ، لأنه لم يخف علي أن صاحب التأليف في مثل هذا الزمان الفاسد ، لايسلم من حاسد ينعي عليه ، أو جاهل يتطاول بالزراية إليه ، لكنى تحمّلت المضرة ، وتسربلت المعرّه ، كراهية معتبة هذا الصديق ، واستبقاء مودته ، فلما أتيت على مراده ، وأردت الوقوف عند نفاذه ، قلت كما قال الأول :

أنا الغريق فما خوفي من البلل[1] .

وأضاف ابن مكي أنه جمع أغاليط الناس علي اختلاف طبقاتهم ، مما لايوجد في كتب المتقدمين التنبيه عليه ، وذكر أن سبب ذلك انما يرجع إلى : « كل من ألف كتاباً في هذا المعنى ، فإنما نبه فيه على غلط أهل عصره وبلده وأهل البلدان مختلفون في أغاليطهم ، فربما يصيب هؤلاء فيما يغلط فيه أولئك ، وربما يصيب أولئك فيما يغلط فيه هؤلاء ، وربما اتفقوا في الغلط »[2] .

وإبن مكي الصقلي في كتابه هذا عمل على تتبع اغلاط الناس مما سمعه من أفواههم مما لايجوز في لغة العرب ، أو مما غيره أفصح منه ، ونبه على جواز ماأنكر قوم جوازه لأن : « انكار الجائز غلط »[3] وأضاف إلى ذلك كله :

(١) عجز بيت للمتنبى وصدره : والهجر أقتل لي مما أراقبه .

(٢) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٤٣) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص٤٥) .

« أبواباً مستطرقة ونتفاً مستملحة ، وأصولاً يقاس عليها ، ليكون الكتاب تثقيفاً للسان ، وتلقيحاً للجنان ، ولينشط إلى قراءته العالم والجاهل ، ويشترك في مطالعته الحالي والعاطل »[1] .

وهو بذلك انما أراد بكتابه هذا أن يجعله « تثقيفا للسان » بما يضم من تصحيح للأخطاء اللغوية التى شاعت بين العامة والخاصة في صقلية في القرن الخامس الهجرى ، وأن يكون « تلقيحاً للجنان » بما تضمنه من شرح لما يجرى على الألسنة من أمثال سائرة ، ومن تفسير طائفة من أبيات الشعر ظاهر لفظها مخالف لمعناها إلى غير ذلك من الموضوعات التى أشتمل عليها الكتاب ، والتى يمكن تقسيمها إلى مايلي :

١ ـ التصحيف : حيث ذكر ماوقع فيه التصحيف من الألفاظ والأشعار والأعلام وغير ذلك . وكان أكثر مواضع ذلك التصحيف قد وقعت من الخاصة لا العامة .

٢ ـ لحن العامة والخاصة : ويشمل أكثر مواد الكتاب ، والمؤلف لاينص على مايقع من العامة أو من الخاصة إلا في أبواب قليلة ، لأن الناس عنده قد تساووا في الخطأ إلا قليلاً : « وإنما يتميز أولئك القليل عند المباحثة والمكاتبة وقراءة الكتب ومواضع التحقيق ، فأما عند المخاطبة والمحاورة فلا يستطيعون مخالفة ماتداوله الجمهور واستعمله الجم الغفير »[2] .

٣ ـ أخطاء المتخصصين ، كغلط قراء القرآن ، وغلط أهل الفقه ، وغلط أهل الحديث ، وغلط أهل الوثائق ، وغيرهم .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص٤٥) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص٤١) .

٤ ـ خصص ابن مكي الصقلي جانبا من كتابه لشرح قواعد الكتابة العربية وعنوانه « باب من الهجاء » .

وعلى ذلك فكتاب « تثقيف اللسان » هو أصدق نتاج لصقلية عامة ولمدرستها اللغوية بصفة خاصة ، كما أنه في بابه خير أثر صقلي قاوم الفناء لنتصور منه كثيرا من جوانب الحياة اللغوية في جزيرة صقلية . وليس لدينا ماهو أصدق من هذا الكتاب تعبيرا عن الشعور باستقلال صقلية في طابعها اللغوي في كل ماخلفه الصقليون[١] .

والكتاب في مجمله انما هو معاناة وتجربة رصد وتحرى وإصغاء لما يقرأ ويسمع وزاد من قيمته خضوعه للإشراف العلمى الصحيح ، وأخذ مؤلفه بتوجيهات أستاذه .

وكتاب « تثقيف اللسان » يدلنا بوضوح أيضا علي الحال الذى كانت عليه لغة التأليف والكلام في صقلية ، فهى : « لم تكن سليمة ، أو أنها على الأقل لم تكن ترضي أهل اللغة القائمين بالمحافظة عليها ، والفقهاء على وجه الخصوص هم الواقعون تحت تهمة التهاون في لغتهم ، وهي تهمة ترجع إلى ماقبل هذا العصر[٢] . فقد ذكر ابن حوقل الذى زار صقلية في القرن الرابع الهجرى طرفا من أخبار الصقليين فيما يتعلق ببلاغتهم ، ومن ذلك أنه رأى رجلا في المسجد الجامع ببلرم : وفي يده قضية مهر ، وهو مقبل على قراءتها ، فكلما مر له فصل داوم على تقريظه لحسن ماتأتي له من المعاني الجيّدة ، والشروط البديعة ، واستيفاء أسباب البلاغة »[٣] .

(١) احساس عباس ـ العرب في صقلية (ص١١) .

(٢) المرجع السابق نفسه (١١١) .

(٣) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص١١٩ ـ ١٢٠) .

ومعنى كلام ابن حوقل ، أن كتاب العهود ، والوثائق[1] ، كانوا قد تطاولو إلى مقام أهل الكتابة الفنية ، وهو قلب للأوضاع لأن البلاغة ليست عنصرا من العناصر التى لابد أن تستوفي فيها أوراق العقود ، وتعابير الشروط .

ومن هذا نرى أن صحة التعبير التي كانت لازمة لأصحاب الوثائق قد أهدرت ، وحاول القائمون عليها أن يمسحوها بمسحة من جمال ليخفوا قبح الخطأ فيما يكتبون[2] .

ولا يستعبد أن يكون الوثائقيون ، قد استفادوا مما خصصه لهم ابن مكي في كتابه « تثقيف اللسان » عندما عقد لهم بابا فيه اسماه « باب في غلط أهل الوثائق » .

وقد لقي كتاب ابن مكي الصقلي عناية كبيرة من الدارسين والباحثين والمهتمين باللغة الذين جاؤا بعده ، من ذلك نجد أن العلامة اللغوى ابراهيم بن اسماعيل الطرابلسي[3] ، قد علق على الكتاب المذكور بكتاب أسماه : « الرد على تثقيف اللسان[4] » وكذلك ألف محمد أحمد بن هشام اللخمي السبتي[5] ،

---

(١) المراد بذلك كتاب العقود ، ووثائق الزواج ، والبيع ، والاجاره ، وغير ذلك من العقود التي توثق المعاملات بين الناس .

(٢) احسان عباس ــ العرب في صقليه (ص١١٢) .

(٣) ابراهيم بن اسماعيل بن احمد بن عبد الله الطرابلسي ، اللغوي ، الأفريقي ، المعروف بابن الأجدابي ، من أهل اللغة ، صنف فيها مقدمة يسيرة سمّاها : « كفاية المتحفظ » وله كتب « الأنواء » في اللغة أيضاً .

القفطي ــ انباه الرواه (١٩٣/١) ، ياقوت ــ معجم الأدباد (١٣٠/١) ، حاجي خليفة ــ كشف الظنون (ص١٣٩٩) .

(٤) اميرتو ــ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص٦٦) .

(٥) محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم بن خلف اللخمي ، الأندلسي ، السبتي أديب ، نحوي ، لغوي ، من مؤلفاته : كتاب « المجمل في شرح الجمل » ، « لحن العامة » و « شرح الفصيح » . توفي سنة ٥٧٠هـ / ١١٤٧م .

السيوطي ــ بغية الوعاه (٤٨/١ ــ ٤٩) ، كحالة ــ معجم المؤلفين (٢٦/٩) .

كتاب « المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان » صحح فيه بعض ماورد في كتابي ابن مكي « تثقيف اللسان » وكتاب « لحن العامة » لأبى بكر محمد بن الحسين الزبيدي[1] .

والكتاب في جملته يقع في خمسين بابا تبدأ بباب « التصحيف » ثم التبديل » وتنتهي بباب « ماظاهر لفظه مخالف لمعناه »[2] .

ونشير أخيرا إلى أن ابن مكي الصقلي ، قد خرج من صقلية عند بداية الغزو النورمندي عليها وذلك في حدود سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ذكر ذلك أبن خلدون عند حديثه عن غزو النورمان لجزيرة صقلية واستيلائهم على بعض مدنها فقال : « ورجع إلى افريقية عمر بن خلف بن مكي وولي قضاءها »[3] .

ومن علماء اللغة في صقلية ، أبو محمد جعفر بن علي بن محمد السعدى ، الصقلي ، المعروف بابن القطاع[4] . ـ وهو والد ابن القطاع اللغوي المشهور ـ الذي كان موجودا في صقلية في وسط المائة الخامسة[5] . ثم سافر إلى مصر ، ودرس بها على أبي عبد الله القضاعي ، ثم ارتحل إلى الأندلس ، وبها قام بتدريس كتاب « غريب القرآن » لابي بكر بن عزيز[6] . وقد سمعه منه

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، النحوي ، الأندلسي ، من أهل أشبيلية عالم بالنحو واللغة والأخبار . من مؤلفاته « الواضح في اللغة » وكتاب « الأبنية » و« لحن العامة » وغيرها . توفي سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م القفطي ـ انباه الرواه (١٠٨/٣) .

(٢) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧) .

(٣) ابن خلدون ـ العبر (٢٦٩/٤) .

(٤) القفطي ـ انباه الرواه (٣٠٠/١) ، ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢٤٥/١) ، اليماني ـ اشارة التعيين (ص٧٦) ، الفيروز ابادي ـ البلغه في تاريخ أئمة اللغة (ص٤٨) .

(٥) القفطي ـ انباه الرواه (٣٠١/١) .

(٦) أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني العزيزي ، كان عبدا صالحا ، فاضلا ، متواضعا ، صنف كتب « غريب القرآن » في خمسة عشر سنه . توفي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م .
السيوطى ـ بغية الوعاه (١٧١/١ ـ ١٧٢) .

أبو داود المقرىء الأندلسي[1] ، مرتين إحداهما سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م[2] .

وكان جعفر بن علي السعدي من أهل اللغة المشهورين ، حيث وصفه القفطي بقوله « أحد العلماء باللغة ، المبرز فيها ، المتصرف في علم العربية ، القادر عليها ، وله في الترسل طبع نبيل ، وفي المعاني ونقد الشعر حظ جزيل[3] .

ووصفه ابن الآبار بأنه : « كان من أهل المعرفة الكاملة باللغة ، الأدب والشعر . مقدماً في ذلك ، وله حظ من النظم »[4] وله مؤلفات في اللغة والعروض[5] ولكن لم تصل الينا .

ومن أشهر علماء اللغة في صقلية الإسلامية ابن القطّاع الصقلي المتوفي سنة ٥١٥هـ/١١٢١م[6] . واسمه : علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدى ، ويكنى بأبي القاسم ، ويعرف بابن القطاع ، ويتصل نسبه بالأمراء الأغالبه .

ولد ابن القطاع في صقلية سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م وبها عاش وتأدب في بيت علم ، حيث كان والده من أهم اللغة والنحو ، كما كان جده « علي » من

---

(١) أبو داود سليمان بن نجاح ، مولى الأمير المؤيد بالله بن هاشم . كان من جملة المقرئين وفضلائهم . كما كان أديبا . من مؤلفاته : « البيان الجامع لعلوم القرآن » في ثلاثمائة جزء ، وكتاب « عقود الديانة » في عشرة أجزاء . توفى سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م .
ابن بشكوال ـ الصلة (٢٠٣/١ ـ ٢٠٤) ، الذهبى ـ معرفة القراء (٣٦٤/١ ـ ٣٦٥) .

(٢) ابن الابار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢٤٥/١) . (٣) القفطي ـ انباه الرواه (٣٠٠/١) .

(٤) ابن الابار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢٤٥/١) .

(٥) اليماني ـ اشارة التعيين (ص٧٦) .

(٦) القفطي ـ انباه الرواه (٢٣٦/٢) ، ياقوت ـ معجم الأدباء (٢٧٩/١٢) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٢٢/٣) ، اليماني ـ اشارة التعيين (ص٢١٣) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٤٣٣/١٩) ، الفيروز ابادي ـ البلغه في تاريخ أئمة اللغة (ص١٥١) ، ابن حجر ـ لسان الميزان (٢٤١/٤) ، السيوطي ـ حسن المحاضره (٥٣٢/١) .

الشعراء المحسنين وكذا جد أبيه ، وجد جده[1] ، فهو إذا من أسرة عريقة عرفت بالعلم والأدب .

وكان ابن القطّاع الصقلي قد درس في صقليه على شيخه ابن البر اللغوى الصقلي ، اللغة العربية وآدابها ، وذلك بمدينة « بلرم » بعد أن خرج ابن البّر من مدينة « مازر » واستقراره ببلرم .

وقد امتدحت المصادر التى ترجمت لابن القطّاع الصقلي ، جهوده الكبيرة في اللغة ، تدريسا وتأليفا ، فقد كان ابن القطاع نحويا ، لغويا ، أديبا ، شاعرا .

قال عنه القفطى : « أجاد النحو غاية الإجادة ، وصنف التصانيف الجميلة »[2] .

ووصفه ياقوت بأنه « كان امام وقته ببلده ومصر في علم العربية وفنون الآداب »[3] .

أما ابن خلكان فقد ذكر أنه : « كان أحد أئمة الأدب وخصوصاً اللغة ، وله تصانيف نافعة »[4] . ولقبه اليماني ب « الإمام اللغوي المشهور »[5] ، ووصفه الذهبي ب : « العلامة ، شيخ اللغة »[6] وأنه : « أحكم النحو »[7] .

وبعد أن نال ابن القطاع الصقلي شهرة عظيمة في بلده صقليه ، كانت الأوضاع السياسية غير مستقرة ، حيث بدأت حالة الاضطراب والفوضى في

---

(١) ابن حجر ـ لسان الميزان (٢٤١/٤) .
(٢) القفطى ـ انباه الرواه (٢٣٦/٢) .
(٣) ياقوت ـ معجم الأدباء (٢٨٠/١٢) .
(٤) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٢٣/٣) .
(٥) اليماني ـ اشارة التعيين (ص٢١٣) .
(٦) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٤٣٣/١٩) .
(٧) المصدر السابق نفسه (٤٣٤/١٩) .

الجزيرة ، وبدأ النورمان في الاستيلاء على الجزيرة ، فخرج منها إلى الأندلس ، وانفرد أبو الطاهر السلفي بذكر خروجه اليها ، فكل المصادر التى ترجمت له لم تشر إلى ذلك ، وجاء الخبر عند السِّلَفي ، على لسان ابن القطّاع الصقلي حيث قال : كتب إليّ أبو الفضل يوسف بن حسداي الوزير الهاروني[1] ، بسرقسطه[2] ، أبياتا عند دخولي الأندلس ، منها :

أعيذك بالله من فاضل ... أديب تداهى على صحبه
فأعرض محتقرا بزُهم ... وكلٌ ينافس في جلبه

واجابه ابن القطاع مرتجلا قصيدة منها :

بدأت بفضل أتاه الكريم ... ولاغرو منك ابتداء به
لأنك مغرى بفعل الجميل ... مهين لما عزّ في كسبه[3]

وفي مستهل القرن السادس الهجرى ، وصل ابن القطاع الصقلي إلى الديار المصرية ، وكانت شهرته قد سبقته مع آثاره إليها ، فاستقبله القوم بكل اكرام وأكرمته الدولة الفاطمية[4] ، وفيها تصدر للتعليم والإفادة ، وأصبح معلما لولد الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي[5] ،

---

(١) قال عنه الفتح بن خاقان : « سابق فبرز ، وأحرز من البلاغة ماأحرز وجرى في ميدانها إلى أبعد أمد ، وبنى أغراضها بالصفاح والعمد » .
قائلا العقيان (ص١٨٣) .

(٢) سرقسطه : بلده مشهورة بالأندلس ، وينسب إليها مجموعة كبيرة من العلماء .
ياقوت ـ معجم البلدان (٢١٢/٣) .

(٣) السِّلَفي ـ اخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي (ص١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١) .

(٤) القفطي ـ انباه الرواه (٢٣٦/٢) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٢٣/٣) ، اليماني ـ اشارة التعيين (ص٢١٣) .

(٥) أمير الجيوش هو بدر بن عبد الله الأمير الوزير الأرمني الجمالي . ولي إمارة دمشق للمستنصر سنة ٤٥٥هـ . كان بطلا شجاعا ، مهيبا من رجال العلم ، مات بمصر سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٤٤٨/٢) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٨١/١٩) .

وزير الآمر بالله الفاطمي[1] .

وفي مصر رُوي عنه كتاب « الصحاح » لاسماعيل بن حماد الجوهري ، وعن طريقه اشتهرت رواية هذا الكتاب في جميع الآفاق[2] . على أن بعض نَقَدة المصريين يصفونه بالتساهل في الرواية[3] . وذلك أنه لما دخل مصر سئل عن كتاب « الصحاح » للجوهري فذكر أنه لم يصل اليهم ، ثم أنه لما رأى اشتغال الطلبة به ورغبة الناس فيه ركّب فيه طريقا في روايته ، وأخذ الناس عنه مقلدين له إلا الأقل من محققي النقل في ذلك الوقت[4] .

تلك هي حجة نقدة المصريين ، وقد سبقت الإشارة ـ كما ذكرت المصادر ـ أن ابن القطاع الصقلي تلقى كتاب « الصحاح » للجوهرى عن طريق شيخه ابن البر اللغوي ، وأن هذا الكتاب لايعرف إلا من طريق ابن البر اللغوي[5] .

وقد ذكر اليماني في اشارة التعيين سند ابن القطاع الصقلي في روايته لكتاب « الصحاح » منتقدا ذلك السند قائلاً : « وفيه أبو بكر ابن البر وهو ليس بثقة ، لأنه أخرج من بلده بسبب إدمان شرب الخمر »[6] . وأضاف أيضا أن

---

(١) أبو علي منصور بن المستعلي أحمد بن المستنصر معد بن الظاهر بن الحاكم ، العبيدي ، توفي سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م .
المصدر السابق نفسه (١٥/١٩٧) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (١٢/٢٠٠) .
وانظر : ياقوت ـ معجم الأدباء (١٢/٢٧٩ ـ ٢٨٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١٢/٢٨٠) .

(٣) القفطي ـ انباه الرواه (٢/٢٣٦) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٢٢٣) .

(٤) اليماني ـ اشارة التعيين (ص٢١٢) .

(٥) القفطي ـ انباه الرواه (٣/١٩٠) .

(٦) اليماني ـ اشارة التعيين (ص٢١٢) .

مؤلفه « لم يُسمع عليه منه إلا إلى حرف الضاد المعجمة ، وأنه مات عن الباقي غير منقح ، والذي نقّحه تلميذه ابراهيم بن صالح الوراق »[1] .

وإذا صحت فعلة ابن القطاع تلك ، وأنه متساهل في الرواية ، فلعل ذلك ماجعل ابن كثير يصفه بالتساهل في الدين حيث قال : « وكان ينسب إليه التساهل في الدين »[2] .

أما فيما يتعلق بتلاميذ ابن القطاع الصقلي ، فقد كانوا كثيري العدد ، بمصر حيث استقرابن القطاع الصقلي ، ومن تلاميذه ، أبو البركات أسعد بن علي بن معمر الحسيني النحوي[3] ، وسلامه بن غياض النحوي[4] ، وأحمد بن حمزه التنوخي الذي قرأ .

عليه اللغة[5] ، ومحمد بن حمزه التنوخي ، الذي قرأ عليه اللغة أيضا[6] ،

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص٢١٣) ، والوراق هو : ابو اسحاق ابراهيم بن صالح النيسابوري ، كان اديبا ، فاضلا وصاحب خط جيد ، كما كان صاحب أدب وشعر .
القفطي ـ انباه الرواه (١/٢٠٤) ، (٢/٩٠) .

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية (١٢/١١٨) .

(٣) أسعد بن علي الحسيني النحوي ، موصلي الأصل ، مصري الديار ، كان أديبا فاضلا ، تصدر للإفادة في اللغة والأدب . حاز على مكانة عالية لدى الخلفاء الفاطميين في مصر .
القفطي ـ انباه الرواه (١/٢٦٥) .

(٤) سلامة بن غياض بن أحمد ، من أشهر تلاميذ ابن القطاع ، وصاحب المصنفات المفيدة في النحو ومنها كتاب « التذكرة » و« لحن العامة » كما له كتاب يحث فيه على تعلم العربية ، دخل بغداد وأقرأ بها الأدب ، ثم استوطن حلب . وبها توفي سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م .
ياقوت ـ معجم الأدباء (١١/٢٣٣) ، اليماني ـ اشارة التعيين (ص١٣٣) ، السيوطي ـ بغية الوعاه (١/٥٩٤) .

(٥) أبو الحسن أحمد بن حمزه التنوخي العرقي النحوي اللغوي ، قرأ اللغة علي ابن القطاع بعد وصوله إلى مصر قادما من الشام . توفي بالاسكندرية .
السلفي ـ معجم السفر تحقيق بهيجة الحسني (ص١٢٩) ، القفطي ـ انباه الرواه (١/٧٥) .

(٦) لم أعثر له على ترجمة ، وانظر : السلفي ـ معجم السفر تحقيق امبرتو (ص١٠٢) .

كما أخذ عنه علي بن عبد الجبار بن سلامة الهذلي اللغوي وامتدحه بقوله : « لم أر قط أحفظ للعربية واللغة من أبى القاسم ابن القطاع الصقلي[1] . وأضاف وقد : « قرأت عليه كثيراً[2] .

وفيما يتعلق بمؤلفات ابن القطاع الصقلي ، فقد ذكرت له المصادر مجموعة كثيرة من المؤلفات ، أغلبها في اللغة والعروض ، كما أنه اهتم بالتاريخ ، والأدب والمعاجم ، أما الشعر فلم يبرز فيه كثيرا ، وما وجد من نظمه فهو ضئيل ، ولذلك قال ياقوت عنــه : « ولابن القطاع اشعار ليست علي قدر علمــه[3] .

ومن مؤلفاته التي أشارت إليها المصادر مايلي[4] :

١ ـ « الحواشي على الصحاح » وهي تلك التي اعتمد عليها أبو محمد بن بري النحوي المصري[5] ، في كتابه « الإيضاح في حاشية الصحاح »[6] . وقد ذكرها ياقوت[7] ، والسيوطي[8] ، وحاجي خليفه[9] ، وقد وصفت تلك الحواشي بأنها « حواشي نفيسة »[10] .

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (٢/٢٩٣) .

(٢) ياقوت ـ معجم الأدباء (١٤/١٠) .

(٣) المصدر السابق (١٢/٢٨٢) .

(٤) على اعتبار أن ابن القطاع الصقلي تغلب عليه صفة العالم اللغوي ، فسوف نذكر ماأمكننا الاطلاع عليه من مؤلفاته في هذا المبحث ، وذلك يغني عن تكرارها مرة أخرى .

(٥) أبو محمد عبد الله بن بري المقدسي ، المصري ، أحد أئمة اللغة والنحو ، لم يكن بمصر في وقته مثله علما وذكاء واطلاعا ، له مؤلفات منها « الاختيار في اختلاف أئمة الأمصار » و« اللباب على ابن الخشاب من حواشي درة الغواص » و« التنبيه والايضاح عما وقع في كتاب الصحاح » . توفي سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م ، وقيل ٥٨٢هـ/١١٨٦م . أحمد عبد الغفار عطار ـ مقدمة الصحاح (ص١٦١) .

(٦) المرجع السابق نفسه (ص١٦١) ، عيد مصطفى ـ ابن بري وجهوده في النحو (ص٤٨) .

(٧) ياقوت ـ معجم الأدباء (١٢/٢٨٢) .

(٨) السيوطي ـ بغية الوعاه (٢/١٥٤) .

(٩) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (٢/١٠٧٢) .

(١٠) ياقوت ـ معجم الأدباء (١٢/٢٨٢) ، السيوطي ـ بغية الوعاه (٢/١٥٤) .

٢ ـ « لمح الملح » : وهو مجموعة منتخبات لشعراء أندلسيين ، نقل منه نتفا كل من ابن خلكان ، والمقري[١] .

٣ ـ « تثبيت اللسان » وهو الذي سماه حاجي خليفة « سقيف اللسان »[٢] ، ونسبة لابن مكي وصححه البغدادي تحت مسمى « تثبيت اللسان »[٣] .

٤ ـ « فرائد الشذور وقلائد النحور » وانفرد ياقوت بذكره[٤] .

٥ ـ « شرح الأمثلة » ذكره القفطي[٥] .

٦ ـ « الطوال واسمائهم وصفاتهم » وهو مرتب علي الحروف ، وانفرد بذكره حاجي خليفة[٦] .

٧ ـ « القصار واسمائهم وصفاتهم » وهو مرتب علي الحروف ، وانفرد بذكره حاجي خليفة ووصفه بأنه « مختصر »[٧] .

٨ ـ « الأصوات »[٨] .

٩ ـ « المشي والسير » وهو مرتب علي الحروف ، وذكره حاجي خليفة[٩] .

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٢٢٣) ، امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص٧٤) .

(٢) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (١، ٣٤٤) ، (٢/٩٩٣) .

(٣) البغدادي ـ هدية العارفين (١/٦٩٥) .

(٤) ياقوت ـ معجم الأدباء (١٢/٢٨٢) .

(٥) القفطي ـ انباه الرواه (٢/٢٣٧) .

(٦) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (٢/١٤٣٦) ، ومنه نسخة مصورة على ميكروفيلم بمعهد البحوث بجامعة أم القرى تحت رقم (٧٧٦) لغة ، عن الأصل في مكتبة متحف طوب قابي بتركيا رقم (١٠٩٦) .

(٧) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (١٢/١٤٥٠) ، ومنه نسخة مصورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى تحت رقم (٧٧٦) لغة ، عن الأصل في مكتبة متحف طوب قاباي بتركيا رقم (١٠٩٦) .

(٨) منه نسخة مخطوطة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى تحت رقم (٧٧٦) لغة .

(٩) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (٢/١٤٥٩) ، ومنه نسخة مخطوطة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى تحت رقم (٧٧٦) لغه .

١٠ ـ « السيف » اسمائه وصفاته ، وانفرد بذكره حاجي خليفة[١] .

١١ ـ « النكاح »[٢] .

١٢ ـ « الدرة الخطيرة من شعراء الجزيرة » ويحتوي على ترجمة مائة وسبعين شاعرا من شعراء جزيرة صقلية ، وعشرين الف بيت[٣] . وذكر ابن خلكان أنه ترجم لنفسه في آخر هذا الكتاب ضمن شعراء صقلية[٤] .

وقد نالت هذه المجموعة شهرة واسعة في مصر والمغرب ، وتناولها أدباء القرن السادس الهجري ، بالاختصار ، والاختيار . ومن ذلك مايلي :

أ ـ « مختصر من الكتاب المنتخل من الدره الخطيرة في شعراء الجزيرة » تأليف أبي القاسم علي بن جعفر بن علي التميمي السعدي ، اختيار الشيخ أبي اسحاق بن أغلب ، وفيه ذكر سبعة وستين شاعرا من شعراء جزيرة صقلية[٥] .

ب ـ « هذا ماأختاره الحسن بن علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي من المنتخل من الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة مماليس هو في اختيار ابن الأغلب »[٦] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (١٤٢٩/٢) ، ومنه نسخة مخطوطة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى تحت رقم (٧٧٦) لغة .

(٢) ابن القطاع ـ البارع في علم العروض (ص٣٠) ، ومنه نسخة مخطوطة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى تحت رقم (٧٧٦) لغه .

(٣) ياقوت ـ معجم الأدباء (٢٨١/١٢) .

(٤) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٢٤/٣) .

(٥) أبو اسحاق بن أغلب ـ مختصر الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة ـ مخطوط دار الكتب المصرية رقم (٢٢١٦) تاريخ تيمور . ومنه نسخة مصورة بمكتبتي .

(٦) ابن منجب الصيرفي ـ ما اختير من المنتخل من الدرة الخطيرة ـ مخطوط ـ معهد جامعة الدول العربية ، القاهرة تحت رقم (١٩٦٠) تاريخ ومنه نسخة مصورة بمكتبتي .

ج ـ « باب في ذكر محاسن فضلاء جزيرة صقلية » وهو باب في كتاب « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » من تأليف العماد الأصفهانى[١] .

١٣ ـ « الملح العصرية » ذكرها ابن خلكان[٢] ، وحاجي خليفة[٣] ، وجمع ابن فضل الله العمرى المتوفي سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م ، مقاطع منها في كتابه « مسالك الممالك »[٤] .

١٤ ـ « مجموعة من شعر المتنبي وغوامضه »[٥] ، وهو شرح نحوي ولغوي وأدبي لبعض أشعار ابي الطيب المتنبي ، وقد يكون هو الذي أشار اليه القفطي باسم « المجموع الأدبي »[٦] . خاصة إذا علمنا أن فهرست دار الكتب المصرية ، أشارت إلى ذلك الكتاب بأكثر من أسم فمرة باسم : « شرح بعض أبيات المتنبي »[٧] ، ومرة : « مجموع من شعر المتنبي وغوامضه »[٨] . وقد قام الدكتور محسن غياض بنشر وتحقيق كتاب « شرح المشكل من شعر المتنبي »[٩] ، وقال عنه : « ومع أن هذا الشرح في جملته شرح أدبي ، إلا أن المؤلف لم يكن بعيدا عن تأثيرات اشتغاله بالنحو واللغة ، مما جعل بعض شروحه نحوا خالصا ، أو لغة خالصة ،

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة طبعة تونس (١/٥ ـ ١١٩) .

(٢) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٢٣/٢) .

(٣) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (١٨١٧/٢) .

(٤) امبرتو ـ تاريخ الأدب في صقليه (ص٧٦) .

(٥) نشره امبرتو ريزيتانو في عام ١٩٥٥م ، ويحتوي علي شرح اثنين واربعين شطرا من شعر المتنبي . المرجع السابق نفسه (ص٧٦) .

(٦) القفطي ـ انباه الرواه (٢٣٧/٢) ، البديعي ـ الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (٢٦٩) .

(٧) فهرست دار الكتب المصرية (١٩٦/٣) .

(٨) المرجع السابق نفسه (١٣٨/٢) .

(٩) نشره بمجلة المورد ـ المجلد السادس ـ العدد الثالث ـ ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

ولعل من الحق علينا أن نقرر أن بعض شعر المتنبي لايمكن تفسيره إلا على هذا السبيل ، لأن مرد التعقيد فيه إلى صياغته اللغوية ، أو إعرابه النحوي »[1] .

وقد استطرد ابن القطاع الصقلي كثيرا عند شرحه في اللغة والنحو ، حتى ليخيل للقارىء أنها غاية مقصودة لذاتها وليست وسيلة لتيسير شرح البيت وتفسيره[2] .

ونأخذ من هذا الكتاب مثالا نستدل به على تضلع ابن القطاع الصقلي في اللغة فقد عاب على المتنبي قوله « الهتن » ورأى أن صوابها « الهاتن » وذلك في قول المتنبي : العارضُ الهتنُ ابن العارضِ الهتنِ ابن العارضِ الهتنِ ، ابن العارض الهتنِ[3] .

حيث قال ابن القطاع : « هذا البيت الذي أفسد المتنبي فيه اللغة ، وغلط فيه وكرر غلطته أربع مرات ، وذلك أن العلماء مجمعون على أن يقال : هتن المطر ، والدمع يهتن هتنا وهتونا ، واسم الفاعل منه هاتن ، وكذلك يقال : هتل المطر ، والدمع يهتل هتلا وهتولا ، باللام ، واسم الفاعل هاتل . ولم يقل أحد من العلماء ولا جاء عن أحد من العرب ، هَتِنٌ ، يهتن ، على وزن فَعِل يفعل ، فيكون اسم الفاعل منه ، هَتِنٌ ، على فَعِلٌ ، ولم يذكره أحد من الرواه ، ولااهتدى إليه إلى هذه الغاية ، حتى نبهت عليه »[4] .

---

(١) محسن غياض ـ مقدمته لشرح المشكل من شعر المتنبي ـ مجلة المورد ـ المجلد ٦ العدد ٣ص(٢٤٠) ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص٢٤٠) .

(٣) المتنبي ـ الديوان بشرح العكبري (٢١٦/٤) .

(٤) محسن غياض ـ مقدمته لشرح المشكل من شعر المتنبي مجلة المورد ـ المجلد ٦ العدد ٣ ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، (ص٢٤٤) .

وقد أشار العكبري إلى كلام ابن القطاع حيث قال : « وقال ابن القطاع : غلط المتنبي ، في هذا البيت ، وكرر غلطه أربع مرات »[1] . وكثيرا ماكان يذكر العكبري في شرحه لديوان المتنبي أقوال ابن القطاع الصقلي اللغويه والنحوية ، ويستشهد بها .

وتظهر أثر تلمذة ابن القطاع الصقلي على شيخه ابن البر اللغوي واضحة في هذا الكتاب ، فنجده يكرر ذكره بقوله : « قال لي شيخي محمد بن علي ابن البر التميمي[2] .

وقد اعتمد ابن القطاع الصقلي في كتابه هذا على القياس على القرآن الكريم ، والحديث ومأثور كلام العرب وشعرها القديم[3] .

ولخص محقق الكتاب أهميته في أنها الأثر الوحيد الباقي من آثار الوسط الصقلي المعجب بأبي الطيب المتنبي ، ولولا هذا الكتاب لضاعت إلى الأبد شروحات وتعليقات صالح بن رشدين وتلميذه ابن البر اللغوي الصقلي ، اللذين شرحا الديوان للناس شفاها بالقاهرة ، وحفظ ابن القطاع شروحهما تلك وقيدها في كتابه هذا[4] .

١٥ ـ « البارع في علم العروض »[5] .

١٦ ـ « الشافي في علم القوافي » وهو عبارة عن خمسة بحوث ، شرحها ابن القطاع شرحا وافيا ، وصحح بعض أخطاء السابقين ، ووصلت البحوث

---

(١) العكبري ـ التبيان في شرح الديوان (٢١٧/٤) .

(٢) ابن القطاع الصقلي ـ شرح المشكل من شعر المتنبي (ص٢٤١) .

(٣) المصدر السابق نفسه ـ مقدمة المحقق (ص٢٤٠) .

(٤) المصدر السابق نفسه ـ مقدمة المحقق (ص٢٤٠) .

(٥) قام الدكتور أحمد محمد عبد الدايم ، بتحقيقه ونشره ، مكة المكرمة ـ المكتبة الفيصلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الخمسة متفرقة ، وقد جمعت في مخطوطة واحدة بدار الكتب المصرية تحت عنوان « كتاب العروض والمهملات والقوافي »[١] ، وهي :

أ ـ كتاب « العروض »[٢] . وهو يبحث في النظم بدقة ووضوح ، مع شرح أسباب انتقاء الألفاظ .

ب ـ « مختصر في مهملات الدوائر » مما أهمله من أوزان[٣] .

ج ـ « المختصر الشافي في علم القوافي » وهو بحث في أقسام القافية ، وأنواعها واستعمالها[٤] .

د ـ « أبيات المعاياه وشرحها » وجمع فيه أربعة وخمسين بيتا غريبا في نظمها وعروضها[٥] .

هـ « باب اختصار الزحاف »[٦] ، وهو بحث في مختلف الزحافات في الشعر العربي[٧] .

١٧ ـ « رسالة في العروض »[٨] .

١٨ ـ « العروض البارع بالاختصار الجامع »[٩] .

---

(١) دار الكتب المصرية رقم (٤) ش عروض (١٠٢ ورقة) ومنه نسخة مصورة بمكتبتي الخاصة .

(٢) ذكر الدكتور أحمد محمد عبد الدايم ، أنه عبارة عن كتاب « البارع في علم العروض » الذي قام بتحقيقه ، وأنه راجعه عليه ، فوجده بحرفه ونصه إلا بعض الاختلافات اليسيرة . أنظر مقدمة المحقق ـ البارع في علم العروض (ص٣٢) .

(٣) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقلية (ص٧٧) .

(٤) المرجع السابق نفسه (ص٧٧) .

(٥) المرجع السابق نفسه (٧٧) .

(٦) الزحاف : مصطلح يعني احد التغييرات على تفاعيل الميزان الشعري .
ابن القطاع ـ البارع في علم العروض (ص٧١) .

(٧) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص٧٧) .

(٨) منها نسخة مصورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى برقم (٣٢٠) مجاميع عروض مصورة عن مكتبة الاسكريال .

(٩) منها نسخة مصورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى برقم (٣٣١) عروض ، مصورة عن مكتبة الأسكريال .

وتحدث اليماني عن مؤلفات ابن القطاع في العروض وأنها كانت تدرس في اليمن حيث قال : « وله عروض قرأته على شيوخ بلدنا باليمن مرارا » وأضاف بأنه : « عروض جيد وحسن »[1] .

١٩ ـ « أبنية الأسماء الثنائية المجردة والمزيدة ، والثلاثية المجردة والمزيدة والرباعية المجردة والمزيدة » . والخماسية المجردة والمزيدة ، والمصادر الثلاثية والرباعية ، والمزيدة[2] وقد قال ابن خلكان عن هذا الكتاب : « جمع فيه فأوعب ـ وفيه دلالة على كثرة اطلاعه »[3] .

٢٠ ـ « الافعال »[4] قال عنه ياقوت : « هذب فيه أفعال ابن القوطية[5] ، وأفعال ابن طريف[6] ، وغيرهما في ثلاث مجلدات »[7] .

أما القفطي فقد سماه : تهذيب أفعال ابن القوطية »[8] . وقد امتدح ابن خلكان كتاب « الأفعال » لابن القطاع فقال : « وله تصانيف نافعة منها كتاب

---

(١) اليماني ـ اشارة التعيين (ص٢١٢) .

(٢) قام الدكتور أحمد محمد عبد الدايم ، بتحقيق الكتاب المذكور في رسالته للدكتوراه من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

(٣) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٣٢٣) .

(٤) الكتاب طبعته دار عالم الكتب ببيروت عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م في ثلاثة أجزاء .

(٥) أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ، المعروف بابن القوطية ، من أهل قرطبة وأصله من أشبيلية . كان عالما بالنحو ، حافظا للغة ، وكانت كتب اللغة أكثر ماتقرأ عليه وتؤخذ منه ، كما كان حافظا لأخبار أهل الأندس . له من المؤلفات كتاب « تصاريف الأفعال » وكتاب « المقصور والممدود » . توفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م .

ابن الفرضي ـ تاريخ علماء الاندلس (٢/٧٨ ـ ٧٩) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٦/٢١٩) .

(٦) أبو مروان عبد الملك بن طريف اللغوى الاندلسي ، من أهل قرطبه ، أخذ عن ابن القوطية وكان حسن التصرف في اللغة ، وله كتاب « الأفعال » ، هذب فيه أفعال ابن القوطية ، توفي سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م . القفطي ـ انباه الرواه (٢/٢٠٨) ، ابن بشكوال ـ الصلة (٢/٣٥٧) .س

(٧) ياقوت ـ معجم الأدباء (١٢/٢٨١) .

(٨) القفطي ـ انباه الرواه (٢/٢٣٧) .

الأفعال ، أحسن فيه كل الإحسان ، وهو أجود من الأفعال لإبن القوطية ، وإن كان ذلك قد سبقه إليه »(١) .

أما اليماني فقد ذكر كتاب « الأفعال » وذكر أنه : « لم يؤلف في معناه أجل منه على اختصاره(٢) . وأشار اليه الذهبي بقوله : « ماأغزر فوائده »(٣) ، ولم يغفل ابن كثير عن كتاب « الافعال « لابن القطاع فقال وهو يتحدث عن ابن القطاع الصقلي : « مصنف كتاب الأفعال ، الذي برز فيه على إبن القوطية »(٤) .

ويتضح من مقدمة ابن القطاع أنه تهذيب لكتاب ابن القوطية ، حيث قال في مقدمته : « سألتني أراك الله السول ، وبلغك المأمول ، أن الخص لك ماأنغلق وبعُد ، وأخلص لك ماعسر وانعقد من كتاب أبنيه الأفعال لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية »(٥) . ثم ذكر ابن القطاع بعد ذلك أهمية كتاب ابن القوطية ، ثم عرض جوانب النقص فيه والتي أكملها هو : فقال : « وهذا الكتاب ـ أي كتاب ابن القوطية ـ في غاية الجودة والإحسان ، لو كان ذا ترتيب وبيان ، لكن لم يرتبه على الكمال ، وقد اجتهدت في ترتيبه وتهذيبه بعد وسميته كتاب تهذيب الأفعال ، لأنه قد أربى فيه على كل من ألف في معانيه ، إلا أنه لم يذكر فيه سوى الأفعال الثلاثية ، ومادخل عليها من الهمزة ، ولم يستوعب ذلك ، وترك نحوا مما ذكر ، وخلط في التبويب ، وقدم وأخر في الترتيب ... فأتعب الناظر ، وأنصب الخاطر ، وصار الطالب للحرف يجده متفرقا في الكتاب في عدة أبواب ... فأجبتك إلى ماسألت ، واسعفتك بما

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٣٢٣) .
(٢) اليماني ـ اشارة التعيين (ص٢١٣) .
(٣) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٩/٤٣٣) .
(٤) ابن كثير ـ البداية والنهاية (١٢/١٨٨) .
(٥) ابن القطاع ـ الأفعال (١/٦) .

أردت على مافي ذلك من التعب الطويل ، والنصب الجزيل لأني احتاج أن أعرض الكتاب لكل حرف عرضة ، وألحق به ماترك من عدة دواوين وفي هذا من المشقة مالايخفى عليك[1] .

وقد بين ابن القطاع الصقلي طريقته في تأليف هذا الكتاب حيث قال : « رددت كل فعل إلى مثله ، وقرنت كل شكل بشكله ، وهذبته وذكرت ماأغفله من الأفعال ... وأثبتها على حروف المعجم حتى لايحتاج الناظر أن يخرج من باب إلا وقد استوعب جميع الأفعال على التمام والكمال[2] .

وقد رمز ابن القطاع الصقلي في كتابه هذا بحرف (العين) للدلالة على أن ذلك من كلامه ، وحرف (القاف) للدلالة على أن ذلك من كلام ابن القوطية . وسبب ذلك أن : « يعرف ماأورده وما أوردت ، وما ترك ومازدت »[3] .

ثم ذكر ابن القطاع الصقلي أن كتابه هذا اشتمل على معارف كثيرة من كتب العلماء ، ومدونات البلغاء ، ولم يرد فيه إلا المعروف المستحسن[4] .

وكان الدافع الذي جعل ابن القطاع الصقلي يؤلف هذا الكتاب ، هو رغبته في حفظ لغة العرب ، لغة القرآن ، وتعليم حقيقة معانية ، فقال : « أعلم أن أفضل مارغب فيه الراغب ، وتعلق به الطالب ، معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن وورد بها حديث النبي عليه السلام ، لتعلم بها حقيقة معانيها ، ولئلا يضل من أخذ بظاهرهما ، وقد قال بعض الحكماء : اللغة أركان الأدب ، والشعر ديوان العرب ، بالشعر نظمت المآثر ، وباللغة نثرت الجواهر ، لولا اللغة

---

(١) المصدر السابق نفسه (٦/١ ـ ٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٧/١ ـ ٨) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٨/١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٨/١) .

ذهبت الآداب ، ولولا الشعر بطلت الأحساب ، بلغة العرب نزل القرآن ، وبشعرهم ميز الفرقان »[1] .

ولابن القطاع الصقلي إضافة إلى المؤلفات السابقة ، زيادات ، زاد فيها على أصحابها ، وقد تربو تلك الزيادة على ماألفوه أحيانا ، وتلك المؤلفات التى زاد عليها ابن القطاع الصقلي هي :

١ ـ كتاب « الحياه والموت » لابن درستوية النحوي[2] ، حيث ذكر له مائة اسم وعشرة أسماء ، وزاد ابن القطاع ثلاثة وأربعين إسما[3] .

٢ ـ كتاب « الدواهي » لأبي عبيدة[4] ، وبعده زيادات ابن خالويه[5] ، ثم تأتي زيادات ابن القطاع ، وله فيها مائة وعشرين[6] .

٣ ـ كتاب « الخمر وأسماؤها » لعبد الله بن المعتز بالله[7] ، وله فيها مائة

---

(١) المصدر السابق نفسه (١/٦) .

(٢) أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستورية بن المرزبان الفارسي ، النحوي شيخ النحو ، كان عالما ، فاضلا ، أخذ الأدب عن ابن قتيبه والمبرد . له مصنفات كثيرة منها كتاب « الارشاد » في النحو . وكتاب « الهجاء » و « شرح الفصيح » . وغيرها ، توفي سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٤٤) .

(٣) ابن القطاع ـ البارع في علم العروض (ص٣٠) .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) عبد الله بن خالويه ، من كبار أهل اللغة ، أخذ عن أبي بكر بن دريد ، وأبي عبد الله نفطوية . من مؤلفاته « شرح المقصوره » لابن دريد ، وكتاب في « أسماء الأسد » وكتاب « البديع في القرآن » . توفي سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م .
ابن الأنباري ـ نزهة الألباء (ص٣١١) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (١١/ ٢٩٧) .

(٦) ابن القطاع ـ البارع في علم العروض (ص٣٠) .

(٧) عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل علي الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد ، كان شاعرا ، فصيحا ، بليغا ، بارعا في الأدب ، حسن الشعر . سمع المبرد وثعلبا ، روى كثيرا من الحكم والأمثال . قتل سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م .
المصدران السابقان (٢٣٣) ، (١١/١٠٨) .

وعشرون تليها زيادات ابن القطاع عليه ، وله مائتا وأربعون[1] .

٤ ـ كتاب « الأحجار » للصاحب بن عباد[2] ، حيث ذكر مائة وعشرون اسما .

وزاد ابن القطاع مائتين وثمانين اسما[3] .

وكل هذه المؤلفات جاءت على حروف المعجم[4] .

ومن علماء اللغة الصقليين ، أبو الحسين بن عبيد الله الصقلي ، صاحب كتاب « التكملة وشرح الأبيات المشكلة من ديوان أبي الطيب المتنبي »[5] .

ويعتبر كتابه هذا أول شرح يصل من جزيرة صقلية ، ولم تشر المصادر إلى أبي علي الحسين الصقلي ، ولم يتحدث هو عن نفسه في كتابه ، ولا عن شيوخه ، أو تلاميذه . وانما هناك اشارات قليلة توضح الفترة التي عاش فيها المؤلف ، ومن ذلك ، أن الناسخ أشار إلى أن هذا الكتاب مهدى إلى حامد بن أبي بكر المؤدب الشاوي[6] ، والشاويون هم رعاة الشاء في المغرب وينتسبون إلى قبيلة « شاوه »[7] البربرية[8] . وهذا يشير إلى أن المؤلف كان قد خرج من

---

(١) ابن القطاع ـ البارع في عالم العروض (ص٣٠) .

(٢) اسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد الطالقاني ، أبو القاسم ، كان وزيرا لمؤيد بن ركن الدولة بن بويه . كان فاضلا ، كريما على العلماء والفقراء . من مؤلفاته : « الوقف والابتداء » وكتاب « جوهرة الجمهرة » ، وكتاب « الرسائل » وغيرها . توفي سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م .
ابن الانباري ـ نزهة الألباء (ص٣٢٥) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (٣١٤/١١) .

(٣) ابن القطاع ـ البارع في علم العروض (ص٣١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص٣١) ، وتوجد من هذه المؤلفات نسخ مخطوطة مصورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى تحت رقم (٧٧٦) لغه .

(٥) قام الدكتور أنور أبو سويلم ، بتحقيقه ، ونشرته جامعة مؤته بالأردن .

(٦) لم أعثر له على ترجمة . ولم يترجم له محقق الكتاب .

(٧) : مجموعة قبائل تستقر بساحل المحيط بين الدار البيضاء ووادي أم الربيع ، وكانت تدعى قديماً بيلاد تامسنا ، ويرجع أصل سكانها إلى عرب بني هلال الذين امتزجوا خلال العصور بعدة قبائل بربرية . الصديق بن العربي ـ المغرب (ص٢٢٨) .

(٨) ابو علي الصقلي ـ التكملة وشرح الأبيات المشكلة ـ مقدمة المحقق (١١/١) .

صقلية مع بداية الغزو النورمندي عليها ، واستقر ببلاد المغرب الأقصى ، لدى الشاويين الذين كانوا موجودين في تلك الفترة[1] .

وقد شرح أبو علي الحسين الصقلي ، بعضاً من أبيات الطيب المتنبي ، شرحاً لغوياً ونحوياً ، فكان مما جاء في مقدمة الكتاب :

« الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين ، كتب الشيخ الامام أبو علي الحسين بن عبد الله المغربي الصقلي إلى حامد بن أبي بكر المؤدب الشاوي : هذا الهم الله رشدك ، وشرح بالخير صدرك ... كتاب التكملة وشرح الأبيات المشكلة من ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي ، وإبانة معانيه وتفسير الغريب من الفاظه ، وإيضاح الغامض من إعرابه ، وإيراد طرف من سرقاته ونظائره ، والتنبيه على غرر قلائده ، وعيون محاسنه ... »[2] .

ونأخذ مثالاً واحداً مما في هذا الكتاب نستدل منه على طريقة ابي على الصقلي في شرحه لأبيات المتنبي المشكلة . فمن ذلك : قول المتنبي :

وإلا تمت تحت السيوف مكرما   تمت وتقاسِ الذّل غير مكرّم

فثِبْ واثقا بالله وثبة ماجد   يرى الموت في الهيجاجنى النحل في الفم

قال أبو علي الصقلي : يروى وتلاقي الذل ، وإلا بمعنى : إن لا ، حرف شرط . وتمت : ، أصله تموت إلا أنه مجزوم بالشرط ، والمكرم : المعزز ، وتمت الثانية مجزومة ، وتقاس : أصله بالياء إلا أنه مجزوم ، والذل : ضد العز . وثِبْ : أمر من الوثوب . والواثق : الفاعل من الثقه ، والماجد : الشريف ، .

(١) المصدر السابق نفسه (١/١١) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١/٢٥ ـ ٢٦) .

والهيجاء : ممدود إلا أنه أقصره ؛ والجنى من جنيت الثمار إذا قطعته ، والنحل والدبر واحد . ثم قال : يخاطب نفسه أو رفيقه قائلاً إن لم يكن موتك في الحرب وأنت محمود باقي الذكر في الشجاعة وحسن البلاء ، وجميل الأقدام ، تمت لا محالة بعد معاناة المذلة وأنت غير عزيز ولا منسوب إلى الكرم والعزة ولا موصوف بجميل الذكر . ثم يقول : ثب إلى القتال وانت بالله واثق أنه ينصرك ويقويك وثبة شريف يعد مرارة الموت في المحاربه ، معد حلاوة العسل في فيه ، يعني أنه إذا مات بذكر جميل كانت مرارة ذلك عند أحلى من الشهد ، كما قال : الموت أحلى من العسل[1] .

ونعود بالحديث إلى أبي عبد الله محمد بن ابي الفرج المازري الصقلي ، والذي يعرف بالذكي[2] . فقد كان عالماً بالفقه ، والنحو والأدب ، حيث وصُف بأنه : « كان فاضلاً ، عارفاً باللغة والآداب ، وكان آية في النحو وعلومه »[3] .

ووصف أيضاً بأنه « كان عالماً باللغة والنحو وسائر فنون الأدب »[4] .

كما ذكرت المصادر أنه « لم يخرج من المغرب إلا وهو امام في الفقه والنحو »[5] .

وقال عنه ابن الجوزي أنه : « كان عارفاً باللغة والنحو »[6] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٥٣ ـ ٥٤) .

(٢) انظر موضوع (الدراسات الشرعية في صقلية) ومصادر ترجمة : عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٢/٤) ، معالم الإيمان (٢٠٣/٣) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢١/٤) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٢١٠/١) .

(٣) القفطي ـ انباه الرواه (٧٣/٣) .

(٤) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢٠/٤) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٢١٠/١) .

(٥) المصدران السابقان (٣٢٠/٤) ، (٢١٠/١) .

(٦) ابن الجوزي ـ المنتظم (١٩٠/٩) .

وكان للمازري الذكي رحلة إلى المشرق ، وكان النحو أهم العلوم التي درسها في رحلته تلك[1] .

ومن شيوخ المازري الذكي في مجال اللغة والنحو ، أبو علي الحيولي[2] ، الذي درس عليه كتاب « سيبويه[3] » وكتاب « الإيضاح » لأبي علي الفارسي[4] .

أما بالنسبة لمؤلفات المازري الذكي في مجال اللغة والنحو ، فله كتاب « مقدمة في النحو »[5] . وكان سبب تأليف المازري الذكي لكتابه هذا مارآه من

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٣/٤) .

(٢) لم أعثر له على ترجمة ، وقد ذكر الدكتور محسن العميري عند تحقيقه لكتاب المازري « المقدمة في النحو » أن من شيوخ الذكي ابن يونس ؛ وعند تعريفه بابن يونس ذكر أنه محمد بن يونس الحجازي الكفيف المتوفي سنة اثنتين أو ثلاث وستين واربعمائة ، صاحب كتاب « المبرز في اللغة » والصحيح أنه ابن يونس الصقلي صاحب كتاب « الجامع » على المدونة والذي تحدثنا عنه عند الحديث عن علم الفقه في صقلية ، كما أشرنا إلى ذلك عند حديثنا عن المازري الذكي ودوره في الدراسات الفقهيه . وانظر ماذكره الدكتور محسن العميري في مقدمة التحقيق لكتاب المازري ـ المقدمة في النحو (ص١٥ ـ ١٦) .

(٣) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الفارسي ، البصري مولى بني الحارث بن كعب . اما النحو ، وحجة العرب ، وأخذ النحو على الخليل بن أحمد ، واللغة عن أبي الخطاب بن الأخفش ، والى جانب ذلك درس الفقه والحديث . ألف في النحو كتابه المنسوب اليه ، والذي لايدرك شأوه فيه . وقد شرحه المشارقة والمغاربة . توفي سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م .
اليماني ـ اشارة التعيين (ص٢٤٢) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٣٥١/٨) .

(٤) ابو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسوي ، الفارسي ، أمام في النحو ، والصرف ، وعالم بالعربية والقراءات ، سمع الحديث ، وقدم بغداد ، وقصده الناس من الأقطار وعلت منزلته . من مؤلفاته كتاب : « الايضاح » في النحو وكتاب « التكملة » في التصريف . و « الحجة في علل القراءات السبع » توفي ببغداد سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م .
ابن الأنبارى ـ نزهة الألباء (ص٣١٥) ، ابن الجوزي ـ المنتظم (١٣٨/٧) .

(٥) حققه الدكتور محسن العميري بجامعة أم القرى ، ونشرته المكتبة الفيصلية عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، مكة المكرمة .

الاعراض عن الاشتغال بعلم النحو ، الذي به يتوصل العبد إلى معرفة ماشرع له الرب عز وجل ، حيث يفهم به القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . فكان مما جاء في مقدمته قوله :

« أما بعد حمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين فاني تأملت مانقله الرواه من أن الدنيا كلها جهل وموات إلا ماكان من علم والعلم كله حجة إلا ماكان بعمل ... ثم تأملت مراتب العلوم فلم أر علماً انفع ولا أجدى ولا أجمع لمصالح الدين والدنيا من علم النحو ، الذي به يتوصل العبد إلى معرفة ماشرع له الرب عز وجل من فرض ، وندب ، وحظر ، وإباحة ، وبه تفهم سائر معاني القرآن وأحاديث النبى عليه السلام ، وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان ... وقد ذكر أن الخليفتين ابا بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ كانا يقولان : لحفظ بعض اعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه . وكان يقال : ان عورة كل انسان بين رجليه وعورة كل لحان بين فكيه ... فلما رأيت هذا الشأن كل يوم في نقصان ، والناس من الإعراض عنه والاشتغال بغيره في شأن ـ رأيت أن أجمع أبواباً منه لحملة كتاب الله عز وجل ، ورواة حديث نبيه عليه السلام ، وطلبة الفقه ، لايستغني عنها أحد في فن من فنون الشرع رجاء ثواب الله عز وجل ... »[1] .

وقد قسم المازري الذكي كتابه إلى ستة اقسام هي : باب الاعراب ـ باب أقسام الأسماء المرفوعة ـ باب أقسام الأسماء المنصوبة ـ باب أقسام الأسماء المجرورة ـ باب أقسام الأفعال المعربة ـ باب أقسام الأفعال المنصوبة . ثم ختمة بفصل في الفعل المجزوم وما يعطف عليه .

---

(١) المازري ـ مقدمة في النحو (ص٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩) .

وعلى الرغم من المازري الذكي قد ذكر عنه كثرة اعتراضاته على شيوخه[1] . إلا أن ذلك لايمنع من أن يجد له من بين معاصريه من أصدقاء يمتدحونه . فهذا معاصره الزمخشري[2] ، يكتب إليه بالأبيات التالية[3] :

فديت الامام المغربي الذي له ... فضائل شتى ماتفرّقن في خَلْقْ

له أدب جزل وعلم مرقّقٌ ... وشعلة فهم دونها خطفه البرق

لقد رُزقت منه المغاربةُ الهوى ... مودة شيخ واحد الغرب والشرق

فأجابه المازري الذكي بقوله :

حثثت من أقصى المغربين ركائبي ... لأبصر من في كفه شعلة الحق

فما زلت في عشواء أخبط لا أرى ... يقينا ولادينا يزين بالصدق

إلى أن بدا علامة الدهر مشرقا ... فلاغرو أن الشمس تطلع من

ومن علماء اللغة والنحو الصقليين ، أبو عبد الله محمد بن مسلم بن محمد بن أبي بكر القرشي المازري المتوفي بالاسكندرية سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م ، فقد ذكرت المصادر أنه درس النحو والأدب بصقلية على اللغوي المشهور ابي القاسم ابن القطاع الصقلي[5] ولم تشر المصادر إلى جهوده في مجال اللغة والنحو ، فقد كانت تغلب على علمه الدراسات الشرعية ، وعلم الكلام .

---

(١) انظر موضوع (الدراسات الفقهية في صقلية) .

(٢) ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ، الزمخشري ، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة ، وعلم البيان . كان امام عصره تشدّ اليه الرحال في فنونه . ومن مؤلفاته « الكشاف » في التفسير ، وكتاب « أساس البلاغة » في اللغة ، وكتاب « المفصل » في النحو . وغيرها . توفي سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٦٩/٥) ، اليماني ـ اشارة التعيين (ص٣٤٥) .

(٣) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢٠/٤ ـ ٣٢١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٣٢١/٤) .

(٥) عياض ـ الغنية (ص٨٨) ، التنبكتي ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص٢٢٧) .

أما ابن الفحام الصقلي ، صاحب كتاب « التجريد لبغية المريد » في القراءات ، فقد كانت له جهود واضحة في اللغة والنحو ، ذلك أن أبا القاسم ابن الفحام الصقلي ، قد درس النحو في مصر على ابن بابشاذ النحوي(١) ، صاحب « المقدمة المحسبة » في النحو .

وقد ذكرت المصادر أن ابن الفحام الصلقي قد عمل شرحاً لمقدمة ابن بابشاذ(٢) ، ومن الغريب ان يشرح ابن الفحام مقدمة أستاذه ، مع أن ابن بابشاذ قد أملى شرح المقدمة ، استجابة لطلب ابن الفحام نفسه . والمعروف أن ابن بابشاذ أملى مقدمته في سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م ، على وجه التقريب ، وبعد ذلك الزمن بأكثر من ثلاثين عاماً ، أي في سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، طلب منه تلميذه ابن الفحام ، أن يملي عليه شرحاً لهذه المقدمة ، فاستجاب الشيخ لهذا الطلب(٣) .

فقد ورد في مقدمة ابن بابشاذقوله مشيراً إلى ذلك : « أما بعد حمد الله بجميع المحامد ، والتوكل عليه في كل المصادر والموارد ، والصلاة على نبيه محمد خاتم النبين وعلى آله وصحبه البررة المتقين ، والسلام عليهم أجمعين ، فإن للمقصد حرمة مأثورة ونية مشكورة مبرورة ، ولما كنت أيها الأخ أبا

---

(١) امام النحاة ، ابو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصري الجوهري ، إمام عصره في علم النحو ، شرح « الجمل » للزجاجي ، وشرح كتاب « الأصول » لإبن السراج . وكان لايخرج كتاب من ديوان الإنشاء بمصر إلا بعد عرضه عليه . تزهد آخر حياته في جامع عمرو ابن العاص إلى أن توفي سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م .

القفطي ـ انباه الرواه (٩٥/٢) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٥١٥/٢) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٨) .

(٢) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٣٨٨/١٩) ، حاجي خليفة ـ كشف الظنون (ص١٧٩٥) ، البغدادي ـ هدية العارفين (ص٥١٨) .

(٣) ابن بابشاذ ـ شرح المقدمة المحسبه ، تحقيق خالد عبد الكريم (٣٠/١ ـ ٤٣) .

القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر بن ابي سعيد أدام الله توفيقك ، وارشادك ، وجعل من السعادة في الدين والدنيا والعلم هداك وامدادك ، قد اطلعتني على حالك ، وذكرت انك لم تسافر من الاسكندرية مع قرب توجه سفرك إلى مقرك ، إلا لتحصّل ما أمكن من هذا العلم ، وأن أقرب ذلك قراءة المقدمة المرسومة لهذا الشأن ، وإيثارك تعليق شرحها مختصر لتنال من ذلك بلُغة ، حين عودتك بمشيئة الله وعونه ، فتشرع في التنجّز لهذا الشأن ، بحسب مايؤديك إليك اجتهادك ، والله معينك في ذلك وموقفك ، أجبت سؤالك ايجاب مثلي لمثلك في مقصدك ، وابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ورحمته ، والله الموفق للصواب بمنه »[1] .

ومما يؤكد املاء ابن بابشاذ شرحه لمقدمته على ابن الفحام ، ماجاء على لسان ابن بابشاذ وهو يخاطب ابا القاسم خلف بن ابراهيم بن خلف المقرىء ، المعروف بابن الحصار ، قائلاً : « أما بعد أيها الشيخ أبا القاسم خلف بن ابراهيم بن خلف المقرىء ادام الله امتاعك بالعلم ، والعمل ، فإنك لما عرفتني حصول شرح المقدمة في النحو ، الذي كنت امليته على ابي القاسم عبد الرحمن بن ابي سعيد الصقلي ، كتب الله سلامته في مديدة قريبة من العام الماضي من سنة ست وستين واربعمائه ، وأنه لم يفتك إلا شيء يسير من أوله ، وهو تفسير النحو والغرض به ... واني كنت قد امليته على المذكور ، ارتجالاً وأنا في شغل كما يعلم الله قاطع ، وزمان غير واسع ، والله أسأل أن يكتب على المذكور سلامته ، ويتم عليك أيها المحي لذلك نعمته ، وأن يجعل ذلك لوجهه بمنه ورحمته[2] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (١/٨٧ ـ ٨٨) .

(٢) ابن بابشاذ ـ شرح المقدمة المحسبة (٢/٤٧١ ـ ٤٧٢) .

والنص السابق يؤكد لنا أن ابن بابشاذ قد املى شرح مقدمته على ابن الفحام الصقلي في سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ، وذلك بمصر ، إلا أن القفطي يذكر ان ابن الفحام الصقلي قد بقي في مصر لطلب القراءة من سنة ٤٣٨هـ/١١٤٦م إلى سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م[١] . وهذا يتعارض مع النص السابق . فإما أن تكون معلومات القفطي غير دقيقة ، أو أن ابن الفحام كان يزور مصر من وقت لآخر بعد استقراره في الإسكندرية .

واشتهر محمد بن خراسان الصقلي ، المتوفي بصقلية سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م إلى جانب علم القراءات ، بعلم النحو ، حيث درسه على النحوي المصري محمد النحاس[٢] .

وهذا أبو علي الحسن بن الصقلي ، أحد نحاة صقلية ، المتوفي بمكة ٣٩١هـ/١٠٠٠م[٣] قد روى عن شيوخ العربية ، أمثال أبي القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجي[٤] ، والحسن الحصايري[٥] ، وذكرت له المصادر بعضاً من شعره[٦] .

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (١٦٥/٢) .

(٢) ابن الجزري ـ غاية النهاية (١٣٦/٢) ، السيوطي ـ بغية الوعاه (٩٩/١) ، سعيد عاشور ـ بحوث في تاريخ الإسلام (ص١٨١) .

(٣) ابن عساكر ـ تاريخ دمشق ـ تهذيب بدران (٢٣٨/٤) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٥١٥/١) .

(٤) شيخ العربية ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق البغدادي ، النحوي صاحب « الجمل » وهو تلميذ الزجاج وهو منسوب اليه . ومن مؤلفاته كتاب « أدب الكاتب » وكتاب « الإيضاح » وكتاب « اللامات » توفي سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م .

القفطي ـ انباه الرواه (١٦٠/٢) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٤٧٥/١٥) .

(٥) ابو علي الحسن بن حبيب بن عبد الملك الدمشقي ، الحصائري ، الشافعي ، رحل إلى مصر ، ثقة ، نبيل ، حافظ ،، كان امام مسجد باب الجابية . توفي سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م .

المصدر السابق نفسه (٣٨٣/١٥ ـ ٣٨٤) .

(٦) ابن عساكر ـ تاريخ دمشق ، تهذيب بدران (٢٣٨/٤) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٥١٥/١) .

وكان خلوف بن عبد الله البرقي النحوي ، الصقلي ـ الذي كان حياً وسط المائة الخامسة ـ إلى جانب تقدمه في علم القراءات ، متقدماً في علم النحو ، فقد وصف أنه كان : « عالماً بالقراءات والإعراب »[1] .

ومن علماء صقلية في اللغة والنحو ، عثمان بن علي بن عمر السرقوسي ، النحوي الصقلي ، والذي له دور واضح في علم القراءات . فقد وصفته المصادر بأنه كان : « عالماً ، نحوياً ، لغوياً مقرئاً[2] . وله مؤلفات في النحو والعروض[3] . وقد انتفع به الناس ، ونقلوا كلامه ، وكتبوا تصانيفه ، وتنافس فيها أهل العلم[4] .

وله من المؤلفات في اللغة والنحو كتاب « الحاشية » على كتاب « الإيضاح » في النحو لأبي على الفارسي[5] . وله كتاب « مختصر القوافي » رواه عنه ابو الطاهر السلفي[6] وله أيضاً مختصر علي كتاب « العمدة » لابن رشيق القيرواني ، عرف باسم « مختصر عمدة ابن رشيق »[7] . أو « العدة في اختصار العمدة »[8] . وقد قال القفطي عن هذا الكتاب : « وشاهدت هذا

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (٣٩٣/١) .

(٢) القفطي ـ انباه الرواه (٣٤٣/٢) ، ياقوت ـ معجم الأدباء (١٣٠/١٢) ، البغدادي ـ هدية العارفين (٦٥٣/١ ـ ٦٥٤) .

(٣) القفطي ـ انباه الرواه (٣٤٢/٢) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٣٤٢/٢) ، ياقوت ـ معجم الأدباء (١٣٧/١٢) .

(٥) المصدران السابقان (٣٤٣/٢) ، (١٣٧/١٢) .

(٦) المصدر السابق نفسه (١٣٧/١٢) ، البغدادي ـ هدية العارفين (٦٥٤/١) .

(٧) القفطي ـ انباه الرواه (٣٤٣/٢) ، ياقوت ـ معجم الأدباء (١٣٧/١٢) .

(٨) بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي (٣٤٤/٥) ، تقي عارف الدوري ـ صقليه وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص١٩٤) ، وقد وصل الكتاب باسمه الثاني حيث توجد منه نسخة خطية مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم (١١١) نحو .

المختصر بحلب بخطة عند ابن القيسراني[١] وقد زاد فيه أبواباً أخل بها ابن رشيق وهي واقعها موقعها من التصنيف[٢] .

ومن أهل صقليه الذين كان لهم اهتمام باللغة ، طاهر بن محمد الرقباني ، وقد ذكره ابن القطاع الصقلي في « الدرة الخطيرة وأورد له بعضاً من شعره[٣] وذكره القفطي ، وقال عنه انه : « من أهل صقلية المقيمين بها ، تغلبي ، يدعى الوزير ، لم يكن في زمانه أعلم منه بلغة العرب وكلامها ، ونثرها ونظمها ، وكان رئيساً مقدماً جليلاً ، معظماً . وقصدته العلماء من كل مكان ، فلقوا بحراً خضرما ، وانتجعته الشعراء فوردوا قليباً »[٤] . وذكر القفطي أيضا أنه كان له شعر ولكن كان يخفيه ، وقد أورد بعضاً منه[٥] .

ومنهم أيضاً علي بن بشرى اللغوي الصقلي فقد كان من المهتمين باللغة والنحو ، قال عنه القفطي : « من أهل صقلية ، المقيمين بها ، كان في النظم والنثر سابقاً لايجارى ، وفي اللغة والإعراب لايبارى »[٦] . وأورد القفطي بعضاً من شعره[٧] .

ومن علماء اللغة في صقلية ، أبو الحسن على بن حبيب اللغوي ، الصقلي[٨] ، وصفه القفطي بقوله : « أحد رجال اللغة المعدودين والعلماء بها المبرزين ، وممن تناول المرمى البعيد بقريب فهمه ، وأوضح المهمات بنور علمه ،

---

(١) ابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني ، من الشعراء المجيدين ، كان فاضلاً في الأدب ، توفي سنة ٥٤٨هـ/١١٨٨م . ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٤٥٨/٤) .

(٢) القفطي ـ انباه الرواه (٣٤٣/٢) .

(٣) ابن اغلب ـ المختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة ـ مخطوط ـ دار الكتب المصرية (٢٢١٦) تاريخ تيمور (ورقة ٩) .

(٤) القفطي ـ انباه الرواه (٩٤/٢) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٩٤/٢) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٢٣٤/٢) .

(٧) المصدر السابق نفسه (٢٣٤/٢ ـ ٢٣٥) .

(٨) السيوطي ـ بغية الوعاة (١٥٥/٢) .

وكان مضطلعاً بنقد الشعر ومعانيه ، ناهضاً بأعباء الغريب ومبانيه »[1] وذكر له بعضاً من شعره[2] .

وذكرت المصادر أن أبا محمد الصقلي ، المعروف بالدمعه ، من نحاة صقلية ، حيث ورد أنه : « من أهل صقلية المقيمين بها ، وأحد رؤساء النحو المعلمين ، ومن رجاله الحفاظ السابقين »[3] . وقد ذكره ابن القطاع الصقلي في الدرة الحظيرة[4] .

ومن اللغوين الصقليين ، يعقوب بن علي الزبيدي اللغوي الصقلي ، قال عنه القفطي : « من أهل صقليه المقيمين بها ، من أئمة اللغويين والعلماء والمدرسين ، كلن حافظاً لأشعار العرب ومعانيها ، شارحاً لغريبها ومبانيها »[5] .

وممن ذكرهم ابن القطاع في « الدرة الخطيرة » النحوي ، والأديب ، والطبيب محمد بن الحسن الطوبي[6] ، وهو من أهل صقلية ، المقيمين بها ، وصاحب ديوان الإنشاء والرسائل[7] . وقد وصف بأنه « نحوي أربي في النحو على نفطويه »[8] .

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (٢/٢٥٥) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٢/٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢/٢٥٥) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٢/١٥٥) .

(٤) ابن أغلب ـ المختصر من المنتخل من الدرة الخطيرة (ورقة ٦) .

(٥) القفطي ـ انباه الرواه (٤/١٧٤) .

(٦) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (طبعة مصر) (٤/٥٦) .

(٧) المصدر السابق نفسه (٤/٥٦) ، القفطي ـ انباه الرواه (٣/١٠٧) .

(٨) المصدر السابق نفسه (٣/١٠٧) ، ونفطويه هو : ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفه بن سليمان ابن المغيرة ، الأزدي ، الواسطي ، المعروف بنفطويه ، ولقب بذلك لدمامته وسواده ، حيث شبهوه بالنفط سكن بغداد ، وكان عالماً بارعاً ، من مؤلفاته : « غريب القرآن » وكتاب « المقنع في النحو » وكتاب « البارع » . توفي سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١/٤٧) ، اليماني ـ اشارة التعيين . ص١٥) .

وقد امتدح ابن القطاع الصقلي ، الطوبي بقوله :[1]

أيهـا الأسـتـاذ في الطـ	ـب وإعْراب الـكـلام
لك في النحـو قـيـاس	لايسـامـيـه مـسـام
ثـم فـي الطـب عـلاج	دافـع الداء العـقـام
أنت في النثـر البـديهي[2]	وفـي النظم السـلامـي[3]
فـاضـل الآباء والنـفس	عـضـامي عـصـامي

كما وصف الطوبي ايضاً بأنه : « جامع للفضائل ، عالم بالرسائل ، وكلامه في نهاية الفصاحة وشعره في غاية الملاحة ، له مقامات تزرى بمقامات البديع[4] ، واخوانيات كأنها زهر الربيع ، مع خط كالطرز المعلمة ، والبرود المثمنة ، وكان الشعر طوع عنانه ، وخديم جنانه »[5] .

وله أشعار أوردتها المصادر في كثر من أغراض الشعر ، وخاصة منها مايتعلق بالزهد والتصوف ، والنصح والارشاد ، ولربما كانت تعبر عما كان

---

(١) القفطي ـ أنباه الرواه (١٠٧/٣) .

(٢) البديهي هو : ابو الحسن علي بن محمد . من شهرزور ، كان كثير الشعر ، نابه الذكر واشتهر بكثرة الترحال .

الثعالبي ـ يتيمه الدهر (٣٩٩/٣ ـ ٤٠٠) .

(٣) السلامي هو : أبو الحسن محمد بن عبد الله . قال الثعالبي : « من أشهر أهل العراق قولاً بالاطلاق ، وشهادة بالاستحقاق » ولد في كرخ بغداد ، ونسبته في بني مخزوم . خرج إلى الموصل واستقر بها وبرز . توفي سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م .

المصدر السابق نفسه (٤٦٦/٢ ـ ٤٦٧ ـ ٤٦٨) .

(٤) هو بديع الزمان الهمذاني ، أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد ، صاحب الرسائل والمقامات ، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته ، وهو أحد الفضلاء الفصحاء . توفي مسموماً سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٢٧/١ ـ ١٢٨) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (٣٤٠/١١) .

(٥) القفطي ـ انباه الرواه (١٠٧/٣) .

عليـه الحـال في صـقليـه . وقـد كـان الطوبي مـوجـوداً في صـقليـة سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[١] .

وأشارت المصادر إلى أن ابن العلامة القطاع اللغوي المشهور ، فذكرت أن ابنه مـحـمـد بن علي بن جـعـفـر المتوفي سنة ٥١٦ هـ / ١٢٢م ، كان من اللغويين الصقليين ، وأنه كانت له حلقة لإقراء اللغة في جامع عمرو بن العاص بمصر[٢] ووصف بأنه : « كـان دمث الأخـلاق ، مـالكي المذهب ، مـائلاً إلى الحديث »[٣] .

وهذا يوسف بن أحـمـد الدباغ النحـوي الصـقلي ، من علمـاء النحـو بصقليـة ، وكان يستخدم الشعر في مسائل النحو ، فقد وصف بأنه : « حافظ لكتب المتقدمين متنبه لأسرار المؤلفين ، مقدم في زمانه على أشكاله وأقرانه ، وله شعر صالح أكثره في مسائل النحو »[٤] .

ومن علماء اللغة والنحو في صقلية محمد بن سدوس النحوي ، الكاتب الصقلي ، الذي : « برع فـي النحـو على أهل زمـانه ، وكان النظم والنثر طوع بنانه »[٥] .

ومن علماء العربية فـي صقلية ايضاً ، أبو المصيب عبد الله بن أبي مالك القيسي الصقلي ، الذي وصف بأنه : « أحد رجال اللغة والعربية المطابيع في أجناس القريض ، العالمين بالأوزان والأعاريض »[٦] .

كما ذكرت له المصادر بعضاً من شعره ، وخاصة في الحكم والأمثال من ذلك قوله :

---

(١) المصدر السابق نفسه (١٠٨/٣) .

(٢) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (١٤٧/٤) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١٤٧/٤) .

(٤) القفطي ـ انباه الرواه (٧٠/٤) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٣٥٦/٢) .

(٥) القفطي ـ انباه الرواه (١٥٠/٣) ، المحمدون من الشعراء (ص٣٣٩) .

(٦) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٤١٧/١٧) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٥٣/٢) .

غلط الذي سمي الحجارة جوهراً　　　إن الكريم أحقّ باسم الجـوهـر

إن الجـواهر قـد علمت صـوامت　　　والمرء جوهره جميل المحضر[١]

ومن علمـاء اللغـة والنحـو في صـقلية ، علي بن عبـد الرحـمن الصـقلي ، النحوي ، العروضي ، الشاعر المعروف بالبلنوبي . قال عنه القفطي : « عالم بعلمي النحو والعروض ، قيم بهما ، بليغ فيهـا ، مـشارك في جميع الأنواع الأدبية ، متصدر لإفادة هذا النوع »[٢] . وقد أخذ عنه أبو الطاهر السلفي في الإسكندرية وعلق عنه مجموعة من الفوائد[٣] .

واشـارت المصـادر إلى ابي حـفص عـمـر بن حـسن النحـوي الصـقلي ، فذكرت أنه : « شيخ في اللغة ، طويل البا ع فيها ، وأخذ عنه الناس ، وتصدر للإفادة ببلرم »[٤] .

وممن ذكرتهم المصادر من علماء صقلية في النحو ، ابن المعلم النحوي الصـــقلي ، وهو علي بن ابراهيم بن الحـــسن بن علي ، المتـــوفي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م ، وكان قد أجاد النحـو واللغة ، وتصدر للإفادة كما أنه قرأ الطب ، وتعبير الرؤيا[٥] . وقد ذكر القفطي أن اباه صقلي ، وجده اصفهاني[٦] واستوطن مصر إلى أن مات[٧] . والتـقى بأبي الطاهر السلفي ، حـيث كـان يتردد عليه كثيراً ، وكان أبو الطاهر يستأنس به نظراً لدماثة خلقه[٨] .

(١) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٦٩٨/١٧ ـ ٦٩٩) .

(٢) القفطي ـ انباه الرواه (٢٩٠/٢) .

(٣) السلفي ـ معجم السفر ، تحقيق امبرتو (ص٩١) .

(٤) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٤٨/٤) ، القفطي ـ انباه الرواه (٣٢٨/٢) .

(٥) القفطي ـ انباه الرواه (٢٢٠/٢) ، الكعاك ـ الحضارة العربية في البحر المتوسط (ص١٢٦) .

(٦) القفطي ـ انباه الرواه (٢٢٠/٢)

(٧) المصدر السابق نفسه (٢٢٠/٢) .

(٨) السلفي ـ معجم السفر ، تحقيق امبرتو (ص٨٨) .

الدراســـات الأدبيـــة :

من خلال ماتمدنا به المصادر من معلومات عن الحياة الأدبية في صقلية ، فإننا لانجد إشارات كثيره عن الأدباء الصقليين ، قبل العصر الكلبي ، وذلك ينطبق على الأدب بشعره ونثره ، ولم يزدهر باب الأدب العربي ، إلا في عهد الولاة الكلبيين ، والملوك النورمان ، ويعلل أحد الباحثين سبب ذلك بقوله : « ولا نسمع شعراً صقلياً في مدة خمسة وثمانين عاماً طواها بنو الأغلب في فتح الجزيرة وحكمها ، وإذا وجد شعراء في هذه الفترة ، فإنهم افريقيون يوجه عواطفهم معنى الغربة أولاً ، وطبيعة الجهاد ثانياً . أما الغربة فلا بد أنها بعثت في النفوس الحنين إلى مواطنهم الأولى ، وتمثل هذا الحنين في قصائد ورسائل شعرية بعثوا بها إلى أهلهم واصدقائهم في الوطن ، وأما الجهاد فلابد أنه أذكى روح الحماسة من ناحية ، وروح الحزن على من أكلتهم الحرب من ناحية ثانية . ولا يمكننا القول بخلو صقلية من كل شعر ، فذلك مناف لطبيعة الأشياء في حياة الناس »(١) .

وخير مثال على القول السابق ، قصيدة مجبر بن ابراهيم بن سفيان ، الذى كان أحد رجال الأغالبة في عهد الأمير ابراهيم بن أحمد بن محمد الأغلبي (٢٦١ ـ ٢٨٩هـ/٨٧٥ ـ ٩٠٢م) وتولى قيادة العسكر الذى « بمسيني » و« قلورية » فأسرته الروم وحمل إلى القسطنطينية ، فكان مما قال في أسره وهي قصيدة طويلة رواها الناس في أيام بني الأغلب :

ألا ليت شعري ما الذي فعل الدهر ... بإخواننا ياقيروان وياقصر
ونحن فإنا طخطختنا رحى النوى ... فلم يجتمع شملٌ لنا ولا وفر
رأينا وجوه الدهر وهي عوابس ... بأعين خطب في ملاحظها شزر

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص١٧٩) .

وقال في آخرها :

لعل الذي نجى من الجب يوسفا ... وفرج عن أيوب إذ مسه الضر

وخلص ابراهيم من نار قومه ... وأعلى عصا موسى فذل له السحر

يصبر أهل الأسر في طول أسرهم ... على معضلات الأسر ، لاسلم الأسر[1]

وكان للعامل السياسي دوره الرئيسي في عدم تجلي الروح الصقليه في الأدب العربي بصقلية قبل عهد الولاه الكلبيين ، ذلك أن صقليه في عهد الأغالبة كانت ثغراً من ثغور الدولة العباسية لارتباط الأغالبة بالعباسيين ، ولذلك لم تكن صقلية أرض استقرار بالنسبة للمسلمين حتى ينمو فيها الشعر ، ولكن لما انفصلت عن بني العباس وولاتهم من الأغالبة ، وأصبحت تابعة للعبيديين وولاتهم من الكلبيين ، نشأ جيل ارتبط بصقليه أرضاً وثقافة ، وبالتالي بدأت الروح تذكي تيار الشعر ، الذي تعهده الكلبيون ورعوه[2] . ذلك أن الولاة الكلبيين كانوا هم أنفسهم أدباء ، إضافة إلى شعورهم بالإستقلال السياسي في حكم جزيرة صقلية ، ونتج عن ذلك أن وصلوا بالأدب إلى أزهى مراتبه ، وأصبحت قصورهم مقصداً للأدباء من صقليه وخارجها .

فهذا تاج الدولة وسيف الملة أبو محمد جعفر بن ثقة الدولة يوسف بن عبد الله الكلبي امير صقلية (٣٨٨ ـ ٤١٠هـ/٩٩٨ ـ ١٠١٩م) ، تصفه المصادر بأنّه : « أديب الأسرة الكلبية ، وأفضلهم ، ومنفق سوق الأدب منهم »[3] . وقد قال فيه ابن القطاع : « ملك عظيم وجواد كريم ، وفد عليه العلماء والشعراء من كل مكان فأعلى منزلتهم وأجزل صلتهم »[4] .

(١) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١/١٨٥ ـ ١٨٦) .

(٢) عيضة السواط ـ الشعر العربي في صقليه في ظل ولاية الكلبيين (ص١١٧) .

(٣) ابن سعيد ـ الألحان المسلية في حلي جزيرة صقلية (ص١٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص١٤) .

قال العماد الأصفهاني : « وجدت في تعليق المصريين ، وقد كتب في سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، أحسن ماسمع لأهل عصرنا من الارتجال قول هذا الأمير وقد رأى غلامين على أحدهما ثوب ديباج أحمر ، وعلى الآخر ثوب ديباج أسود ، فقال :

أرى بدرين قـــد طلعــا ... على غـــصنين في نسق

وفي ثوبين قـــد صـــبـــغا ... صـــبـــاغ الخـــد والحـــدق

فــهـــذا الشـــمس في شـــفق ... وهذا البـــدر في غـــسق[1]

ومن شعراء صقلية من الأسرة الكلبية ، الأمير أبو القاسم عبد الله بن سليمان بن يخلف الكلبي ، قال عنه ابن القطاع : « أحد الأدباء المجيدين ، والشعراء المعدودين ، وممن جمعوا إلى شرف المنصب ، غرايب العلم والأدب ، وتصرف في أنواع الشعر ، وأجاد في التشبيهات ، وأضاف إلى ذلك جودة النثر ، وله تاليفات ، وكتب ومصنفات في الرد على العلماء وتطبيق الشعراء »[2] .

ومن شعره قوله في وصف منتزه :

كــأن الشــقــيق بهــا وجنة ... بآخـــرها لمعـــة من عـــذار

كــأن البنفـــسج في لونهـــا ... اختـلاط الظلام بضـوء النهـار

وسـوسنهـا مـثل بيض القـبـاب ... بأوسـاطهـا عـمـد من نضـار

ترى النرجس الغض فوق الغصو ... ن مثل المصابيح فوق المنار .[3]

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٢/٢٣٤) .

(٢) ابن اغلب ـ المختصر من المنتخل من الدرة الخطيرة ـ مخطوط (ورقة ٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ورقة ٢) .

ومن شعراء صقليه من الأسرة الكلبية أيضاً الأمير أحمد بن الحسين الكلبي أحد ولاة صقلية (٣٤١ ـ ٣٥٩هـ/٩٦٩م) ، الذي كان أديباً فاضلاً ، ميالا للشعر ، وله فيه باع وإبداع . ومن شعره قوله ، مبيناً موقفه من البيض حين لاح بعارضة الشيب :

شنيت البيض حين شنين شيبي ... وتأباني التي ملكت فـــؤادي
وهل يخــتــار ذو عــقل ولب ... بياض المقلتين على السواد .[١]

ويرجع الفضل الأكبر فيما ورد عن شعراء صقلية وأشعارهم ، إلى ابن القطاع الصقلي ، الذي كان قد جمع في « الدرة الخطيرة من شعراء الجزيرة » عشرين الف بيت منسوبة إلى مائة وسبعين شاعراً ، ولدوا بصقلية ، أو أقاموا بها ردحاً من الزمن . وللأسف لم يصلنا من كتابه هذا إلا ماذكره العماد الأصفهاني في « الخريدة » وابن سعيد في « المغرب في حلي المغرب » وما أختاره أبو اسحاق ابن أغلب ، وما أختصره ابن منجب الصيرفي .

ولم يصل الينا من دواوين الشعراء الصقليين ، إلا ديوان ابن حمديس الصقلي[٢] .

وقد أفرد العماد الأصفهاني باباً بعنوان « جماعة من شعراء صقلية ، ذكرهم أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي ، المعروف بابن القطاع في كتاب : الدرة الخطيرة والمختار من شعراء الجزيرة »[٣] . ثم قال العماد : وهم أقدم عصراً ، وأسبق شعراً ، وقد أوردت منها غرراً ، والتقطت من عقدها دررا[٤] .

(١) المدني ـ المسلمون في صقلية (ص٢١٣) .

(٢) نشره وقدم له الدكتور إحسان عباس في بيروت عام ١٩٦٠م .

(٣) العماد الاصفهاني ـ الخريدة (٥١/١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٥١/١) .

أما ابن سعيد المغربي ، فقد أفرد باباً في كتابه المغرب في حلي المغرب » يحمل عنوان : « الألحان المسلية في حلي جزيرة صقلية »(١) . وفيه اشارات إلى بعض الأحداث البارزة في تاريخ صقلية ، وبعض الشعراء الذين ذكرهم ابن القطاع الصقلي في « الدرة الخطيرة » .

ومن الذين أوردهم العماد الأصفهاني في « الخريدة » نقلاً عن ابن القطاع في « الدرة الخطيرة ، نشير إلى مايلي :

ابن القطاع الصقلي ، مؤلف « الدرة الخطيرة » قال الشعر صبياً ، وهو في سن الثالثة عشر من عمره . قال العماد : ورأيت خطه على دفتر في سنة تسع وخمسمائة فمما أورده قوله :

فلا تنفدن العمر في طلب الصبا ولاتشقين يوما بسعدى ولانُعمُ

فإن قصارى المرء إدراك حاجة وتبقى مذمات الأحاديث والإثم(٢)

ومنهم أبو عبد الله محمد بن الحسن الطوبي ، فقد ذكر أنه صاحب ديوان الرسائل والانشاء ، ومن ذوي الفضائل البلغاء ، مترسلاً ، شاعراً . قال العماد : وأورد من نظمه كل مليح الحوك صحيح السبك(٣) .

وأبو الحسن على بن الحسن بن الطوبي ، الذى وصف بأنه : « امام البلغاء وزمام الشعراء ، ومؤلف دفاتر ، ومصنف جواهر ، ومقلد دواوين ، ومعتمد سلاطين ، سافر إلى الشرق ، وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه ، وله فيه قصيدة رصع بها ديوانه »(٤) .

(١) قام باستخراجه وتحقيقه الدكتور محمد زكريا عناني ، وطبعته الدار الأندلسية للطباعة والنشر عام ١٩٨٦م .

(٢) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٥١/١) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٥٥/١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٧٢/١) ، كحاله ـ معجم المؤلفين (٦٣/٧) .

ومن شعراء صقلية أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز المعافري ، وصفه ابن القطاع الصقلي : « بالبراعة في الصناعة ، والمهارة في العبارة ، والتنزه في رياض الرياضيات ، والتنبيه في سحريات السحريات »[1] .

ومنهم أيضاً : ابو الحسن على بن أبي اسحاق ابراهيم بن الوداني والذي أتصف بالرئاسة والنفاسة[2] .

ومن أدباء صقلية وشعرائها ، أبو الفتح ، محمد بن الحسين ، ابن القرقوبي ، الكاتب الصقلي ، أثنى ابن القطاع الصقلي على نظمه ونثره كثيراً ، وذكر أن قدره كان كبيراً[3] . كما وصف بأنه : « شاعرٌ صانع ، وأديب بارع من فضلاء العصر ، وحسنات الدهر ، وشعره كثير » . وكان قد خرج من صقلية إلى الأندلس واستوطنها ، وصحب ملوكها ، وسار ذكره بها وعظم قدره هناك[4] .

ومن أدباء صقلية أبو الفضل جعفر بن البرون الصقلي ، والذي وصف بأنه : « أحد الأفراد في النظم المستجاد ، وشعره يصف الراح ، ويصافي الأرواح »[5] .

وأبو محمد بن صمنه الفقيه الصقلي ، والذي اشتهر « بحسن المحاضرة والمحاورة وطيب المفاكهة والمذاكرة ، واستضافة علم الشعر إلى علم الشرع

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٨١/١) ، ابن سعيد ـ عنوان المرقصات والمطربات (ص٦٤) .

(٢) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٨٢/١) ، ياقوت ـ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً (ص٤٢٤) ابن سعيد ـ عنوان المرقصات والمطربات (ص٦٤) .

(٣) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٩٥/١) .

(٤) القفطي ـ المحمدون من الشعراء (ص٢٥٧) .

(٥) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١٧/١) ، أماري ـ المكتبة الصقلية (ص٥٨١) .

وظرافة الخلق ، وسلامة الطبع ، وشعره سني الصنع ، جنى اليتع »[1] .

وممن ذكرتهم المصادر من شعراء صقلية ، عبد الرحمن بن رمضان ، المعروف بالقاضي ، فقد ذكر عنه انه : « ليس له في علوم الشريعة يد ، بل هو شاعر له من بحر خاطره ، وغزالة غريزته مدد »[2] .

ومن شعراء صقلية الذين أوردهم العماد في « الخريدة » الفقيه أبو موسى عيسى بن عبد المنعم الصقلي ، فقد وصفه بأنه : « كان كبير الشأن ، ذا الحجة والبرهان ، فقيه الأمة وأمثل الأئمة ، له المعاني الأبكار ، البعيدة مرامها ، والألفاظ التى هي كالرياض جادها هامي رهامها ، وكلامه يأسو سماعه الكلوم ، ويجلو سنا إحسانه العلوم ، ويحكى درر الأصداف ودراري النجوم ، فمن بديع قوله في الغزل وهو أحلى من نجح الأمل :

يابني الأصفر أنتم بدمي　　منكم القاتل لي والمستبيح
أمليح هجر من يهواكم　　وحلال ذلك في دين المسيح
ياعليل الطرف من غير ضنى　　وإذا لاحظ قلبا فصحيح
كل شيء بعدما أبصرتكم　　من صنوف الحسن في عيني قبيح[3]

ولم يكن الفقيه عيسى بن عبد المنعم الصقلي ، شاعراً فحسب ، بل كان كاتباً نثرياً يجيد الوصف في كتاباته ، ومن ذلك ماقاله في وصف الخط بعد أن وردت اليه رسالة من أحد الأشخاص ، حيث قال :

« فنظرت منه إلى خط موصوف ، معتدل الحروف ، أملس المتون ، مفتح العيون ، لطيف الإشارات ، دقيق الحركات ، لين المعاطف والأرداف ، متناسب

(١) المصدر السابق نفسه ، المرجع السابق نفسه (١٩/١) ، (ص٥٨١) .

(٢) المصدر السابق نفسه ، والمرجع السابق نفسه (٢٠/١ ـ ٢١) ، (ص٥٨١) .

(٣) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٢٧/١) ، أماري ـ المكتبة الصقلية (ص٥٨٦ ـ ٥٨٧) .

الأوائل والأطراف ، يروق العيون حسنه وشكله ، ويعجز المحاول بيد التناول صنعه وفعله ، متضمناً معاني كأنها رقية الزمان وصمتة الأمان لو كانت مسارب كانت الحياة ، أو مشارب فادت النجاة ، فأوجب تأملي لها تأملي واستنار بفكري فيها تعجبي ، قلت سبحان ربي القيوم [أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون][1] أكل هذا الاحسان في طاقة الإنسان ، ما أرى ذلك في الممكن والامكان ، ولئن كان ذلك فنحن الأنعام يشملنا اسم الحيوان ، ثم رجعت إلى نفسي ، وثاب إلي حسي ، فقلت عند سكون جأشي ، وثبوت طيشي ، وإفراغ روعي ، وذهاب دهشتي : إن من دبّ في الفصاحة ودرج في وكرها ، ورضع بلبانها ، وجرع من درّها ، وصاحب السادات مقتبلاً ، والأمجاد مكتملاً ، لخليق أن يحل من الفضل وسائط ويجمع قطرية ، بل يستولي على غواربه ويملك شطرية[2] .

وله رسالة اسقط فيها حرف اللام والألف :

« رقعتي نحوك سيدي ، وسندي وذخري وعنصري ، ومن بذّ وبزّ ، جمع من سبق وعزّ ، فذّ دهره ، ووحيد عصره ، وغريب زمنه ، ونسيج وحده ، مدّ ربي مدتك في مربوب نعمته ، ومدد نصرته ، وكبت من نكب عن ودك ، بعظيم ذخره ، ومخوف زجره ، وصيره موطيء قدميك ، وصريع نكبته بين يديك وسوغك من ضروب نعمه بهنيّه ومريّه ، ومتعك من موفور قسمه بحميده ومزيده ، كتبت وكبدي تسعر بجحيم ودك ، ومهجتي تصهر بسموم توقك ونفسي تجذر من فظيع بعدك ، ونفسي يحصر بوجيع فقدك »[3] .

---

(١) سورة الطور (آية ١٥) .

(٢) العماد الأصفهاني ــ الخريدة (١/٣١ ــ ٣٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١/٣٢ ــ ٣٣) .

وله أيضاً في عدم الوفاء بالوعد :

« لولا أن ذنوب الحبيب تصغر عن التأنيب ، وقدر الرئيس يكبر عن اللوم والتعنيف ، لكان لنا وللرئيس مجال واسع ، ومتسع بالغ ، فيما أتاه ، إن لم نقل جناه ، وفيما وعد فأخلف ، أن لم نقل الذنب الذي أقترف ، ومهما أجللنا قدره عن أن ينسب اليه خلف الوعد ، وإن كان جليلاً ، ماعذره إن لم يكتب بوجه العذر أنه ماوجد سبيلا ، وقد كنا نتوقع تداني العناق ، فصرنا نقنع بأماني التلاق :

فجميل الصبر والصفح بهذا الشأن أولى
قل ومن شاء المصافاة على ذا الشرط أولا

وذكر المهم آثر وأهم ، فشوق البعيد شديد ، وسؤال القاصي أكيد وكلاهما على الأيام يزيد فكلهما إلى يوم جديد »[1] .

ومن أدباء صقلية أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد المنعم الصقلي ،[2] فهو كاتب ، وشاعر وصف بأنه « بارع ماهر مهندس منجم لغارب الفصاحة متسنم ، في ملتقى أولي العلم كمي معلم »[3] .

ومن شعره قوله :

كتمت الذي بي فانتفعت بكتماني وأعلنت حالي فاتهمت باعلاني
وما خلت أن الأمر يفضي إلى الذي رأيت ولكن كل شيء يرى وأني[4]

ومن رسائله النثرية قوله :

« شوقي إلى لقائك شوق الضمئان إلى الماء الزلال ، وارتياحي إلى مايرد من تلقائك ارتياح السقيم إلى الصحة والابلال ، وتلهفي على فراقك تلهف

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣٣/١ ـ ٣٤) .

(٢) انظر موضوع (الدراسات البحتة في صقليه) .

(٣) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٣٤/١) ، القفطي ـ أخبار الحكماء (ص١٨٩) .

(٤) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٣٥/١) .

الحيران ، وتأسفي على بعدك تأسف الولهان ، لكنني إذا رجعت إلى شاهد العقل ، وعدلت إلى طريق العدل ، يمازج قلبي سرورا ، ويخاطب شوقي بهجة وصبورا ، بما الهمك الله تعالى إليه من صفاء النية والإخلاص والظفر بأمل النجاة والخلاص ... »[1]

وله من أخرى في العتاب :

« قد عاملني في مشاهد هذه الأيام ، التي قمْت الخاص والعام بأشياء لوجرت بيني وبينه على خلوة لعددتها من لذيذ الأنس ، لكنها أتت في الملأ بما آلم النفس ، واحتملت ذلك منه رجاء أن يقلع عنه ، فازداد لجاجه ، وازددت حراجة ، حتى استفعل الثغاة عليّ بسبب ذلك المزاح واستنسر البغاث إليّ وهزّ الجناح ، ولو شئت حينئذ لعرفت كل واحد بما جهله من أبوته وقيمته ، وأعلمته بما لم يعلمه من خلقه وشيمته .

فمن جهلت نفسُه قدره ... رأى غيرُه فيه مالا يرى[2]

ومن الأدباء الصقليين ، عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن السوسي ، كان قد قرأ الأدب على ابيه وسكن مدينة « بلرم » واتخذها دارا ، ووصف بأن له : « شعر صحيح المعنى ، قويم المبنى ، لذيذ المجنى »[3] .

له من قصيدة أنشدها قبل وفاته بأيام قلائل فى رثاء بعض رؤساء المسلمين بصقلية ، وهي تدل على ماحواه من فضائل :

ركاب المعالي بالأسى رحله حطّا ... وطود العلى العالي تهدّم وانحطّا
فنائي مساءات الأسى متقرب ... وقرب مسرات الشرور لنا شطا
وكيف لنور الشمس والبدر عودة ... وهذا منار المجد والعز قد قطاّ
أصيب فما رد الردى عنه رهطه ... بلى . أودع الأحزان إذ ودّع الرهطا

(١) المصدر السابق نفسه (١/٤٢ ـ ٤٣) .
(٢) المصدر السابق نفسه (١/٤٣ ـ ٤٤) .
(٣) الكعاك ـ الحضارة العربية في البحر الأبيض المتوسط (ص٢٣) ..

ومنهـــا :

يعـــز علينا إن ثوى في بســيطة ورد الردى عن كفه القبض والبسطا

كـــأن حَمَامـــا لِلحِمَام قــد انبــرى لأرواح الفـــضل يلقطهـــا لقطا

فـيــارزء مــاأنكى وياحــزن مــاأبكى ويادهر مــاأعدى ويامـوت مــاأسطى

عـزاءً عــزاءً قــد مــحــا الموت قبلنا ملوكاً كما يمحون من كتب خطّاً[1]

ومن أدباء صقلية ، أبو عبد الله محمد بن علي ابن الصباغ ، الكاتب ، كان ناظماً ناثراً[2] . وقد وصف بأنه : « أحد أدباء وقته المشاهير ، وكلامه يعرب له عن أدب كثير ، وحفظ غزير »[3] . وأنه : « حسن الترسل والمذاكرة ، مليح التمثيل والمحاضرة ، وله في ذلك تصانيف لنفسه ومقامات شيقة ، ونظمه رفيع البنيان ، ثابت الأركان »[4] .

وكان بينه وبين الحسن بن رشيق القيرواني صاحب كتاب « العمدة في صناعة الشعر ونقده » مراسلات[5] . من ذلك أنه كتب إليه أبو علي الحسن بن رشيق عند وصوله من القيروان إلى « مازر » في أول رسالة بينهما :

كــتــاب من أخ كــشــفت قناع ضـــمـــيـــره يدُه

تذكـــر منزلا رحـــبـــا وعـــذبا طاب مـــورده

وكـــان يطيـــر من شـــوق إلى عـــهـــد يجـــدّده

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٤٦/١ ـ ٤٧) .

(٢) ابن سعيد ـ الألحان المسلية (ص٤٥) .

(٣) ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن الجزيرة (٣٠٨/٧) .

(٤) الصفدي ـ الوافي بالوفيات (١٣٢/٤) .

(٥) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٨٣/١) .

فكتب إليه ابن الصباغ في جوابه :

أخ بل أنت سيده ... على ماكنت تعهده
بودّ غير محتاج ... إلى شيء يؤكده
لعل الله باللقيا ... كما يختار يسعده[1]

ومن شعره قوله :

وليل قطعناه بأخت نهاره ... إلى أن أماط الصبح عنه لثامه
اذا ماأردنا نشب لقاصد ... ضراما سكبناها فقامت مقامه[2]

وقد أورد ابن بسام في « الذخيرة بعضاً من قطع ابن الصباغ النثرية ، بعضها أرسلها إلى صقلية ، والبعض الآخر موجهة إلى أحد أدباء الأندلس »[3] .

وكان مما ورد في قطته النثرية الموجهة إلى ابن الشامي ، صاحب ديوان الخمس ، راغباً اليه في أن يكلم له الأمير صمصام الدولة ، ليحرر له أرضا كان قد اشتراها بصقلية :

« ويعلم ـ أدام الله تمكينه ـ مذهبي في التخفيف ، وحمل مؤنة التكليف ، إلا في ماتلجيء الضرورة إليه ، ويحمل الاضطهاد عليه ، وكنت من ترفيه النفس عن الامتهان ، والقناعة بما تسمح به نفس الزمان ، عن حالة يعلم تقلبي في أثنائها ومقيلي في أفيائها ... »[4] .

وكان قد ضمن رقعته تلك بعضا من شعره ، وتدور حول الغرض الذي من أجله كتب تلك الرسالة ، فقال :

---

(١) المصدر السابق نفسه (٨٤/١) .
(٢) المصدر السابق نفسه (٨٣/١) .
(٣) ابن بسام ـ الذخيرة (٣٠٨/٧) .
(٤) المصدر السابق نفسه (٣١٨/٧) .

إذا الحـاجـات عيَّ بهـا رجـالٌ   وكـان قـضـاؤها صـعب المرام
وقلَّت حـيلة الشـفـعـاء فـيـهـا   فـحـاول نُجْحـهـا ببني الشـآمي
دراريُّ العـــلا حـــفَّتْ ببـــدرٍ   منيـر في سـمـاء المجد سـام[1]

ولابن الصباغ الصقلي قطع نثرية أخرى كان قد كتبها إلى أحد أدباء الأندلس ، من ذلك قوله في خطاب عزاء :

« الحياة لبني الدنيا مراحل ، والمنايا لجميعهم مناهل ، والأعمال كالأسفار منها القريب الوصول ، العاجل الحلول ، ومنها البعيد الشقه ، الشديد المشقة أنفاس معدودة ، وآجال محدودة ، وليس بناج من محتومها أحد ، ولا لمخلوق منها ملتحد ، وانتهى إلى ـ سهل الله الصبر الجميل سبيلك ، وأطفأ ببرد السلوك غليلك ـ نبأ جلل ، وخطب معضل ، وهو مصابك بشقيقه نفسك ... »[2] .

وله أيضاً من قطعه كان قد كتبها إلى الأديب الأندلسي أبي حفص القعيني[3] ، حول جارية باعها أبو حفص وأراد استردادها :

« كشف الله عن قلبك أيها الأديب الحسيب زين الشهوه ، ومحامن لبّك شين الهفوة ، فعلى رأيك يعتمد من اختلفت آراؤه ، وبهديك يهتدي من أضل القصد ، وبه يقتدي من عُدم الرشد ، ونقل الي بعض من يعرف أحوالك ، ويشارف فعالك ، خبرا يصمّ السمع ، ويضيّق الذرع ، وذلك أنك نبذت كرتك المتكفشة ، فتلقاها من أحمدت صولجانه ... وعضضت على بيعتها أنا ملك ، وأنضيت في طلبها زوامك ، وأطلت في وصف شوقتك لها وأوجزت ... فأصبحت الظنون بك مرجّمة ، والألسنة عنك مترجمة ، والأقوال فيك كثيرة ،

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣١٨/٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٣٠٨/٧ ـ ٣٠٩) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

والأيدي اليك مشيرة ، ويا عجبا كيف لم تبصر بصيرتك هذا العوار ، وشهابها ثاقب ، ولم تعف نفسك السامية هذه الأقذار وإباؤها واجب شدّ ماملكت سورة الغراره وأنت كهل أمين ، وهفت بلبك هفوات الهوى وعندك عقل رصين ... »[1] .

وقد كتب اليه أبو حفص القعيني قطعة يرد فيها عليه ، ويقيم الحجج على صواب تصرفه ، فرد عليه ابن الصباغ الصقلي بقطعة أخرى طويلة ، ذكرها ابن بسام في الذخيرة[2] .

وممن أوردتهم المصادر من أدباء صقلية ، سليمان بن محمد المهرى الطرابنشي الصقلي[3] . من أهل العلم والأدب والشعر سافر إلى افريقية ، وقدم إلى الأندلس بعد سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م[4] . وقد مدح ملوك الأندلس وتقدم عندهم بفضل أدبه وحسن شعره[5] .

ومن شعره قوله :

نبّهـتـه لما تغنّى الحمام	ومزق الفجر قميص الظلام
وقلت : قم يابدر ثم أدر	في فلك اللهو شموس المرام
فقام نشوان وشمل الكرى	له يرتمي مقلتيه التئام[6]

ومن أدباء صقلية ، أبو علي الحسن بن علي بن محمد الكاتب ، المعروف بابن الأضطبي . وصفه ابن القطاع بأنه : « أحد الكتاب الأفراد ، والكرماء الأجواد ، وأكثر شعره في الحث على اقتناء المحامد »[7] .

(١) المصدر السابق نفسه (٣١٠/٧ ـ ٣١١) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٣١٣/٧ ـ ٣١٤ ـ ٣١٥ ـ ٣١٦ ـ ٣١٧) .

(٣) الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص٢٢٢ ـ ٢٢٣) ، ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (١١٩/٧) ، ابن بشكوال ـ الصلة (٢٠٦/١) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص٢٩٧) .

(٤) ابن بسام ـ الذخيرة (١١٩/٧) .

(٥) الضبي ـ بغية الملتمس (ص٢٩٧) .

(٦) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٩٤/١) .

(٧) ابن اغلب ـ المختصر من المتخل من الدرة الخطيرة (ورقة ٤) .

ومنهم أبو اسحاق ابراهيم محمد بن خفيف ، ذكر ابن القطاع أنه كثير النوادر ، وأنشد له :

رأيت اليـوم مـحـمـولاً وأعـجب منه من حـمله
جـمـال الناس تحـملهم وهـذا حـاملٌ جـمله[1]

واشتهر أحد أدباء صقلية ، ويدعى أبو القاسم هاشم بن يونس الكاتب ، بأنه « صاحب ترسل ومقامات وملح وروايات »[2] .

ومن الأدباء الصقليين ، أبو عبد الله محمد بن الحسين الفرني الصقلي ، الكاتب ، وصف بأنه « كاتب زمانه ، وعالم عصره وأوانه ، واليه انتهت الرئاسة في علم النجوم بالجزيرة والهيئة والحساب والخراج وجميع آلات الكتابه »[3] . وهذا أبو بكر محمد بن سهل الكاتب الصقلي المعروف بابن الزريق ، ذكر أنه أحد كتاب الحساب بالجزيرة ، وله نثر ونظم[4] .

وذكر ابن القطاع في « الدرة الخطيرة أنه كتب إلى أحد أدباء صقليه ، ويدعى أحمد بن علي الشامي ، أن يرسل إليه بشيء من شعره ليضمنها كتابه « الدرة الخطيرة » فكان مما أرسل اليه قوله :

أبا القاسم والفضل فيك سجية وأنت بكل المعلوات خليق
ومن مجده فوق السماك محلقٌ ومنصبه في المكرمات عريق
يكلفني اظهار ماقد نظمته ليالي غصني ناضر ووريق
فكن ساتراً عورات خلك إنه شقيقك والخلُّ الصديق شقيق[5]

(١) المصدر السابق نفسه (ورقة ٥) ، ابن سعيد ـ الألحان المسلية (ص٣٤) .

(٢) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٩٦/١) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٩٦/١) ، القفطي ـ المحمدون من الشعراء (ص٢٥٨) .

(٤) المصدران السابقان (٩٠/١) (ص٣٤٠) .

(٥) ابن أغلب ـ مختصر الدرة الخطيرة (ورقة ١٢) .

وقد وصفه ابن القطاع بقوله : « زين الأدباء وغرة الدهما »[1] .

ومن الأدباء الصقليين أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زيد الكاتب[2] ، المتوفي سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م ، الذي كان مقيما في صقلية أيام الفتنة ، ومال إلى القائد الصقلي علي بن نعمه ابن الحواس ، ومدحه بقصيدة كان مما جاء فيها قوله :

ياعذبة الريق عودي بعض مرضاك ... وعلليه برشف من ثناياك
وسائليه متى عهد المنام به ؟ ... فقد نفى النوم عن عينيه عيناك
قد حاربته الليالي فيك جاهدة ... فصار من حيث مايرجوك يخشاك
استودع الله قلبا في الهوى عبثت ... به على غرة أيدي مناياك
يانفس لاتسرفي في الغي جاهدة ... واصغي لناطق رشدي حين ناداك
بشراك يانفس بالسلوان بشراك ... وإن تبدلت معنى غير معناك

......

أقسمت بالله جل من قسم ... لقد تخلصت من هول وأدراك
فلا أقول مدى الدنيا لغانية ... فكي اسيرك إني بعض أسراك
إياك من مثلها يانفس ثانية ... تجني عليّ بها ، إياك ، إياك
لئن وجدتك بعد اليوم عاشقة ... لأنزعنك من صدري ، وحاشاك
لاتنزلي غير دار العز منزلة ... فما أقل مع الأيام بقياك
وإن نبت بك أرض فاطلبي بدلاً ... منها ومغنى جديداً غير مغناك
هاقد وجدت طريق الرشد واضحة ... حقا ، وماكنت ترجوها بإدراك
فاستغنمي غفلة الأيام قاصدة ... مدحاً وإن لم يكن ذا من سجاياك
والقي عليا ولاتبغي بمدحته ... إلا التفضل في تقريب مثواك
يحميك من سطوة الأيام جانبه ... وإن سخطت لجور الدهر أرضاك
سمت به العزة القسعاء في صُعُد ... كالشمس مابين ابراج وافلاك[3]

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/١١٥) .

(٢) السلفي ـ معجم السفر (ص١٠٠) ، ابن أغلب ـ مختصر الدرة الخطيرة (ورقة ١٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ورقة ١٢) .

ومن أدباء صقليه المشهورين ، أبو العرب الصقلي ، مصعب بن محمد ابن أبي الفرات بن زراره القرشي العبدري المولود بصقليه سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م[١] .

وكان أبو العرب الصقلي ، قد درس على شيوخ صقلية وعلمائها ، فقد أخذ عن أستاذه ابن البر اللغوي الصقلي ، كتاب « أدب الكاتب » لإبن قتيبة[٢] .

وقد وصفه ابن القطاع الصقلي بأنه : « شاعر دهره ووحيد عصره »[٣] . وقال عنه ابن الأبار أنه : « كان عالماً بالأدب ، مفتنا ، شاعراً مغلقاً »[٤] .

أما ابن بسام صاحب الذخيرة فقد وصفه بقوله : « كان لساناً بهذا الأفق عن العرب أعرب ، وكوكباً من المشرق غرب »[٥] .

وكان أبو العرب الصقلي قد خرج من صقليه إلى الأندلس بدعوة وجهها اليه المعتمد بن عباد[٦] ، صاحب اشبيلية ، حيث بعث إليه بخمسمائة دينار ،

---

(١) السلفي ـ معجم السفر (أخبار وتراجم أندلسية) (ص١٣٧ ـ ١٣٨) ، ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٧٠٣/٢) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٣٤/٣) ، ابن شاكر الكتبي ـ فوات الوفيات (١٤٤/٤) .

(٢) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٧٠٣/٢) .

(٣) ابن سعيد ـ الألحان المسلية في حلي جزيرة صقلية (ص٤٦) .

(٤) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٧٠٣/٢) .

(٥) ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٣٠١/٧) .

(٦) أبو القاسم محمد بن الملك المعتضد بالله عباد بن محمد بن أسماعيل اللخمي . كان صاحب قرطبة واشبيلية . قال عنه ابن القطاع الصقلي : « أندى ملوك الأندلس راحة ، وأرحبهم ساحة ، وأعظمهم ثماداً ، وأرفعهم عماداً ، ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال ... حتى انه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ماكان يجتمع ببابه » . توفي في سجنه بأغمات سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م . ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢١/٥) ، عبد الوهاب عزام ـ المعتمد بن عباد (ص١٣) .

وأمر أن يتجهز بها ويتوجه إليه[1] . وأصبح له مكانة كبيرة في بلاط المعتمد ابن عباد ، قال ابن بسام : « ومن أشهر خبر بلغني عنه أنه حضر مجلس المعتمد وقد أُدخل إليه جملة وافرة من دنانير الفضة ، فأمر له بخريطتين منها »[2] .

وذكرت المصادر أن لأبي العرب الصقلي ديوان شعر[3] . ولكن لم يصل الينا ذلك الديوان .

ومكث أبو العرب الصقلي في بلاط المعتمد بن عباد ، إلى أن سجن ، فخرج إلى جزيرة « ميورقه[4] » وكان يُسمع الدراسين فيها كتاب « أدب الكتاب » لإبن قتيبة ، وبقي بها إلى أن توفي سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م[5] . وقيل أنه كان حياً بالأندلس سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م[6] .

وعن أبي العرب الصقلي وشعره قال أحد الباحثين المحدثين إنه : « شاعر جاد ، تسيطر عليه الفخامة والقوة »[7] ومن شعره قوله يرثي صقليه :

ولابدلي أن أسأل العيس حاجة ... تشق علي أخفافها والغوارب
عليّ لآمالي اضطراب مؤمل ... ولكن على الأقدار نجح المطالب
فيانفس لاتستصحبي الهون إنه ... وإن خدعت أسبابه شرّ صاحب
وياوطني إن بنت عني فإنني ... سأوطن أكوار العتاق النجائب
إذا كان أصلي من تراب فكلها ... بلادي وكل العالمين أقاربي

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٣٣٣) .
(٢) ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٧/٣٠١) .
(٣) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢/٧٠٣) ، الكتبي ـ فوات الوفيات (٤/١٤٤) .
(٤) ابن سعيد ـ رايات المبرزين (ص١٤٨) .
(٥) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢/٧٠٣) ، عصام سالم ـ جزر الأندلس المنسية (ص٥٢٢) .
(٦) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٢/٢١٩) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٣٣٤) .
(٧) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص٢٣١ ـ ٢٣٢) .

وماضـاق عني في البسيطة جـانب وإن جل إلا أعـتـضـت منه بجـانب
إذا كنت ذا هـم فكن ذا عـــزيمة فـمـا غـائب نال النجـاح بغـائب[1]

أما أشهر شعراء صقلية فهو ابن حمد يس الصقلي ، فلا يكاد مصدر يتحدث عن أعلام صقلية ، ويخلو من ذكر لإبن حمد يس الصقلي .

واسمه أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي[2] ، وهو شاعر ينتمي إلى قبيلة « الأزد » العربية ، وجده « حمد يس » من العرب الذين نزلوا مدينة تونس في عهد ابراهيم بن الأغلب ، وقد ولد ابن حمد يس في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م في مدينة « سرقوسة » من جزيرة صقليه .

ونشأ وترعرع في ظل اسرة عرفت بالعلم والتقوى ، وأتصل بأئمة الأدب واللغة في عصره ، وقرأ لكثير من الشعراء السابقين[3] .

وكانت الفترة التي عاشها ابن حمديس الصقلي في جزيرة صقلية ، فترة اضطراب ، حيث بدأ النورمان في غزو جزيرة صقلية ، والسيطرة على مدنها ومعاقلها وحصونها ، فضاق ذرعاً بذلك ؛ وخرج من صقليه إلى اشبيليه في عهد ملكها المعتمد بن عباد في سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م[4] .

وفي ذلك يقول ابن حمد يس : « أقمت باشبيلية لما قدمتها على المعتمد ابن عباد مدة لايلتفت إلي ولايعبأ بي ، حتى قنطت لخيبتي ، وفرط تعبي ، وهممت بالنكوص على عقبي ، فاني كذلك ليلة من الليالي في منزلي ، اذا بغلام معه شمعة ومركب فقال لي : أجب السلطان ، فركبت من فوري ودخلت عليه ،

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٢٢٣/٢) .
(٢) ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٣٢٠/٧) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢١٢/٣) ، المقرى ـ نفح الطيب (١٤٢/٥) .
(٣) سعد شلبي ـ ابن حمديس الصقلي شاعراً (ص٣ ـ ٤) .
(٤) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص٢٣٦) .

وأجلسني على مرتبة فَنكَ ، وقال لي : افتح الطاق التي تليك ، ففتحتها فإذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقده تفتحها تاره وتسدها أخرى ثم دام سدّ أحدهما وفتح الآخر ، فحين تأملتها ، قال لي : أجز :

أنظرهما في الظلام قد نجما .

فقلت :

كما رنا في الدجُنّةِ الأسدُ .

فقال :

يفتح عينيه ثم يطبقها

فقلت :

فعل امرىء في جفونه رمدُ

فقال :

فابتزه الدهرُ نور واحدةٍ ،

فقلت :

وهل نجا من صروفه أحدُ .

فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة سنية وألزمني خدمته »[1] .

وماسبق يدل على أن المعتمد بن عباد لم يستدع ابن حمديس الصقلي إلى بلاطه كما استدعى الشاعر الصقلي أبا العرب ، ولولا نجاح ابن حمد يس الصقلي في الامتحان الذي أجراه له المعتمد بن عباد ، لربما لم يكن في بلاطه ومن خاصة أدباءه .

واستمر ابن حمديس الصقلي كأحد شعراء بلاط المعتمد بن عباد لمدة لاتقل عن ثلاثة عشر عاماً ، يقول قصائده في المعتمد بن عباد ، ويذكر أيامه

---

(١) المقري – نفح الطيب (١٥١/٥) .

وانتصاراته ويصف المعارك التى كان يخوضها ، ويشارك في حياة الأندلس[1] .

وبعد أن قبض المرابطون على المعتمد بن عباد في ٤٨٤هـ/١٠٩١م ، وأنزلوه سجيناً في « أغمات »[2] . أخذ ابن حمد يس يتردد على صاحبه في محبسه ورثاه وهو حي[3] .

ولما يئس من خلاص المعتمد من قيده ، وخروجه من سجنه ، غادر المغرب الأقصى ، وانتقل إلى « بجاية »[4] واتصل بالمنصور بن ناصر بن علناس الصنهاجي[5] ، فاكرم وفادته . وكان وصوله اليه في سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[6] .

وقد مدح ابن حمديس الصقلي ، المنصور بن الناصر بعدة قصائد ، ووصف قصور المنصور . من ذلك قوله يمتدح المنصور :

أمدام عن حباب تبتسم ... أم عقيق فوقه در نظم

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص٢٣٦ ـ ٢٣٧) ، بالنثيا ـ تاريخ الفكر الأندلسي (ص٩٧) .

(٢) محمد عنان ـ دول الطوائف (ص٣٥٢ ـ ٣٥٣) ، حمدي عبدالمنعم ـ تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين (ص٦٧ ـ ٦٨) ، وأغمات : ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ، ياقوت ـ معجم البلدان (٢٢٥/١) .

(٣) احسان عاباس ـ العرب في صقليه (ص٢٣٩) ، سعد شلبي ـ ابن حمديس شاعرا (ص٤) .

(٤) مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب ، وكان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري الصنهاجي ، ملك المغرب ، في حدود سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م .
ياقوت ـ معجم البلدان (٣٣٩/١) .

(٥) المنصور بن ناصر بن علناس بن حماد بن بلكين بن زيري ، الصنهاجي البربري ، أحد ملوك دولة بني حماد بقلعة وبجايه ، كان حميد الخصال ضابطاً للأمور . تولى بعد وفاة ابيه في سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م ، وتوفي سنة٤٩٨هـ/١١٠٤م .
ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (٩٧/٣) ، عبد الحليم عويس ـ دولة بني حماد في الجزائر (ص١٩٣) .

(٦) سعد شلبي ـ ابن حمد يس شاعراً (ص٤) .

يضـرب الأمــثــال فــيــهــا بكم أمم فـي المدح مـن بعــــــد أمم
اسكنت ذكــرك حكمــا خــالداً أبدا بنيـــانه لاينهـــــدم[1]

ثم انتقل ابن حمديس الصقلي إلى بلاط بني باديس الذي ورثوا الدولة الفاطمية ، بعد تحول المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر ، واتخذوا من المهدية عاصمة لهم ، وقد مدح ابن حمد يس من ملوكهم ، يحى بن تميم (٥٠١ ـ ٥٠٩هـ/١١٠٧ ـ ١١١٥م) ، وعلى بن يحى (٥٠٩ ـ ٥١٥هـ/١١١٥ ـ ١١٢١م) ثم الحسن بن علي بن يحي (٥١٥ ـ ٥٦٦هـ/١١٢١ ـ ١١٧٠م) وقد بقي ابن حمديس الصقلي بجوار الحسن بن علي بن يحى لمدة اثنتي عشرة سنة ، وأنشد في علي أكثر مدائحه ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الوقفات الصلبة التي وقفها هذا الملك ضد حكام صقلية من النورمنديين ، فأعجب الشاعر ببسالته ، ورأى فيه انتقاماً لنفسه ، وثأراً لغربته[2] .

وكان ابن حمديس الصقلي كثير التنقل بين مدن شمال افريقية ، تاركاً أهله وذويه ، ضائقاً بسوء الحال ، وفي « بجاية » توفي ابن حمديس الصقلي بعد أن بلغ الثمانين عاماً ، وذلك في سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م[3] .

وقد أمتدح اصحاب المؤلفات التي تعرضت لابن حمديس الصقلي ، أدبه وشعره وأثنوا كثيراً على أغراض معاني شعره ، فهذا ابن بسام يقول عنه في الذخيرة وقد التقى به : « وهو من جملة من لقيته وشافهته ، وأسمعني شعره وهو شاعر ماهر يقرطس أغراض المعاني البديعة ، ويعبر عنها بالالفاظ النفيسة الرفيعة ، ويتصرف في التشبيه ، ويغوص في بحر الكلام على در المعنى الغريب[4] » .

(١) ابن حمديس ـ الديوان (ص٣٤٩) .
(٢) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص٢٣٩) ، سعد شلبي ـ ابن حمديس شاعرا (ص٥) .
(٣) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٢١٥) .
(٤) ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٧/٣٢٠) .

وقال عنه صاحب كتاب « أخبار الملوك » ، كان : « أوحد دهره وفريده ، لايُجارى في حلبة علم ، ولايُمانى في ميدان حرب ولاسلم ، ولايُمارس في نشر حكم ، وكان ذكره بين الفضلاء والعلماء مشهوراً كالعلم ، وكان شاعراً مغلقاً مجيداً »[1] .

وقال ابن فضل الله العمري ، وهو يتحدث عن جزيرة صقلية : « ولقد ولدت فضلاء وأنجبت نبلاء ، وليس بها مثل ابن حمديس »[2] .

ووصفه ابن دحيه بقوله : « شاعر جيد السبك ، مليح الاستعارة ، حسن الأخذ ، لطيف التناول ، رقيق حواشي المعاني ، عذب اللفظ »[3] .

وأضاف ابن دحية مبيناً حسن استعاراته ، وحلاوة عباراته ، فقال : « عبر عن الأدب بأنفاسه النفيسة الرفيعة ، فمما يجرى من قوله رقة مع الماء ، ويكاد يمتزج بالهواء ، ويأخذ بمجامع الأهواء ، قوله » ، ثم أورد له بعض أبيات من قصيدة غزلية مستشهداً على وصفه السابق له .

ثم قال ابن دحيه : « انظر ما أحسن هذه الاستعارة وأحلى هذه العبارة »[4] ، وقد أورد ابن فضل الله العمرى القصيدة المشار إليها في « مسالكه » وقال وهو يمتدح ابن حمديس الصقلي : « ولو لم يكن لها ـ أي صقلية ـ إلا قوله »[5] : ثم ذكر الأبيات التي أشار اليها ابن دحيه . وأورد له ايضاً ابن فضل الله العمرى قوله ممتدحاً صقلية :

(١) الملك المنصور ـ أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء في المكتبة الصقلية (ص٦١٢).

(٢) ابن فضل الله العمري ـ مسالك الأبصار ـ في المكتبة الصقلية (ص١٥١) .

(٣) ابن دحيه ـ المطرب (ص٥٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص٥٤ ـ ٥٥) .

(٥) ابن فضل الله العمري ـ مسالك الأبصار في المكتبة الصقلية (ص١٥١) .

بلداً أعارتها الحمامةُ طوقها ... وكساها حلة ريشة الطاووس
وكأن هاتيك الشقائق قهوة ... وكأن ساحات الديار كؤوس[1]

ووصفه المقري ، بأنه من الشعراء البلغاء القادرين على صياغة الألفاظ والمعاني[2] .

ولقد كان ابن حمديس الصقلي من أكثر الصقليين تعلقاً بمسقط رأسه ، ولم يكن بين شعراء صقلية من هو أشد بغضاً للنورمانديين منه ، فقد ناصبهم العداء ، ورأى عدوه اللدود وخصمه العنيد ، فأخذ يدعو إلى حربهم ، ويغري المسلمين بالتناصر[3] .

واذا كان ابن حمديس لم يعش في صقلية إلا قرابة ربع قرن ، فإنها كانت تمثل حياته كلها ، وذلك لكثرة مافي ديوانه من الحنين إلى وطنه ، ومن الشوق إلى أهلها ، وتشجيع المسلمين بها ضد الغزاة . وكان اينما حل يترنم بذكر صقليه[4] .

وفي قوله وهو يتحنن إلى صقليه مايغني عن كل عبارة :

ذكرت صقلية والأسى ... يهيج في النفس تذكارها
ومنزلة للتصابي خلت ... وكان بنو الظرف عمارها
فان كنت أخرجت من جنة ... فإني أحدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكاء ... لخلت دموعي أنهارها[5]

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص١٥١)
(٢) المقرى ـ نفح الطيب (٣٦/٢ ـ ٣٧) .
(٣) سعد شلبي ـ ابن حمديس شاعراً (ص٥) .
(٤) المدني ـ المسلمون في صقلية (ص٢١٧) .
(٥) سعد شلبي ـ ابن حمديس شاعراً (ص١٢٤) ، المدني ـ المسلمون في صقليه ـ (ص٢٢٠) .

ويقول في صقليـة :

ولو أن أرضي حـرة لأتيـتـهـا ... بعـزم يعـد السـيـر ضـربة لازب
ولكن أرضي كـيف لي بفكاكـهـا ... من الأسر في أيدي العلوج الغواصب
أحين تفـانى أهلهـا طلوع فـتنة ... يضـرّم فـيـهـا ناره كلُ حـاطب
ولم يرحم الأرحـام منهم أقـارب ... تروّى سيـوفـا من نجيع أقـارب[1]

وأخيراً فإن ديوان ابن حمديس الصقلي ، ديوان شامل للحياة الصقلية العقلية والأدبية والفنية ، وشامل لحياة عصره بالمغرب ، فقد مدح ملوك افريقية والجزائر ، ووصف حياتهم ، ووقائعهم وأعيادهم وقصورهم . ووصف صقليه ومايكنه لها من حب عميق[2] . وكتب في جميع أغراض الشعر ، من مدح ووصف ورثاء وغزل ، ومايمثل صراعه مع الحياة ، وهو في كل ذلك : « أحد الفحول المقتدمين في صناعة القريض المعروفين بالتجويد والتوليد »[3] .

ومن شعراء صقلية ، أبو الحسن علي بن محمد بن الخياط الربعي ، وهو شاعر لم نجد له ذكراً كبيراً في المصادر ، ويرجع الفضل في التعريف بهذا الشاعر الصقلي إلى التجيبي صاحب « شرح المختار من شعر بشار » فقد أورد له التجيبي ، بعضاً من شعره في امراء بني الأغلب ، ومن ذلك قوله يمدح ويطلب الصلة من أحد أمراء الأسرة الكلبية :

علق رجـــاءك بالحـــسين وبابنه ... إن العـــلائق بالكرام أوصـــر
وأعلم بـأنك إن غـــزوت نداهمـــا ... بلواء مـدحـهـمـا فـإنك ظافـر[4]

---

(١) سعد شلبي ـ ابن حمديس شاعراً (ص٥) .

(٢) الكعاك ـ الحضارة العربية في البحر الأبيض المتوسط (ص١٤٦) .

(٣) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢/٦٣٧) .

(٤) التجيبي ـ شرح المختار من شعر بشار (ص١٧٤ ـ ١٧٥) .

وصرح ابن الخياط الربعي في احدى قصائده أنه لولا صلة أحد أمراء هذه الأسرة لما نطق بالشعر ، وأن تلك الصلة هي السبب في قدح زناد شعره ، فقال :

لك عندي صنيـــعـــة قلدتني نعـمـة عـفـوها يقـصـر جـهـدي
فـــإذا مـــاأضـــاء حـــولك نور من ثنائي فـــأنت قـــادح زندي[1]

وابن الخياط الربعي الصقلي كان من الشعراء الذين أوردهم ابن القطاع في « الدرة الخطيرة » ووصفه بأنه : « شاعر فصيح اللسان ، مشهور بالإحسان ، وحدة الجنان وجودة البيان ، ماهر في اللغة والأدب ، حافظ لأشعار الأولين ، وكان يشبّه في عصره بجرير[2] في دهره ومدح الملوك الكلبيين ، وكان عندهم عالي القدر ، نابه الذكر »[3] .

وفي وصف ابن القطاع الصقلي ، لابن الخياط الربعي نجد أنه يشبهه بالشاعر الأموي جرير ، شاعر زمانه ، ووجه الشبه بينهما أن كلاً منهما وحيد دهره من حيث قوتهما الشعرية .

وقد اعتبر ابن الخياط الربعي ، الشاعر الذي مثل عصر الولاة الكلبيين تمثيلاً تاماً ، فهو يسجل لهم حياتهم الحربية والسياسية ، وانتصاراتهم العسكرية ويتحدث عن بعض الطامحين الثائرين عليهم[4] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص١١٦) .

(٢) ابو حزره جرير بن عطيه بن الخطفي التميمي ، كان من فحول شعراء الإسلام ، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاه ونقائض .
توفي سنة ١١١هـ / ٧٢٩م .
ابن قتيبه ـ الشعر والشعراء (ص٣٠٩) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٢١/١) .

(٣) ابن الصيرفي ـ المختار من المنتخل من الدرة الخطيرة ـ مخطوط (روقة ١١) ، ابن سعيد ـ الألحان المسلية في حلي جزيرة صقلية (ص٤٢) .

(٤) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص٢١٢) ، امبرتو ـ تاريخ الأدب العرب في صقلية (ص٨٩) .

وهذا يمثل جانباً كبيراً من الحياة الصقلية ، حيث كانت تمثل حياة الجهاد والفتن جانباً كبيراً من تاريخ صقلية ؛ ومن ذلك قوله يصف أحد المعارك :

ويارب يوم له مسعر   إذا خمدت ناره أوقدا
تخاف به الرجل من أختها   ولاتأمن اليد فيه اليدا
وترمى رجاله بأعضائهم   فمثنى تراهنّ أو موحدا
ترى السيف عريان من غمده   وتحسبه من دم مغمدا[(١)]

ومن شعره أيضاً يصف أحد الثائرين الطامعين على بني الكلبيين ، قوله :

ظنّ الإمارة ظلة فإذا بها   حرب يكاد أوراها يتأجج
ومهنّدات كالعقائق ماؤها   متر قرق ولهيبها متأجج
لاتستقر العين فوق متونها   فكانما هي زئبق متدحرج
ومداعس للخيل يرمح وسطها   من غير فارسه طمر مسرج
طرحت فوارسها على أذقانها   طرح الكعاب فمفرد أو مزوج
في موطن سلب الحليم وقاره   فكانما هو مستطار أهوج[(٢)]

وعاش ابن الخياط في صقلية ، إلى أن حدثت الفتنة عندما ثار الصقليون على واليهم أحمد الأكحل (٤١٠ ــ ٤٢٧هـ/١٠١٩ ــ ١٠٣٥م) ، وقف إلى جانبه وجانب الأسرة الكلبية بصفة عامة وأخلص لهم ، فكان مما قاله للأكحل :

لاتفرحن ولاتحزن لنائبة   عليك بالخير أو بالشر لم يدم
في كل أمر وإن طالت نجاحته   حكم التعاقب في الأنوار والظلم

---

(١) احسان عباس ــ العرب في صقليه (ص٢١٢) .
(٢) المرجع السابق نفسه (ص٢١٢) .

ويقول له أيضاً :

أرى كـــل شــــيء لــــه دولـــة	لحكم التـعـــاقب فـيــهـا عـمل
فــــلاتـفـــــرحن ولاتحـــــزنـن	لشي إذا مـــاتناهى انتـــقل[1]

وشـهـد ابن الخيـاط احـتـضـار صـقلية ، والفـتنة بين أمرائها ، فـأخذ يحذر قومه من أخطار الأيام القادمه ، وسريان اشتعال فتيل الفتنة ، فيقول :

وقلت تلافـوا شـجـة الدهر إنهـا	إذا تعلت أعـيت مطبـة أس[2]

ومال ابن الخياط الربعي إلى القائد ابن الثمنة ، فمدحه ، وشد من أزره وكان مما قاله فيه :

سر حيث شئت فأنت وحدك عسكر	والناس بعـدك فـضله لاتذكـر[3]

ومن شـعراء صـقليـه الذين وصـلت دواوينهـم ، أبو الحسـن علي بن عبد الرحمن ابن أبي البشر الكاتب الصقلي البلنوبي[4] ، الأنصاري[5] ، وهـو من أسرة أدب حيث كان والده ابو القاسم عبد الرحمن بن أبي البشر مؤدباً لأبي الطاهر التجيبي صاحب « شرح المختار من شعر بشار »[6] . وأخوه أبو محمد عبد العزز بن عبد الرحمن كاتب مبرز ، وشاعر مغلق[7] .

(١) المرجع السابق نفسه (ص٢١٣) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص٢١٧) .

(٣) ابن سعيد ـ الألحان المسلية في حلي جزيرة صقلية (ص٤٢) .

(٤) نسبة إلى مدينة « بلنويه » بتشديد اللام وفتحه وضم النون . وهي بجزيرة صقلية . ياقوت ـ معجم البلدان (٤٩١/١) .

(٥) السلفي ـ معجم السفر ، تحقيق امبرتو (ص٨٠) ، ابن أغلب ـ مختصر الدرة الخطيرة من شعراء الجزيرة (ورقة ١١) ، ياقوت ـ معجم البلدان (٤٩١/١) ، القفطي ـ انباه الرواه (٢٩٠/٢) ، ابن سعيد ـ الألحان المسليه (ص٣٦) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص٣٥) .

(٧) المصدر السابق نفسه (ص٣٥) .

ولم تشر المصادر إلى بداياته الأولى في صقليه ، وماتحدثت عنه ليس إلا بعد خروجه منها إلي مصر . واتخاذها موطناً له بعد البدايات الأولى للغزو النورمندي وفترة الفوضى السياسية بها .

وفي مصر قام الشاعر أبو الحسن علي البلنوبي بالتدريس ، حيث كان من المتضلعين في علمي النحو والعروض[١] ، فكان من تلاميذه ، على بن الحسن آبن يوسف الدمراوي اللخمي[٢] ، وعمر بن يعيش السوسي ، النحوي[٣] .

وممن روى عنه بعض شعره ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسين الجيزي الكتبي[٤] ، وزبو الرجاء بشير بن المبشر بن فاتك المصري المنطيقي[٥] .

وكان للشاعر ابي الحسن البلنوبي صلات بشعراء عصره ، من ذك صلته بالشاعر أبي سليمان بن هبة الله الكتاب[٦] . حيث كانا يتبادلان القصائد الشعرية فكان مما كتبه أبو سليمان الكاتب إلى ابي الحسن الصقلي قوله :

فديتك ماهذا القلى والتجنب	فإن تك ذا عتب فإني معتب
وان تكن الأخرى فعدلي إلى الرضا	فودّك لي من بارد الماء أعذب

فأجابه ابو الحسن الصقلي بقوله :

وعيشك مع علمي بأنك تمزح	لقد نالني من ذاك وجد مبرح
ووالله مافارقت امرك ساعة	ومالي عما ترتضي متزحزح

(١) القفطي ـ انباه الرواه (٢/٢٩٠) .

(٢) لم اعثر له على ترجمة .

(٣) السيوطي ـ بغية الوعاة (٢/٢٢٨) .

(٤) السلفي ـ معجم السفر ، تحقيق امبرتو (ص٩١) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص٩١) .

(٦) ذكر العماد الأصفهاني في شعراء الخريدة ، القسم المغربي ، ولم أجد له ذكراً عند غيره فيما اطلعت عليه من مصادر . (٢/٢٣٤ ـ ٢٣٥) .

فرد عليه أبو سليمان بقوله :

عتاب المحب ليس في الود يقدح		أكان مجدًا فيه أم كان يمزح
ووالله مالي يوم بعدم لذّة		ولالي نشاط والمسرة تسنح .[1]

وعن نشاط البلنوبي فإنه كان منصبًا على مدح القادة والوزراء وعلى رأسهم الحسن بن علي اليازوري[2] وزير الخليفة الفاطمي المستنصر[3] كما مدح أبا المكارم المشرف بن أسعد بن مقبل[4] ، أحد الوزراء الفاطميين في مصر[5] .

وديوان الشاعر الصقلي البلنوبي الذي وصل الينا[6] . يتكون من قسمين ، قسم منه وصل برواية الفقيه ابي محمد عبد الله بن يحى بن حمود الخريمي[7] والقسم الثاني تم جمعه من عدة مصادر ، كان من أهمها « الخريدة » للعماد الأصفهاني ، وما وصل الينا من « الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة » لابن القطاع الصقلي ، وماورد ضمن « معجم السفر »

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢/٢٣٤ ـ ٢٣٥) .

(٢) نسبة إلى يازور ، قرية من أعمال الرملة بفلسطين ، والحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري . كان واليا للحاكم الفاطمي علي الرملة ، ثم استوزره الخليفة الفاطمي المستنصر وجعله قاضي القضاه وداعي الدعاه ، وسيد الوزراء وتاج الأصفياء .
وظل في الوزارة حتى قبض عليه المستنصر بوشاية وقتله سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م
ابن منجب الصيرفي ـ الاشارة إلى من نال الوزارة (ص٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٤) .

(٣) البلنوبي ـ الديوان ، تحقيق هلال ناجي (ص٣٩) .

(٤) تولي ابو المكارم المشرف بن أسعد بن مقبل ، الوزارة الفاطمية ، في سنة ٤٥٦هـ ١٠٦٣م ، ثم صرف عنها ، واعيد مرة أخرى في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م .
المقريزي ـ اتعاظ الحنفاء (٢/٢٧٠ ـ ٢٧١) .

(٥) البلنوبي ـ الديوان ـ تحقيق هلال ناجي (ص٦٩) .

(٦) قام المستشرق الايطالي امبرتو رتزيتانو ، بتحقيق الديوان ونشره ، في مجلة كلية الآداب بجامعة عين شمس ، المجلد الخامس ١٩٥٩م (ص١٤٢) . ثم تلاه الدكتور هلال ناجي يتحقيقه ووضع ذيله ، ونشره ببغداد سنة ١٩٧٦.

(٧) أبو محمد عبد الله بن يحى بن حمود الخريمي ، من أهل الفقه والأدب والصلاح ، سمع بمكة وكتب بها صحيح مسلم . كان يحضر عند أبي الطاهر السلفي كثيراً فكان مما وصفه به السلفي أنه من أهل الفضل والنبل والصيانة . توفي في شهر رجب من سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م .
السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص٨٠ ـ ٨١) .

للسلفي ، و« رايات المبرزين » لابن سعيد الأندلسي و« أنباه الرواه » للقفطي ، وغيرها[1] .

وعلى الرغم من أن الشاعر البلنوبي من أهل صقلية ، إلا أن قصائده سواء كانت في المدح أو الرثاء أو الوصف ، لاتتسم بالطابع الصقلي ، فلاتوجد اية اشارة في شعره إلى صقليه ، وكان الغالب على شعره تسجيل الحوادث التاريخية في مصر ، فترة حياته بها[2] .

وأخيراً فإن مصادر ترجمته لم تشر إلى تاريخ ولادته ، ولاتاريخ وفاته . ولكنه كان حياً موجوداً قبيل منتصف القرن الخامس الهجرى ، وبعده كما يلاحظ ذلك من صلته بالوزراء الفاطميين في تلك الفترة .

ونشير أخيراً إلى نموذج من شعره في الرثاء حيث قال يرثي أمه :

بكل والدة تفدى ومـا ولدت ... زهراء طيبة الأعراق مذكار
أجلها من ذُرى عدنان في شرف ... عالي الذرى ماله من ذا الورى جار
بل ليت شعرى مايغني الفداء وقد ... تشبثت للمنايا فيك أظفار
ياأكرم الأمهات الطاهرات لقد ... أودعت قلبي غليلا دونه النار
بيني وبينك بعد المشرقين على ... قرب المزار وماشطت بك الدار
سقا ثراك وللسقيا حللت به ... كفافه ديمة وطفاء مدرار
اذ ابكت فوقه انداؤها ضحكت ... خلاله من أنيق النبت أزهار
من كان يخبرني والدار جامعة ... ان الأحبة بعد العين آثار
يامنزلا بات من سكانه عُطلا ... ماقيل حلوه حتى قيل قد ساروا
كل يفارق في الدنيا أحبته ... وانما هو إعجال وانظار
ونحن سفر مطايانا إلى أمد ... أعمارنا وفنون العيش اسفار
لاينفع المر إلا مايقدمه ... لادرهم بعدة يبقى ولادار[3]

(١) قام الدكتور هلال ناجي جمع كل مايتعلق بالشاعر البلنوبي من قصائد شعرية في تلك المصادر مما لم يرد في النسخة المخطوطة برواية ابي محمد الخريمي ، وضمنها الديوان ، كذيل له .

(٢) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقلية (ص١٢٣) .

(٣) البلنوبي ـ الديوان ، تحقيق هلال ناجي (ص٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩) .

ونشير أخيراً إلى أن الشعراء الصقليين ، قد عالجوا مجمل الموضوعات التي تناولها الشعر العربي ، فدارت موضوعات الشعر حول الأغراض التقليدية كالمدح والرثاء ، والوصف ، والغزل ، والزهد ، ونحوها ، وكان أكثر الموضوعات رواجاً عند الشعراء الصقليين الغزل والوصف ، بينما أنحسر موضوع الفخر وقل تناوله ، كما قل التطرق إلى غرض الهجاء الذي لم يلق اذناً صاغيه في المجتمع الصقلي ، ولم يتجاوب معه الشعراء وهذا ناتج عن استجابتهم لميول الحركة النقدية في القيروان التي تنبذ هذا اللون من الشعر ، والتي كان يمثلها ابن رشيق القيرواني[1] ونرى ذلك في بعض النماذج الشعرية لشعراء صقلية ، فهذا ابن الطوبي يقول :

اذا سبّك أنسان	فدعه يكفك الرب
ولاتنبح على كلب	إذا مانبح الكلب[2]

فابن الطوبي بذلك يرى ان الهجاء انما هو صورة من نبح الكلاب ، فهو بذلك منبوذ ، وكما ضعف صوت الهجاء في الشعر الصقلي فقد ضعف صوت الحكمة كذلك ، ولكنه لم يختف تماماً ، وكان للبيئة الصقلية ، وماحدث فيها من فتن وثورات أثره على موضوعات الشعر الصقلي ، كما هو الحال في شعر ابن حمديس الصقلي ، ابن الخياط الربعي ، وهما ممن عاصرا الفتن والثورات في صقلية الإسلامية .

---

(١) انظر موضوع (العلاقات الثقافية) .

(٢) النيفر ـ عنوان الأريب (١/١٣٢) .



الفصل الثالث

العلوم الاجتماعيــة



علم التاريخ :

مما لاشك غيه أن الفكر التاريخي كانت له أهميته الخاصة في العالم الاسلامي ، وذلك أن علم التاريخ قد حظي بمكانة بارزة في الحضارة الأسلامية كما قام بدور بارز في تكوين الثقافة الدينية للمجتمع الإسلامي ، فضلا عن دوره في الحياة الإجتماعية وفنون الأدب ، والنشاطات السياسية والادارية للدولة الإسلامية .

وليس أدل على المكانة الكبيرة التى يحتلها علم التاريخ في الثقافة الإسلامية من ظهور تلك المصنفات والموسوعات التي تعد بالمئات ، والتي بلغت مرحلة النضج والعطاء في نهاية القرن الثاني وطوال القرن الثالث الهجريين ، ثم كانت مرحلة الاستثمار في العصور اللاحقة وحتى العصر الحديث ، وبذلك يكون التاريخ جزءا أساسياً من ثقافة المجتمع(١) .

وقال ابن خلدون وهو يتحدث عن مؤرخي الإسلام : « فيجلبون الأخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور الأول ، صورا قد تجردت عن موادها ، وصفاحا انتضيت من أغمادها ، ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها ، إنما هي حوادث لم تعلم أصولها ، وأنواع لم تعتبر أجناسها ولاتحققت فصولها ، يكررون في موضوعاتها الأخبار المتداولة بأعيانها اتباعا لمن عني من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون أمر الأجيال الناشئة في ديوانها ... ثم انهم إذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا ، محافظين على نقلها وهما أو صدقا ، لايتعرضون لبدايتها ، ولايذكرون السبب الذى رفع من رأيتها ، وأظهر من آيتها ، ولا علة الوقوف عند غايتها ، فيبقى الناظر متطلعا بعد إلى افتقاد

---

(١) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص٤٢٨) .

أحوال مبادىء الدول ومراتبها ، مفتشا عن أسباب تزاحمها أو تعاقبها ، باحثا عن المقنع في تباينها أو تناسبها(١) .

إن البحث عن الحقيقة يبقى الهدف الأول لدى أفضل المؤرخين ، غير أن النقد والتحليل والبحث عن الحقيقة ظلت جزئية بشكل ليس بالقليل في التاريخ الاسلامي لأسباب مختلفة ، منها مايتعلق بالتاريخ كمنهج وغرض ، ومنها مايتعلق بالأوضاع السياسية ، لاتباط التاريخ بالسياسة ، فهو من أكثر العلوم ارتباطا بها(٢) .

وإذا كان المؤرخ ممن يتقرب إلى الخلفاء والأمراء والسلاطين والوزراء ، فإن انتقاء الأخبار التى توافق اتجاهاتهم وأهوائهم سوف تكون الغالبة على كتاباته ، وذلك ماأشار إليه ابن خلدون من تنسيقهم للأخبار سواء كانت كذبا أو صدقا .

وقد ينقل المؤرخ الأخبار دون تمحيص وتدقيق فيكثر بذلك الزلل ، « لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الانساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالغائب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيرا ماوقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ، ولاقاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط »(٣) .

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة (ص٥) .

(٢) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص٤٢٩) .

(٣) ابن خلدون ـ المقدمة (ص٩ ـ ١٠) .

وفي صقلية الأسلامية نجد أن جهود علمائها في مجال التاريخ قليلة ، سواء تلك التي تتعلق بتاريخ صقلية ، أو غيرها . ومن الكتب التي وصلت الينا وهي تتحدث عن تاريخ صقلية كتاب : « تاريخ جزيرة صقلية من حين دخلها المسلمون وأخبار ماجرى فيها من الحروب وتبديل الأمراء وغير ذلك »(١) . وهذا الكتاب لمؤلف مجهول ، ولا نستطيع الحكم ما إذا كان صاحبه صقلي ، أولا . والكتاب في عمومه أخذ نظام الحوليات في سرد أحداثه ، واستخدم ترتيب سنوات تاريخ العالم المستخدم عند البيزنطيين ، ومثال ذلك قوله : « ابتداء ذلك في سنة ستة آلاف وثلاثمائة وخمس وثلاثين من تاريخ العالم مايؤرخه الروم في كتبهم »(٢) .

ولغة الكتاب لغة ركيكة ، وعلى الرغم من ذلك فقد ورد فيه كثير من الأخبار عن أحداث صقليه . يقول صاحب كتاب « تاريخ الأدب العربي في صقليه ، عن هذا الكتاب : « انها مجموعة ليست سوى ترجمة عربية موسعة لنص اغريقي ، ولايعرف اسم مصنفها ولا مترجمها . وهذه المجموعة يمكن أن تعد من أهم ماوضع في تاريخ الفتح الإسلامي لصقليه التي لم يتلفها الزمن من حيث الاستقصاء والتبويب والتفصيل »(٣) .

ولابي القاسم على بن جعفر بن القطاع الصقلي ، اللغوي المشهور ، إلى جانب مؤلفاته التي سبقت الاشارة اليها ، كتاب عنوانه « تاريخ جزيرة صقلية » وهو كتاب مفقود ، رآه ياقوت الحموى ونقل منه في « معجم البلدان » . ومما نقله عنه قوله : « وقرأت بخط ابن القطاع اللغوي على ظهر كتاب تاريخ

---

(١) اماري ـ المكتبة العربية الصقلية (ص١٦٥) .

(٢) مجهول ـ تاريخ صقلية من حين دخلها المسلمون وأخبار ماجرى فيها من الحروب في المكتبة العربية الصقلية (ص١٦٥) .

(٣) امبرتو ـ تاريخ الأدب العربي في صقليه (ص٦) .

صقليه : وجدت في بعض نسخ سيرة صقليه تعليقا على حاشيه ، أن بصقليه ثلاثا وعشرين مدينة ، وثلاثة عشر حصنا ، ومن الضياع مالا يعرف »[١] .

وأشار ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » إلى كتاب ابن القطاع الصقلي في تاريخ صقليه ، وهو يتحدث عن مؤلفات ابن القطاع ، إلا أنه اشار إليه باسم : « ذيل تاريخ صقليه »[٢] . وقد أشار صاحب « كشف الظنون » إلى الكتاب المذكور[٣] . وذكره السيوطي في « بغية الوعاة »[٤] . وصاحب « هدية العارفين »[٥] ، و « معجم المؤلفين »[٦] .

وألف أبو علي الحسن بن يحى الفقيه الصقلي ، المعروف بابن الخزاز كتابا باسم « تاريخ صقليه » ، وقد أشار اليه ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » ثلاث مرات ، أولاها ، في مادة « بياو » . حيث قال ياقوت : « قال الحسن بن يحى الفقيه صاحب تاريخ صقلية : أحد أضلاع صقلية الثلاثة يمر على ساحل البحر من المغرب إلى المشرق ... وفي هذا الموضع من المواضع المشهورة أو قريبا منه مدينة البياو ، وهذا الموضع هو ذَنَب الجزيرة وأقلها خيرا ، وكان سجنا »[٧] . وثانيها ، في مادة « جفلوذ » حيث قال ياقوت : « الحسن بن يحى الفقيه مؤلف تاريخ صقلية ، قلعة جفلوذ وهي مدينة حصينة بصقلية فوق جبل عالٍ على شاطىء البحر ... »[٨] .

---

(١) ياقوت ـ معجم البلدان (٤١٧/٣) .
(٢) ياقوت ـ معجم الأدباء (٢٨٢/١٢) .
(٣) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (٢٩٧/١) .
(٤) السيوطي ـ بغية الوعاه (١٥٤/٢) .
(٥) البغدادي ـ هدية العارفين (٦٩٥/١) .
(٦) كحاله ـ معجم المؤلفين (٥٢/٧ ـ ٥٣) .
(٧) ياقوت ـ معجم البلدان (٥١٨/١) .
(٨) المصدر السابق نفسه (١٤٧/٢) .

وثالثهما ، في مادة « صقلية » حيث قال ياقوت : « وذكر ابو علي الحسن ابن يحى الفقيه في تاريخ صقليه حاكيا عن القاضي ابي الفضل : أن بصقليه ثماني عشرة مدينة إحداها بلرم ... »[1] .

وذكره ياقوت مرة رابعة في « معجم الأدباء » وذلك عند ترجمته لراوية المتنبي علي بن حمزه البصرى اللغوي[2] ، حيث قال ياقوت : « قال ابو علي الحسن بن يحى الفقيه الصقلي ويعرف بابن الخزاز في تاريخ صقليه من تصنيفه ، وفي رمضان سنة خمس وسبعين وثلاثمائة مات على بن حمزة اللغوي البصري راوية المتنبي بصقليه ، وصلى عليه القاضي ابراهيم بن مالك قاضي صقليه ... »[3] .

ومن خلال المصادر لم أستطع الحصول على ترجمة لأبي علي الحسن بن يحى الفقيه إلا أن كراتشكو فسكي ، ذكر أن وفاته كانت في حدود سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م ، فقال وهو يتحدث عن ياقوت وكتابه « معجم البلدان » : « وقد ثبت أن ياقوت هو المؤلف الوحيد الذي حفظ لنا شذارات من مصنفين مفقودين لمؤلفين من صقليه ، هما أبو علي الحسن المتوفي حوالي عام ١٠٥٠م ، وابن القطاع الصقلي المتوفي سنة ٥١٥هـ/١١٢١م ، وهو يعتمد عليها اعتمادا كليا في معلوماته عن الجزيرة »[4] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٤١٧/٣) .

(٢) أبو النعيم علي بن حمزه البصري اللغوي ، أحد الأعلام الأئمة في الأدب واللغة ، نزل عليه المتنبي في داره ببغداد . لـه مؤلفات وردود على أهل الأدب منها : كتاب « الرد على ابي زياد الكلابي » وكتاب « الرد على ابي حنيفة الدينوري في كتاب النبات » وكتاب « الرد على ابن السكيت في اصلاح المنطق » والرد على الجاحظ في الحيوان . وغير ذلك ياقوت ـ معجم الأدباء (٢٠٨/١٣ ـ ٢٠٩) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢٠٨/١٣ ـ ٢٠٩) .

(٤) كراتشكو فسكي ـ الأدب الجغرافي العربي (ص٣٦٩) .

أما في مجال الجغرافيا ، فلم نجد ذكرا في المصادر لعلماء صقليين كتبوا في الجغرافية إلا ماكان يتعلق بالشريف محمد بن محمد الأدريسي الصقلي ، وكتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وذلك في فترة السيطرة النورمندية على جزيرة صقلية[1] .

التصوف والزهد في صقليه

التصوف نزعة من النزعات ، وليس فرقة مستقلة ثابتة الآراء والأهداف والتعليمات ، وإن كان هناك بعض التماثل في الأساليب ، واعتماد التسلسل في الطريقة ، ولذلك يصح أن يكون الرجل سنيا متصوفا ، أو شيعيا متصوفا ، أو معتزليا متصوفا[2] .

وليس من السهولة بمكان تعريف التصوف ، ذلك لأن التصوف لم يكن له في يوم من الأيام طريقة منظمة محدودة من الناحية النظرية أو العملية ، بل كان له في كل عصر مفهوم خاص[3] . على أنه تعرض لتعريف التصوف العشرات من علماء الصوفية أو ممن كتب عنهم ، فالجنيد البغدادي المتوفي سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م ، عرف التصوف بتعاريف كثيرة منها : « التصوف هو تصفية القلب من مراجعة الخلقة والمفارقة من أخلاق الطبيعة ، وإماتة الصفات البشرية ، والابتعاد عن الدواعي النفسانية والنزول على الصفات الروحانية ، والسمو إلى العلوم الحقيقية ونصيحة الأمة كلها والوفاء في العمل بالحقيقة ومتابعة النبى في الشريعة[4] .

---

(١) انظر موضوع (استمرار التأثيرات العلمية لصقلية بعد خضوعها للحكم النورمندي) .

(٢) مريزن عسيري ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي (ص١٤٣) .

(٣) قاسم غني ـ تاريخ التصوف في الإسلام (ص٢٦٩) .

(٤) العطار ـ تذكرة الأولياء (٢/٣٥ ـ ٣٦) .

وورد في كتاب « عوارف المعارف » أن « التصوف كله آداب . لكل وقت أدب ، ولكل حالة أدب ، ولكل مقام أدب »(١) .

وهناك فرق بين الزهد والفقر والتصوف ، « فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد ، مع مزيد أوصاف وإضافات لايكون بدونها الرجل صوفيا وإن كان زاهدا وفقيرا »(٢) . وعرف ماسينون التصوف بأنه : « مصدر الفعل الخماسي المصوغ من « تصوف » للدلالة على لبس الصوف ، ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى في الإسلام صوفياً »(٣) . وأضاف : « وينبغي رفض ماعدا ذلك من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون في أصل الكلمة كقولهم : ان الصوفية نسبة إلى أهل الصفة ، وهم فرق من النساك كانوا يجلسون فوق دكة المسجد بالمدينة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم ، أو أنهم من الصف الأول في صفوف المسلمين في الصلاة(٤) .

وأما عن رأي ابن خلدون في علم التصوف فيرى أنه : « من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمعور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق للعبادة في الخلوة ، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على

---

(١) السهروردي ـ عوارف المعارف (ص٥٤) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ص٥٥) .
(٣) ماسينون ـ الاسلام والتصوف (ص١٤) .
(٤) المرجع السابق نفسه (ص١٤) .

الدنيا في القرن الثاني ومابعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة »[1] .

ويرى ابن خلدون أيضاً أن الصوفية كانوا يختصون بلبس الصوف فقال : « وهم في الغالب مختصون بلبسه ، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف »[2] . ويرى القشيري خلاف ذلك في رسالته فيقول : « انهم لم يختصوا بلبس الصوف »[3] . والناس من غيرهم يلبسونه لا لهذا الغرض الذي ينشده الصوفي ، وإنما ذلك أمرا اعتاده الناس في حياتهم[4] .

وفي صدر الإسلام كان الاقبال على الدين والزهد في الدنيا غالبا على المسلمين فلم يكونوا في حاجة إلى وصف يمتاز به أهل التقى ، قال ابن الجوزي : « كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والاسلام ، فيقال : مسلم ، ومؤمن . ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد ، فتخلوا عن الدنيا ، وانقطعوا للعبادة ، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها »[5] . ولكن بعد الأقبال على الدنيا ، وجنوح الناس إلى مخالطة المتاع الدنيوي ، قيل للخواص ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزهاد العباد . ثم ظهرت الفرق الإسلامية فادعى كل فريق منهم أن فيهم زهادا

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة (ص٤٦٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص٤٦٧) .

(٣) القشيري ـ الرسالة القشيرية (ص١٢٦) .

(٤) أحمد البناني ـ موقف الإمام ابن تيمة من التصوف والصوفية (ص٧٠) .

(٥) ابن الجوزي ـ تلبيس ابليس (ص١٦١) .

وعبادا[١] . واشتهر هذا الأسم قبل المائتين من الهجرة ولم يكن موجودا على عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[٢] .

وقد نص شيخ الإسلام ابن تمية على أن أول ظهور للتصوف كان في البصرة حيث كان فيها كثير من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ، مالم يكن في سائر الأمصار[٣] .

وفي صقلية الإسلامية نجد أن تيار الزهد والتصوف قد وصل اليها من افريقية ، وذلك بحكم العلاقة بينهما ، فمنذ أن توجه المسلمون لفتح صقلية ، ظهر فيها ميل إلى الجهاد مصحوب بميل آخر وهو المرابطة والعبادة ، ومن أجل ذلك بني رباط على الساحل الأفريقي التجأ اليه الزهاد والصالحون ، ليطمئنوا إلى الهدوء في تعبدهم ، وليطمئنوا على وطنهم من الغارات الخارجية[٤] .

وقد زاد وقوي تيار الزهد والتصوف في صقلية بعد قيام الدولة الفاطمية وخضوع جزيرة صقلية لها ، ومانتج عن ذلك من صراع بين الدولة العباسية والفاطمية ، فانقسم بذلك أهل الزهد والتصوف إلى فريقين ، فريق آثر الحرب والجندية وفريق قنع بالإنفراد والانقطاع عن الدنيا[٥] .

ومن مظاهر الزهد والتصوف التي دخلت إلى صقلية ، من افريقية ، مامثله القضاه الذين دخلوا اليها ، ومن هؤلاء أبو عمرو ميمون بن عمرو

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص١٦١) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص١٦١) ، القشيري ـ الرسالة القشيرية (ص٧ ـ ٨) ، احسان الهي ظهير ـ التصوف المنشأ والمصادر (ص٤٣) .

(٣) ابن تيمية ـ الفتاوي (٦/١١) .

(٤) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص١١٣) .

(٥) المرجع السابق نفسه (ص١١٣) .

المتوفي سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م[١] . الذي تولى قضاء صقلية في عهد الأغالبه وقبل وصوله اليها قال لأهل سوسه التي خرج منها : « يا أهل سوسه هذا كسائى وجعبتي وخرجي فيه كتبي وهذه السوداء تخدمني ، معها كساؤها وجبتها ، بهذا خرجت ، وانظروا بأي شيء أرجع »[٢] . وعند وصوله إلى صقليه قيل له : هـذه الدار دار القضـاء تنزل فيهـا : « هـذه دار عظماء أي شيء أعمل فيها »[٣] . واستمر حاله كذلك حتى نزل في حجرة ، وكانت خادمته تغزل وتبيع غزلها وتطعمه ، وإذا قرع أحد الباب ، خرجت السوداء ، وقالت للناس : الساعة يخرج اليكم القاضي ، وأقام على ذلك سنين إلى ان مرض ودخل الناس لزيارته فوجدوا تحته حصير وعند رأسه وسادة محشوة بالتبن[٤] .

ثم خرج إلى القيروان وهو عليل ، فلما وصل سوسه قال لهم : « يا أهل سوسه كما خرجنا رجعنا ، هذا كسائي وجبتي وخرجي فيه كتبي ، وهذه السوداء كذلك . والله ماتلبست بشيء من دنياكم حتى انصرفت »[٥] .

وكان للزهد والتصوف في صقلية سمات خاصة ، من أهمها تأسيس التصوف على الكتاب والسنة ، وهذا من آثار التزامهم بمذهب الإمام مالك رحمه الله ، والذي يلتزم بالسنة أتم الالتزام ، وبذلك قام التصوف في صقليه على أساس من السلامة الفقهية المذهبية[٦]. فقد لاحظنا خلال استعراض

(١) الدباغ ـ معالم الإيمان (٣٥٦/٢) ، الذهبي ـ العبر (١٠/٢) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٣٢٨/٢) .

(٢) الدباغ ـ معالم الإيمان (٣٥٦/٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٣٥٦/٢) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٣٥٧/٢) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٣٥٧/٢) ، الذهبي ـ العبر (١٠/٢) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٣٢٨/٢) .

(٦) احسان عباس ـ العرب في صقلية (ص١١٤) .

الدراسات الفقهية في صقلية أنها كانت منصبة على التمسك بالمذهب المالكي ، وشرح مصادره والزيادة عليها وإختصارها وخلاف ذلك .

ومن سماته أيضا أن ظهرت فيه آثار الحياة الاجتماعية المضطربة ، نتيجة لكثرة الحروب ، وعدم الاستقرار الاجتماعي ، في فترة الانتقال من التبعية للأغالبة الذين يدينون بالولاء للعباسيين ، إلى تبعية الدولة الفاطمية ، فكان التصوف يمثل مابداخل النفوس من سوء الحال ورد فعل الحياة الاجتماعية ، ومحاولة جادة للاصلاح الاجتماعي بدءا من اصلاح الفرد دينيا وخلقيا[1] . وقد صور لنا ذلك كله أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الصقلي المتوفي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م . في كتابه « الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار » .

كما أن في التصوف صقلية قد خضع في نشأته لمؤثرين قويين ، أولهما : الاتصال بالمشرق عن طريق الحج إلى مكة ، ومشاهدة الصقليين للعباد والمنقطعين حول البيت الحرام ، أما المؤثر الآخر وهو الأقوى فهو الحياة الاجتماعية ، وما يظهر فيها من الفساد وعدم الاقتران بين العلم والعمل ، وطلب بعض الناس للدنيا بطريقة الزهادة والنسك ، فكان التصوف بذلك في واقعه رفض لذلك في محاولة لاصلاح الفرد من أجل أن تصلح الجماعة[2] .

وقد صور ابن حوقل الذي زار صقلية في القرن الرابع الهجرى ، مارآه في رباطات مدينة « بلرم » من بعض المظاهر ، والتى كان التصوف في صقلية

---

(١) عبد الرحمن الصقلي ـ الأنوار في علم الأسرار ، مقدمة التحقيق (ص٦ ـ ٧) .

(٢) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص١١٤) .

يمثل ردة فعل لها فقال : « وبها ـ أي بلرم ـ رباطات كثيرة على ساحل البحر مشحونة بالرياء والنفاق والبطّالين ، والفسّاق متمردين ، شيوخ وأحداث ، أغثاث رثاث ، قد عملوا السجادات منتصبين لأخذ الصدقات ، وقذف المحصنات ، نقم منزله ، وبلايا شاملة ، وحتوف مصبوبة منصوبة ، وأكثرهم يقودون ، ومنهم من لايرى ذلك لشدة الرياء والسمعة ، وأكثرهم بالزور تطوعا يشهدون مع جهل لايفرق فيه بين فرض الوضوء وسنّته ، ويقصدهم من أعوزه المكان لبطالته ، والموضع لعيارته ، فيؤونه ، وربما شاركوه بتافة من المأكول على أحوال يقبح ذكرها . وأحسب تأسيسها كان على غير التقوى ، فهارت وباد أهلها بما جنوه من الفتن والعصيان وشق عصا السلطان »[1] .

ومماذكره ابن حوقل يمثل مظاهر اجتماعية تضايق منها من كتب عن التصوف من أهل صقلية ، فهذا ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد الصقلي يقول في كتابه « الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار » : « ويلكم يامعشر النساك الجهلة بدينهم . أظهرتم زهدكم بالعجز عن مكاسبكم ، واستعملتم تواضعكم في لباسكم ، وأخفيتم الكبر والحرص في صدوركم ، فلا أنتم وجدتم راحة في قلوبكم ، ولا أنتم أرحتم الناس من أذاكم . فما ظنكم غدا عند ربكم إذا وضع ميزان الحق للحق وذهب الباطل »[2] .

وممن ذكرتهم المصادر من زهاد صقليه ، الذين ظهروا في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية الرابع ، أبو الحسن الصقلي الجزيري المتوفي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م[3] .

---

(١) ابن حوقل ـ صورة الأرض (١١٦) .

(٢) ابو القاسم الصقلي ـ الأنوار في علم الأسرار (ص٢٥٢) .

(٣) المالكي ـ رياض النفوس (٢/٢٠٤) .

فقد ورد أنه : « كان من خيار الناس وأنه كان صامتا لاينطق إلا بذكر الله عز وجل ، أو بما يعنيه ، فإذا أقيمت الصلاة تأوه ، واجتر نفسه وتواجد وقال : واذهاب عمري في خسارة »[1] .

وقال أبو سليمان ربيع القطان[2] ، : سمعته يقول : « والله الذي لا إله إلا هو ماشيء في وقتي هذا أقرّ لعيني من القدوم على الله تعالى ، لأني قد تحقق ظني به »[3] . فقلت له : « سررتني والله »[4] .

وكان أبو الحسن الصقلي يروي في مجلسه حكايات عن الزهاد في صقليه الذي التقى بهم ورآهم ، مما له علاقة مباشرة بحياة هؤلاء الأشخاص وانقطاعهم للعبادة ، وهو بذلك يرغب الناس في مثل تلك الحياة ، وأنها تمثل تغلبا على الشيطان وتحديا له ، فكان مما رواه في مجلسه ونقله عنه أبو سليمان ربيع القطان قوله « كان عندنا ياأبا سليمان بثغر صقليه رجل يقال له أبو علي الطنجي[5] ، وكان من الكدادين عمره كله ، وكان من أهل الشغل والذكر ، وكان يظهر له عدوه ابليس في هيئة انسان ، قال : فكان يقول له العدو : أنضحت قلبي بكدّك فوالله لأنضحن قلبك ، أو تكف عما أنت فيه . قال : فيقول أبو علي : إليك عني ياعدو الله ، والله لازلت هكذا ان شاء الله تعالى

---

(١) المصدر السابق (٢/٢٠٤) .

(٢) أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله القرشي النوفلي ، نسبة الى نوفل بن عبد مناف . كان حافظاً لكتاب الله عز وجل ، قارئا له بالروايات ، عالما بالحديث ومعانيه ورجاله . توفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م .

المالكي ـ رياض النفوس (٢/٣٢٣) ، ابن الأثير ـ اللباب في تهذيب الأنساب (٣/٣٣٢) .

(٣) المالكي ـ رياض النفوس (٢/٢٠٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٢/٢٠٤) .

(٥) لم أعثر له على ترجمة .

أبدا . فبينما هو ذات يوم راقد على سدّه إذ قلبه عدو الله من فوقها ، فانجرح له موضع السجود ، فلم يزل يتورم وينتشر حتى أخذ الوجه ، فكان يأتيه العدو فيقول له : أقصر ويزول عنك ماتجد ، فيقول : اذهب ياعدو الله والله لا أقصر أو أموت ؛ فكانت تلك العلة سبب موته »(١) .

ومما رواه أيضا في مجلسه ، وهو يتحدث عن زاهد صقلي آخر . قوله ـ وقد نقله عنه أبو سليمان ربيع القطان ـ : « كان عندنا رجل فاضل من المتعبدين المشتغلين بالذكر والكد ، اسمه مفرج أبو عبد السلام(٢) ، فلم يزل على ذكره واجتهاده ، حتى حضرت غزاه ، فخرج معها جماعة من الجياد وخرج مفرج أيضا ـ وكان بلدنا إذ ذاك الوقت بلد جياد ـ فتلاقى العدو والاسلام ، وقتل من المسلمين خلق كثير ، وأصيب فيما ظننت أبو عبد السلام مفرج . فقال مفرج : رأيت والله سلالم منصوبة من الأرض إلى السماء تنزل عليها جوار مارأيت قط مثلهن وبيد كل منهن منديل أخضر ، فنزلت كل واحدة منهن على صاحبها من الشهداء فأخذت رأسه وجعلته في حجرها ومسحت من دمه بذلك المنديل ثم رفعته أو ارتفعت »(٣) .

وتلك الرواية التي ذكرها أبو عبد السلام مفرج كانت سببا في زهده وانقطاعه عن الدنيا والتعلق فقط بالآخرة حتى توفي ، فبلغ من ذلك أن : « غلب عليه الكد والزهد والاشتغال بالله عز وجل والدار الآخرة ، والأكل مما تنبت الأرض من بقولها ماالله به عليم . وكان كما قيل له : أقصر ياأبا عبد السلام

(١) المصدر السابق نفسه (٢/٢٠٤ ـ ٢٠٥) .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) المالكي ـ رياض النفوس (٢/٢٠٥ ـ ٢٠٦) .

فبدون ذلك تدرك الجنان . قال : ويحكم أعذروني - فيقص القصة السالفة الذكر ثم يبكي - وأقام على ذلك نحوا من ست سنين ثم توفي على ذلك »[١] .

ومن زهاد صقلية ومتصوفيها سعيد بن سلام الصقلي ، وهو من أهل جرجنت ، وقد رحل إلى الحجاز ، وحظي باحترام كبير ، ثم توجه إلى بلاد فارس ، وتوفي بها سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م ، ووصف بأنه : « لم ير مثله في علو الحال وصون الوقت وصحة الحكم بالفراسة »[٢] .

ومن أقدم زهاد صقلية ومتصوفيها أبو بكر محمد بن ابراهيم بن موسى التميمي ، المصري ، الصقلي ، والذي كتب الحديث وسافر في طلبه إلى العراق ، وحدث بأحاديث يسيرة ، كما كان يحضر مجالس الجنيد الصوفي المتوفي سنة ٣٩٧هـ/٩٠٩م[٣] .

وأشارت المصادر إلى أن أبا القاسم عتيق بن محمد الحاكم التميمي الصقلي المتوفي سنة ٥١٣هـ/١١١٩م ، كان من زهاد صقلية ، ووصف بأنه : شيخ صالح زاهد ، معرض عن الدنيا مقبل على الاخرة ، وكان من عباد الله الصالحين[٤] . قال السمعاني : « ماأظنه حدث بشيء غير أني رأيت الألسنة متفقة على الثناء عليه ووصفه بالخير والصلاح »[٥] . كما ذكر أنه دفن بالوردية[٦] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢٠٦/٢) .

(٢) القشيري - الرسالة (ص٢٩) ، الشعراني - طبقات الصوفية (ص١٠٤ - ١٠٥) .

(٣) المقريزي - المقفي (٦٠/٥) .

(٤) السمعاني - الأنساب (٥٤٩/٣) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٥٤٩/٣) .

(٦) الوردية مقبرة ببغداد بعد باب أبرز من الجانب الشرقي قريبه من باب الظفرية ياقوت - معجم البلدان (٣٧١/٥) .

ووصفت المصادر ابا القاسم هاشم بن يونس الصقلي الكاتب بأنه : « صاحب ترسل ومقامات وملح وروايات »[1] وانه قد وضع كثيرا من الترسل في التصوف[2] .

وأشار ابن سعيد في كتاب « المغرب » إلى أن أبا محمد عبد الله بن مبارك الصقلي ، كان من الزهاد ومن أهل الديانة ، وأورد له شعرا في الوعظ منه قوله :

تأمل لعل الله يعقبك الهدى ... فشاهد ذاك العقد إن لم يكن نسك

اليس الذي نظم العقد بدأة ... ينظمه عوداً اذا انتشر السلك[3]

وكان الفقيه والمحدث عتيق السمنطاري ممن يميل إلى الزهد والمرابطة . فقد وصف بأنه : « من عباد الجزيرة المجتهدين ، وزهادها العالمين ، وممن رفض الأولى ولم يتعلق منها بسبب ، وطلب الأخرى وبالغ في الطلب »[4] . كما أنه ساح في البلدان ، فسافر إلى اليمن والشام وفارس وخراسان وحج والتقى بالعباد والزهاد ، وكتب عنهم وسمع منهم ، وألف في ذلك كتابا يتعلق بأخبار الصالحين سماه « دليل القاصدين » يزيد على عشرة مجلدات لم يسبق إلى مثله في نهاية الملاحة[5] .

ولأبي بكر السمنطاري مواعظ شعرية في الزهد ، ومكابدة الزمان ، والدعوة إلى التقوى والحمل على الفساد والمفسدين ، ومن ذلك قوله :

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/٩٦) .

(٢) عبد الشافي غنيم ـ الحياة الاجتماعية والثقافية في صقلية في العصر النورمندي (ص١٣٩) .

(٣) ابن سعيد ـ المغرب في حلي المغرب القسم الصقلي المعروف باسم الألحان المسلية في حلي صقلية (ص٤١) .

(٤) ياقوت ـ معجم البلدان (٣/٢٥٣) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٣/٢٥٣) ، البغدادي ـ هدية العارفين (١/٦٥١) .

فتن أقــبلت وقـــوم غـــفــول	وزمــــان على الأنام يصـــول
ركــــدت فـــيــــه لاتريد زوالا	عمّ فـيـهـا الفـسـاد والتـضليل
أيهـا الخـائن الذي شـأنه الإثـ	م وكـسب الحـرام مـاذا تقـول
بعت دار الخلود بالثـمن البـخـ	س بدنيـا عـمـا قـريب تزول[1]

ويظهر في مواعظه تلك ظهور روح التشاؤم ، وذلك يفسر لنا الحال الذي وصل إليه الناس ، وكان ذلك دافعا للالتجاء إلى حياة الزهد والتصوف عند بعض علماء صقلية ، كما هو الحال بالنسبة لعتيق السمنطاري .

ومن مؤلفاته فيها يتعلق بالزهد والزهاد كتاب « أخبار الصالحين » وكتاب « أخبار العلماء » وكتاب « الرقائق ويقع في اثني عشر مجلدا[2] .

أما خير من يمثل التصوف في صقليه فهو ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي المالكي ، الملقب بعماد الدين الصوفي ، المعروف بإمام الحقيقة وشيخ أهل الطريقة المتوفي ٣٨٠هـ/٩٩٠م[3] .

وقد درس ابو القاسم الصقلي على أئمة زمانه من الفقهاء والعباد والزهاد ، حيث سمع بالقيروان على أبي الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ[4] ، وحبيب بن نصر

---

(١) ياقوت ـ معجم البلدان (٣/٢٥٤) .

(٢) البغدادي ـ هدية العارفين (١/٦٥١) .

(٣) الدباغ ـ معالم الإيمان (٣/١٤٤) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص٩٨) ، البغدادي ـ هدية العارفين (١/٥١٤) .

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور العبدي الدباغ ، كان اماماً فقيها ، عالما عاملا كثير التقييد ، جمع بين العلم والورع والتعبد ، والاخبات والتواضع توفي في رمضان سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩.
الدباغ ـ معالم الإيمان (٣/٧٥ ـ ٧٨) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص٩٤) .

الجزري[١] ، وأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم[٢] ، وزياد بن يونس اليحصبي[٣] ، وأبي اسحاق بن ابراهيم السبائي[٤] ، وأبي بكر محمد بن سعدون التميمي[٥] . كما رحل أبو القاسم إلى المشرق والتقى بعلمائها وزهادها[٦] ، ثم اتجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج والتقى بعلمائها من المقيمين ، والمجاورين ، فسمع بها من أبي بكر محمد بن الحسين الآجري[٧]

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي ، كان حافظا مؤرخا وفقيها صالحاً متواضعا ، ضابطا للرواية ، كثير المؤلفات ، اشتهر بكثرة شيوخه الذين درس عليهم ، وهو صاحب كتاب « طبقات علماء افريقية » وكتاب « عباد افريقية » و« مسند حديث مالك » . توفي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م .
الدباغ ـ معالم الإيمان (٣٦/٣) ، أبو العرب ـ طبقات علماء افريقيه ، مقدمة التحقيق (ص٢٣) .

(٣) أبو القاسم زياد بن يونس اليحصبي ، كان عالما ، فقيها ، اماما ، عالما ، عارفا . وكان من الصلحاء ثقة كثير الكتب ، عارفا بالرجال ، طلب إلى القضاء فامتنع . توفي سنة ٣٦١هـ/٩٧١م . الدباغ ـ معالم الإيمان (٧٩/٣) .

(٤) أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد السبائي ، أحد العلماء العاملين ، ومن أكثر أهل زمانه ورعا وزهدا ، كان شديد العداء لبني عبيد ، وكان من أكابر فقهاء القيروان . توفي سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م .
المصدر السابق نفسه (٦٣/٣) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢٦٢/١ ـ ٢٦٣) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص٩٤) .

(٥) أبو بكر محمد بن سعدون التميمي ، إمام الجامع بالقيروان ، كان فقيها صالحا عابدا ، وكانت آدابه كثيرة . طلب العلم وجوّد القراءات ، كان حسن الصوت بالقرآن . توفي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م .
المقري ـ نفح الطيب (٣٤٣/٢) .

(٦) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٥/٣) .

(٧) أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، وهو فقيه على مذهب الشافعي ومحدث وهو صاحب كتاب « الأربعين حديثاً كان صالحا ، عابدا ، ثقة وصدوقا ، وله مؤلفات كثيرة في الفقه والحديث . سكن مكه وتوفي بها سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٩٢/٤) ، البغدادي ـ تاريخ بغداد (٢٤٣/٢) .

وجالس بها أيضا الزهاد الذين نقلوا اليه كلام الصوفي سهل بن عبد الله التستري[1] المتوفي ٢٨٣هـ/٨٩٦م .

وأخذ هذا الكلام وعكف على تسجيله واعقبه بالشرح والتفسير[2] .

وبالنظر إلى شيوخ أبي القاسم الصقلي نجد أن مصادر ثقافته وعلمه قد تنوعت فقد درس علم الحديث والفقه على مذهب الإمام مالك ، والتصوف وآداب المتصوفة ، وكان لذلك أكبر الأثر في فكره الصوفي ، الذي يمثل لنا الاتجاه الصوفي في صقليه ، وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار أن ابا القاسم الصقلي هو الذي يمثل تيار الزهد والتصوف في صقلية الإسلامية .

أما فيما يتعلق بمؤلفات أبي القاسم الصقلي فهي :

١ ـ « جامع اعلام الديانة » وهو كتاب لم تشر إليه المصادر ، ولم يصل الينا وإنما أشار اليه ابو القاسم الصقلي في مخطوطة « الدلالة على الله تعالى » من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٢٣ تصوف[3] . فذكر ابو القاسم الصقلي عند الحديث عن الطهارة ومقاماتها مايشير إلى ذلك فقال : « المقام الثالث طهارة القلب من الرياء والاعجاب والحسد والغل وسوء الظن . ولهذا المقام شواهد كثيرة من الكتاب والسنة ، لايسع المؤمنين جهلها ولا التخلف عنها ، وقد رسمنا ذلك في كتاب جامع اعلام الديانة »[4] .

---

(١) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى التستري ، الصوفي الزاهد أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، المتكلمين في علوم الرياضيات .
السلمي ـ طبقات الصوفية (ص٢٠٦) ، الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٣/٣٣٠) .

(٢) ابو القاسم الصقلي ـ الأنوار في علم الأسرار ، مقدمة التحقيق (ص٨ ـ ٩) .

(٣) توجد منه نسخة مصورة بمكتبتي الخاصة .

(٤) أبو القاسم الصقلي ـ الدلالة على الله تعالى ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣ تصوف (ص١٣) .

٢ ـ « الشرح والبيان لما أشكل من كلام سهل بن عبد الله التستري » : وقد ذكره فؤاد سزكين عند ذكر آثار سهل بن عبد الله فقال : « ومنها التفسير» وعليه كتاب الشرح والبيان لما أشكل من كلام لأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد الصقلي[١] . كما أشار اليه بروكلمان عند حديثه عن مؤلفات سهل بن عبد الله التستري[٢] .

وهذا الكتاب توجد منه نسخة ضمن مجموعة محفوظة بمكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم (٧٢٧) . وتضم هذه المجموعة ثلاثة كتب هي : كلام سهل بن عبد الله ، والشرح والبيان لما أشكل من كلام سهل ، والرد والمعارضة لسهل بن عبد الله .

وهذه النسخة تقع ضمن المجموعة في الأوراق مابين (١٥٣) إلى (٢٠٥) وقد كتب على صفحة العنوان بهذه النسخة : « كتاب الشرح والبيان لما أشكل من كلام سهل بن عبد الله التستري رحمه الله . تأليف الشيخ العارف أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد الصقلي رضى الله عنه وعنا وعن جميع المسلمين آمين »[٣] .

وتبدأ هذه النسخة بالعبارة التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم . قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى ، بدء الأشياء المعرفة وآخرها العلم » وتنتهي النسخة بعبارة تقول : « قال عبد الرحمن بن محمد معنى قول ابي محمد ، إنما يئسوا من تدبيرهم : أي خرجوا »[٤] .

---

(١) فؤاد سزكين ـ تاريخ التراث العربي (٢/٤٥٣) .

(٢) بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي (٤/١٢) .

(٣) ابو القاسم الصقلي ـ الأنوار في علم الأسرار (ص١٨) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص١٩) .

٣ ـ « صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء » وقد أشارت إليه المصادر[١] ، ولكن لم يصل الينا الكتاب .

٤ ـ « كرامات الأولياء والمطيعين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان »[٢] . ولم يصل الينا ، إلا أن الدباغ ذكر نبذا منه في كتابه « معالم الإيمان » يروي فيها مؤلفه بعض سماعه من شيوخه ، وبعض ماحدث له في مكة . وبسبب هذا الكتاب انكر أبو محمد بن أبي زيد القيرواني المتوفي سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م كثيرا من كرامات الأولياء . فقد تصدى لأبي القاسم عبد الرحمن الصقلي ، ونقض كتابه بتأليفه لكتاب : « الكشف وكتاب الاستظهار ورد كثير مما تقلده من خرق العادات على مافي كتاب شنعه المتصوفة »[٣] ، وقد يبدو من هذا الخبر أن الفقه أخذ منذ البدء بمناهضة التصوف ولكن الأمر ليس كذلك فإن انكار ابن ابي زيد كان منصبا على ناحية واحدة وهي خرق العادات[٤] .

وفي ذلك يقول الدباغ : « وكان أبو محمد ابن ابي زيد كثيرا ماينكر عليه كرامات الأولياء ... وذلك قصور منه رحمه الله عن ادراك ماوهب الله أولياءه من الكرامات وما أفاض على قلوبهم من الأنوار والبركات »[٥] .

---

(١) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٥/٣) ، البغدادي ـ هدية العارفين (٥١٤/١) ، كحاله معجم المؤلفين (١٨١/٥) .

(٢) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٥/٣) .

(٣) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص١١٤) ، تقي عارف الدوري ـ صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص١٩٠) .

(٤) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص١١٤) .

(٥) الدباغ ـ معالم الإيمان (ص١٤٥/٣ ـ ١٤٦) .

وكان أبو القاسم عبد الرحمن الصقلي يشير في كتبه إلى قصور الفقهاء الذين ينكرون القدرة وماوهب الحق لأوليائه[1] . واستشهد بقول الله تعالى : (بل كذبوا بما لم يحيطو بعلمه)[2] .

وقد أنكر علماء ذلك الزمان على ابن ابي زيد انكاره للكرامات فأرسلوا إلى القاضي ابي بكر بن الطيب[3] ، ببغداد يسألونه ، فأجابهم بجواز ذلك وألف كتابا في ذكر جواز الكرامات وفيه فضل الشيخ ابي محمد بن ابي زيد ومعرفته بالفقه[4] .

ومن أمثلة ماورد في كتاب « كرامات الأولياء » ماذكره الدباغ حيث قال : « قال الشيخ ابو القاسم : أخبرني الشيخ الإمام ابو بكر بن سعدون التميمي قال : نزل بي ضيف وليس في بيتي شيء ، فالتفت فإذا قطعت فالوذج[5] ، ـ وأقبل يصف حسنها ـ قال : فناولها للضيف[6] .

وسمعته يقول قال لي أبو عقال[7] : ـ يوم خروجي من مكة وقد ذهبت نفقتي ـ أستودعتك لمن لاتخيب ودائعه ، فوالله ماخرجت من حيطان مكة إلا وأنا في محملي ولم أزل كذلك إلى أن وصلت القيروان[8] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (١٤٦/٣) .

(٢) سورة يونس (آية ٣٩) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٦/٣) .

(٥) هي حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل . قال ابن مكي . والصحيح أن يقال فالوذق . وقال الجوهري : الفالوذ والفالوذق معربان . قال يعقوب : ولا تقل الفالوذج .
ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٤٨) ، الجوهري ـ الصحاح (٥٦٨/٢) .

(٦) الدباغ ـ معالم الأيمان (١٤٥/٣) .

(٧) هو أبو عقال الصقلي ، صاحب فوائد ابي عقال (انظر موضوع : علم الحديث) .

(٨) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٥/٣) .

وقـال أبـو القـاسم عـبـد الرحـمن الصـقلي : حـدثني أبو ملك عن التاهرتي[١] ، قال : شهدت محمد بن ابي حميد[٢] ـ وقد احتضر ـ فذكروا عنده الموت . فـقال : وما الموت ؟ ادخل ياملك الموت . فنظروا فإذا به قد توفي رحمه الله[٣] .

ومن تلك الكرامات ماذكره من أن واصلا اللخمي[٤] ، مكث ستة أشهر لايشرب الماء ، فلما سئل عن ذلك قال : رضيت نفسى فساعدتني[٥] .

٥ ـ كتاب « فيه الدلالة على الله تعالى »[٦] ، قال في بدايته « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ،الحمد لله الذي ابتدع بلطف قدرته من اختراع المعجزات ، مادل به فطن القلوب على وحدانيته ، وأظهر من عجائب حكمته ماعرف ذوي الألباب بانفراده ، فأنار الشك بالبينات ، وأظهر الحق بالعلامات فكل موجود من صنعته ، وناطق عنه بالربوبية ، وكل موسوم له موسوم بالعبوديه . فوحدانيته موجودة بالقدرة ، ومدركات ماانفرد به بالتعارف غير محدودة وموجودة بالقدرة »[٧] .

ومن أمثلة ماجاء في هذا الكتاب قوله : « لايجوز لمن أودعه عقلا وعلماً وفهما بالتمييز وبصيرة في الدين التخلف عن اجابة من استنصحه في دينه ،

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٥/٣) .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٥/٣) .

(٦) الكتاب يقع في (١٢٤) صفحة ، وكتبت هذه النسخة في سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م على يد علي بن أحمد ابن نصر الربعي الشافعي .

(٧) أبو القاسم ، الصقلي ـ كتاب فيه الدلالة على الله ـ مخطوط (ص٢) .

بل واجب عليه دعوة الخلق إلى ربه عز وجل ، وردهم اليه ودلالتهم عليه بإرشاد الضّلال ، وهدي الجهال ، وانذار العلماء ، وتحذير العافين ألا ترى قول الله عز وجل : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[١] ، وقال سبحانه : (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون)[٢] ...... »[٣] .

والكتاب في مجمله يحث على الدعوة إلى الله ويحبذها ويستدل على ذلك بالآيات والأحاديث كما بين مكانة حلق الذكر ، وبعث الدعاة إلى الله في الأمصار الإسلامية ، ومن ذلك قوله : « وبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما إلى الكوفة يذكرهم ويعلمهم ، وبعث أبا هريرة إلى البحرين »[٤] .

ومما استشهد به في هذا المجال بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك ماروا ه مالك بن أنس عن نافع عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها . قالوا يارسول الله ومارياض الجنة . قال حلق الذكر »[٥] . وماروا ه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايجلس قوم يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله عز وجل »[٦] . وفي

---

(١) سورة آل عمران (آية ١٠٤) .

(٢) سورة الانعام (آية ٦٩) .

(٣) أبو القاسم الصقلي ـ كتاب فيه الدلالة على الله (ص٢ ـ ٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص٥) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص٥) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص٥) .

حديث آخر : « مامن قوم يجتمعون على علم وذكر إلا غشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة فإذا أكثروا المراء ارتفعت عنهم »[1] .

ومما أهتم به الكتاب ، آداب الفتوى ، وآداب الدعوة إلى الله ، ثم بين منازل التقوى ومقامات الطهارة ، وتحدث أيضا عن الإمام العادل والعالم الصادق . ومما أسهب الكتاب في توضيحه الزهد في الدنيا ذاكراً بعض أقوال العلماء في ذلك ، ثم تكلم عن أولياء الله وما ينبغي عليهم وما ينبغي لهم .

وجاء في خاتمة الكتاب ذكر الفتن التي حدثت في الإسلام ، والأمور التي تؤدي إلى حدوث الفتن مستقبلا فذكر أن من ذلك : الاختلاف في الدين ، والكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم كثرة القتل ، وافشاء الظلم ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومداهنة الظالمين ، والاستحلال في الدين ، وأذى الصحابة والمؤمنين ، وذهاب العلماء والصالحين ، وفقد الحياء ، ونزع الخشية من القلوب ، ورفع الدنيا ورفض الآخرة ، ثم إظهار الحمية والعصبية ، ثم علو السفله والسقّاط في الأرض .

٦ ـ « الأنوار في علم الأسرار »[2] والذى يعرف ب « أنوار الصقلي » . قال عنه الدباغ : « أتى فيه بأنواع المعارف وأسرار التصوف ماأربى فيه على غيره ، وفيه المعاني الجليلة بأبدع عبارة ، وألطف اشارة ، وبنى قواعد التصوف على الكتاب والسنة ، وماكان عليه السلف الأول ، وترك الآراء والاستحسان »[3] ، ولذلك نجده في بداية كتابه يجعل أصول العلم أربعة ،

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص٥) .

(٢) تم تحقيق الكتاب في رسالة ماجستير من الباحثة الهام محمد خليل ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ـ قسم الفلسفة ١٤٠٧هـ .

(٣) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٥/٣) .

أولها : معرفة الله ، وثانيها : معرفة دين الله من جهة الاتباع لكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والتأسي به في أمره ونهيه وترغيبه وترهيبه وآدابه وأخلاقه . والأصل الثالث : معرفة عدو الله ومايريد منه ومايدعو اليه ، ومايرفع به كيده ، والأصل الرابع : معرفة الدنيا وأهل الزمان(١) .

وذلك يؤكد أن فكر ابي القاسم الصقلي الصوفي كان مبنيا على الكتاب والسنة فهو يقول : « عليكم بالاتباع لما كان عليه الصدر الأول تسلمون من الحدث في الدين »(٢) ، ويقول أيضا : « وأصل المحبة اتباع الكتاب والسنة والأخذ بالإجماع والاقتداء بالسلف »(٣) ، وقال أيضا : « السلامة في الإقتداء بالصحابة رضي الله عنهم ، والأخذ بما أجمعوا عليه والإمساك عما تنازعوا فيه ، والغنيمة في الاقتداء بهم أجمعين وموالاتهم أجمعين ، وذكرهم بالجميل ، والتخلق بآدابهم في الدين »(٤) .

ومن أهم ماورد في كتاب أبي القاسم الصقلي « الأنوار » من وجهة تاريخية جزءه من بعض التصرفات في عصره مما يعكس جانبا من جوانب الحياة الإجتماعية فنراه ينتقد النساك بأنهم انما أظهروا زهدهم بالعجز عن مكاسبهم ، فيقول : « ويلكم يامعشر النساك ، الجهلة بدينهم . أظهرتهم زهدكم بالعجز عن مكاسبكم ، واستعملتم تواضعكم في لباسكم ، وأخفيتم الكبر والحرص في صدوركم »(٥) .

---

(١) أبو القاسم الصقلي ـ الأنوار في علم الأسرار (ص٢٣٧ ـ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ص٢٤٢ ـ ٢٤٣) .
(٣) المصدر السابق نفسه (ص٢٧٨)
(٤) المصدر السابق نفسه (ص٣٥٦) .
(٥) المصدر السابق نفسه (ص ٢٥٢) .

وأضاف مبينا حال بعض النساك وطلبة العلم : « اذا كان الاجتماع على الذكر والقرآن لايزيد به الإيمان ، ولا ينقص به الفسق . وإذا كان الإجتماع على مدارسة العلم ومذاكرته ، لايزيد به اليقين ولاينقص به حب الدنيا ، فتلك أحوال ممقوتة »[١] .

ومنه قوله : « إذا فجر العلماء وفسق القراء ، وسفك السلطان الدماء وأخذ على الحكم والحاجة الرشا ، وافتخرت العامة بكسب الحرام ، ولم يغير الخاصة منكرا ... فإن الموت تحفه لكل مؤمن »[٢] .

وأخيرا فإن الفكر الصوفي لأبي القاسم الصقلي ، مبني على الكتاب والسنة والاتباع للسلف الصالح ، كما أنه جعل تمام العلم بأمر الله ونهيه مرحلة أساسية للمعرفة الصوفية ، وذلك بتحقيق العلم بالعمل . كما أنه ربط بين الظاهر والباطن ربطا كاملا وذلك بتمثل أخلاق الإيمان . وفي فكر ابي القاسم الصقلي دعوة للإصلاح الاجتماعي مبنية علي أساس فكرة اصلاح المجتمع من خلال اصلاح الفرد . كما نادى أبو القاسم الصقلي ، بضرورة التكسب والأخذ بأسبابه ، وذلك عندما نادى بأن الكسب لايخرج عن التوكل . كما دعى أبو القاسم الصقلي إلى الصدق والإخلاص في العلم والعمل وضرورة اقترانهما ببعضهما ، كما نادى أيضا بمعرفة علم التوحيد ، ومجاهدة النفس وكبح جماحها وتربيتها على الأخلاق الإسلامية الحميدة[٣] .

(١) المصدر السابق نفسه (ص٢٦٥) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص٣٢٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠) .

ونختتم الحديث عن الزهد والتصوف في صقلية الإسلامية بذكر قصيدتي شعر أوردهما العماد الأصفهاني في الخريدة لأبي عبد الله محمد بن الحسن ابن الطوبي[1] .

ويتضح من خلالهما أن بعض الزهاد والمتصوفة قد انحرفوا عن جادة الطريق ، وأصبحوا يتظاهرون بالزهد والتصوف ويتباكون في سبيل تحقيق أهدافهم . وهذا دليل أن التصوف في صقلية قد دخله كثير من الدخلاء .

قال أبو عبد الله بن الطوبي :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ... ولا بكاؤك ان غنّى المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب ... ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا

بل التصوف أن تصفوا بلا كدر ... وتتبع الحق والقرآن والدينا

وأن ترى خائفا لله ذا ندم ... على ذنوبك طول الدهر محزونا[2]

وقال أيضا :

لو قلت لي : أي شيء ... تهوى ؟ لقلت : خلاصي

الناس طرّاً أفاع ... فلات حين مناص

نسو الشريعة حتى ... تجاهروا بالمعاصي

فشرهم في ازدياد ... وخيرهم في انتقاص

حتى يوافوا المنايا ... فيؤخذوا بالنواصي

ياويحهم لو أعدّوا ... لهول يوم القصاص[3]

---

(١) انظر موضوع (الدراسات الأدبية والشعرية في صقلية) .

(٢) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/٧٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١/٧٢) .

الفلسفة :

ورد في المصادر اشارات بسيطة إلى أنه كان في صقلية شيءٌ من الثقافة الفلسفية ، فقد دخل إلى صقلية أحد الأشخاص الذين لهم اهتمام بالفلسفة حيث ذكرت المصادر أن سعيد بن فتحون بن مكرم التجيبي القرطبي ، المعروف بالحمار(1) ، قد قدم إلى صقلية بعد محنة حدثت له مع المنصور بن أبي عامر وأدت إلى سجنه ، وبعد خروجه من السجن استقر بصقلية إلى أن مات بها سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م(2) . وكان قد اشتهر إلى جانب معارفه باللغو والنحو بمعرفة فلسفيه ، فهو صاحب رسالة في المدخل إلى علوم الفلسفة سماها « شجرة الحكمة »(3) ورسالة في تعديل العلوم(4) .

ولانعلم شيئا عن تأثيره الفلسفي في صقليه ، فلم تشر المصادر إلى ذلك ولكن توجه الشخص إلى الفلسفة والمنطق ، يوحى بأنه له تأثير ، فهو يعارض من يذم تلك الصنعة ، فله أشعار كثيره في ذم الناس لهذا العلم(5) .

وعن سبب ضعف الاهتمام بالفلسفة ، فإن ذلك يعود إلى تلك اللوثة التي تصيب من يدرس الفلسفة أو يتعلمها ، وهذه الكراهية لهذا العلم كانت تبعا للنظرة الدينية لهذه الفئة من الناس ، حيث يرمى من يشتغل بهذه العلوم بالزندقة والإنحراف . وهذه النظرية تكاد تكون في كافة بلدان العالم الاسلامي

---

(١) الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص٢٣٣) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص٣١١) ، المراكشي الذيل والتكملة (٤٠/٤ ـ ٤١) ، السيوطي ـ بغية الوعاة (٥٨٦/١) .

(٢) المراكشي ـ الذيل والتكملة (٤١/٤) .

(٣) صاعد ـ طبقات الأمم (ص١٠٦ ـ ١٠٧) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص١٠٧) .

(٥) الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص٢٣٣) .

وليست في صقلية ، ودليلنا على ذلك من صقليه أن الإمام المازري عندما كتب كتابا للرد علي « احياء علوم الدين » للامام الغزالي ، كان مما أخذه عليه أنه كثير الاطلاع علي كتب الفلاسفة ، وأن ذلك يكسبه جرأة على المعاني ، وتسهيلا للهجوم على الحقائق ، إذا أن الفلاسفة في رأي الامام المازري « تمر مع خواطرها ، وليس لها حكم شرعي ترعاه ولا تخاف من مخالفة أئمة تتبعها[1] .

وذكر صاحب « نفح الطيب » موقف العامة ممن أقبل على هذا العلم فقال : « وكل العلوم لها عندهم حظ وإعتناء إلا الفلسفة والتنجيم ، فإن لهما حظا عظيماً عند خواصهم ، ولا يتظاهر بها خوف العامة فإنه كما قيل : فلان يقرأ الفلسفة ، أطلق عليه زنديق ، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة ، أو أحرقوه »[2] .

وهذه النظرة كانت خالصة لمن انصرف كلية إلى هذا العلم ، وتعمق فيه ، أما من توقف عند حد الخطابة والاقناع ، فلا حرج عليه في نظر المتعلمين وأهل الزمان ، فهذا الفيلسوف الصقلي الذي يدعى غراب كان غنيا بالفلسفة وصناعة الخطابة المنتجة للإقناع ، وقام بها إلى أن تقدم أهل زمانه ، وسار اليه الطلبة لاستفادة ذلك منه[3] ، . وقد أورد لنا القفطي طريقة ذلك الفيلسوف فقال : « وكان من جملة قاصديه فتى من يونان يقال له : تيسناس ، ورغب إليه في تعلم الخطابة ، وضمن له عن ذلك مالا معينا ، فأجاب برغبته وعلمه فلما لقنها حاول الغدر به ، ورام فسخ ماوافقه عليه . فقال له : يامعلم حد لي الخطابة ،

---

(١) السبكي ـ طبقات الشافعية (١٢٣/٤) .

(٢) المقري ـ نفح الطيب (٢٠٨/١) ، وانظر : احسان عباس ـ تاريخ الأدب الاندلسي (ص٦٣) .

(٣) الزوزني ـ تاريخ الحكماء في المكتبة الصقلية (ص٦١٨) .

فحد بأنها مفيدة للاقناع ، فتمسك بالحد وبنى عليه قياسا ، وقال : إنني أنا طرك الآن في الأجرة ، فإن أقنعتك بأنني لا أدفعها إليك لم أدفعها ، إذ قد أقنعتك بذلك . وأن لم أقدر على قناعتك فلست أعطيك شيئا لأني لم أتعلم منك الخطابة التى هي مفيدة الاقناع . فأجابه المعلم وقال : أنا أيضا أنا طرك ، فإن أقنعتك بأنه يجب لي حقي منك أخذته ، أخذ من قد أقنع ، وإن لم أقنعك فيجب ايضاً أخذه منك إذ قد أنشأت تلميذا يستظهر على معلمه ، فقال له بعض من حضر : بيض ردىء لغراب ردي : أى تلميذ نكد ، ومعلم نكد »[1] .

---

(١) القفطي ـ أخبار الحكماء (ص١٦٨) .



الفصل الرابع

العلوم البحته والتطبيقية



العلوم البحته :

ان الحديث عن دور علماء صقليه في مجال العلوم البحته ، يكاد يكون محدداً ، وذلك لأن المصادر لم تمدنا بمعلومات جديدة في هذا المجال ، وهذا يشمل فروع تلك العلوم من طب وهندسة وفلك وخلاف ذلك .

ففي مجال الطب ، أشارت المصادر إلى عدد من الأطباء الصقليين ، ومنهم أبو عبد اله محمد بن الحسن الطوبي الصقلي ، النحوي الذي وصف بأنه « أربى في النحو على نفطوية ، وفي الطب على ابن ماسوية »(١)

وقد وصفه ابن القطاع بقوله :

أيها الأستاذ في الطب ... وإعراب الكلام

لك في النحو قياس ... لايساميه مسام

ثم في الطب علاج ... دافع الداء العقام(٢)

ولم يذكر لابن الطوبي مؤلف معين في مجال الطب ، ولم تحدد له فيه جهود .

ومن الأطباء الصقليين ، طبيب يدعى بأبي عبد الله الصقلي ، والذي كان له دور بارز في ترجمة كتاب « ديسقوريدس »(٣) في العقاقير من اللغة اليونانية

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/٥٥) ، القفطي ـ انباه الرواه (١٠٧/٣) ، وابن ماسويه هو : يوحنا ابن ماسويه ، أبو زكريا ، من العلماء الأطباء سرياني الأصل ، عربي المنشأ ، كان أبوه صيدلانيا في جند يسابور ، وخدم الرشيد في بغداد ، وكان يوحنا أحد الأطباء الذين عهد اليهم الرشيد بترجمة كتب الطب القديمة من مؤلفاته : « البرهان » في ثلاثين جزءاً و « الأزمنة » و « النوادر الطبية » و « خواص الأغذية والبقول » وغيرها ، توفي بسامراء سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧ م .
القفطي ـ أخبار الحكماء (ص ٢٤٨ ـ ٢٥٦) ، الزركلي ـ الأعلام (٨ / ٢١١) .

(٢)القفطي ـ أنباه الرواه (١٠٧/٣) .

(٣) ديسقور يدرس : شامي يوناني حشائشي . أعلم من تكلم في أصل علاج الطب وهو العلم في العقاقير المفردة . ابن جلجل ـ طبقات الأطباء والحكماء (ص٢١) .

إلى اللغة العربية ، فقد كان يتكلم اليونانية ، ويعرف مسميات وصفات الأدوية[١]. وذلك أن الناصر عبد الرحمن بن محمد[٢] ، صاحب الأندلس أهدي اليه كتاب ديسقوريدس من الامبراطور البيزنطي « أرمانيوس » ، (٥٠٩ ـ ٩٥٩) في سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م ، وكان الكتاب مكتوبا بالإغريقي . وكان في قرطبة في تلك الأيام من الأطباء الذين يعرفون اللغة اليونانية عدد كبير ومنهم أبو عبد الله الصقلي الذي اشترك مع مجموعة الأطباء تلك في ترجمة الكتاب المذكور[٣] .

قال ابن جلجل عن مجموعة الأطباء تلك : « وكان هؤلاء النفر كلهم في زمان واحد ، وصحبتهم في أيام المستنصر الحكم ... فصح ببحث هؤلاء النفر الباحثين عن اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس تصحيح الوقوف على اشخاصها بمدينة قرطبة ، ماأزال الشك عن القلوب ، وأوجب المعرفة بها بالوقوف على اشخاصها ، وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف إلا القليل منها الذي لابال به ، ولاخطر منه ، وذلك يكون في مثل عشرة أدوية »[٤] .

واشارت المصادر إلى أن ابا الحسن علي بن ابراهيم بن علي النحوي ، المعروف بابن المعلم الصقلي ، كان قد قرأ الطب ، وتعبير الرؤيا[٥] ، هذا إلى

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص٢٢) ، ابن أبي أصيبعه ـ طبقات الأطباء (ص٤٩٤) .

(٢) الناصر لدين الله الملك الملقب بأمير المؤمنين ، أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المرواني الأندلسي ، بأني مدينة الزهراء ، استمر حكمة لمدة خمسين سنة كان صاحب دين وحسن خلق . توفي سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م .

الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٥/٥٦٢) .

(٣) ابن ابي اصيبعه ـ طبقات الأطباء (ص٤٩٤) ، بالنثيا ـ الفكر الأندلسي (ص٤٦٢/٤٦٣) .

(٤) ابن جلجل ـ طبقات الأطباء (ص٢٢) ، ابن ابي اصيبعه ـ طبقات الأطباء (ص٤٩٤) .

(٥) السلفي تحقيق امبرتو (ص٨٨) ، القفطي ـ انباه الرواه (٢ / ٢٢٠ ـ ٢٢١) .

جانب بروزه في علم النحو ، إلا أن المصادر لم تذكر لنا من جهود في مجال علم الطب شيئا يذكر .

وتضمنت بعض قصائد ابن حمديس الصقلي ، اشارة إلى أحد اطباء صقلية ، وذلك هو أبو الحسن علي بن حسين بن أبي الدار الصقلي ، وهو ابن عمة ابن حمديس ، وزوج اخته ، فقد كان يصفه ابن حمديس بأنه « بقراط دونه في الطب والحكمة »[1] ، وجاء ذلك في قصيدة يرثي فيها ابن اخته ، ومنها قوله :

أولم يكن بقراط دون أبيك في	داء يعاد له المريض عداد
وأدق منه فكرة حسبية	حكمية الإصدار والإيراد[2]

ولم تذكر المصادر شيئا يذكر عن ابن أبي الدار الصقلي الذي أشار إليه ابن حمديس الصقلي ، وذلك فيما يتعلق بجهوده الطبية وخلافها .

وتشير المصادر إلى أن القائد ابن الثمنه ، قد غضب على زوجته وجرى بينها وبينه خصام وهو في حالة سكر ، فأمر بفصدها[3] ، وتركها لتموت ، فسمع ابنه ابراهيم بذلك ، فغضب ، وأسرع فجلب لها الأطباء فعالجوها[4] .

---

(١) ابن حمديس ـ الديوان ـ تحقيق احسان عباس (ص٣٤ ـ ١٢٣) ، وبقراط طبيب يوناني كان يسكن مدينة حمص ، ويتردد إلي مدينة دمشق ، ألف في الطب كتبا كثيرة ، منها كتاب « الفصول » وكتاب « الأمراض الحادة » وكتاب « طبيعة الإنسان » وكتاب « القروح وجراحات الرأس » وغير ذلك ، وكان يعالج الناس مجانا ، وإلى جانب براعته في الطب كان فيلسوفا بارعا . توفي سنة ٣٥٧ قبل الميلاد .
ابن جلجل ـ طبقات الأطباء والحكماء (ص١٦) ، ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول (ص٨٥)

(٢) ابن حمديس ـ الديوان ـ تحقيق احسان عباس (ص١٢٣) .

(٣) الفصد : شق العرق ، وفصد الناقة : شق عرقها ليستخرج دمه فيشربه .
ابن منظور ـ لسان العرب (٣/٣٣٦) .

(٤) النويري ـ نهاية الأرب (٢٤/٣٨٠) .

ويستفاد من هذا الخبر ، أن صقليه كان بها أطباء ، وإن لم تشر المصادر اليهم ، أضف إلى ذلك أن الخبر بصيغة الجمع ، وهذا في مدينة واحدة من مدن صقليه ، وقد يدل الخبر علي أن الذين حضروا لعلاج امرأة ابن الثمنه انما هم مجموعة من أطباء مدينة واحدة ، وليس جميع أطباء تلك المدينة . ويوحي ذلك كله بوجود نشاط طبي كبير في جزيرة صقليه .

وكان الإمام أبو عبد الله المازري صاحب « المعلم بفوائد مسلم » من علماء صقليه الذين لهم دراية بالطب ، فقد ذكرت المصادر أنه إلى جانب نشاطه في الحديث والفقه والأصول ، كان من أهل العلم بالطب ، « وإليه كان يفزع في الفتوى في الطب في بلده ، كما يفزع في الفتوى في الفقه[1] .

وتشير المصادر إلى حادثة حدثت للإمام ابي عبد الله المازري ، وعلى أثرها بدأ في تعلم الطب ، والإطلاع على علومه . فذكرت أنه : « مرض فكان يطبه يهودي ، فقال له اليهودي : يا إمام انتم تعلمتم علوم دينكم ، وتركتم علوم أبدانكم وأي قربة أجدها في ديني مثل أن أفقد المسلمين عالم مثلكم في هذا القطر فأخذت هذه المقالة في نفس المازري ، فمن حينئذ نظر في الطب »[2] .

وعلى الرغم من أن كلام الطبيب اليهودي يتنافى وطبيعة الصناعة وأخلاقها فإن ذلك كان دافعا قويا للإمام ابي عبد الله المازري في دراسة الطب ، والبراعة فيه ، وامتلاك زمامه .

والمشهور إن الإمام المازري قد وضع تأليفا في الطب ، وإن لم يصل الينا ذلك التأليف[3] ، ومما يؤكد الرأي السابق ماورد في كتاب : « المعلم بفوائد مسلم » للإمام المازري ، من كلام في مسألة طبية ، رد فيها الأمام أبو عبد الله

---

(١) الذهبي ـ سير اعلام النبلاء (١٠٦/٢٠) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢٥١/٢) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٢٥١/٢) .

(٣) حسن عبدالوهاب ـ الإمام المازري (ص٧٠) .

المازري على قول من قال : « إن العسل مسهل ، فكيف يوصف لمن به الاسهال مايسهل »[٢] . وذلك بمناسبة الحديث الوارد في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري ، قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخي استطلق بطنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسقه عسلا » ؟ فسقاه لقد سقيته فلم يزده إلا استذلاقا فقال ، ثم جاءه فقال : إني اسقيته عسلا ، فلم يزده الا استطلاقا . فقال له ثلاث مرات ، ثم جاء الرابعة ، فقال : « اسقه عسلاً فقال لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق الله وكذب بطن أخيك » فسقاه فبرأ[٣] .

فكان جواب الإمام المازري في رده على هؤلاء المشككين ، أن قال : « وقع في بعضها - أي مسائل الطب والعلاج - تشنيع ممن في قلبه مرض ، ومن ناشئة المتلاعبين من يلهج بذكر هذه الأحاديث استهزاء ... والأطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمن والعادة والغذاء المتقدم ، والتدبير المألوف ، وقوة الطباع ، فإذا أحطت بهذا علماً فينبغي أن تعلم أن الاسهال يعرض من ضروب كثيرة لو كتابنا هذا كتاب طب لذكرناها ، لكن منها الاسهال الحادث من التخم والهيضات[٤] ، والأطباء مجمعون في مثل هذا على أن علاجه بأن نترك الطبيعة وفعلها ، وإن إحتاجت إلى معين على

---

(٢) المازري - المعلم بفوائد مسلم (١٦٧/٣) .

(٣) الامام مسلم - الصحيح بشرح النووي (١٤ / ٢٠٢ - ٢٠٣) .

(٤) الهيض : له عدة معاني . فالهيضة : معاودة الهم والحزن ، والمرض بعد المرض ، والمستهاض : المريض يبدأ فيعمل عملا فيشق عليه ، أو يأكل طعاما أو يشرب شرابا فينكس ، وكل وجع هيض والهيضة : انطلاق البطن ، يقال بالرجل هيضة أي به قياء وقيام جميعا . وأصابت فلانا هيضة ، إذا لم يوافقه شيء يأكله وتغير طبعه عليه ، وربما لأن من ذلك بطنه فكثر اختلافه .

ابن منظور - لسان العرب (٢٤٩/٧) .

الإسهال أعينت مادامت القوة باقية ، فأما حبسها فضرر عندهم واستعجال مرض . فإذا وضح هذا قلنا يمكن أن يكون هذا الذي أصابه الإسهال ، أصابه من امتلاء وهيضه على حسب ماقلناه ، فداؤه تركه والإسهال ، أو تقويته . فأمَرَه صلى الله عليه وسلم بشرب العسل ، فزاده ، فزاد منه فزاده إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال ، فيكون الخلط الذي كان بالرجل يوافق فيه شرب العسل ، فإذا خرج ذلك على صناعة الطب ، فإنما يؤذن الإعتراض عليه بجهل المعترض »[1] .

والمازري هنا لم يشر إلى كل أنواع الإسهال ومسبباتها ، فقد ذكر أن هذا الكتاب ويعني به « المعلم » ليس مكانها ، ويدلنا ذلك بكل تأكيد على إهتمام الإمام المازري بعلم الطب ، فهو يتحدث بذلك في حلقه من حلقاته العلمية التي أقامها لطلابه في شهر رمضان عند شرحه لصحيح مسلم ، والحديث وهو على هذه الصورة جاء عرضاً عند شرحه لأحد الأحاديث الواردة في صحيح مسلم ، ولو أن حلقة الدراسة كانت طبية ، لكان ذلك مجال ابداع من الإمام المازري ، يتبين من خلاله الكثير من معارفه الطبية .

كما تكلم الإمام المازري في عدة مسائل طبية أخرى تأتي عرضا عند شرحه لصحيح مسلم رحمه الله . ومن تلك المسائل :

بعد استعراض حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله »[2] . قال المازري « هذا فيه تنبيه حسن وذلك أن الأطباء يقولون : إن المرض خروج الجسم عن المجرى الطبيعي والمداواه رده إليه ، وحفظ الصحة بقاؤه عليه . فحفظها يكون بإصلاح الأغذية وغيرها ، ورده يكون بالموافق من الأدوية المضادة للمرض ، وبقراط يقول :

(١) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٣ / ١٦٩ ـ ١٧٠) .

(٢) الإمام مسلم ـ الصحيح بشرح النووي (١٤/١٩١) .

الأشيـاء تداوى بأضـدادها ، ولكن تدق وتغـمض حقـيقـة المرض وحقـيقـة طبع العـقار ، والدواء المركب ، فتقل الثقة بالمضـادة التي هـي الشفـاء . ومن هاهنا يقع الخطـأ من الطيب ، فقـد يظن العلة عن مـادة حارة ، وتكون عن غيـر مـادة أصلاً ، أو عن مادة باردة أو حارة دون الحرارة التي قدّر ، فلا يكون الشفاء ، فكأنه صلى الله عله وسلم تلافى بآخر كلامه ماقد يعارض به أوله ، بأن يقال : لكل داء دواء . ونحن نجد كثيرا من المرضى يداوون فلا يبرؤن ، فنبه على أن ذلك لفـقـد العلم بحـقـيـقـة المداواه ، لا لفـقـد الدواء ، وهذا تتـمـيم حـسن في الحديث . وماقلناه واضح حتى نظمه الشعراء فقالوا :

« والناس يَلْحَوْنَ الطبـــيب وإنما « غلطُ الطبيب إصابةُ المقْدار »[1]

ومن خلال هذا النص نستطيع أن نقول ، أن الإمام المازري ، كان على اطلاع والمام بكثير من الاصطلاحات الطبيـة ، يضـاف إلى ذلك اطلاعـه على أقوال الأطباء والمتخصصين في هذا المجـال ، واستشهـاده بأقوال « بقراط» دليل على ذلك .

وتكلـم أيضـا أبو عبـد اله المازري في مسـألة طبيـة أخرى أثناء شرحـه للحديث الوارد في صـحيح مسلـم ، أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محـجم ، أو شربة من عسل ، أو لذعة بنار »[2] .

وفي ذلك يقـول المازري : « إن هذا من البديع عند من علم صناعة الطب وذلك أن سـائر الأمـراض الامـتـلائيـة إنما تكون دمـويـة ، أو صـفـراويـة أو

(١) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٣ / ١٦٧ ـ ١٦٨) .

(٢) الإمام مسلم ـ صحيح مسلم بشرح النووي (١٤ / ١٩٢) .

سوداوية ، أو بلغمية ، فإن كانت دموية فشفاؤها إخراج الدم . وإن كانت من الثلاثة الأقسام الباقية فشفاؤها بالإسهال بالمسهل الذي يليق بكل خلط منها ، فكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بالعسل على المسهلات ، وبالحجامه على الفصد ووضع العلق وغيرها مما في معناهما .

وقد قال بعض الناس بأن الفصد قد يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم : « شرطة محجم » وإذا أعيا الدواء فآخر الطب الكيّ ، فذكره صلى الله عليه وسلم في الأدوية ، لأنه يستعمل عند غلبة الطباع لقوى الأدوية ، وحيث لاينفع الدواء المشروف ، فيجب أن يتأمل مافي كلامه صلوات الله وسلامه عليه من هذه الإشارات »[1] .

وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم بعد كلامه السابق : « وما أحب أن أكتوي »[2] . قال المازري : فيه اشارة إلى أن يؤخر العلاج به حتى تدفع الضرورة إليه ، ولا يوجد الشفاء إلا فيه ، لما فيه من استعجال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكيّ[3] .

ورد الإمام المازري على القائلين : « بأن استعمال المحموم الماء البارد للإغتسال به ، فيه خطر وقرب من الهلاك لأنه يجمع المسام ويحقن البخار المتخلل ويعكس الحرارة لداخل الجسم ، فيكون ذلك سببا للتلف »[4] . حيث جاء رد المازري عند شرحه لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « الحمى من فيح

---

(١) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٣ / ١٦٨ ـ ١٦٩) .
(٢) الإمام مسلم ـ صحيح مسلم بشرح النووي (١٤ / ١٩٢) .
(٣) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٣ / ١٦٩)
(٤) المصدر السابق نفسه (١ / ١٦٧) .

جهنم فأبردوها بالماء »[1] . فقال : « قالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مالم يقل وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل أكثر من قوله : أبردوها بالماء . ولم يبين الصفة والحاله ، فمن أين لهم أنه أراد الانغماس ، والأطباء يسلمون أن الحمى الصفراوية ، يسقى صاحبها الماء البارد الشديد البرد ، ويسقونه الثلج ، ويغسلون أطرافه بالماء البارد ، فغير بعيد أن يكون صلى الله عليه وسلم أراد هذا النوع من الحمى ، والغسل على مثل ماقالوه ، أو قريبا منه ، وقد خرج مسلم عن أسماء رضى الله عنها ، أنها كانت تؤتى بالمرأة الموعوكة ، فتدعو بالماء فتصبه في جيبها ، وتقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أبردوها بالماء »[2] . فهذه أسماء شاهدت النبى صلى الله عليه وسلم وهي في القرب منه على ماعلم ، فأولت الحديث على نحو ماقلناه ، فلا يبقى للملحد إلا أن يتقول الكذب ويعارض كذبه بنفسه ، وهذا مما لايلتفت إليه »[3] .

وشرح الإمام المازري حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى رواه مسلم في صحيحه عن أم قيس بنت محصن قالت : دخلت عليه بابن لي قد أَعْلَقْتُ[4] عليه من العُذْرة[5] . فقال : « علام تدغرن أولادكن بهذا العلاق ، عليكن بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفيه منها ذات الجنب ... »[6] .

(١) الإمام مسلم ـ الصحيح بشرح النووي (١٤ / ١٩٥) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١٤ / ١٩٦) .

(٣) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٣ / ١٧١) .

(٤) الاعلاق : رفع اللهاة ، وهو معالجة عذرة الطفل ، التي هي عبارة عن وجع في حلقه ، وورم تدفعه الأم بإصبعها . يقال : أعلقت عليه أمه ، إذا فعلت ذلك ، وغمزت ذلك الموضع بإصبعها ودفعته . ابن منظور ـ لسان العرب (١٠ / ٢٦٩) .

(٥) العذرة : وجع الحلق الذي يهيج من الدم . وقيل : قرحة تخرج في الخرم الذي بين الحلق والأنف يعرض للصبيان عند طلوع العذره . المصدر السابق نفسه (٤ / ٥٥٣) .

(٦) الإمام مسلم ـ الصحيح بشرح النووي (١٤ / ٢٠٠) .

ومعنى الدغرة غمز الحلق من الوجع الذي يدعى العذرة ، ودغر الصبي ، يدغره ، دغرا ، وهو رفع ورم في الحلق . ابن منظور ـ لسان العرب (٤ / ٢٨٨) .

وفي ذلك يقول المازري : « إن بعض الأطباء ينكرون مداواة ذات الجنب بالقسط[1] ، مع مافيه من شدة الحرارة ، ويرون ذلك خطراً ، وهذا الذي قالوه جهالة ، وهم فيها كما قال الله تعالى : « بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه »[2] .

وأضاف قائلا : إن انكارهم التشفي من ذات الجنب بالقسط ، غير صحيح ، فقد ذكر عن بعض قدماء الأطباء ، أنه قال : بأن ذات الجنب إذا حدثت من البلغم ، كان القسط من علاجها ، وقد رأيت في كلام ديسقوريدس ، أنه قال : إذا شرب نفع من أوجاع الصدر ، وذكر جالينوس ، أنه ينفع من وجع الكزاز ، ومن وجع الجنبين ، وذكر ابن سينا[3] ، في كتابه أنه ينفع من وجع الصدر »[4] .

وبعد أن سرد المازري أقوال الأطباء في العلاج بالقسط ، قال : « وقد رأيت الأطباء تطابقوا في كتبهم على أنه يدر البول ، والطمث ، وينفع من السموم ، ويحرك شهوة الجماع ، ويقتل الدود ، وحب القرع في الأمعاء إذا شرب بعسل ، ويذهب بالكلف إذا طلي عليه ، وينفع من ضعف الكبد والمعدة ، وبردهما ، ومن حمى الورد[5] ، وقال بعضهم : ينفع من النافض لطوخا

---

(١) القسط : بالضم عود يتبخر به ، يجاء به من الهند ، ويجعل في البخور والدواء . ويتبخر به النفساء ، والأطفال . المصدر السابق (٣٧٩/٧) .

(٢) سورة يونس (آية ٣٩) .

(٣) أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي البخاري ، الطبيب ، الفيلسوف ، قرأ القرآن ، وكثيرا من الأدب . قال عنه ابن أبي أصيبعه : هو أشهر من أن يذكر ، وفضائله أظهر من أن تسطر من مؤلفاته « الإنصاف » و« البر والإثم » و« الشفا » و« أدوية القلب » وغيرها ، وله كثير من الرسائل . توفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م ابن أبي أصيبعه ـ طبقات الأطباء (ص٤٣٧ ـ ٤٥٩) .

(٤) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (١٧١/٣) .

(٥) الورد : من أسماء الحمى ، وقيل : هو يومها إذا أخذت صاحبها لوقت ابن منظور ـ لسان العرب (٤٥٦/٣) .

بالزيت . وكذلك قال جالينوس : ينفع من البرد الكائن بالدور غير أنهم يدهنون البدن قبل تهييج البرد ، وكذلك يفعلون في أصحاب عرق النسا ، ويسخنون بعض أعضائهم .

وقال بعضهم : يعمل منه لطوخ بالزيت لمن به نافض قبل أخذ الحمى ، ولمن به فالج واسترخاء »[1] .

ويؤيد قول الإمام المازري السابق ، أنه مطلع على أقوال كثير من أهل صناعة الطب المشهورين منذ القدم ، ويؤكد ذلك قوله « وقد رأيت في كلام ...»[2] .

ويتحدث المازري عن القسط وصفاته فيقول : « وهو صنفان بحري وهندي والبحري هو القسط الأبيض يؤتى به من بلاد العرب ، وزاد بعضهم فيه على هذين الصنفين ، وبعضهم ينص على أن البحري أفضل من الهندي ، وهو أقل حرارة منه ... فأنت ترى هذه المنافع التى أتفق عليه الأطباء فقد صار ممدوحا شرعاً وطباً[3] .

ومن كلام المازري في مجال الطب ، قوله : « قل مايوجد في علم الافتقار إلى التفصيل مثل مايوجد في صناعة الطب حتى أن المريض يكون الشيء دواؤه في هذه الساعة ، ثم يعود داءً في الساعة التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه ، فينتقل علاجه ، أو هواء يتغير ينقل علاجه إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرةً ، فإذا وجد الشفاء بشيء ما في حالة ما ، فلا يطلب به التشفي في سائر الأحوال في سائر الأشخاص »[4]

---

(١) المازري ـ المعلم بفوائد مسلم (٣/١٧١ ـ ١٧٢) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٣/١٧١) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٣/١٧٢) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٣/١٦٩) .

ونظراً لبراعة الإمام المازري في الطب ، فقد اهتم به أحد الباحثين المحدثين وكتب رسالة في الطب بمناسبة تأسيس أحد المستشفيات بتونس وسماها « المازرية »[١] نسبة إلى الإمام أبي عبد الله المازري .

ونستدل من خلال ماأورده ابن مكي الصقلي في كتابه « تثقيف اللسان » عن غلط أهل الطب[٢] على وجود نشاط واسع في صقليه واستخدامهم لمجموعة كبيرة من العقاقير المصنعة من النباتات .

فقد ذكر أنهم يقولون : القوة الماسكة ، وضعفت المواسك .

والصواب : القوة الممسكه ، وضعفت الممسكات ، لأنه لايقال إلا « أمسك » رباعي لاغير ، واسم الفاعل منه ممسك .

ويقولون : دواءٌ مُكرِب ، وقد أكربه الدواء .

والصواب : كَرَبَه الدواء وغيره يكربُه ، ودواء كارب .

ويقولون : إطريفَل[٣] . والصواب : إطريفُل . بضم الفاء .

ويقولون : جُوارِش[٤] . وفي الجمع ، جوارشات .

والصواب : جُوارِشْن وجُوارشنات . بضم الجيم وزيادة النون .

ويقولون لضرب من العقاقير : شِب ، بكسر الشين . والصواب : شَبٌّ بالفتح . واستشهد بقول الشاعر :

(١) كتبها الأستاذ الشيخ سيدي محمد مخلوف المتوفي سنة ١٩٤١م ، عميد الفتيا بالمنستير ، ولا تزال الرسالة خطية ، ولم أتمكن من الاطلاع عليها .
أنظر : عبد الله الزناد ذكرى الإمام المازري (ص٢١) .

(٢) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٢٧١ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

(٣) طرفل : دواء مؤلف وليس بعربي محض . ابن منظور ـ لسان العرب (٤٠١/١١) .

(٤) ضبط في لسان العرب ب « جرش » بفتح الجيم . (٢٧٢/٦) . وهو نوع من الأدوية المركبة يقوي المعدة ويهضم الطعام .
ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٢٧١) حاشية (٢) .

ألا ليت عــمي يوم فــرّق بيننا   سُقِي السّمَّ ممزوجــا بشَبٍّ يمانِ

ويقولون : حَلَتيت ، بفتح الحاء . والصواب : حِلتيت بكسرها .

ويقـولون للحبـة السـوداء : شَوْنَيـز ، بفـتح الشين . والصـرب : شُونيـز ، بضمها

ويقـولون : السَّعْله ، والشَّوصـه . والصـواب : السُّعْله ، بفـتح السين ، والشَّوصه ، بفـتح الشين . وإنما سـميت شـوصـه ، لأنهـا ريح ترفع القلب عن موضعه وتزعزعه يقال شاص فاه بالسواك يشوصه ، إذا استاك من سفل إلى علو . ويقـال : السعـال أيضا إذا كـثـر ، كمـا يقـال : بـه بُوال ، لمن كثـر منـه البول ، وعُطاش ، لمن كثر منه العطش ، وكثيرا ماتاتي الأدواء على وزن فُعال ، نحو زكام ، والدُوار ، وشبه ذلك .

ويقولون لضرب من العقاقير : صَبْر . والصواب : صَبِر .

قال الشاعر :

لاتحـسـب المجـد تمرا أنت آكله   لن تبلـغ المجد حتى تلعق الصَّبِرا

ويقولون لبعض الأمراض : سَلّ[1] ، بالفتح . والصواب : سِل بالكسر .

ويقولون : الذَّبُول ، بفتح الذال ، والصواب : الذُّبول ، بضم الذال .

ويقولون إذا أرادوا تعظيم عالم بالطب : قال فـلان المتطبب . ويتـوهمون أنه أبلغ من طبيب . وليس كذلك ، لأن المتفعل هو الذي يدخل نفسه في الشيء ليضاف إليه ويصير من أهله ، ففرق مابين طبيب ومتطبب ، كفرق مابين حليم ومتحلِّم .

---

(١) قال الحريري في قول من قال عن مريض : به سِلّ أن الصحيح أن يقال : سُلال ، بضم السين . درة الغواص في أوهام الخواص (ص٢٢٥) .

علم الفلك والهندسة :

ظهرت بعض الأسماء الصقليه التي برعت في الهندسه والفلك ، ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد المنعم الصقلي ، فقد ذكرت المصادر أنه : من أصحاب العلم بعلمي الهندسة والنجوم ماهر فيها ، قيم بهما ، مذكور بين الحكماء هناك بأحكامها[1] .

ولانعرف عن جهوده شيئا فقد اكتفت المصادر بوصفه أنه من أهل الهندسة والفلك ، وأنه أحد الأدباء الذين ذكرهم ابن القطاع في الدرة الخطيرة .

وأشارت المصادر إلى أن أبا عبد الله محمد بن الحسين الفرني الصقلي ، الكاتب من علماء صقليه في النجوم والهيئة والحساب[2] .

وذكر العماد الأصفهاني أن أبا حفص عمر بن الحسن المعروف بابن الفوني الكاتب كان كاتبا منجما[3] .

ومن العلماء الصقليين في الهندسة والفلك ، المهندس أبو محمد عبد الكريم الصقلي[4] ، وكان قد أرسل في طلبه إلى القاهرة الفاطمية ، من صقليه وذلك للعمل مع مجموعة من المهندسين الفلكيين في اصلاح المرصد الفلكي بالقاهرة ، وكان استدعاؤه بطلب من المأمون البطائحي[5] . وذكر المقريزي ،

---

(١) الزوزني ـ تاريخ الحكماء ـ في المكتبة الصقليه (ص٦١٩) ، العماد الأصفهاني الخريدة (١/٣٤) ، القفطي ـ تاريخ الحكماء (ص٢٨٩) ، المدني ـ المسلمون في صقليه (ص٢١٤) ، أحمد تيمور باشا ـ أعلام المهندسين في الإسلام (ص٤٨) .

(٢) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/٩٦) ، القفطي ـ المحمدون من الشعراء (ص٢٥٨ ـ ٢٥٩) .

(٣) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/١٠٢) .

(٤) المقريزي الخطط (١/١٢٧ ـ ١٢٨) باشا ، أعلام المهندسين في الإسلام (ص٤٥) .

(٥) أبو عبد الله المأمون البطائحي ، أحد وزراء الدولة الفاطمية في مصر في عهد الخليفة الفاطمي الآمر . قتله الآمر سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م .

الدواداري ـ الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطميه (ص٤٨٨) .

أن بهذا المرصد مجموعة من المهندسين ملازمين له في كل يوم ، ولا يتأخر منهم أحد ، وأن منهم الشيخ أبو جعفر بن حسنداي[1] ، والقاضي ابن أبي يعيش[2] ، وأبو محمد عبد الكريم الصقلي وغيرهم من الحسابين والمنجمين[3] .

وهذا المرصد الفلكي كان قد أمر بصنعه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي ، وذلك لمعرفة التقاويم . وفي عهد المأمون البطائحي نقل إلى باب النصر ، فكان أبو عبد الله الصقلي أحد المشرفين على صيانته وتشغيله ومتابعة دقته[4] .

وقد ذكر ابن مسير في « أخبار مصر » أن المهندس والفلكي الصقلي الذي يدعى أحمد بن مفرج بن أبي الخليل الصقلي ، كان من مجموعة شيوخ الصناعة الفلكية ، الذي عملوا على اصلاح المرصد الفلكي ، بعد خراب جرى فيه عند نقله إلى باب النصر في عام ٥١٧ هـ/١١٢٣م .

قال ابن ميسر : « في سنة ٥١٧ هـ/١١٢٣م ، نقل المأمون المرصد الفلكي إلى علو باب النصر بالقاهرة ، فتقدم شيوخ الصناعة الفلكية ... ـ ومنهم ـ أحمد بن مفرج الشاعر فوجدوا الطاره الواحده قد فسدت فجمع السباكون واحضر لهم مايحتاجون اليه من النحاس والذهب والفضة وسبكت

---

(١) أحد المهنسين في أوائل القرن السادس الهجري بمصادر مدة الآمر بأحكام الله الفاطمي أحمد باشا ـ أعلام المهندسين في الإسلام (ص٤٤) .

(٢) لم أعثر له على ترجمة ، غير ماورد عند المقريزي من أنه أحد الذين أشتركوا في الاشراف على المرصد الفلكي بالقاهرة . المقريزي ـ الخطط (١/١٢٧) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١/١٢٧ ـ ١٢٨) .

(٤) المصدر السابق نفسه (١/١٢٨) .

الدائرة ، وأعيدت ، بحضرة الشيوخ بعد تعب كثير ، ومصروف كبير ، ونقلت إلى أعلى الباب ، واستمرت إلى آخر أيام الآمر بأحكام الله الفاطمي »[1] .

وقد وصف ابن ميسر المهندس والفلكي والشاعر الصقلي ابن مفرج بأنه كان ذكيا فاضلا ، ويتصرف في فنون شتى ، وأن له رسائل في غاية الحسن وشعر فائق ، كما ذكر أنه كان معروفا بتلميذ ابن سابق ، وقال ان وفاته كانت في سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م[2] .

وما سبقت الاشارة اليه يؤكد أن البلاط الفاطمي ، كان يغري العلماء الصقليين بالهجرة من صقليه ، والانتقال إلى مصر في رحاب الدولة الفاطمية وهذا وإن كان فيه منفعة للقاهرة الفاطمية ، فإن فيه حرمان لبلد ذلك العالم صقليه الإسلامية .

ومن علماء الفلك الصقليين ، أبو محمد عمر بن هارون الصقلي ، الذي كان حيا في سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م كما ذكر هو في كتابه « العلم المنير في الفلك الأثير »[3] .

ولم يرد لأبي محمد عمر بن هارون الصقلي ، ترجمة وافية في كتب التراجم ، أو في المصادر ذات العلاقة بصقليه ، وكل ماورد اشارة إليه في « ترتيب المدارك » عند حديث القاضي عياض عن أبي عمران الفاسي المتوفي سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م . فقد استشهد القاضي عياض بآراء عمر بن هارون الصقلي في الفقيه ابى عمران الفاسي[4] .

---

(١) ابن ميسر ـ أخبار مصر (ص٩٦) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ص١٣٤) .

(٣) عمر الصقلي ـ الفلك الأثير ـ مخطوط ـ دار الكتب المصرية (رقم ٦٠٤٦ك) . ورقة (٣٠ ـ ٣١) . ومن الكتاب المذكور نسخة مصورة بمكتبتي الخاصة .

(٤) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧٠٤) .

أما فيما يتعلق بكتابه الذي وصـل الينا في الفلك فهو كتاب ذكر أنـه : « جمع فيه مايحتاج إليه من علم النجوم ، ومن بروجها ، ودراريها ، ومنازلها ومعرفة الصلوات الخمس ، وعلم ساعات الليل والنهار ، مما لايستغني عنه ذوو الألباب من أهل المعرفة[1] » .

ويشتمل الكتاب علي عدة أبواب ، بدأها بباب الحساب ، وذكر أنه أول مايجب على طالب العلم[2] .

والباب الثاني تحدث فيه عن البروج الاثنى عشر[3] ، كما تحدث في الباب الثالث عن أسماء الدراري السبعة[4] . ثم بين المؤلف أسـماء المنازل وصفاتها ، وذكر أنها ثمانية وعشرين منزلة ، وأن القمر يقطع في كل ليلة منزلة منها[5] . وشرح المؤلف كل منزلة منها شرحا وافيا .

وذكر في الباب الخامس ، تقسيم المنازل على البروج[6] .

ومن أهم ماورد في هذا الكتاب ماذكره المؤلف في الباب الثامن عشر وهو يتحدث عن درجات الفلك . فذكر أنها ثلاثمائة وستون درجة متوالية ، وفي كل برج من البروج الإثني عشـر ، ثلاثون درجة متوالية ولكل درجة من هذه البروج ، ستون دقيقة ، ولكل دقيقة من هذه الدقائق ستون ثانية[7] .

ومن المختارات من هذا الكتاب قوله : « اعلم أن الأفلاك كلها ومافيها مدورة وليس فيها مستطيل ولا مربع ولا مركن »[8] .

---

(١) عمر الصقلي ـ العلم المنير في الفلك الأثير ـ مخطوط (ورقة ١) .

(٢) المصدر السابق نفسه (ورقة ١) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ورقة ٣) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ورقة ٣) ، والدراري هي : الكواكب السبعة زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر . المصدر السابق نفسه (ورقة ٣ ـ ٤) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ورقة ٤) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ورقة ١٠) .

(٧) المصدر السابق نفسه (ورقة ٢٣) .

(٨) المصدر السابق نفسه (ورقة ٢٤) .

وبعد فإن الكتاب غير كامل وماوجد منه يقع في سبع وأربعين ورقة ويتضمن ثمانية وثلاثين بابا .

وعن علم الفلك في صقليه يتحدث أحد المؤرخين عند وصفه للحياة العلمية في صقلية فيقول : « من مآذن المساجد ببلرم كان الفلكي العربي يرقب حركات الأجرام ، ويعين مواقيت الخسوف والكسوف ، ومواقع النجوم مستعينا على ذلك بآلات اخترعت في حوض الوادي الكبير ، وعند نهر دجلة ، وبزيجات كتبت في سهول بابل قبل المسيح بقرون »(١) .

ويقول أيضا : « وكان أحب نزيل يرحب به بلاط بلرم ، المنجم ذو الزي الخاص واللحية المسبلة ، والعصا الطويلة التى رصع مقبضها بعلامات طلسمية »(٢) . وهذا الكلام ، لانملك من النصوص مايؤيده ، ولكن إهتمام المسلمين عموما بعلم الفلك ، يجعلنا نعتبره حقا ، وإن لم نجد إشارات في المصادر الإسلامية اليه ، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن اهتمام المسلمين بهذا العلم ، نابع من اهتمامهم بأمور دينهم ، مثل تعيين سمت القبلة ، ووقت الزوال ، وأوائل الشهور القمرية ، وأواخرها لأن أوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد إلى بلد ، وبذلك كله تطور علم الفلك عند المسلمين ، وأصبح : « علما رياضيا مبنيا على الرصد والحساب والهندسة لتعليل مايرى من الحركات والظواهر الفلكية والكونية . ولم يقفوا فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان ، بل فاقوا غيرهم في عمل الآلات التي رصدوا بها النجوم والكواكب »(٣) .

---

(١) احسان عباس ــ العرب في صقليه (ص١٢٤) .

(٢) المرجع السابق نفسه (ص١٢٤) .

(٣) ناجي معروف ــ المراصد الفلكية ببغداد (ص٥) .

الباب الرابع

الحياة العلمية في صقليه الإسلامية بين التأثر والتأثير



الفصل الأول

آثار علماء صقلية في ديار الإسلام



أولا : العلاقات الثقافية مع المغرب :

على اعتبار أن فتح صقلية ، تم علي يد علماء وقادة من القيروان ، فقد امتزجت ثقافة صقليه بثقافة القيروان ، وليس معنى ذلك عدم استقلالية صقليه ثقافيا ، فقد برزت فيما بعد كمركز هام من مراكز الثقافة الإسلامية في الدولة الإسلامية ، بل أصبحت تضاهي المراكز الإسلامية الكبرى كالاندلس مثلا . وظهر فيها العلماء في كثير من المجالات . وأصبحت صقليه بعد ذلك ذات تأثير كبير في حركة الترجمة ، والتأثير على أوربا بظهور الجامعات وخلافه .

وقد كانت البداية الأولى للعلاقات الثقافية بين القيروان وصقليه ، بدخول العالم والقائد الفاتح أسد بن الفرات ، الذي اصطحب معه في حملته إلى صقليه مجموعة من « العلماء والفقهاء والشعراء ، وأعيان الناس مالا يأخذه عدّ ولا يأتيء عليه إحصاء »[1] .

وبدأ أول تأثير من القيروان على صقلية بعد دخول أسد بن الفرات ، بانتشار مذهب الإمام مالك رحمه الله بها ، وذلك بدخول عدد كبير من أتباعه اليها ومنهم محمد بن قادم[2] . وابنه أحمد بن محمد بن قادم[3] ، فقد كانا من أعلام المذهب المالكي الحافظين له . وانتشرت « المدونة » في الفقه بعد الفتح في صقليه ، حيث وفد إلى صقلية مجموعة من تلاميذ سحنون ، وظهر تأثيرهم على الدراسات الفقهية في صقليه ، ومن هؤلاء ، محمد بن نصر بن حضرم[4]

---

(١) عياض ـ تراجم أغلبية مستخرجة من ترتيب المدارك (ص٦٤) ، المالكي ـ رياض النفوس (١/٢٥٥) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/٥) .

(٢) أبو العرب ـ طبقات علماء افريقية (ص١١٤) .

(٣) الدباغ ـ معالم الإيمان (٢/١١١) .

(٤) الخشني ـ طبقات علماء افريقية (ص١٩٨) ، عياض ـ ترتيب المدارك (٣/١٢٨) .

وعبد الله بن سهل القبرياني[1] ، وسليمان بن سالم القطان ، صاحب كتاب « السليمانية » في الفقه[2] . وميمون بن عمرو بن المغلوب الأفريقي[3] .

وأتى بعد هؤلاء الفقهاء رعيل آخر ممن سار على نهج سحنون ، وكان لدخول بعض منهم إلى صقليه أثره الكبير في انتشار مذهب مالك بها . ومنهم أبو سعيد لقمان بن يوسف الغساني ، الذي درّس « المدونة » في الفقه بصقليه لمدة أربعة عشر سنة[4] . ومحمد بن ابراهيم بن أبي صبيح[5] ، ومحمد بن محمد بن خالد القيسي ، الذي تولى قضاء صقلية لمدة عشرين سنة[6] . وخلف بن أبي القاسم الأزدي المعروف بالبرادعي ، الذي ألف كتبه في الفقه المالكي ، أثناء وجوده في صقليه[7] .

ومن الفقهاء الذين دخلوا صقليه من القيروان ، الفقيه والمؤرخ أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي صاحب كتاب « رياض النفوس » وروى بها كتاب « اللمع في أصول الفقه » لمؤلفه الحسن بن حاتم الأزدي ، وأخذه عنه علي بن عثمان الربعي الصقلي[8] .

---

(١) المصدران السابقان (ص١٣٤) ، (٣/٩٤) .

(٢) الخشني ــ طبقات علماء افريقية (ص١٤٧ ــ ١٤٨) ، الدباغ ــ معالم الإيمان (٢/٢٠٦ ــ ٢٠٧) ، ابن فرحون ــ الديباج المذهب (١/٣٧٤) .

(٣) المالكي ــ رياض النفوس (٢/١٧٩) ، الدباغ ــ معالم الإيمان (٢/٢٥٦) ، ابن فرحون الديباج المذهب (٢/٣٢٨) .

(٤) الخشني ــ طبقات علماء افريقيه (ص١٧١) ، المالكي ــ رياض النفوس (٢/١٩٣) عياض ــ ترتيب المدارك (٣/٣١١) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٣/٣٥٧) .

(٦) الدباغ ــ معالم الإيمان (٣/١٠) .

(٧) عياض ــ ترتيب المدارك (٤/٧٠٨) ، الدباغ ــ معالم الإيمان (٣/١٤٦) ، الذهبي سير أعلام النبلاء (١٧/٥٢٣) ، ابن فرحون ــ الديباج المذهب (١/٣٤٩) .

(٨) ابن بشكوال ــ الصلة (٢/٤٣٢) .

ومن علماء المغرب الذين وفدوا إلى صقليــه ، أبو عبد الملك مـروان بن عبد الملك بن ابراهيم اللواتي الفقيه ، الذي يعتبر زعيم المغرب وشيخه في الفقه ، وهو من أهل العلم والفقه ، وقد جالس بصقليه الفقيه عبد الحق الصقلي[1] .

هؤلاء بعض الفقهاء الذين دخلوا صقليه ، وكان لهم تأثيرهم في ثقافة صقلية بوجه عام ، والفقهيه منها بوجـه خاص ، فالقائد الفاتح أسد بن الفرات ، هو صاحب كتاب « الأسدية »[2] ، وليس من المستعبد أن يكون قد وصل كتابه المذكـور إلى صقليــه بعد دخولـه اليها ، وانتشر بها . كما دخلت « مدونة » سحنون إلى صقليه ، وكذلك « المختلطة »[3] وهي له أيضا . وأعتمد فقهاء صقليه كتاب « السليمانية » لمؤلفه سليمان بن سالم القطان ، من ذلك نجد أن الفقيه عبد الحق الصقلي ، اعتمد « السليمانية » في كتابه « تهذيب الطالب وفائدة الراغب » وذلك عند حـديثـه عن العـيدين والتكبـيـر فـي أيام التشريق[4] . وأحيانا نجد أن الفقيه عبد الحق الصقلي ، يعمم فيقول : « ذكر هذا بعض شيوخنا من القرويين »[5] .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن الفقيه سليمان بن سالم القطان ، كان له تأثير كبير في صقليه ، وذلك بأنه عمل على انتشار المذهب المالكي بها ، قال الشيرازي : « وعنه انتشر مذهب مالك بها »[6] .

(١) عياض ـ الغنية (ص١٩٧ ـ ١٩٨) .
(٢) عياض ـ ترتيب (٤٦٦/٢) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٤/٢ ـ ٥) .
(٣) هي سماع سحنون من عبد الرحمن بن القاسم ، وبقيت متفرقة على أصل اختلاطها في السماع .
عياض ـ ترتيب المدارك (٤٧٢/٢) .
(٤) عبد الحق الصقلي ـ تهذيب الطالب وفائدة الراغب ـ مخطوط (ورقة ٣٨) .
(٥) المصدر السابق نفسه (ورقة ٣٨) .
(٦) الشيرازي ـ طبقات الفقهاء (ص١٥٨) .

أما عن تأثير الفقيه البرادعي في صقليه ، فقد أصبح لمؤلفاته شهرة كبيرة في صقليه ، ومنها كتاب « التهذيب »[1] في اختصار « المدونة » الذي قال عنه القاضي عياض : « وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه ، وتيمنوا بدرسه وحفظه ، وعليه معول أكثرهم بالمغرب والأندلس »[2] . وعلق الدباغ على كلام القاضي عياض فقال : « يعني في زمانه ، وأما في زماننا فما المعول إلا عليه شرقا وغربا ، ومن ينظر مدونة سحنون الذي هو اختصارها يعلم فضيلة البرادعي في اختصاره »[3] ، وأضاف : « وهجر الناس مختصر ابن أبي زيد وأقبلوا على مختصر البرادعي »[4] .

ومن مؤلفاته أيضا التي انتشرت واشتهرت بصقليه ، كتاب « الشرح والتمامات ، وكتاب « اختصار الواضحة » لمؤلفها عبدالملك بن حبيب السلمي[5] .

وقصد الطلاب الفقيه البرادعي في صقليه ليسمعوا منه مؤلفاته[6] ، حتى بلغ مرتبة كبيرة لدى طلاب العلم بها و « طارت كتبه بصقليه ، وأصبحت المناظرة في جميع حلق بلدانها بكتاب البرادعي ، التهذيب »[7] .

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٠٨/٤) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٦/٣) ، ابن فرحون الديباج المذهب (٣٤٩/١) .

(٢) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٠٨/٤) .

(٣) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٧/٣) .

(٤) المصدر السابق نفسه (١٤٨/٣) .

(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٠٨/٤ ـ ٧٠٩) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٨/٣) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٣٥٠/١) .

(٦) عياض ـ ترتيب المدارك (٤٠٩/٤) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٣٥٠/١) .

(٧) المصدر السابق نفسه (٣٥٠/١) .

وجرت دراسات في صقليه حول كتاب « التهذيب » من ذلك ماقام به الفقيه عبد الحق الصقلي من تأليف كتاب أسماه : « استدراك على مختصر البرادعي » وذلك يتصحيح ماوهم فيه البرادعي على المدونة[1] .

ومن الدراسات التي جرت حول مؤلفات البرادعي في صقليه ، أيضا ، نجد أن الفقيه الصقلي عمر بن عبد النور المعروف بابن الحكار ، وقد عمل اختصارا لكتاب « التمامات »[2] ، كما قام الفقيه ابن فروج الصقلي بترتيب كتاب « تمهيد مسائل المدونة » للبرادعي ، وذلك بأن جعله على نسق كتاب « المدونة » لسحنون[3] .

أما المالكي صاحب « رياض النفوس » فقد أخذ عنه الإمام المازري ، حيث أسند بعض فتاويه إلى المالكي مقرونة بعبارات الفضل والثناء ، ومن ذلك مانصه : « وعن الشيخ أبي بكر المالكي ، وقد شاهدنا من فضله ودينه وجلاله وعلمه بالأخبار مايحصل الثقة في أنفسنا بما يحكيه »[4] .

كما نقل عنه ، أبوالبهاء عبد الكريم بن عبد الله بن محمد المقرىء الصقلي ، وأخذ عنه[5] .

ومن مظاهر تأثير القيروان في ثقافة صقليه الاسلامية تتلمذ كثير من علماء صقليه علي أيدي علماء وفقهاء القيروان ، فأصبحوا بعد ذلك أعلاما يشار اليهم بالبنان وأسسوا لصقليه مدرستها الثقافية المستقلة ، بداية

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧٠٨) و (٤/٧٧٥) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٤/٨٠١) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٤/٨٠١) .

(٤) الونشريسي ـ المعيار المغرب (١١/٣٦٣) .

(٥) السلفي ـ معجم السفر تحقيق امبرتو (ص٨٢ ـ ٨٣) .

باستقلالها في الدراسات الفقهية . ومن ذلك تتلمذ فقيه صقليه أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحصائري ، علي يد أعلام الفقه بالقيروان من أمثال أبي محمد بن أبي زيد وأبي الحسن بن بكرون ، وأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن يزيد القروي[1] . وابن الحصائرى الصقلي ، كان قد درس عليه في صقليه من أصبحوا فيما بعد يمثلون ثقافة صقليه الفقهية المستقلة كابن يونس الصقلي ، وعتيق السمنطاري ، وعتيق بن عبد الجبار الربعي الفرضي الصقلي ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

كما أن الفقيه عبد الحق الصقلي ، قد درس على علماء من القيروان ، إلى جانب شيوخه الصقليين ، كأبي بكر بن عبد الرحمن ، وأبي عمران الفاسي ، وعبد الله بن الأجدابي ، وأبي عبد الله مكي القرشي[2] . وكان الفقيه عبد الحق الصقلي كثيرا مايشير في مؤلفاته إلى أقوال شيوخه القرويين ، فقد اعتمد في كتابه « تهذيب الطالب على كتب شيوخه وأقوالهم ، ومن ذلك اعتماده على كتب ابن ابي زيد القيرواني ، مثل كتاب « النوادر » وكتاب « المختصر » ، كما أعتمد على كتب المشهورين من الفقهاء ، قال عبد الحق الصقلي : « واعتمدت في كثير من الزيادات والمقدمات على نوادر الشيخ عبد الله بن أبي زيد رحمه الله ، وعلى مختصره ، وعلى كتب مشهورة من تواليف علمائنا المتقدمين والمتأخرين ، وأضفت إلى ذلك أشياء حفظتها عن شيوخي في مجالس التدريس وتعاليق جمعتها من مواضع »[3] .

ودرس فقيه صقليه ، ابن يونس صاحب « الجامع على المدونة » بالإضافة إلى شيوخ بلده ، على شيوخ القيروان من أمثال علي بن محمد الربعي ،

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٥/٤) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكيه (ص٩٨) .

(٢) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٤/٤) ، ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٥٦/٢) .

(٣) عبد الحق الصقلي ـ تهذيب الطالب ـ مخطوط (ورقة ٢) .

المعروف باللخمي ، وأبي الحسن القابسي ، وأبي عمران الفاسي ، وعبد الحميد الهروي ، المعروف بابن الصائغ ، وقد أخذ عنهم علما كثيرا[1] . كما أن ابن يونس يذكر آراء وأقوال شيوخه من القيروان في كتابه « الجامع لمسائل المدونة » كما يشير إلى أقوال فقهاء القيروان حتى وإن لم يكونوا من شيوخه الذين درس عليهم[2] .

وكان بعض فقهاء القيروان يمثلون مصدرا من مصادر ثقافة الفقيه والمحدث الصقلي عتيق بن علي السمنطاري[3] .

وتفقه المازري الذكي ، بالشيخ عبد الخالق السيوري في القيروان[4] .

أما بالنسبة للإمام أبي عبد الله محمد بن علي المازري ، فقد درس الحديث والفقه علي بعض الشيوخ القرويين ، ومنهم علي بن محمد اللخمي[5] ، وعبد الحميد القيرواني ، المعروف بابن الصائغ[6] .

ودرس الفقيه الصقلي ، أبو بكر بن العباس على الفقيه القيرواني علي بن محمد المعافري ، المعروف بالقابسي صاحب كتاب « الملخّص »[7] . ونتج عن تلك الدراسة ، أن دخل كتاب « الملخص » إلى صقليه ، وأن الطلبة فيها يسمونه « الملخَّص » بالفتح ، على الرغم من أن مؤلفه سماه « الملِّخص » بالكسر[8] .

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٨٠٠/٤) .

(٢) ومثال ذلك ماورد في الجزء الأول (ورقة ٣١) عندما يشير إلى سحنون . وعندما يشير إلى ابن المواز في (ورقة ٣٢٥) . بغير ذلك كثير .

(٣) عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٥/٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٧٩٢/٤) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢٠٣/٣) .

(٥) المصدر نفسه (١٩٩/٣) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص١٧٧) .

(٦) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢٥/٢) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص١١٧) .

(٧) عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٦/٤) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص٩٨) .

(٨) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٢٥١ ـ ٢٥٢) .

وكذلك كان أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد اللواتي ، المعروف بالخرقي ، أحد شيوخ ابن الفحام الصقلي ، بالقيروان ، حيث كان ابن الفحام يحضر مجلسه الذي يجتمع فيها العلماء والطلاب للمناظرة(١) .

وتتلمذ كذلك أبو حفص عمر بن يوسف بن الحذاء الصقلي ، على الشيخ القيرواني اللخمي ، المذكور آنفا(٢) .

ومن مظاهر التلمذة رواية الكتب عن مؤلفيها ، بعد دراستها عليهم ، ومن ذلك نجد أن محمد بن عبد الله الصقلي ، قد روى كتاب « التبصرة » في الفقه ، وهو تعليق كبير على المدونة ، لمؤلفه الفقيه القيرواني أبي الحسن على اللخمي(٣) .

وتحدثت المصادر عن أبي عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري ، الذكي ، فذكرت أنه درس على شيوخ القيروان ، أمثال السيوري ، والخرقي(٤) ، وقد وصفه شيخه السيوري بقوله : « هو أحفظ من رأيت »(٥) .

ومن خلال كتاب ابن عقال الصقلي ، في الحديث « فوائد ابن عقال » نرى تأثير القيروان في ثقافة ابن عقال ، حيث يروي فيه ، عن أبي بكر اسماعيل بن اسحاق بن عذره(٦) ، وهو أحد فقهاء القيروان من طبقة ابن أبي زيد .

والعلاقات الثقافية بين القيروان وصقليه في مجال التصوف ، ظهرت واضحة جلية في تتلمذ أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٨/٤) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٧٧٨/٤) ، السلفي ـ معجم السفر تحقيق امبرتو (ص٦٧) .

(٣) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٧/٤) ، ابن بشكوال ـ الصلة (٦٠٥/٢) .

(٤) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٢/٤) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٧٩٢/٤) ، الدباغ ـ معالم الإيمان (٢٠٢/٣) .

(٦) ابن عقال الصقلي ـ فوائد ابن عقال ـ مخطوط (ص١) .

الصقلي ، المعروف بإمام الحقيقة وشيخ أهل الطريقة ، على شيوخ القيروان ، فقد سمع من أبي الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ ، وحبيب بن نصر الجزري ، وأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم ، وزياد بن يونس اليحصبي ، وأبي اسحاق بن ابراهيم بن أحمد السبائي ، وغيرهم من شيوخ القيروان[1] . وقد ظهرت الآثار المغربية علي مؤلفاته ، فهو ينقل كثيرا من القصص عن الصوفية ، وكراماتهم ، التي سمعها من شيوخه[2] .

وكان من أثر مؤلفات أبي القاسم الصقلي ، أن انتقد عليه ابن أبي زيد بعض ماكتبه حول كرامات الأولياء ، وألف كتابا في ذلك[3] . وهذا يمثل مظهر من مظاهر العلاقات الثقافية بين البلدين ، وذلك بأن أتسع مجال النقاش حول الموضوع ، فأنكر علماء القيروان علي ابن أبي زيد ، إنكاره على أبي القاسم الصقلي وكُتب بذلك إلى أحد الفقهاء في بغداد للحصول على رأي في الموضوع من هناك[4] .

ومن أهم مظاهر العلاقات الثقافية بين المغرب وصقليه في الدراسات الشرعية ، دخول الكتب إلى صقليه دون مؤلفيها ، ككتاب « الملخص » في الحديث ، للشيخ القابسي[5] . كما دخل « الموطأ » للإمام مالك رحمه الله إلى صقليه ، بعد أن أدخله القاضي أسد بن الفرات إلى القيروان[6] ، والذي أشار ابن مكي الصقلي أن الناس تنطقه « موطا مالك » بغير همز ، والصواب « الموطأ » بالهمز[7] .

---

(١) الدباغ ـ معالم الإيمان (١٤٤/٣) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١٤٤/٣ ـ ١٤٥) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١٤٦/٣) .

(٤) المصدر السابق نفسه (١٤٦/٣) .

(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٦/٤) .

(٦) المالكي ـ رياض النفوس (١٧٣/١) .

(٧) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٢٥١) .

كما وصل إلى صقليه كتاب « الرسالة » في اعتقاد أهل السنة ، لمؤلفه أبي محمد ابن أبي زيد القيرواني ، وهي تلك الرسالة التي ألفها سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م ، وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة ، وانتشر في سائر بلاد المسلمين ، حتى تنافس الناس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب(٢) .

ومن الكتب التي دخلت إلى صقليه كتاب « تجديد الإيمان وشرائع الإسلام » لمؤلفه أحمد بن محمد القصري(٣) ، وهو كتاب عجيب في المعجزات ويشتمل على نيف وستين جزءا ، ونظرا لأهميته أقبل الناس على قراءته في صقليه(٤) .

هذا مايتعلق بتأثير المغرب على صقليه في مجال الدراسات الشرعية ، وهو تأثير أتخذ مظاهر عدة ، تمثلت في انتشار المذهب المالكي بها ، وذلك بدخول اتباعه والحفاظ له إلى صقليه ، وعملهم على انتشاره ، وكذلك دراسة عدد من العلماء الصقليين على شيوخ المغرب ، تلك الدراسة التي نتج عنها ارتباط ثقافي بين التلميذ وأستاذه ، فاعتمد التلاميذ أقوال شيوخهم ، واعتمدوا على مؤلفاتهم . وكذلك دخل مجموعة من الكتب من القيروان إلى صقليه دون مؤلفيها ، واستفاد منها الصقليون ونقلوا عنها .

---

(١) الدباغ ـ معالم الإيمان (١١١/٣) .

(٢) أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد التميمي القصري ، كان رجلا صالحا ، ثقة ، كثير السماع . توفي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م .
المالكي ـ رياض النفوس (١٩٧/٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١٩٨/٢) .

والملاحظ أن الدراسات الشرعية في صقليه وخاصة الفقهية قد تركزت بفعل تأثير القيروان على صقليه ، حول دراسة المذهب المالكي ، والتأليف فيه ، وشرح مصادره واختصارها وتهذيبها ، والاستدراك عليها .

أما فيما يتعلق بتأثير القيروان على صقليه في مجال اللغة ، فلم يكن ذلك التأثير كبيرا ، وهذا عامل من عوامل تأخر ظهور مدرسة صقليه اللغوية ، مما جعل ابن حوقل ينتقد ـ وهو يتحدث عن اللحن في صقليه ـ أحد خطبائها الذين استمر يخطب الناس حولين كاملين ، وهو يجزم الأسماء مع الصلة ، ويجر الأفعال من أول الخطبة إلى آخرها ، ولم يعترض عليه أحد[1] . وهذا لايعني خلو تلك الفترة ـ أي في القرن الرابع الهجري ـ من لغويين ونحاه ، وفدوا إلى صقليه ، ومن هؤلاء أبو سعيد بن غورك ، أحد العلماء في اللغة والنحو ، الذي أصطحبه معه ابن الأغلب ابراهيم بن عبد الله ، والي صقليه ، وأكرمه فأغناه وأغنى عقبه[2] . وممن صحب ابراهيم الأغلبي كذلك اسماعيل بن يوسف القيرواني ، المعروف بالطلاء المنجم[3] ، وهو نحوي من أهل القيروان .

ومن صور تأثير القيروان اللغوي في صقليه ، أن ابن البر اللغوي الصقلي درس اللغة على اللغوي القيرواني محمد بن جعفر القزاز ، واستشهد بكلامه ، ابن مكي الصقلي تلميذ ابن البر اللغوي ، وذلك في كتابه « تثقيف اللسان »[4] .

---

(١) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص١٢١) .

(٢) الزبيدي ـ طبقات النحويين واللغويين (ص٢٣٠) .

(٣) القفطي ـ انباه الرواه (٢٤٨/١ ـ ٢٤٩) .

(٤) ابن مكي ـ تثقيف السان (ص٨٤) ، ابن دحيه ـ المطرب (ص٨٨) .

وظهر تأثير القيروان على صقليه في مجال اللغة أيضا بعد قدوم ابن رشيق القيرواني اليها ، وظهر ذلك التأثير واضحا في كتاب ابن مكي « تثقيف اللسان » ، حيث نجد أنه اعتمد على كثير من أقوال ابن رشيق القيرواني ، واستشهد ببعض أبياته الشعرية التي تؤيد كلامه ، ومن ذلك استشهاده ببيتين من الشعر قالهما ابن رشيق في مدح صقليه ، وذلك للدلالة على معنى اسم « صقليه »(١) .

كما نجد أن اسم ابن رشيق القيرواني كثيرا مايتكرر في كتاب « تثقيف اللسان » بأن يقول مؤلفه : قال ابن رشيق ، أو قال لي ابن رشيق(٢) .

ومن الذين استفادوا من ابن رشيق القيرواني اثناء وجوده في صقليه ، عبد الكريم بن عبد الله المقرىء الصقلي ، الذي قال : « وقد رأيت أبا بكر بن البر ، وأبا علي ابن رشيق واستفدت منهما »(٣) .

أما عن تأثير المغرب في مجال الأدب على صقليه ، فتمثل في دخول عدد من الأدباء إلى صقليه ، ومنهم الشاعر مجبر بن ابراهيم بن سفيان ، الذي خرج ليتولى قيادة العسكر بمسيني وقلوريه ، ثم أسره الروم ، وشعره الذي أوردته المصادر يظهر فيه الغربة والحنين إلى وطنه ، ويطلب من الله أن ينجيه ، كما نجي نبيه يوسف من الجبّ ، وفرج عن أيوب الضر ، وخلّص ابراهيم من النار(٤) .

---

(١) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٨٦ ـ ٨٧) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ص٦٦ ـ ٨٧ ـ ١٥٠ ـ ٢٧٧) .
(٣) السلفي ـ معجم السفر تحقيق امبرتو (ص٨٦) .
(٤) ابن الآبار ـ الحلة السيراء (١/١٨٥ ـ ١٨٦) .

كما قدم عدد من الشعراء والأدباء إلى صقليه من المغرب ، ذلك لما عهدوه من امرائها من رعاية للعلماء والأدباء ، وخاصة ثقة الدولة وأولاده ، ومن هؤلاء الأديب والشاعر ابن المؤدب(١) ، ومحمد بن عبدون السوسي(٢) ، وابن قاضي ميله(٣) .

وهاجر الشاعر المغربي الحسن بن علي الكاتب المعروف بابن زنجي(٤) ، إلى صقليه ، وظل بها إلى أن توفي(٥) . وكذلك هاجر إليها عبد الله بن محمد البغدادي الذي قال عنه ابن رشيق أن له في الشعر : « طريق خارجة عن طرقات أهل العصر تعالياً وتغاليا ، جاهلي المرمى ، ملوكي المنتمى ، يخاله السامع فحلاً يهدر وأسدا يزأر ... »(٦) .

ووفد إلى صقليه ، الشاعر عبد الكريم بن فضال القيرواني الحلواني(٧) ، وأتصل بالشيخ ابراهيم بن محمد الكناني الشامي ، صاحب ديوان الخمس بصقليه ، ومدحه بقصيدة(٨) .

وكان لقدوم ابن رشيق القيرواني إلى صقليه ، أثره المباشر في الأدب إلى جانب تأثيره في اللغة ، فهو صاحب كتاب « العمدة في صناعة الشعر ونقده »

---

(١) ابن رشيق ـ الأنموذج (ص١٧٧) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٥٧/٦ ـ ١٥٨) .

(٢) ابن رشيق ـ الأنموذج (ص٣٩٠) ، التجاني ـ الرحلة (ص٣٨) .

(٣) ابن رشيق ـ الأنموذج (ص٢٠٩) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (١٥٩/٦) .

(٤) كان شاعرا بارعا ، من بيت كتابه ورئاسة وعلم ، وتوفي في صقليه سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م .
ابن رشيق ـ الأنموذج (ص١١١) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص١١١ ـ ١١٢) .

(٦) المصدر السابق نفسه (ص٢٠٤ ـ ٢٠٥) .

(٧) ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٢٨٤/٧) .

(٨) المصدر السابق نفسه (٢٩١/٧) .

الذي قال عنه القفطي : « وهو أجل كتبه وأكبرها[١] » ، وكان ابن رشيق قد قرأه بصقليه لأميرها ابن منكود الحسن بن عمر ، حيث استقر عنده ابن رشيق بمدينة « مازر »[٢] ، كما وصف الكتاب المذكور بأنه : « اشتمل على مالم يشتمل عليه تصنيف من نوعه ، وأحسن فيه مؤلفه غاية الأحسان »[٣] . وأنه « تاج الكتب المصنفة في هذا النوع »[٤] ، ولم يغفل ابن خلدون عن الاشارة إلى الكتاب المذكور عند حديثه عن صناعة الشعر وتعلمه فقال : « وهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق ، ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البغية من ذلك »[٥] . وكان من نتائج دخول ابن رشيق إلى صقليه ، وكتابه « العمدة » أن قام عثمان بن علي الخزرجي الصقلي ، باختصار كتاب « العمـدة » في كتاب « مختصر عمدة ابن رشيق[٦] » أو « العدة في اختصار العمدة »[٧] ، حيث زاد فيه أبوابا أخل بها ابن رشيق وهي زيادة واقعة موقعها من التصنيف[٨] .

وظهر تأثير ابن رشيق في مجال الأدب من خلال كتاب ابن مكي الصقلي « تثقيف اللسان » حيث استرشد بآراء ابن رشيق النقدية في شعر فحول العرب كالمتنبي ، وجميل بثينة ، وكثير عزه[٩] .

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (٣٣٨/٣) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٣٣٨/٣) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٣٣٩/٣) .

(٤) المصدر السابق نفسه (٣٣٩/٣) .

(٥) ابن خلدون ـ المقدمة (ص٥٧٥) .

(٦) القفطي ـ انباه الرواه (٣٤٣/٢) .

(٧) بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي (٣٤٤/٥) .

(٨) القفطي ـ انباه الرواه (٣٤٣/٢) .

(٩) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٦٦ ـ ١٥٠ ـ ٢٧٧) .

ومن مظاهر تأثير ابن رشيق في صقليه ، تلك المكاتبات والرسائل المتبادلة بينه وبين أدباء صقليه ، فقد ذكر العماد الأصفهاني أن الأديب الصقلي على بن أبي اسحاق بن ابراهيم المعروف بابن الوداني ، كان بينه وبين ابن رشيق مكاتبات(١) .

وقال أبو عبد الله الصفار الصقلي : « كنت ساكنا بصقليه واشعار ابن رشيق ترد علي ، فكنت أتمنى لقاءه ، حتى قدم علينا الروم ، فخرجت فارا بمهجتي ، تاركا لكل ماملكت يدي ، وقلت اجتمع مع ابي علي فرقّة شمائله ، وطيب مشاهده ، سيذهب عني بعض ما أجد من الحزن على مفارقة الأهل والوطن ، فجئت القيروان ، ولم أقدّم شيئا على الوصول إلى منزله ، فأستأذنت ودخلت ، وأخذت بيدي ، وجعل يسألني ، فأخبرته أمري »(٢) .

وكذلك الحال بالنسبة لأبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن الصباغ الكاتب ، فقد كان بينه وبين ابن رشيق مراسلات ، حيث كتب إليه ابن رشيق عند وصوله من القيروان إلى مازر في أول رساله شعرا ، وأجابه ابن الصباغ على ذلك بالشعر أيضا(٣) .

كما كان لدخول ابن شرف القيرواني(٤) ، إلى صقليه أثره على الدراسات الأدبية بها ، فقد كان ابن رشيق القيرواني ضمن شعراء البلاط

---

(١) العماد ـ الأصفهاني ـ الخريدة (١/٨٢ ـ ٨٣) .

(٢) ابن بسام ـ الذخيرة (٥٩٩/٨ ـ ٦٠٠) ، ابن ظافر ـ بدائع البدائه (ص٣٠٥) .

(٣) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/٨٣ ـ ٨٤) .

(٤) أبو عبدالله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي ، القيرواني ، شاعر كاتب ، ناقد . وصفه ابن بسام بقوله : « من فرسان هذا الشان ، وأحد من نظم قلائد الآداب ، وجمع أشتات الصواب ، وتلاعب بالمنظوم والمنثور تلاعب الرياح بأعطاف الغصون » . توفي سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م . ابن بسام ـ الذخيرة (١٦٩/٧) ، ياقوت ـ معجم الأدباء (٢٧/١٩) ، محمد كرد علي رسائل البلغاء (ص٣٠٢) .

الأدبي للمعز ابن باديس وقد امتدحهما ابن خلدون عند حديثه عن اللسان العربي ، وقصور بعض الأمصار في تحصيل هذه الملكة اللسانية ، فذكر أهل افريقيه والمغرب وأشار إلى أن أشعارهم بعيدة عن الملكة ، إلا ماكان عليه ابن رشيق وابن شرف ، فقال : « ولهذا ماكان بافريقية من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيق وابن شرف »[1] .

وكان بين ابن رشيق وابن شرف مهاجاه ومنافره في القيروان ، انتقلت إلى صقليه ، وفيها تم الصلح بينهما[2] .

ولابد أن يكون لمؤلفات ابن شرف القيرواني ، أثرها في صقليه ، وإن لم نعثر في المصادر على ذكر لذلك التأثير ، فمن مؤلفاته « أعلام الكلام » وكتاب « أبكار الأفكار » وقد امتدحها ابن بسام بقوله « وهي مؤلفات أفاضها بحارا ، وأطلعها شموسا وأقمارا[3] . ويقول احسان عباس عن أثر المدرسة النقدية الإفريقية التي أنشأها ابن رشيق ، وابن شرف ، في الأدب الصقلي ، أن ذلك التأثير كان واضحا ، وأن تأثير افريقية يفوق تأثير المشرق ، وإن تسرب منه شيء إلى صقليه ، وأصبح كتاب « العمدة » لابن رشيق يمثل النظرية النقدية التي هي مطمح كل شاعر يريد أن يصل إلى مستوى عال من الجودة ، ولذلك فإن شعراء صقليه كانوا يترفعون عن الهجاء تجنبا للذم ، ومنهم ابن حمد يس الذي كتب عدة قصائد يفتخر فيها بتعاليه عن التورط في الهجاء[4] .

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة (ص٥٦٥) .

(٢) عبده قلقيه ـ البلاط الأدبي للمعز بن باديس (ص١٨١) .

(٣) ابن بسام ـ الذخيرة (١٧١/٧) .

(٤) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص١٩٠ ـ ١٩١) .

كما كان من تأثير مدرسة القيروان النقدية على الشعر في صقليه ، اقرار تأثير البيئة على الأدب ، وتفريقها بين الذوق الحضري والبدوي[1] .

وفيما يتعلق بتأثير علماء صقليه في المغرب ، فإن ذلك التأثير بدأ اثناء الوجود الإسلامي بجزيرة صقليه ، ولكن أتضحت معالمه ، مع بداية الغزو النورمندي لجزيرة صقليه ، ومن ثم ضياعها ، عندما خرج منها عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء واستقروا في البلاد الإسلامية الأخرى ومنها المغرب ، وفي ذلك يقول ابن الأثير وهو يتحدث عن النسبة إلى « الصقلي » : « خرج منها خلق كثير العلماء »[2] ، كما تحدث ابن الخطيب عن خروج علماء صقليه منها بعد سقوطها في ايدي النورمان فقال : « وكان من جلة من انتقل عنها عند الحادثة ، الشرفاء المستقر بعضهم بمدينة فاس ... ومن الفقهاء والقضاه والمحدثين جملة ... ومن الكتاب والبلغاء والشعراء المفلقين ... »[3]

وقد اتخذ تأثير علماء صقليه في المغرب صورا عدة منها التلمذة وهجرة الكتب ودراستها وشرحها والاستدراك عليها ، وخلاف ذلك . فهذا أبو محمد عبد القادر بن محمد الصدفي ، المعروف بابن الحناط قد تتلمذ علي فقهاء صقليه أمثال الفقيه عبد الحق الصقلي[4] . كما روى عن الفقيه الصقلي عبد الجليل بن مخلوف[5] . وكذلك درس أحد فقهاء افريقيه وهو محمد بن عباس الأنصاري المعروف بالخواص ، على يد فقهاء صقليه ، كأبي بكر بن أبي العباس ، وأبي القاسم الصقلي ، المعروف بابن الفحام[6] .

(١) المرجع السابق نفسه (ص١٩١) .

(٢) ابن الأثير ـ *اللباب في تهذيب الأنساب* (٢/٢٤٥) .

(٣) ابن الخطيب ـ أعمال الأعمال (٣/١٣٢ ـ ١٣٣) .

(٤) ابن بشكوال ـ الصلة (٢/٣٩٢ ـ ٣٩٣) .

(٥) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧٧٦) .

(٦) المصدر السابق نفسه (٤/٧١٠) .

وسمع أحد علماء سبته ، وهو عبد الرحيم بن أحمد الكتامي ، المعروف بابن العجوز ، سمع من أحد علماء صقليه ، وهو عبد الملك بن الحسن الصقلي[1] .

ودخل إلى صقليه أحد علماء المغرب ومات بها ، وهو سعيد بن يحى المعروف بابن الفرا ،ودرس على علمائها[2] .

ودرس الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري في صقليه ، حيث أخذ العلم والحديث عن الفقيه الصقلي ، أبو محمد المعروف بابن صاحب الخمس وأشار القاضي عياض ، إلى أن أبا القاسم عبد الرحمن المعافري ، كان يثني كثيرا عليه ، وأنه حدّث عنه وأخذ عنه[3] .

وفي مجال اللغة كان لصقليه ومدرستها اللغوية تأثير على المغرب ، فقد خرج بعض طلبة العلم منها إلى صقليه للدراسة على شيوخها ، كما فعل علي إبن عبد الجبار اللغوي التونسي ، بخروجه إلى مدينة « مازر » للإلتقاء بشيخ اللغة فيها ابن البرّ الصقلي ، حيث قال ابن عبد الجبار : « رأيت أبا بكر محمد إبن علي بن البرّ الغوثى الصقلي بمدينة مازر من جزيرة صقليه ، وكنت على أن أقرأ عليه ، لما أشتهر من فضله وتبحره في اللغة »[4] . ولكن بسبب فعلة ابن البرّ من شربه للخمر ، وإخراج ابن منكود له من مدينة « مازر » لم يتمكن علي إبن عبد الجبار من الدراسة عليه ، فدرس على تلميذه أبي القاسم ابن القطّاع الصقلي ، الذي قال عنه علي بن عبد الجبار : « ولم أر قط أحفظ للعربية واللغة من أبي القاسم بن القطاع الصقلي ، وقرأت عليه كثيراً »[5] .

(١) المصدر نفسه (٤/٧٢٠) .

(٢) نفسه (٤/١٣٠) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٤/٧٧٦) .

(٤) السلفي ـ معجم السفر تحقيق امبرتو (ص٩٣ ـ ٩٤) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص٩٤) .

وفي مجـال الشعر نجـد أن أبا الطاهر اسماعيل التجيبي صاحب كتاب « شرح المختار من شعر بشار » يستشهد بشعر ابن الخياط الربعي الصقلي فيكرر عبارة « أنشدنيه » أو « أنشدني »[1] . كما كان أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي البشر الصقلي ، مؤدبا لأبي الطاهر التجيبي[2] ، وهو والد الشاعر الصقلي البلنوبي . وكذلك التقى أبو الطاهر التجيبي بأحد شعراء صقليه ونقل عنه حيث ورد في كتابه « شرح المختار » مايفيد بأنه كان على علاقة أدبية مع أبي الحسن الطوبي الكاتب ، الذي قال عنه : « أنشدني بديها »[3] .

ومن مظاهر العلاقة الثقافية بين صقليه وافريقيه ، دخول المؤلفات الصقلية اليها واستفادة طلبة العلم منها ، والتنافس في اقتنائها ، ومن ذلك ماذكره القاضي عياض عن كتاب « الجامع على المدونة » لابن يونس الصقلي ، فقد كان : « عليه اعتماد الطالبين بالمغرب للمذاكرة »[4] . وقال ابن فرحون عن الكتاب المذكور : « وعليه اعتماد طلبة العلم للمذاكرة ، وأول من أدخله مدينة « سبته » الشيخ أبو عبد الله محمد بن خطاب ، فانتسخه منه القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، وكان يعرف به في مجلسه ، حتى كثر عند الناس »[5] .

كما أن القاضي عياض قد نقل من مؤلفات فقيه صقليه ومحدثها عتيق ابن علي السمنطاري ، مما يدل على أن مؤلفاته قد دخلت المغرب وانتفع بها

---

(١) وردت العبارتان السابقتان بكثرة في شرح المختار من شعر بشار من ذلك مثلا ماورد في ص (٥/١٠/٢٢/٤١/٤٥/٤٦/٦٠/٦٢/٦٣/٧٦/٧٧/٩٣/١٤٧/١٦٦) .

(٢) التجيبي ـ شرح المختار من شعر بشار (ص١٤٥) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص٢٣٥) .

(٤) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٨٠٠) .

(٥) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٢/٢٤٠ ـ ٢٤١) .

أهله[١] . كما ذكر القاضي عياض أن الإمام المازري قد كتب اليه يجيزه في كتابه « المعلم بفوائد مسلم »[٢] مما يترتب على تلك الاجازة الاستفادة من ذلك الكتاب .

ومن صور العلاقات الثقافية بين المغرب وصقليه ، استقرار بعض علماء صقليه في المغرب بعد استيلاء النورمان عليها ، ومن هؤلاء عمر بن خلف بن مكي الصقلي صاحب كتاب « تثقيف اللسان » فقد استقر في افريقيه ، وتولى قضاءها بعد سقوط صقليه[٣] .

وهاجر إلى افريقيه أبو الحسن علي بن الحسن بن الطوبي ، وأتصل بالمعز بن باديس وامتدحه . قال العماد الأصفهاني : « وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه ، وله فيه قصيدة رصع بها ديوانه »[٤] .

كما استقر شاعر صقليه ابن حمديس الصقلي ، في افريقيه ، بعد القضاء على المعتمد بن عباد ، وطالت اقامته بها التى استمرت أكثر من ثلاثة وأربعين عاما ، أتصل فيها بأمراء بني زيري وامتدحهم ، وامتدح وقفاتهم تجاه صقليه[٥] . وروى بعض من التقى بهم أثناء اقامته في افريقيه ، شعره ومن هؤلاء عبد الله بن عبد الحق التونسي ، الذي التقى به في تونس[٦] . وعلي بن عبد المعطي القلعي[٧] ، كما كان بين ابن حمد يس الصقلي ، والشاعر المشهور

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٠٢/٤) ، تقي الدوري ـ صقليه وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص٢٠٢) .

(٢) عياض ـ الغنية (ص٦٥) .

(٣) ابن خلدون ـ العبر (٢٦٩/٤) .

(٤) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (ص٧٢) .

(٥) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص٢٣٩) ، سعد شلبي ـ إبن حمديس شاعرا (ص٥) .

(٦) السلفي ـ معجم ـ السفر تحقيق امبرتو (ص٧٠) .

(٧) المصدر السابق نفسه (ص٩٠) .

أبي الصلت[1] ، رسائل شعرية في المغرب[2] .

ثانياً : العلاقات الثقافية مع الأندلس :

أوردت لنا المصادر ثبتا بعدد من العلماء الصقليين الذين وفدوا على الأندلس وكان لهم دور في الحياة الثقافية فيها . كما وردت معلومات عن عدد من العلماء الأندلسيين الذين وفدوا إلى صقليه والتقوا بعلمائها ، مما كان له أكبر الأثر في إثراء الحياة العلمية بها ، وقد يكون التلاقي بين علماء البلدين على غير أرضيهما ، فقد يكون في مكة ، أو المغرب ، أو مصر .

ومن العلماء الذين هاجروا من الأندلس إلى صقليه في فترة الوجود الإسلامي بها ، أبو الوليد سعيد بن شعبان بن قره ، والذي توفي في صقليه سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م ، واشتهر بأنه كان ثقة ، كثير الكتب ، ضابطاً لما كتب[3] . كما هاجر أبو عمران موسى بن اصبغ المرادي القرطبي ، إلى صقليه ، وهو ذلك العالم البصير باللغة والإعراب ، الذي نظم المبتدأ في ثمانية آلاف بيت[4] .

ورحل إلى صقليه أبو حفص عمر بن حسن بن عبد الرحمن الهوزني الأشبيلي ، وهو صاحب صلاة الجماعة بقرطبة ، ومكث فيها مدة أربع سنوات فيما بين سنتي ٤٤٠ ـ ٤٤٤هـ/١٠٤٨ ـ ١٠٥٢م[5] ، والتقى بعلماء صقليه ،

(١) أبو الصلت اميه بن عبد العزيز بن أبي الصلت ، من أهل اشبيليه وسكن المهدية ، وهو علامة فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، له مؤلفات في الطب ، والأدب ، والتاريخ ، توفي سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م . ابن الأبار ـ تحفة القادم (ص٩) ، البلفيقي ـ المقتضب (ص٣) .

(٢) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١٩٤/٢) .

(٣) ابن الفرضي ـ تاريخ علماء الأندلس (١٦٣/١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (١٤٩/٢) ، السيوطي ـ بغية الوعاه (٣٠٦/٢) .

(٥) ابن بسام ـ الذخيرة (٨١/٣) ، ابن بشكوال ـ الصلة (٤٠٢/٢) .

وروى في رحلته هذه كتاب الترمذي في الحديث[١] .

ومن العلماء الأندلسيين الذين رحلوا إلى صقليه للدراسة على شيوخها ، خلف بن ابراهيم القرطبي ، المعروف بابن الخصار المقرىء ، فقد درس علي أحد أعلام صقليه في القراءات وهو محمد بن علي الأزدي ، المعروف بابن نبت العروق ، ودرس الفقه على الفقيه الصقلي عبد الحق ، ثم عاد وتصدر للإقراء في المسجد الجامع بقرطبه[٢] .

والتقى أحد علماء الأندلس أثناء رحلته للحج ، بعلماء من صقليه ، فقد خرج أبو محمد عبد الله بن خلف بن بقي القيسي ، للحج ، ودرس على ابن الفحام الصقلي ، القراءات في الإسكندرية ، كما سمع منه كتاب « الشهاب » للقضاعي ، عن مؤلفه ، وكتاب « غريب القرآن » لابن عزيز ، عن عبد الباقي بن فارس ، ثم عاد إلى بلده وتصدر للإقراء بها[٣] .

وورد في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر بن قطري الزبيدي النحوي الإشبيلي أنه كان له رحلات إلى كثير من البلدان ، ومنها صقليه[٤] . كما أنه التقى في مصر بالفقيه عبد الحق بن هارون الصقلي وأخذ عنه[٥] ، وبمكة بأبي الحسن الصقلي[٦] .

كما ذكر ابن الآبار عند ترجمته لابن عظيمه محمد بن عبد الرحمن العبدي الإشبيلي ، أنه رحل حاجا ، والتقى في المهدية بأبي عبد الله الإمام

---

(١) ابن بسام ـ الذخيرة (٨٢/٣) ، عياض ـ ترتيب المدارك (٨٢٦/٤) .

(٢) عياض ـ الغنية (ص١٤٧) ، ابن بشكوال ـ الصلة (١٧٤/١) .

(٣) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٨٢٧/٢ ـ ٨٢٨) .

(٤) عياض ـ الغنية (ص٧٦) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٧٦ ـ ٧٧) .

(٦) المصدر نفسه (ص٧٧) .

المازري ، وأخذ عنه ، وفي الإسكندرية بأبي القاسم عبد الرحمن ابن الفحام الصقلي وأخذ عنه[1] .

وذكر ابن بشكوال في صلته ، أن سليمان بن حارث بن هارون الفهمي السرقسطي كانت له رحلة إلى المشرق ، وحج فلقي فقيه صقليه عبد الحق[2] . كما ذكر أن سليمان بن يحى بن عثمان بن أبي الدنيا القرطبي ، قد صحب أبا محمد عبد الحق بن هارون الصقلي بمكة ومصر وأخذ عنه كثيرا[3] .

وأورد ابن الآبار في تكملته أن محمد بن سعيد الميورقي قد رحل حاجا فأدى الفريضة في سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م ، وصحب في رحلته عبد الحق الصقلي وأخذ عنه مؤلفاته ، وعندما عاد إلى ميورقة جلس لإقراء الفقه والأصول[4] .

كما التقى أبو جعفر أحمد بن محمد بن الحسن بن خلف الأموي وهو من أهل دانيه ، بشيخ صقليه ابن الفحام الصقلي ، ونقل عن ابن الفحام مايرويه عن أبي محمد عبد الحق الصقلي ، من « أن السنّة التوقّف بين التكبيرتين عند الأذان للصلاة »[5] .

ومن مظاهر العلاقات بين الأندلس وصقليه ، أن كتاب « التقريب » لمؤلفه خلف بن يوسف البلنسي المعروف بالبريلي ، قد دخل إلى صقليه[6] ، وهو كتاب عبارة عن شرح للمدونة[7] . قيل فيه : « من أراد أن يكون فقيها من ليلته

(١) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (١/٤٤٥ ـ ٤٤٦) .

(٢) ابن بشكوال ـ الصلة (١/٢٠٢ ـ ٢٠٣) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١/٢٠٣) .

(٤) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (١/٣٩١) .

(٥) المصدر السابق نفسه ـ طبعة الجزائر (ص١٠٦ ـ ١٠٧) .

(٦) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (١/٣٥٢) .

(٧) المصدر السابق نفسه (١/٣٥٢) .

فعليه بكتاب البريلي[1] ، ومما يدل على أهمية الكتاب أن الفقيه عبد الحق الصقلي أراد شرائه فلما لم يتيسر له ثمنه ، باع حوائج من داره فاشتراه[2] .

ومن الكتب التي دخلت إلى صقليه من الأندلس كتاب « لحن العامه » لمحمد بن الحسن الزبيدي ، وهو الكتاب الذي تناول فيه الأخطاء الشائعة في الأندلس ، وقد كان لدخوله إلى صقليه أثره لدى ابن مكي الصقلي صاحب كتاب « تثقيف اللسان » الذي نبه فيه على أخطاء أهل صقليه . حيث قال ابن مكي الصقلي : « وكذلك غلط أهل الأندلس ، ربما وافق غلط أهل بلدنا ، وربما خالفه »[3] . ثم استشهد ببعض أقوال الزبيدي في اغلاط أهل الأندلس[4] .

ومن مظاهر الاتصال الثقافي بين صقليه والأندلس ، أنه خرج إلى الأندلس علي بن عثمان الحسين الربعي الصقلي ، ودخل قرطبه للتجارة ، وروى بها كتاب « اللمع في أصول الفقه » لمؤلفه عبد الله بن الحسن بن حاتم الأزدي ، حيث رواه عنه أبو علي الغساني ، عن أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المالكي ، عن الأزدي مؤلفه[5] .

ودخل إلى الأندلس أيضا ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصقلي ، الملقب ب « القناد » و « الفتال »[6] ، وفي غرناطه روى كتاب « التبصرة » في

---

(١) ابن بشكوال ـ الصلة (١/١٦٩) .

(٢) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (١/٣٥٢) .

(٣) ابن مكي ـ تثقيف اللسان (ص٤٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص٤٤) .

(٥) ابن بشكوال ـ الصلة (٢/٤٣٢) .

(٦) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق اميرتو (ص٦٧) و (ص٨٥) .

الفقه لمؤلفه أبي الحسن اللخمي ، ومكث بها إلى أن توفي سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م[١] .

وكان لقدوم العباس بن عمرو بن هارون الصقلي ، المعروف بالوراق إلى الأندلس أثره في الناحية الثقافية ، فقد أصبح من جملة الوراقين لدى الحكم بن عبد الرحمن الأموي[٢] ، كما أن ابن الفرضي صاحب كتاب « تاريخ علماء الأندلس » قد كتب ونقل عنه ، حيث قالت : « وكتبت أنا قطعة من حديثه[٣] ، كما أنه روى كتاب « غريب الحديث » لمؤلفه قاسم بن ثابت السرقسطي ، عن ابيه ثابت ، عنه[٤] . وقد رواه عنه يونس بن عبد الله بن مغيث ، المعروف بابن الصفار[٥] .

وقدم إلى الأندلس ، أبو بكر محمد بن سابق الصقلي ، وأخذ عنه أهل غرناطة . وكان من الذين درسوا على يديه ، أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي ، الغرناطي ، المعروف بابن القصير[٦] ، وأحمد بن محمد الجذامي ، المتكلم الزنقي ، الذي أخذ عنه علم الأصول ، ثم أصبح شيخ المتكلمين في وقته[٧] .

ومن الوافدين إلى الأندلس ، أبو الحسن على بن حمزه الصقلي ، الذي دخل اليها قبل سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م[٨] . وأخذ عنه علماء الأندلس ومنهم الحميدي صاحب كتاب « جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس » وكان مما

---

(١) ابن بشكوال ـ الصلة (٢/٦٠٥) .

(٢) ابن الفرضي ـ تاريخ علماء الأندلس (١/٢٩٩) .

(٣) المصدر السابق نفسه (١/٢٩٩) .

(٤) الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص٣١٧) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص٤٣٠) .

(٥) المصدران السابقان (ص٣١٧ ـ ٣١٨) ، (ص٤٣٠ ـ ٤٣١) .

(٦) ابن بشكوال ـ الصلة (١/٧٩) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص١٧١) .

(٧) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (١/٣٨ ـ ٣٩) .

(٨) الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص٣١٢) ، ابن بشكوال ـ الصلة (٢/٤٣١) .

نقله عنه ماأنشده في حلقته في الوعظ :

عـــاتبت قلبي لما رأيت جسمي نحيلا
فالزم الذنب طرفي وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي بل أنت كنت الدليلا
فقلت كفا جميعا تركتماني قتيلا[1]

ومن مظاهر العلاقات الثقافية بين الأندلس وصقليه ، التقاء طلاب العلم من الأندلس بالعلماء الصقليين ، والدراسة عليهم وحمل مؤلفاتهم بالإجازة ، ومن ذلك ، أن أحمد بن طاهر بن علي الأنصاري الخزرجي ، وهو من أهل « بلنسيه » قد أخذ عن الإمام أبي عبد الله المازري علما كثيرا في « المهدية » وعاد إلى بلده[2] .

وبعد عودة إبراهيم بن محمد القرطبي من رحلته للحج ، التقي بأبي عبد الله المازري في « المهدية » ، وأخذ عنه كتابه « المعلم بفوائد مسلم » وعاد به إلى بلده[3] .

كما التقى أبو عبدالله محمد بن عيسى ، قاضي « شلب » بالإمام المازري ، وصحبه مدة ثلاثة أعوام وأخذ عنه علما كثيرا[4] ومن أهل غرناطه نجد أن أبا الحسن المعروف بالمقري الغرناطي قد أخذ عن الإمام المازرى ، ودرس عليه[5] .

---

(١) الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص٢١٢) .
(٢) ابن الأبار ـ التكملة لكتاب الصلة طبعة مجريط (ص٥٥ ـ ٥٦) .
(٣) المصدر السابق نفسه ـ طبعة الحسيني (١/١٥٤) .
(٤) المقري ـ نفح الطيب (٣/٤٠٣) ، مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص١٤٣) .
(٥) المصدر السابق نفسه (ص١٤٥) .

وممن أخـذ من أهل الأندلس بالإجـازة عن الإمـام المازري ، أحـمـد بن محمد بن إبراهيم بن خلصه الحميري ، وهو آخر من حدث عن المازري في الأندلس[١] .

ومنهم عثمـان بن سعيد الأنصاري[٢] . ومـحـمـد بن خلف بن صاعـد الغسـاني قـاضي « شلب » ، الذى روى بالأندلس مـؤلفـات الإمـام المازري جميعها[٣] .

وأجاز الفقيـه الصقلي عبد الحـق بن هارون ، جميع رواياته ومؤلفاته لعبد الرحمن بن سعيد بن هارون المقرىء السرقسطي ، الذي أقرأ الناس في المسجد الجامع بقرطبه وأخذوا عنه علمه[٤] .

ودرس أحمد بن محمد بن خلف بن محرز الأنصاري الشاطبي الأندلسي على أحـد علمـاء صـقليه ، وهو علي بن مـحـمـد بن حمـوش الصـقلي ، وكـان الأنصاري الشاطبي قد ألف كتابا في القراءات سماه « المقنع »[٥] .

وكان لتتلمذ محمد بن عبد الرحمن الأشبيلي ، على ابن الفحام الصقلي في علم القراءات أثره في الأندلس ، فقد أصبح الاشبيلي أستاذاً لعلم القراءات في « أشبيليه » ، ونظم أرجوزه في القراءات[٦] .

وروى يحى بن سعـدون القـرطبـي عن ابن الفحـام الصقـلي كتـاب « التجـريد » في القراءات ، وكان قد درسه عليه[٧] .

---

(١) ابن الآبار ـ التكملة طبعة مجريط (ص١٢٥) ، المراكشي ـ الذيل والتكملة (١/٣٩٤ ـ ٣٩٥) .

(٢) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (ص١٨٩) .

(٣) مخلوف ـ شجرة النور الزكية (ص١٤٢) .

(٤) ابن بشكوال ـ الصلة (٢/٣٥١) .

(٥) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة طبعة مجريط (ص٣٤) .

(٦) ابن الجزري ـ غاية النهاية (٢/١٦٦) ، الذهبي ـ معرفة القراء (٢/٤١١) .

(٧) ابن الزبير ـ الصلة (ص١٧٧) ، ابن الجزري ـ غاية النهاية (٢/٣٧٢) .

ودرس أحد علماء الأصول والكلام الأندلسيين على علماء صقليه ، فهذا محمد بن موسى بن عمار الكلاعي الميورقي ، درس على الفقيه الصقلي أحمد الجزار ، وأبي محمد المعروف بابن صاحب الخمس ، وعلى الفقيه أبي محمد عبد الحق الصقلي[1] . وامتدح الميورقي شيوخه وأثنى عليهم . وألف بعد ذلك كتاب « الاعلام »[2] .

ومن مظاهر العلاقات الثقافية بين الأندلس وصقليه ، دراسة بعض علماء صقليه على علماء الأندلس ، ومن ذلك ماذكرته المصادر أن أبا عبد الله محمد ابن مسلم بن محمد بن أبي بكر المازري ، قد درس الحديث على أبي بكر محمد الطرطوشي[3] .

ومن العلاقات الثقافية بين الأندلس وصقليه في مجال اللغة ، فقد كان أهم حدث فيها هجرة جعفر بن علي الصقلي ، ـ والد ابن القطاع اللغوي المشهور ـ إلى الأندلس ، وهو عالم باللغة والأدب والشعر . وروى بها كتاب « غريب القرآن » لأبي بكر بن عزيز ، حيث سمعه منه أبو داود المقرىء الأندلسي مرتين احداهما سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م[4] ، ولم تشر المصادر إلى تاريخ الأخرى .

واستقبلت الأندلس شيخ اللغة بصقليه ابن البر الصقلي ، وذلك في سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م[5] . ولم تشر المصادر إلى جهوده فيها ، إلا أنه من طبائع الأمور أن يستفاد من مثل ابن البّر اللغوي ، وهو مؤسس مدرسة صقليه اللغوية المستقلة ، وصاحب الباع الكبير في ذلك المجال .

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٦/٤ ـ ٧٧٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٨٢٧/٤) .

(٣) عياض ـ الغنية (ص٨٨) ، التنبكتي ـ نيل الابتهاج (ص٢٢٧) .

(٤) ابن الابار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢٤٥/١) .

(٥) المصدر السابق نفسه (٦٧٢/٢) .

وفي المقابل رحل أحد علماء الأندلس في اللغة والنحو إلى صقليه لطلب العلم ، فذكرت المصادر أن محمد بن عمر بن قطري الزبيدي النحوي ، خرج إلى صقليـــه ، وإلى مصر وبها التقى ببعض علماء صقليه ، كعبد الحق الصقلي ، والبلنوبي الصقلي(١) .

كما كان لعالم الأندلس في اللغة والنحو ، موسى بن أصبغ المرادي ـ السابق ذكره آنفا ـ أثره في صقليه ، فقد مكث بها إلى أن توفى(٢) .

وخرج من الأندلس إلى صقليه ، اللغوي والأديب صاعد بن الحسن الربعي ، الذي اشتهر بإنه أحد الأعلام في اللغة والأدب والأخبار ، كما كان سريع الجواب ، ويقرض الشعر(٣) . وهو صاحب كتاب « الفصوص » في اللغة والأخبار ، وقد ألفه للمنصور بن أبي عامر(٤) وكتاب « الجواس » الذي كان يقرأ كل ليلة جزءاً منه على المنصور بن أبي عامر(٥) .

وفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م خرج صاعد من الأندلس إلى صقليه ، واتصل بأمرائها فاكرموا وفادته(٦) . ثم عاد مرة أخرى إلى الأندلس فترة من الزمن ، وأخيرا استقر بصقليه إلى أن توفي سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م(٧) .

---

(١) عياض ـ الغنية (٧٦) .

(٢) ابن الفرضي ـ تاريخ علماء الأندلس (٢/١٤٩) .

(٣) الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص٢٤٠) ، ابن بسام ـ الذخيرة في محاسن الجزيرة (٧/٨) ، ابن بشكوال ـ الصلة (١/٢٣٧) .

(٤) الحميدي ـ جذوة المقتبس (ص٢٤٠) ، ابن بشكوال ـ الصلة (١/٢٣٧) .

(٥) القفطي ـ انباه الرواه (٢/٨٦) .

(٦) ابن بسام ـ الذخيرة (٧/٥٥) .

(٧) المصدر السابق نفسه (٧/٥٥) ، وذكر المراكشي أن وفاته كانت في سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م في صقليه . المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص٨٣) .

وفي مجال الأدب ، نجد أن من مظاهر العلاقات الثقافية الأندلسية الصقلية ، خروج بعض أدباء وشعراء صقليه إلى الأندلس ، ومنهم ، أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات الصقلي ، والذى قدم إلى الأندلس بدعوة وجهها اليها المعتمد بن عباد ، صاحب اشبيليه ، مشفوعة بخمسمائة دينار ، ليتجهز بها ويتوجه اليه[1] . وقد أصبح له مكانة كبيرة في البلاط الأدبي للمعتمد بن عباد ، وكان أبو العرب الصقلي صاحب الفضل في ادخال كتاب « أدب الكاتب » لإبن قتيبه ، إلى الأندلس ، وجزيرة ميورقة ، والذي قد درسه بصقليه على شيخه ابن البرّ اللغوي[2] . وممن أخذه عنه في الأندلس حسين بن محمد الطرطوشي[3] . كما روى بعض الأدباء شعر أبي العرب الصقلي ، ومنهم ، أبو مروان الوليد بن اسماعيل ، الذي قال : « أنشدني أبو العرب مصعب بن محمد الصقلي لنفسه بالأندلس »[4] .

وكذلك أبو العباس أحمد بن البني الأبدي ، الذي روى شعر أبي العرب بجزيرة ميورقه[5] .

ومن شعر أبي العرب الصقلي في مدح المعتمد قوله :

لولا السّرى في ذمام الصارم الذّكر ... لم أطرُق الحيَّ في أمــر على خطرِ

ما الباردُ العذبُ موروداً على ضمأٍ ... أشهى إلى الصبِّ من وصل على حذر

قالت تجشّمتَ في سبل الهوى غرراً ... قلت المتيمّ مقدام على الغـرر[6]

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣/٣٣٣) .

(٢) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٢/٧٠٣) .

(٣) الذهبي ـ معرفة القراء (٢/٤٤١ ـ ٤٤٢) .

(٤) السلفي ـ معجم السفر (ص١٠٩) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص٧٩) .

(٦) ابن بسام ـ الذخيرة (٧/٣٠٢) .

وقـــــد أزار وللـزوّار حكمـــــهـم عـنـدي مـن الـبّر والإيـنـاس والأدب
وأفـضل البّر برٌّ يقـتـضـي طرباً وأعـــوزتني أمّ اللهـــو والطرب[1]

وهاجر أشـهر شعراء صـقليه إلى الأندلس وهوابن حمديس الصـقلي ، حـيث دخلهـا في سنـة ٤٧١هـ/١٠٧٩م[2] . وأقـام باشـبيليه لدى المعـتمـد بن عباد ، وأصبح من ضمن أدباء بلاطه[3] . واستمر كذلك مدة ثلاثة عشر عاما إلى أن قـبض المرابطون على المعـتـمـد بن عـبـاد سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[4] . واعترافا منه بفضل المعتمد عليه ، أخذ يتردد عليه في سجنه ، مواسياً له[5] .

ونظر للإرتبـاط الوثيق بين ابن خـمديس والأندلس ، فـقد كتب كتـابا عن مدينة « الجزيرة الخضراء » بالأندلس سماه « تاريخ الجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس »[6] . ولم يصل الينا الكتاب المذكور .

كمـا أن الأديب الصقلي محمد بن علي بن الصباغ ، الكاتب ، كان ممن رحـل إلـى الأندلس ، وكـان لـه بهـا نشـاط أدبي ، ذكـره ابن بســـام في « الذخيرة » ، وأسبغ عليه صفات القوة الأدبية ، ومما أورده ابن بسام القطع النثرية التي كتبـهـا إلى أحد أدباء الأندلس ، وماكتبه إلى ابن الشـامي في صقليه أيام الأمير صمصام الدولة[7] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣٠٥/٧) .
(٢) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٢١٤/٣) .
(٣) المقرى ـ نفح الطيب (١٥٢/٥) .
(٤) محمد عنان ـ دول الطوائف (ص٣٥٢ ـ ٣٥٣) .
(٥) ابن حمديس ـ الديوان (ص٢٦٧ ـ ٢٦٩) .
(٦) حاجي خليفة ـ كشف الظنون (٢٩٠/١) ، والجزيرة الخضراء مدينة بالأندلس ، يقال لها جزيرة أم حكيم وهي جارية طارق بن زياد ، وهي على ربوه مشرفة على البحر ، وسورها متصل به .
الحميري ـ صفة جزيرة الأندلس منتخبه من الروض المعطار (ص٧٣ ـ ٧٤) .
(٧) ابن بسام ـ الذخيرة (٣٠٨/٧ ـ ٣٠٩ ، ٣١٨) .

واستوطن الأندلس الأديب الصقلي ، أبو الفتح محمد بن الحسين ، ابن القرقوبي ، الكاتب . وقد اشتهر بها ، وصحب ملوكها ، ووزر لهم وعظم قدره هناك[1] .

ولانعلم متى كان خروجه إلى الأندلس ، إلا أنه من أدباء العصر الإسلامي في صقليه حيث ذكره ابن القطاع الصقلي ضمن شعراء « الدرة الخطيرة »[2] .

أما العلاقات بين صقليه والأندلس في مجال الطب ، فتتمثل فيما قام به الطبيب الصقلي ، أبو عبد الله ، من المشاركة مع مجموعة أطباء الأندلس في ترجمة كتاب ديسقوريدس من اللغة اليونانية إلى العربية أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ/٩١٢ ـ ٩٦١م)[3] .

ونشير أخيراً إلى أن المكاتبات كانت من وسائل الإتصال الثقافي بين علماء الأندلس وعلماء صقليه ، فقد كتب أحد أدباء الأندلس إلى أبي عبد الله الإمام المازري يسأله قائلا :

ربما عارض القوافي رجال ... بقواف فتنثني وتلينُ
طاوعتهم عينٌ وعين وعينٌ ... وعصتهم نونٌ ونونٌ ونونُ

فأبن لي ماطارعهم وما عصاهم ؟

فأجابه المازري نثراً : طاوعهم العجمة والعي والعجز ، وعصتهم اللسان والبيان والجنان[4] .

(١) القفطي ـ المحمدون من الشعراء (ص٢٥٧) .
(٢) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (١/٩٥) .
(٣) ابن أبي اصيبعه ـ طبقات الأطباء (ص٤٩٤) .
(٤) السلفي ـ معجم السفر في أخبار وتراجم أندلسية (ص٤٧) .

ثالثا : مع مصر :

ارتبطت صقليه مع مصر بعلاقات ثقافية كبيرة ، تمثلت في دراسة عدد كبير من الصقليين في مصر ، ثم العودة إلى أوطانهم حاملين مادرسوه من علوم ، كما استقر بها أيضا عدد من الصقليين وكان لهم دورهم في الحياة الثقافية بها . وكان أول تأثير ظهر واضحا في العلاقات الثقافية بين مصر وصقليه في القراءات فهذا محمد بن خراسان الصقلي ، المتوفي بصقليه سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م[١] ، كانت له رحلة إلى مصر درس فيها على علمائها في القراءات والنحو ، كالمظفر بن أحمد بن حمدان[٢] . وأبي جعفر النحاس ، الذي أخذ عنه مؤلفاته وكتبها عنه[٣] . ثم عاد بعد ذلك إلى صقليه متصدرا للإفادة والإقراء بمساجدها[٤] .

ورحل أبو العباس أحمد بن محمد الصقلي ، إلى المشرق ، ودرس بمصر على علمائها في القراءات أمثال قسيم بن مطير[٥] .

كما أن الحسن بن عبد الله الصقلي ، وأبا الحسين محمد بن قتيبه الصقلي ، قد عرضا قراءتهما القراءات على عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون صاحب كتاب « الإرشاد » في القراءات السبع[٦] .

ومن أعلام صقليه في النحو والقراءات ، اسماعيل بن خلف بن سعيد الصقلي ، وكان قد التقى بأبي الحسن علي بن ابراهيم الحوفي المقرىء

(١) ابن الجزري ـ غاية النهاية (١٣٦/٢) ، المقريزي ـ المقفى (٦٢٢/٥) .
(٢) الذهبي ـ معرفة القراء (٢٣٠/١) ، السيوطي ـ بغية الوعاه (٢٩٠/٢) .
(٣) ابن الجزري ـ غاية النهاية (١٣٦/٢) .
(٤) المصدر السابق نفسه (١٣٦/٢) .
(٥) الذهبي ـ معرفة القراء (٣٠٧/١) ، ابن الجزري ـ غاية النهاية (٢٧/٢) .
(٦) المصدران السابقان (٢٨٦/١) ، (٤٧٠/١) .

النحوي ، وأخذ عنه مدة مصاحبته له[1] . وقد أقام أبو الطاهر اسماعيل الصقلي حلقة في جامع عمرو بن العاص في مصر لإقراء الناس[2] .

ومن علماء القراءات والنحو الصقليين خلوف بن عبد الله البرقي ، الذي درس القراءات على أبي علي الحسن بن بليمه[3] . كما أخذ عن أبي الطاهر السلفي ، وسمع منه كثيرا ، وعلى من كان يقرأ عليه[4] . وبعد ذلك أقام له حلقة في جامع عمرو بن العاص لتدريس القرآن والنحو والعروض ، وتوافد عليه الطلبة[5] .

أما ابن الفحام الصقلي ، صاحب كتاب « التجريد لبغية المريد » في القراءات ، فقد درس في مصر على شيوخها ، أمثال ابراهيم بن اسماعيل المالكي[6] ، وأحمد بن سعيد بن نفيس[7] ، وعبد الباقي بن فارس[8] ، ونصر ابن عبد العزيز الشيرزاي[9] ، وهؤلاء هم شيوخه في كتابه « التجريد »[10] .

وفي مجال اللغة والنحو فإن مصر قامت بالدور الأكبر في توجيه الدراسات اللغوية بها فإبن البر اللغوي الصقلي ، استفاد أكثر معارفه اللغوية من مصر أثناء رحلته ، ولقائه بأئمة اللغة فيها ، فقد كان موجودا بها سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م[11] .

---

(١) القفطي ــ انباه الرواه (٢/٢١٩) ، سعيد عاشور ــ بحوث في تاريخ الإسلام (ص١٨١) .

(٢) ابن خلكان ــ وفيات الأعيان (١/٢٣٣) ، الذهبي ــ معرفة القراء (١/٣٤١) .

(٣) ياقوت ــ معجم الأدباء (١٢/١٣٠) ، القفطي ــ انباه الرواه (٢/٣٤٢) .

(٤) السلفي ــ معجم السفر ــ تحقيق امبرتو (ص٧٧) .

(٥) المصدر السابق نفسه (ص٧٧) ، الفيروز ابادي ــ البلغه (ص١٣٩) .

(٦) ابن الجزري ــ غاية النهاية (١/١٠) .

(٧) الذهبي ــ معرفة القراء (١/٣٣٥) .

(٨) المصدر السابق نفسه (١/٣٤١) ، ابن الجزري ــ غاية النهاية (١/٣٥٧) .

(٩) المصدران السابقان (١/٣٤٠) ، (٢/٣٣٦) .

(١٠) الذهبي ــ سير أعلام النبلاء (٩/٣٨٧ ــ ٣٨٩) ، ابن الجزري ــ غاية النهاية (١/٣٧٤) .

(١١) ابن الآبار ــ التكملة لكتاب الصلة (٢/٦٧١) .

ومن علما اللغة الذين درس عليهم ابن البرّ اللغوي في مصر ، محمد بن علي الهروي[1] ، ويوسف بن يعقوب النجيرمي[2] ، وصالح بن رشدين المصري[3] ، كما التقى فيها بأبي الطاهر اسماعيل بن أحمد التجيبي ، صاحب كتاب « شرح المختار من شعر بشار » واتفق معه على مغادرة مصر سويا في سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م[4] .

وكان مما درسه ابن البرّ اللغوي في مصر على شيوخه كتاب « يتيمة الدهر للثعالبي[5] ، وكتاب « أدب الكتاب » لإبن قتيبه[6] ، كما درس شعر أبي الطيب المتنبي على يد صالح بن رشدين في سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م[7] .

وسافر إلى مصر أحد علماء اللغة والأدب ، وهو أبو محمد جعفر بن علي السعدي ابن القطاع[8] ، ـ والد علي بن جعفر ابن القطاع اللغوي الشهير ـ ، ودرس بها على محمد بن سلامه القضاعي . كما أن محمد بن أبي الفرج المازري الذكي قد قرىء عليه كتاب « الشهاب » للقضاعي[9] . ويحتمل أن تكون تلك الدراسات كانت في مصر على يد مؤلفه[10] .

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (١٩٥/٣) ، ياقوت ـ معجم الأدباء (٢٦٣/١٨) .
(٢) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٧٥/٧) .
(٣) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٦٧٢/٢) ، السيوطي ـ بغية الوعاه (١٧٨/١) .
(٤) التجيبي ـ شرح المختار من شعر بشار (ص٢٥٣) .
(٥) ابن ظافر الأزدي ـ بدائع البداتة (ص٩٩) .
(٦) الذهبي ـ معرفة القراء (٤٤٢/٢) .
(٧) ابن الآبار ـ التكملة لكتاب الصلة (٦٧٢/٢) .
(٨) المصدر السابق نفسه ـ طبعة مجريط (ص٢٨٧) .
(٩) القفطي ـ انباه الرواه (٧٣/٣) .
(١٠) الدوري ـ صقليه وعلاقاتها بدول البحر المتوسط (ص٢٣٤) .

وكان لدراسة ابن الفحام الصقلي ، على النحوي المصري ابن بابشاذ ، أثره المباشر ، على ابن الفحام بشكل خاص ، وعلى طلاب النحو بشكل عام . فقد طلب ابن الفحام الصقلي من ابن بابشاذ أن يملي عليه شرحا لمقدمته في النحو ، فاستجاب لذلك الطلب[1] . وكان ذلك في سنة ٤٦٦هـ/١٠٣٧م[2] .

أما عن تأثير علماء صقليه في مصر ، فقد ظهر واضحا من خلال ماقام به العلماء الصقليون ، الذين استقروا في مصر ، أو مرّوا بها . ومن هؤلاء عبد الجليل بن مخلوف الصقلي ، الذي قام بالتدريس في مصر في الحديث والفقه لمدة أربعين سنة ، على مذهب الإمام مالك رحمه الله ، واستمر على ذلك إلى أن توفي سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[3] .

واستقر فقيه صقليه عبد الحق بن محمد هارون في مصر بعد أدائه لحجته الثانية في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[4] . وكان من الذين درسوا عليه في مصر ، أبو حفص عمر بن محمود بن غلاب المقرىء الباجي ، وفي ذلك يقول السلفي عن إبن غلاب : « وقد علقت عنه حكايات كثيرة مفيدة يرويها عن شيوخه الذين رآهم وصحبهم كعبد الحق بن محمد بن هارون السهمي ورفيقه عبد الجليل بن مخلوف »[5] . وكان عبد الحق الصقلي قد توفي بالإسكندرية سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م[6] .

---

(١) ابن بابشاذ ـ الجمل الهادية في شرح المقدمة الكافية ـ مخطوط ـ معهد مخطوطات جامعة الدول العربية ـ رقم (٤٦) نحو (ورقة ٢) .

(٢) ابن بابشاذ ـ شرح المقدمة المحسبة ـ تحقيق خالد عبد الكريم (٤٣/١) .

(٣) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص٦٤ ـ ٦٥) ، السيوطي ـ حسن المحاضرة (٤٥١/١) .

(٤) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٧٥/٤) .

(٥) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص٤٥ ـ ٦٥) .

(٦) ابن فرحون ـ الديباج المذهب (٥٦/٢) .

ومن آثار وجود ابن الفحام الصقلي في مصر ، دراسة مجموعة من طلاب العلم على يديه ، فهذا أبو الطاهر السلفي يقول : « كتبت عنه أسانيد في القراءات[1] .

كما كتب عنه بعض الفوائد[2] . كما تتلمذ عليه في مصر في الفقه ، أبو موسى عيسى بن خليفه بن مروان ، الفقيه المالكي ، الذي قال : « قرأت الفقه على أبي القاسم السرقوسي »[3] . وذكر السلفي أن أبا الماضى عطيه بن علي ابن عبد الله الفهري ، قد تفقه على أبي القاسم السرقوسي بالإسكندرية »[4] .

وكذلك درس أبو محمد روزبه بن محمد روزبه الخزاعي ، الورّاق ، على ابن الفحام الصقلي ، حيث درس عليه الفقه[5] .

كما كان لابن الفحام الصقلي نشاط في تدريس الحديث بمصر ، فقد درس عليه ، غادي بن سند بن عياش الغساني[6] .

وأخذ مجموعة من طلاب العلم القراءات على ابن الفحام الصقلي بمصر ، ومن هؤلاء أحمد بن الحطيئه[7] ، ومحمد بن عبد الرحمن بن عظيمه[8] ، وعبد الرحمن بن خلف الله بن عطيه الأسكندري[9] ، وعبد الله بن موسى الصعيدي[10] .

---

(١) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص٦٢) .
(٢) المصدر السابق نفسه (ص٦٢) .
(٣) المصدر نفسه (ص٩٧) .
(٤) نفسه (ص٩٨) .
(٥) نفسه (ص٥٧) .
(٦) نفسه (٩٩) .
(٧) ابن الجزري ـ غاية النهاية (١/٣٧٤) .
(٨) المصدر السابق نفسه (١/٣٧٤) .
(٩) المصدر نفسه (١/٣٧٤) .
(١٠) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص٥٨) .

وكان لوجود عمر بن يوسف بن الحذاء الصقلي أثره في مصر فقد درس عليه أبو الطاهر السلفي ، الحديث ، وما استفاده من شيوخه في صقليه أمثال عتيق السمنطاري ، وعبد الحق بن محمد الصقلي(١) .

وقدم أبو عبد الله الحضرمي الصقلي ، إلى مصر ، ودرس عليه عيسى بن خليفة بن مروان(٢) ، وغادي بن سند بن عياش(٣) .

وذكر السلفي ، أنه درس الحديث على يد مجبر بن محمد بن عبد العزيز الصقلي حيث قال : « وكان يحضر عندي كثيرا ، وأستأنس به لأدب نفسه وأدب درسه ... وقرأت عليه شيئا من الحديث سمعه على ابي الحسن الخلعي(٤) .

وذكر المقريزي ، أن محمد بن عتيق بن عمر الصقلي ، المعروف بابن الحرس ، كان ممن استقر بمصر ، وروى عنه أبو الطاهر السلفي(٥) .

ومن علماء صقليه الذين سكنوا الإسكندرية ، أبو عبد الله محمد بن مسلم بن محمد المازري(٦) . وحدث بها ، فسمع منه بها أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين المالكي ، وأبو عبد الكريم بن يحى بن عثمان النحوي ، وأبو القاسم مخلوف بن علي بن عبد الرحمن التميمي(٧) .

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص٦٦ ـ ٦٨) .
(٢) المصدر نفسه (ص٩٧) .
(٣) نفسه (ص٩٩) .
(٤) نفسه (ص١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦) .
(٥) المقريزي ـ المقفى (١٨٩/٦) .
(٦) عياض ـ الغنيه (ص٨٨) .
(٧) المقريزي ـ المقفى (٢٥٤/٧) .

وكان لابن القطّاع الصقلي ، لغوي صقليه المشهور ، أثره الواضح على الثقافة المصرية ، فهو تلميذ ابن البرّ اللغوي(١) ، فقد درس عليه كتاب « الصحاح » في اللغة لمؤلفه اسماعيل بن حماد الجوهري ، وعن طريقه اشتهرت رواية هذا الكتاب في جميع الآفاق(٢) .

وفي مصر بلغ ابن القطّاع الصقلي شهرة عظيمة ، فأكرمته الدولة الفاطمية(٣) ، وأصبح معلما لولد الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، وزير الآمر الفاطمي(٤) . وأشتغل ابن القطاع في التدريس وتوافد عليه الطلاب في مصر ، وكان من الكتب التي قام بتدريسها « يتيمة الدهر » للثعالبي(٥) ، وكتاب « ما أتفق لفظه واختلف معناه » في القرآن ، لمحمد بن يزيد المبرد(٦) ، الذي قال عنه نقلا عن شيخه ابن البرّ اللغوي : « ما ألف مثل كتاب اليزيدي المترجم « بما اتفق لفظه وأختلف معناه »(٧) . وكان من تلاميذ ابن القطاع الصقلي في مصر ، من أشتهر بعد ذلك أنهم من أئمة اللغة والنحو والأدب ، ومن هؤلاء ، نصرون بن فتوح بن حسين الجزري المصري ، الذي كان من

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (١٩٠/٣) .

(٢) المصدر السابق نفسه (١٩٠/٣) ، ياقوت ـ معجم الأدباء (٢٨٠/١٢) .

(٣) القفطي ـ انباه الرواه (٢٣٦/٢) ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان (٣٢٣/٣) ، اليماني اشارة التعيين (ص٢١٣) .

(٤) ياقوت ـ معجم الأدباء (٢٧٩/١٢ ـ ٢٨٠) .

(٥) ابن ظافر الأزدي ـ بدائع البدائة (ص٩٩) .

(٦) القفطي ـ انباه الرواه (٢٤٧/٣) ، والمبرد هو : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عميره كان غزير العلم والأدب ، وكثير الحفظ ، فصيح اللسان . له مؤلفات كثيرة منها « الكامل » في اللغة ،الأدب ، و« الروضة » و« الاشتقاق » والمقصور والممدود » و« اعراب القرآن . وفي الجملة فإن مؤلفاته تصل إلى الخمسين كتابا . توفي سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م . المصدر السابق نفسه (٢٤١/٣) .

(٧) المصدر نفسه (٢٤٧/٣) .

خواصّ ابن القطاع الصقلي ، وقرأ عليه كثيرا من كتب اللغة ومنها كتاب المبرّد السابق ذكره[١] .

ومما ذكره نصرون بن فتوح عن علاقتـه بشيخـه ابن القطاع ، أنه قال : « مرضت مرضة أشفيت منها على الموت ، وبعتُ فيها كتبا أدبيه ، وغير أدبيه ومن جملتها صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، فذكرت ذلك بعد إفاقتي من مرضي لأبي القاسم ابن القطاع ، فغضب عليّ غضبا شديدا وقال : كنت تقنع ببيع كتب الأدب ، ففيها عوض ، وتترك عندك الصحيحين . هل رأيت مسلما يخرج الصحيحين من داره ؟ ولم يزل يردّد ذلك عليّ حتى استحيت من نفسي ، ومن الحاضرين ، وندمت غاية الندم »[٢] .

ومن تلاميـذ ابن القطاع من المصـريين ، روزبه بن محـمد بن روزبه الخزاعي فقد درس العربية عليه[٣] .

وممن درس عليه أيضا ، أبو البركات أسعد بن علي بن معمر الحسيني النحوي[٤] ، ومحمد بن حمزه التنوخي[٥] ، وأحمد بن حمزه التنوخي[٦] ، ومحمد بن الحسـن بن أبي الخيـر بن زراره ، الـذي درس عليـه كتـاب « الصحاح »[٧] . وأبو الطاهر اسماعيل بن علي بن أبي مفشر ، الذي صاحب ابن القطاع الصقلي ، وانتسب اليه ، واشتهر به[٨] . ومن الذين رووا عن ابن

---

(١) القفطي ــ انباه الرواه (٣/٣٤٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٣/٣٤٧ ــ ٣٤٨) .

(٣) السلفي ــ معجم السفر ــ تحقيق امبرتو (ص٥٨) .

(٤) القفطي ــ انباه الرواه (١/٢٦٥) .

(٥) السلفي ــ معجم السفر ــ تحقيق امبرتو (ص١٠٣) .

(٦) المصدر السابق نفسه ــ تحقيق بهيجه الحسيني (ص١٢٩) ، القفطي ــ انباه الرواه (١/٧٥) .

(٧) السلفي ــ معجم السفر ــ تحقيق امبرتو (ص١٠١) .

(٨) السيوطي ــ بغية الوعاة (١/٤٥١ ــ ٤٥٢) .

القطاع ، أبو الحسين هبة الله بن علي بن الحسن الكاتب الفرضي ، وهو الذي نقل عنه خبر دخوله إلى الأندلس ، واتصاله بأبي الفضل يوسف بن حسداي الهاروني[1] ، كما ذكر أنه قرأ عليه كثيرا[2] .

وعن العلاقات بين صقليه ومصر في مجال الشعر ، فقد هاجر إلى مصر عدد من الشعراء الصقليين ، وبعضهم استقر بها إلى أن توفي . فمن المهاجرين إلى مصر مقداد بن حسن الصقلي ، وأصبح شاعرا للخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥ ــ ٣٨٦هـ/٩٧٥ ــ ٩٩٦م) ، وقد مدحه بعدة قصائد ، ومنها قوله :

حَرَبَ الجيوشَ وعاد يحربُ مالَهُ ... بعطائه فكأنه المحـــــروب[3]

وكان من أسباب قتله على يد الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ،قوله في زمن العزيز بالله :

الحمد لله حتى الخبز أعوزني ... في دولة أنا فيها شاعر الملك[4]

وهاجر إلى مصر أمير صقليه تاج الدولة جعفر بن يوسف بن عزله في سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م وهو من الأدباء الشعراء ، وتناقل الناس شعراً له قاله ارتجالا ، في مصر وصف بأنه أحسن ماقيل في ذلك العصر من الإرتجال[5] .

كما استقر الرشيد أحمد بن قاسم الصقلي بمصر ، وكان إلى جانب كونه شاعرا ، فقيها ، فقد تولى القضاء بمصر في أيام الأفضل بن بدر

---

(١) السلفي ــ أخبار وتراجم أندلسية (ص١٢٩ ــ ١٣٠ ــ ١٣١) .

(٢) المصدر السابق نفسه ــ تحقيق امبرتو (ص١٠٩) .

(٣) الدواداري ــ الدره المضيئة في أخبار الدوله الفاطمية (ص٢٥٥) .

(٤) ابن سعيد ــ الألحان المسلية في حلي حضرة القاهرة (ص٥٦) .

(٥) العماد الأصفهاني ــ الخريدة (٢/٢٣٤) ، ابن خلكان ــ وفيات الأعيان (٦/١٦٢) .

الجمالي ، وأصبح قاضي القضاة بها ، وقد دخل على الأفضل وبين يديه دواة من عاج محلاّه بمرجان فقال :

ألين لداوود الحديد بقدرة يُقَدّره في السرد كيف يريد
ولان لك المرجان وهو حجارة على أنه صعب المرام شديد[1]

أما الفقيه والشاعر مجبر بن محمد بن عبد العزيز الصقلي ، فقد مدح بشعره الوزير الفاطمي المأمون البطائحي[2] ، وأخذ عنه السلفي كثيرا من شعره[3] . وأصبح الشاعر والفلكي أحمد بن مفرج الصقلي ، المعروف بابن سابق أحد شعراء بلاط الخلفاء الفاطميين بمصر[4] . فقد مدح الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (٥٢٥ ـ ٥٤٤هـ/١١٣٠ ـ ١١٤٩م) ، وكان قد أمره أن يختصر ، فقال :

أمرتنا أن نصوغ المدح مختصرا لِم لا أمرت ندى كفيك يختصر
والله لابد أن تجري سوابقنا حتى يَبين لها في مدحك الأثر[5]

وكان لاستقرار الشاعر الصقلي علي بن عبد الرحمن البلنوبي الصقلي ، أثره على ثقافة مصر الفاطمية ، فقد قام بتدريس النحو والعروض بها[6] . كما تتلمذ عليه بعض طلاب العلم بها ، ورووا شعره ، ومنهم علي بن الحسن بن

---

(١) العماد الأصفهاني ـ الخريدة (٣٣٦/١) .

(٢) المصدر السابق نفسه ـ طبعة مصر (٨٨/٢) ، تولى الوزارة فيما بين سنتي (٥١٥ ـ ٥١٩هـ/١١٢١ ـ ١١٢٥م) .

(٣) السلفي ـ معجم السفر (ص١٠٢ ـ ١٠٦) .

(٤) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا (١٧٦/٣) .

(٥) ابن سعيد ـ النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة (ص٣٣٠) .

(٦) القفطي ـ انباه الرواه (٢٩٠/٢) .

يوسف الدمراوي[١] ، وعمر بن يعيش النحوي[٢] ، وعلي بن محمد بن علي الجيزي الكتبي[٣] ، وبشير بن المبشر بن فاتك المصري المنطيقي[٤] .

وما وصل الينا من ديوان ابي الحسن البلنوبي كان برواية أحد تلاميذه وهو عبد الله بن يحى بن حمود الخريمي[٥] .

كما أن الشاعر البلنوبي ، كان له اتصال بكبار رجال الدولة الفاطمية ، حيث امتدحهم بعدة قصائد ومنهم الوزير الحسن بن علي اليازوري (٤٤٢ ـ ٤٥٠هـ/١٠٥٠ ـ ١٠٥٨م) ، وزير الخليفة الفاطمي المستنصر (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ/١٠٣٥ ـ ١٠٩٤م)[٦] ، كما مدح أبا المكارم المشرف بن أسعد بن مقبل[٧] ، والشاعر علي بن عبد الرحمن البلنوبي ، ونظر لأقامته في مصر فإنه قصائده كانت ذات طابع مصري ، ولم تتسم بالطابع الصقلي[٨] .

أما فيما يتعلق بأثر جوهر الصقلي الكاتب قائد المعز لدين الله الفاطمي ، في مصر فيظهر ذلك واضحا في مجال النثر ، فقد كان من أوائل الأدباء الصقليين الذين دخلوا مصر[٩] .

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢/٢٩٠) .

(٢) السيوطي ـ بغية الوعاه (٢/٢٢٨) .

(٣) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص٩١) .

(٤) المصدر السابق نفسه (ص٩١) .

(٥) المصدر نفسه (ص٨٠ ـ ٨١) .

(٦) البلنوبي ـ الديوان ـ تحقيق هلال ناجي (ص٣٩) .

(٧) المصدر السابق نفسه (ص٦٩) .

(٨) امبرتو ـ مساهمة بعض مسلمي صقليه في ثقافة مصر الفاطميه ـ من أبحاث الندوة العالمية لتاريخ القاهرة (١/٢٢٦) .

(٩) المرجع السابق نفسه (١/٢٢١) ، علي ابراهيم ـ تاريخ جوهر الصقلي (ص١٢) .

ومن كتابات جوهر الصقلي النثرية كتاب الأمان الذي وجهه للمصريين وفيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من جوهر الكاتب ، عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله ، لجماعة أهل مصر الساكنين بها ، من أهلها ومن غيرهم .....[1]. ويعلق أحد الباحثين المحدثين على كتاب الأمان هذا فيقول : « إن كان هذا الأمان من السجلات التاريخية فهو صورة من الصور الأدبية التي دبجتها براعة هذا القائد »[2] .

ومن كتابات جوهر الصقلي في مصر في إحدى القضايا قوله : « سوء الإجترام ، أوقع بكم حلول الانتقام ، وكفر الإنعام أخرجكم من حفظ الذمام ، فالواجب فيكم ترك الإيجاب ، واللازم لكم ملازمة الإحتساب ، لأنكم بدأتم فأسأتم ، وعدتم فتعديتم ، فابتداؤكم ملوم ، وعودكم مذموم ، وليس بينهما فرجة إلا تقتضي الذم لكم والإعراض عنكم ، ليرى أمير المؤمنين رأيه فيكم »[3] . وتوقيع جوهر على هذا النحو يدل على أن جوهرا كان عنده مقدرة وكفاية في فن الكتابة[4] .

وكان من مظاهر الإتصال الثقافي بين مصر وصقليه ، اشتراك المهندس والفلكي أبو محمد عبد الكريم الصقلي ، مع مجموعة من المهندسين في إصلاح المرصد الفلكي بالقاهرة وذلك بطلب من المأمون البطائحي[5]

كما كان للشاعر والفلكي الصقلي أحمد بن مفرج دوره في إصلاح المرصد الفلكي بعد نقله إلى باب النصر في سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م[6] .

(١) المقريزي ـ اتعاظ الحنفاء (١٠٣/١ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥) .
(٢) محمد كامل ـ في أدب مصر الفاطمية (ص٣٢٤) .
(٣) المقريزي ـ الخطط (٢٠٤/٢) .
(٤) محمد كامل ـ في أدب مصر الفاطمية (ص٣٢٤) .
(٥) المقريزي ـ الخطط (١٢٧/١ ـ ١٢٨) .
(٦) ابن ميسر ـ أخبار مصر (ص٩٦) .

وفي مجال الطلب هاجر إلى مصر أبو الحسن علي بن ابراهيم بن علي النحوي ، المعروف بابن المعلم ، والذي كان له معرفة بالطب ، إلى جانب معرفته باللغو والنحو وظل مقيما بمصر إلى أن توفي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م[١] .

وأخيرا فإن الإتصال الثقافي بين صقليه ومصر كان له أثره في ازدهار الثقافة بها ، وقد كان لمصر نصيب كبير من ثقافة الصقليين ، الذين هاجروا اليها ، وربما كان من أسباب ذلك الاتصال القوى أن صقليه كانت في يوم من الأيام خاضعة للفاطميين ، فقد كان يحكمها الكلبيون باسم الفاطميين . كما أن لوجود مصر على طريق الحج أثره في مرور عدد كبير من العلماء بها في الذهاب والعودة ، فكان تأثيرهم واضحا في علوم الشريعة واللغة والأدب وكذلك في بعض المعارف العلمية المتنوعة .

رابعا : مع الشام وبعض البلاد الإسلامية الأخرى :

لم تكن العلاقات الثقافية بين صقليه وبلاد الشام واضحة المعالم ، فلقد شحّت المصادر بمعلوماتها عن تلك العلاقات ، وماذكرته لايتعدى سوى اشارت حول دراسة بعض علماء صقليه على علماء من بلاد الشام ، أو مرور بعض العلماء الصقليين بالشام أثناء رحلاتهم وتنقلاتهم في بلاد العالم الإسلامي . فقد ذكرت المصادر أن أبا علي الحسن بن علي الصقلي النحوي ، درس على الأديب أحمد بن علي بن محمد بن بطّه البغدادي ، والذي قدم إلى دمشق سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م[٢] .

كما أن المحدث والفقيه الصقلي عتيق بن علي السمنطاري ، كانت له رحلة في بلدان العالم الإسلامي ، وكان منها بلاد الشام[٣] .

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (٢/٢٢٠) .

(٢) القفطي ـ انباه الرواه (١/١٢٢) ، بدران ـ تهذيب تاريخ دمشق (١/٤١٠) .

(٣) ياقوت ـ معجم البلدان (٣/٢٥٣) .

كما تتلمذ بعض طلاب العلم الشاميين على علماء صقليين ، ومنهم أبو الخير سلامه بن غياض بن أحمد النحوي الشامي ، حيث قرأ اللغة على ابن القطاع الصقلي في مصر(١) .

ومدح الشاعر الصقلي علي بن عبد الرحمن البلنوبي ، أمير دمشق من قبل الفاطميين الحسن بن الحسين بن حمدان(٢) .

ومن مظاهر الإتصال الثقافي بين صقليه وبلاد الشام وصول المؤلفات الصقليه إليها ومن ذلك ماذكره القفطي من أن كتاب « مختصر عمدة ابن رشيق » لمؤلفه عثمان بن علي السرقوسي ، قد رآه بخطه في حلب عند ابن القيسراني(٣) .

وعن علاقات صقليه ببلدان العالم الإسلامي الأخرى ، فإننا نجد اشارات قليلة في المصادر تتحدث عن اتصال علماء صقليه بعلماء من الحجاز ، أو البصرة أو خراسان أو بغداد وغير ذلك . ومن ذلك أن عبد الرحمن بن محمد ابن بكر الصقلي ، سافر في طلب العلم إلى عدد من البلدان ومنها شمال افريقيا والحجاز(٤) . كما كان لأبي عبد الله محمد بن مسلم المازري رحلة ، فكان من البلدان التي رحل اليها الحجاز(٥) .

---

(١) القفطي ـ انباه الرواه (٢/٦٧ ـ ٦٨) ، اليماني ـ اشاره التعيين (ص١٣٣) ، السيوطي بغية الوعاه (١/٥٩٣ ـ ٥٩٤) .

(٢) الملك المنصور ـ أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك ـ المكتبة الصقليه (ص٦١٢) ، وكان ابن حمدان قد تولى امارة دمشق مرتين ، الأولى فيما بين سنتي ٤٣٣ ـ ٤٤٠هـ/١٠٤١ ـ ١٠٤٨م ، الثانية فيما بين سنتي ٤٥٠ ـ ٤٥٢هـ/١٠٥٨ ـ ١٠٦٠م . المقريزي ـ اتعاظ الحنفا (٢/٢٠١ ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٩) .

(٣) القفطي ـ انباه الرواه (٢/٣٤٣) .

(٤) عياض ـ ترتيب المدارك (٤/٧١٦) .

(٥) حسن عبد الوهاب ـ الإمام المازري (ص٩٤) .

كما درس أبو العباس القلوري الصقلي ، الحديث على مجموعة من علمائه بالبصرة ومنهم يعقوب بن اسحاق الحضرمي ، وسعيد بن عامر الضبعي ، وعثمان بن عمر بن فارس ، وعلي بن عثمان اللاحقي ، وقره بن حبيب القنوي[1] .

وممن كانت له علاقة ببغداد والبصرة من علماء صقليه ، أبو بكر محمد ابن ابراهيم بن موسى التميمي ، الذي سافر في طلب الحديث إلى العراق ، وحضر بعض مجالس أهل العلم هناك ، ثم عاد إلى صقليه وكتب الكثير[2] .

أما الفقيه والمحدث الصقلي عتيق السمنطاري فقد كان كثير الترحال لطلب العلم ، فسافر إلى الحجاز واليمن وفارس وخراسان والتقى بعلمائها[3] .

كما سمع بأصبهان من أبي نعيم الحافظ ، صاحب « حلية الأولياء » وببغداد من أبي القاسم الأزجي . كما روى عن أبي بكر محمد بن الحسن بن أحمد الفارقي ماسمع منه بميا فارقين[4] ، ونتج عن رحلة السمنطاري ، أن كتب جميع ماسمع ، كما أن له في دخول البلدان ولقياه العلماء ، كتاب بناه على حروف المعجم[5] .

ومن مظاهر العلاقات الثقافية بين صقليه ومكة ، أن أبا حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي ، شيخ مكة وخطيبها ، قد أخذ عن الإمام كتاب « المعلم بفوائد مسلم » ونشره في شرق العالم الإسلامي[6] . كما أن الميانشي هو الذي نقل عن الإمام المازري البسملة في الفرض[7] .

(١) ابن حجر ــ تهذيب التهذيب (١٦/١٢ ــ ١٦٤) .

(٢) المقريزي ــ المقفى (٦٠/٥) .

(٣) ياقوت ــ معجم البلدان (٢٥٣/٣) .

(٤) عياض ــ ترتيب المدارك (٦٩٥/٤ ــ ٦٩٦) .

(٥) ياقوت ــ معجم البلدان (٢٥٣/٣ ــ ٢٥٤) .

(٦) الفاسي ــ العقد الثمين (٣٣٤/٦) .

(٧) الونشريسي ــ ايضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك (ص١٥٦ ــ ١٥٧ ــ ١٥٨) .

وحج الفقيه الصقلي عبد الحق بن محمد والتقى في مكة بشيوخها أمثال القاضي عبد الوهاب المالكي ، وعبد الله الهروي[1] . كما حج للمرة الثانية في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ، والتقى بأبي المعالي الجويني ، ونتج عن ذلك اللقاء ، أن تباحث معه في أشياء وسأله عدة مسائل ، أجابه عليها أبو المعالي الجويني ، واعتبرت تلك المسائل مناظرة بينهما ، وانتشرت بأيدي الناس[2] .

كما رحل إلى مكة أبو بكر محمد بن سابق الصقلي والتقى فيها بكريمة بنت أحمد المروزية ، وأخذ عنها[3] .

وفي بغداد ، تعلم أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري الذكي ، النحو وعلم لسان العرب ، كما تعلم المناظرة وحذق الجدل[4] . كما أنه استقر فترة من الزمن في خراسان ، وناظر علمائها[5] .

وذهب عمر بن يوسف بن محمد بن الحذاء القيسي إلى مكة وبقي مجاورا بها لمدة ثلاث سنوات ، التقى خلالها بعلمائها من المقيمين والمجاورين[6] .

وتولى أحد فقهاء صقليه القضاء بمكة ، وهو أبو الحسن علي بن الفرج ابن عبد الرحمن ، كما سمع من بعض علمائها[7] .

---

(١) عياض ـ ترتيب المدارك (٧١٦/٤) ، ابن فرحون ـ الديباج (٥٦/٢) .
(٢) مسائل للشيخ عبد الحق واجوبتها لأبي المعالي الجويني ـ مخطوط ـ دار الكتب المصرية (رقم ١١ ش) فقه مالك (ورقة ١٧٢) .
(٣) ابن بشكوال ـ الصلة (٦٠٤/٢) ، الضبي ـ بغية الملتمس (ص٨٠) .
(٤) عياض ـ ترتيب المدارك (٧٩٣/٤) .
(٥) المصدر السابق نفسه (٧٩٢/٤) ، الصفدي ـ الوافي بالوفيات (٣٢٠/٤) .
(٦) السلفي ـ معجم السفر ـ تحقيق امبرتو (ص٦٦) .
(٧) ابن الأثير ـ اللباب في تهذيب الأنساب (٢٤٥/٢) .

ومن مظاهر تأثير بعض البلاد الإسلامية على التصوف في صقليه ، مشاهدة الصقليين للعباد والمنقطعين حول البيت الحرام ، مما كان له أثره المباشر في نشأة التصوف بصقليه[1] . فقد رحل إلى الحجاز الصوفي سعيد ابن سلام وحظي باحترام كبير هناك[2] . كما سافر إلى بغداد الصوفي أبو بكر محمد بن ابراهيم بن موسى التميمي ، وحضر بها مجالس الجنيد الصوفي[3] . ودرس أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الصقلي ، المعروف بإمام الحقيقة وشيخ أهل الطريقة ، بمكة المكرمة على علمائها من المقيمين والمجاورين ومنهم أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، كما جالس بها الزهاد الذين نقلوا إليه كلام سهل بن عبد الله التسترى ، وأخذ ذلك الكلام ، وعكف على تسجيله ، وأعقبه بالشرح والتفسير[4] ، مما كان له أكبر الأثر في نظرته الصوفية .

---

(١) احسان عباس ـ العرب في صقليه (ص١٤) .

(٢) القشيري ـ الرسالة (ص٢٩) ، الشعراني ـ طبقات الصوفية (ص١٠٤ ـ ١٠٥) .

(٣) المقريزي ـ المقفى (٥/٦٠) .

(٤) الدباغ ـ معالم الإيمان (٣/١٤٥) .



الفصل الثاني

آثار الحياة العلمية في صقلية الإسلامية على أوربا



آثار الحياة العلمية في صقليه الإسلامية على أوربا :

في الوقت الذي كانت تعيش فيه أوربا في عصورها المظلمة ، وقبل قيام نهضتها في أواخر القرن الحادي عشر ، كان المسلمون يشيدون بناءاً حضارياً شامخاً ويسيرون بالحضارة البشرية سريعا في طريق التقدم في شتى المجالات ، ويضربون في التاريخ مثلاً فريداً في حرية الفكر وسرعة تطوره .

فلقد مرت أوربا بمرحلة تاريخية مظلمة بدأت منذ سقوط الامبراطورية الرومانية الغربيه سنة ٤٧٦م ، وتبع ذلك انكماش الحضارة الرومانية تدريجيا من ايطاليا وأسبانيا وغاليا « فرنسا » وانجلترا ، وغيرها من البلاد التي خضعت للرومان أيام سطوتهم ، وذبلت المدن الرومانية ، وأقفلت المدارس أبوابها ، وانتشر الجهل ، ولم يبق أثر للحضارة والمعرفة في غرب أوربا ، وأتصف مابقى من التعليم بطابع ديني ، حيث اقتصر على من يطلق عليهم « رجال الدين »[(١)] .

وإذا كان قد ظهر في الغرب الأوربي بريق حضارة في أواخر القرن الثامن الميلادي وأوائل التاسع ، فإنها سرعان ماأنطفأت وذبلت ، وذلك البريق كان قد ظهر بعد تتويج شارلمان في سنة ١٢٤هـ/٨٠٠م ، امبراطوراً لعرش غاليا « فرنسا » وعرف باسم « النهضة الكارولنجيه » وهي نهضة ضيقة الأفق إلى حد بعيد اقتصرت على احياء جانب من التراث القديم ، دون محاولة الإبتكار والتجديد[(٢)] . وأمام هجمات الفيكنج[(٣)] ، تفككت تلك الامبراطورية ،

---

(١) سعيد عاشور ـ المدنية العربية في الغرب (ص٣٨ ـ ٤٣) .

(٢) سعيد عاشور ـ أوربا العصور الوسطى (٢/٩) .

(٣) هم الذين يسكنون البلاد المعروفة اليوم باسم السويد والنرويج والدانمرك .

وتدمر ماتبقى من مراكز الحضارة كالمدن والأديرة ، والكاتدرائيات ، وعادت الظلمة من جديد إلى أوربا ، واستمرت حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي[1] .

وعندما أفاق الغرب من سباته وجد نفسه أمام حضارة اسلامية شامخة البناء ، فلم تترك أدبا ولا علماً ولا فنا إلا وأسهمت فيه بقسط وافر ، واتجه طلاب العلم والمعرفة من مختلف أنحاء أوربا إلى مراكز الحضارة الإسلامية لينهلوا من معينها الصافي ، ويترجمون كل ماأستطاعوا ترجمته من مؤلفات المسلمين ، وكل ذلك أدى في النهاية إلى خروج حضارة شاملة في أوربا أطلق عليها في التاريخ اسم « النهضة الأوربية في القرن الثاني عشر » أو اسم « النهضة الوسيطة فكانت أطول عمراً وأكثر استمراراً وأوسع أفقا ، وأشد أثراً مما سبقها من نهضات ، وتعدّت مرحلة المحاكاه إلى الابتكار والتجديد . وإن حضارة أوربا الحديثة قامت على أساس واضح من المدنية الإسلامية بجميع فروعها[2] .

وقد ذكر المؤرخون أن الطرق التي وصلت بها علوم الحضارة الإسلامية إلى أوربا كان أهمها ثلاث طرق هي :

١ ـ الشرق الأدنى والحروب الصليبية : فقد كان لبلاد الشام والشرق الأدنى شأن هام في نقل بعض مظاهر الحضارة الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى ، ويرتبط ببلاد الشام الحروب الصليبية وما نتج عنها من صلات سياسية وحضارية وتجارية بين الشرق الإسلامي ، والغرب المسيحي[3] .

---

(١) سعيد عاشور ـ النهضات الأوربية (ص٤٧) ، المدنية العربية (ص٤٢) . أوربا العصور الوسطى (٩/٢) .

(٢) سعيد عاشور ـ النهضات الأوربية (ص٤٧) ، المدنية العربية (ص٤٢ ـ ٤٣) .

(٣) المرجع السابق نفسه (ص٥٦) .

حيث اكتسب الصليبيون بعض معارفهم نتيجة لتلك الصلات ، فانتقلت اليهم بعض الصناعات ، والعقاقير والأصباغ ، وفن العمارة والهندسة ، وبناء الحصون والقلاع ، كما أنتقلت اليهم كثير من التقاليد الإسلامية في الملبس والمأكل ، ودخلت كثير من ألفاظ اللغة العربية اليهم(١) .

٢ ـ الأندلس : يعد هذا المعبر أهم معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا ، وأشدّها تأثيراً في تغيير وجه أوربا المظلم ، فقد عاشت الأندلس عصوراً مزدهرة في الناحية العلمية في عصور الخلافة ، وعصور ملوك الطوائف . ونشطت المدن الزاهرة فيها بالثقافة الإسلامية كقرطبة مثلا .

وبعد سقوط طليطلة في سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م في أيدي المسيحيين إزداد تدفق طلاب العلم من مختلف بلدان غرب أوربا على أسبانيا الإسلامية للإستزادة من الدراسات الإسلامية ، فنشطت حركة الترجمة عن العربية نشاطا منقطع النظير ، فترجم إلى اللاتينية كثير من مؤلفات المسلمين ، كما ترجم عن العربية كثير من مؤلفات اليونانيين(٢) .

٣ ـ صقليه وهي احدى معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا ، ونحن هنا لسنا في حاجة إلى أن نعيد بعض ماذكرنا عن تطور المدنيه الإسلامية في جزيرة صقليه من الناحية الإقتصادية ، كالصناعة والزراعة مثلاً ، أو الناحية الثقافية ، فالحضارة الإسلامية في جزيرة صقليه لم تنته بانتهاء السيادة الإسلامية ، بل استمرت في عهد حكامها من النورمان . ونتج عن ذلك كله أن وصلت كثير من العلوم والمعارف الإسلامية إلى جنوب ايطاليا بصفة خاصة وغرب أوربا بصفة عامة ، عن طريق صقليه .

---

(١) توفيق الوادعي ـ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية (ص٤٢٥) .

(٢) سعيد عاشور ـ المدنيه العربية (ص٥١ ـ ٥٢) ، فيليب حتى ـ تاريخ العرب (ص٦٤٠) .

أما عن أثر الحياة العلمية في صقليه الإسلامية على أوربا ، فلقد كان واضحاً في عدة جوانب وكان منها أن اللغة العربية بقيت بعد سقوط صقليه تشارك غيرها من اللغات في الحياة اليومية وفي الدراسات العلمية بالجزيرة ، حتى أن بلاط حكام صقليه النورمان أصبح يعج بالمتكلمين بالعربية من علماء وخاصة ووزراء وغيرهم ، بل زاد الأمر على ذلك فكان الحكام النورمان يتكلمون العربية ، ويصدرون بها مراسيمهم(١) . ونتج عن ذلك أن كثير من الألفاظ العربية لازالت موجودة في اللغة الصقليه والإيطالية ، ولاتزال عدة أماكن بصقليه تحمل أسماء عربية ، ولاسيما أسماء القلاع والمراسي والشوارع(٢) . يقول لويجي رينالدي : « أن الجز الأعظم من الكلمات العربية الباقية في لغتنا الإيطالية التي تفوق الحصر ، دخلت في اللغة لابطريقة الاستعمار العربي ، ولكن بطريق المدنيه التى كثيرا ماتؤلف وتؤاخي بين مظاهر الحياة المختلفة »(٣) . وأضاف قائلا : « وإن وجود هذه الكلمات في اللغة الإيطالية ليشهد بماكان للمدنيه العربية من نفوذ عظيم في العالم المسيحي ، وبما كان من العلاقات التجارية بين بلادنا وبين المسلمين في الشرق وافريقيا الشمالية وصقليه »(٤) .

وفي مجال الترجمة ساهمت صقليه بنصيب وافر في ذلك مما كان له أثره المباشر على أوربا ، فقد ترجم بها عن العربية في سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م كتاب بطليموس السكندري في المرئيات(٥) ، وفي سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م ترجمت

---

(١) محمد كرد علي ـ الإسلام والحضارة العربية (٢٨٥/١) .

(٢) المرجع السابق نفسه (٢٨٧/١) .

(٣) لويجي ـ المدينة العربية في الغرب ـ مجلة المقتطف ـ المجلد ٥٩ ـ الجزء السادس ١٩٢١م (ص٥٣٧)

(٤) المرجع السابق نفسه (ص٥٣٨) .

(٥) سعيد عاشور ـ اوربا العصور الوسطى (١٥٠/٢) .

بعض كتب بطليموس الأخرى في الفلك والرياضيات عن اللغة العربية[1] . واشتهر من المترجمين في القرن الثالث عشر فرج بن سالم اليهودي وهو من أصل صقلي وطلب العلم في سالرنو حيث ترجم كثيرا من كتب العرب إلى اللاتينية[2] . وفي مجال الجغرافيا كان لصقلية أثرها الكبير على أوربا ممثلة في الشريف الادريسي صاحب كتاب « نزهة المشتاق » الذي قسّم العالم المعروف أنذاك من جهة الطول ، فجعل كل اقليم مقسماً إلى عشرة أقسام متساوية من الغرب إلى الشرق ، ثم جعل لكل قسم من هذا الأقسام خريطة خاصة ، عدا الخريطة العالمية الجامعة[3] .

كما صنع الادريسي للملك النورمندي ، روجر الثاني خريطة كروية للأرض من الفضة ، وقد طبع كتابه مع خرائطه السبعين في روما سنة ١٠٠١هـ/١٥٩٢م ، وترجم إلى اللاتينية سنة ١٠٢٩هـ/١٦١٩م من قبل جبرائيل الصهيوني ، ويوحنا الحصروني ، وطبع أيضاً في ليدن ومدريد وبون[4] . ويعتبر كتاب الإدريسي « نزهة المشتاق » أفضل مؤلف تلتقي فيه الجغرافيا القديمة بالجغرافيا الحديثة ، فمعلومات الإدريسي عن نهرالنيجر ، وعن السودان ومنابع النيل دقيقة لدرجة تدعو إلى الإعجاب ، ولذلك لم يكن غريباً أن يطلق عليه اسم « استرابون العرب »[5] . وأن يقال عن كتابه « أنه

---

(١) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقليه (ص١٢٩) .

(٢) سعيد عاشور ـ المدنية العربية (ص٦٦) .

(٣) عبد الرحمن حميده ـ أعلام الجغرافيين العرب (ص٣١٧) .

(٤) المرجع السابق نفسه (ص٣١٧) ، كما ترجم إلى الفرنسية سنة ١٨٤٠م ، وطبع في باريس في مجلدين .

(٥) المرجع السابق نفسه (ص٣١٨) ، واسترابون : جغرافي يوناني ولد في أماسيا في آسيا الصغرى ، حوالي سنة ٥٨ قبل الميلاد وتوفي سنة ٢١ أو ٢٥ ميلادية ، وهو مؤلف كتاب ثمين اسمه « جغرافيا » ويتخذ كتابه طابعا تاريخيا واضحا ، ويهتم بإظهار العلاقات بين الإنسان والشعوب والامبراطوريات ، وبين البيئة الطبيعية .
المرجع السابق (ص٣١٨) حاشية (١) .

لايمكن أن يوازن به أي كتاب جغرافي سابق له ، وأن ثمة بعض أجزاء من المعمورة لايزال هذا الكتاب دليل المؤرخ الجغرافي في الأمور المتصلة بها »[١] .

ولقد ظل الأوربيين يعتمدون على كتاب الادريسي اعتماداً كبيرا لمدة ثلاثة قرون متوالية[٢] ، كما أن الأوربيين أخذوا عن العرب كثيرا من المصطلحات البحرية عن جغرافية الادريسي[٣] .

وإن كتاب الادريسي قد تميز عن غيره من كتب الجغرافيين المسلمين ، بأنه عالمي الطابع شمل مناطق العالم القديم المتباينة بأقاليمها المختلفة ، وأجزائها العديدة ، وتضمن وصفاً لمناطق كان هو الرائد فيها بين الجغرافيين المسلمين ، وعليه اعتمد اللاحقون فيما كتبوا ، وبذلك يعتبر أعظم موسوعة جغرافية خرجت من صقليه في القرون الوسطى وأوفى كتاب جغرافي تركه لنا المسلمون ، باشتماله على ماوصل إليه علم الأقدمين إضافة إلى ماطّلع عليه الادريسي نفسه ، أو ماوصل إليه من دراسات ومشاهدات وخبرات ومارواه السيّاح[٤] .

ولقد استفاد الغرب من كتاب الإدريسي وغيره من الكتب الجغرافية للمسلمين ، فصححوا نظرتهم إلى كثير من الأمور الجغرافية ، وعملوا على تقليد المسلمين في رحلاتهم الجغرافية ، وشجعهم على ذلك استعمال المسلمين للبوصلة البحرية في الملاحة[٥] . ذلك أن الإدريسي قد أظهر في بحث المواد

---

(١) المرجع نفسه (ص٣١٨) .

(٢) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقليه (ص١٣٠) .

(٣) المرجع السابق نفسه (ص١٣٠) .

(٤) محمد مرسي ـ الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته (ص١٠ ـ ١١) .

(٥) مختار القاضي ـ أثر المدنيه الإسلامية في الحضارة الغربية (ص٢٢٥) .

التي اتصلت به ونقدها وتحرى الحقيقة فيها ، رجاحة عقل ، ورحابة صدر ، وكشف عن فهم لبعض القضايا الهامة كإدراكه لكروية الأرض[1] .

وقد جاء في دائرة المعارف الفرنسية عن كتاب الإدريسي أنه : « أوفى كتاب جغرافي تركه لنا العرب ، وأن مايحتويه من تحديد المسافات والوصف الدقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية في القرون الوسطى[2] . ويذكر روم لاندو : أن مايعتقده كثير من الغربيين اليوم بأن مايتعلق بكروية الأرض ، وبعض الأمور الجغرافية كإكتشاف منابع النيل ، بأنها من اكتشاف الغرب ، وذلك ليس بصحيح ، فلقد سبقهم إلى ذلك الادريسي في العصور الوسطى[3] .

ويقول سيديو عن كتاب الإدريسي « نزهة المشتاق » : « على مدى ثلاثمائة وخمسين عاما ، ظل رساموا الخرائط الأوربيون لايفعلون شيئا سوى اعادة نسخ هذا الكتاب مع بعض التغييرات الطفيفة »[4] .

أما المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه فتقول عن الادريسي وكتابه « نزهة المشتاق » : « لم يعرف الناس في أوربا لزمن طويل الجغرافية المؤسسه على المراقبة والتجربة فلم تكن خرائط الأديرة ترسم الأرض طبقا لفهمهم للإنجيل إلا على أنها قطعة من الأرض يحيط بها بحر عالمي ، وفي وسطها تقع الجنة ، ولقد كان الجغرافي العربي الإدريسي هو الذي مثّل في قصر ملوك صقليه دور المعلم للغرب ، وليس بطليموس كما يدّعي بعضهم ، وبقيت خريطة الادريسي

(١) فيليب حتى ـ تاريخ العرب (ص٦٩٥) .

(٢) أحمد فؤاد باشا ـ التراث العلمي للحضاره الإسلامية (ص١٢٠) .

(٣) روم لاندو ـ الاسلام والعرب (ص٢٥٦) .

(٤) سيديو ـ تاريخ العرب العام (ص٣٧٤) ، حيدر بامات ـ اسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية (ص١٣٠) .

ثلاثة قرون تسدّ الفراغ في الغرب وتخدم محاولاتهم الخاصة في هذا المجال كنموذج يهتدى به »[1] . ويقول ستانوودكب الأمريكي : « ويمكن للمرء أن يقرر في اطمئنان أنه لولا هذا الخبرات الملاحية التى ورثها كولبس عن العرب ، ولولا مفهوم كروية الأرض ، لما أقدم كولبس قط على المخاطرة في خوض الأطلنطي ، أو خطر له مجرد تصوّر فكرة هذه الرحلة[2] . ونظرا لأهمية الكتاب لدى الغرب الأوربي ، فإنه توافد على تحقيقه قبل عامين أكثر من ثلاثين مستشرقا لدراسته وتحقيقه ، واظهاره في مجلدين كبيرين ، وشاركهم في هذا العمل الكبير بعض علماء المسلمين ، وهذا في حد ذاته يدل على أهمية الكتاب العلمية .

وفي مجال صناعة الورق ، فقد عرف الأوربيون تلك الصناعة عن طريق مسلمي صقليه ، الذين كانوا يصنعونه من « البردى » الذي كان متوفراً بصقليه ، واشتهر بجودته ، كما ذكر ابن حوقل[3] . وإيطاليا لم تعرف صناعة الورق إلا في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م ، ولم تعرفه المانيا إلا في القرن الثالث عشر الميلادي ، ومعنى ذلك أن غرب أوربا ، لم يعرف صناعة الورق إلا بعد ظهورها بصقليه بفترة طويلة ، وعن طريق صقليه أيضا[4] . وقد ساعد انتشار صناعة الورق وشهرة صقليه به على كثرة انتساخ الكتب المشهورة في المشرق والمغرب[5] .

وفي مجال التاريخ الطبيعي ، فإنه عرف أول ماعرف في صقليه ، حيث عهد فريدريك إلى مترجمه « ثيودور » أن ينقل له رسالة عربية عن تربية البزاه ،

(١) زيغريد هونكه ـ شمس العرب تسطع على الغرب (ص٤٢٠) .

(٢) ستانوودكب ـ المسلمون في تاريخ الحضارة (ص٩٦ ـ ٩٧) .

(٣) ابن حوقل ـ صورة الأرض (ص١١٧) .

(٤) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقليه (ص١٣٢) .

(٥) يوسف نوفل ـ العرب في صقليه وأثرهم في نشر الثقافة الإسلامية (٣٢) .

وأنضمت هذه الترجمة إلى ترجمة اخرى فارسية ليكونا أساس الكتاب الذي وضعه فردريك نفسه في ترويض البزاه ، وبذلك يكون هذا التأليف أول ماعرف في مجال دراسة التاريخ الطبيعي(١) .

أما في مجال الطب ، فقد انتقل نظام البيمارستانات إلى صقليه في عهد حكامها النورمان ثم أنشأوا بعد ذلك مدرسة للطب ببالرمو في عهد فردريك الثاني ، ثم انتقل بعد ذلك النظام إلى غرب أوربا وتطور ليصبح فيما بعد جامعة الطب في سالرنو(٢) .

وإذا كانت مدرسة سالرنو قد أصبحت أول جامعة للطب في أوربا فإن الفضل يرجع إلى الطب الإسلامي فيما أحرزته تلك المدرسة من شهرة ، ذلك أن النورمان عندما استولوا على صقليه وجنوب إيطاليا في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، أحاطوا مدرسة سالرنو بما أحاطوا به بقية المؤسسات والدراسات العربية من رعاية وتشجيع(٣) .

ولقد ظهر أطباء مسلمون في العصر النورماندي ومنهم الجغرافي المشهور الشريف الإدريسي الصقلي صاحب « نزهة المشتاق » وله في ذلك مصنفات في النبات والأعشاب منها « جامع الصفات لأشتات النباتات »(٤) ، درس فيه كثيرا من النباتات وخاصيتها العلاجية كما كتب كتابا أخر عرف باسم « الأدوية المفردة »(٥) .

(١) المرجع السابق نفسه (ص٦٤ ـ ٦٥) ، فيليب حتي ـ تاريخ العرب (ص٦٩٦ ـ ٦٩٧) .

(٢) حامد زيان ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في صقليه (ص١٣٠) .

(٣) سعيد عاشور ـ المدنيه العربية (ص١٦١) ، محمد كامل ـ تاريخ الطب والصيدلة (ص٤٢٣) .

(٤) محمد الخطابي ـ الطب والأطباء في الأندلس (٥٩/١) .

(٥) الدوري ـ دور صقليه في نقل التراث الطبي العربي إلى أوربا ـ مقال بمجلة المؤرخ العربي التي تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب ـ بغداد ـ عدد ٢٩ ، ١٩٨٦م ، (ص٢٠٥) .

وهناك بعض الأسماء الصقلية في مجال الطب من المسلمين ، ولكن لم تعطنا المصادر تفصيلات عن حياتهم وأماكن اقامتهم أو رحلاتهم ، وهل عاشوا في صقلية أو خارجها . ومن هؤلاء :

أبو سعيد ابن ابراهيم الشريف الصقلي[1] ، الذي ألف كتابا في الطب أسماه : « المنجح في التداوي من صنوف الأمراض والشكاوي »[2] .

وظهر طبيب صقلي آخر في فترة صقليه غير الإسلامية وهو أحمد بن عبد السلام الصقلي وله كتاب في الطب عرف باسم « كتاب الأطباء في الأمراض من الفرق إلى القدم »[3] ، ومما جاء فيه قوله : « فإني استخرت الله أن أكتب هذا التصنيف وهو مشتمل على مداوة الأمراض من الفرق إلى القدم بأدوية بسيطة قريبة لأن التركيب في الأدوية صعب ، وقلّ فيه التحقيق ... وقد جعلته عشرين بابا وقد ابنته في هذه الفهرست ليسهل على متناوليه .

الباب الأول : في الأدوية المفردة النافعة من الصداع ، والثاني : في أمراض العين والثالث في أمراض الأذن . والرابع : في أمراض الأنف . والخامس : في الفم والسادس : في أمراض الحلق والعنق . والسابع : في أمراض الكبد والمعدة . والثامن : الأمعاء . والتاسع : المقعدة وأدرامها . العاشر : الكلى . الحادي عشر : المثانة . الثاني عشر : في الأدوية المخصوصة بأعضاء التناسل من الذكران . الثالث عشر : في أمراض الرحم . الرابع عشر : في المفاصل . الخامس عشر : في الجراحات . السادس عشر : في الأورام .

---

(١) أماي ـ المكتبة الصقلية (ص٦٩٤) .

(٢) توجد منه نسختان احداهما في المكتبة الوطنية بباريس ، والثانية في مكتبة بودليانا .

(٣) توجد مخطوطته في مكتبة ليدن . أنظر : الدوري ـ دور صقليه في نقل التراث الطبي إلى أوربا ـ مجلة المؤرخ العربي عدد ١٩٨٦/٢٩م . (ص٢٠٥) .

السابع عشر : المخصوص بالرئة . الثامن عشر : فيما ينفع في الحميّات وفساد الهواء . التاسع عشر : فيما ينفع من الأدوية في السموم ولسع الهوّام . العشرون : فيما يعم نفعه البدن وفي خواص الأشياء ، وهو فصلان ، الأول فيما يعم نفعه للبدن ، والثاني : في خواص الأشياء التي يفعل بعضها في بعض أفعال الخاصيّة(١) .

وظهر طبيب صقلي آخر واسمه الطبيب الحاج عبد السلام بن ابراهيم الشريف الصقلي المتوفي بتونس سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م(٢) . ولم تشر المصادر إلى جهوده في الطب .

ونبغ طبيب صقلي آخر واسمه محمد الشريف الصقلي ، والذي ألف كتابين الأول في الطب سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م ، والثاني في الصيدله ، ذكر به الخصائص الضرورية لكل من يريد تعاطي مهنة الطب فقال : « يجب أن يكون ذا ثقة وشديد الحذر يخاف الله ثم عباده »(٣) .

ومن توصياته في الطب لأبنائه وتلاميذه قوله : « اعلم يابني أن من يتعاطى الصناعة عليه أن يتعلق بمبدأ راسخ ثابت لن يفارق ذهنه ، وهو أن يريد لغيره مايريد لنفسه ، فلا تحقرن أدنى الأخطاء ، فالأمطار الهاطلة تبدأ قطرة قطرة ، وكذلك فاعلم يابني أنه ليس هناك جريمة أشنع من غش الناس واستغلال ثرواتهم وأموالم وخاصة البائسين الذين يتألمون والذين يعوزهم العقل والقوة ، فالبائس المسكين يحتمي بعلمك لتزيل عنه آلامه ، وتخط له

---

(١) أماري ـ المكتبة الصقلية (ص٦٩٧ ـ ٦٩٨) ، كحالة ـ معجم المؤلفين (٢٧٣/١) .

(٢) الدوري ـ دور صقليه في نقل التراث الطبي إلى أوربا ـ مجلة المؤرخ العربي عدد ٢٩ من عام ١٩٨٦م (ص٢٠٥) .

(٣) المرجع السابق نفسه (ص٢٠٥) .

وصفة الدواء ، فيضع كل آماله في تلك الورقة معتقدا أن ماتحتوي عليه سيشفيه بعون الله ، فالصيدلي يفوض أمره لك ويسلم الأدوية ، ولكن كم يكن تصرفك خاطئاً ان تصرفت بدون درايه ، وكم تكن مسئوليتك عظيمة ، فلو كنت مكان المريض أكنت تحب أن تعامل هذه المعاملة ، فيلعب بصحتك وتختلس أموالك صدقني يابني ، وكن فطنا وحذرا ، لأن غلطاتك تصبح من أخطر الأخطاء أمام الله ، وإن هذه الكلمات كافية لكل رجل فلا أضيف عليها شيئا فلتكن نصب عينيك كل يوم من الصباح إلى المساء فلا تنساها أبدا »[١] ، وهو بذلك يرسم القوانين الطبية في مجال أدب الطب ، لأطباء أوربا في نهاية القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادي .

ومن التأثيرات الإسلامية على الدراسات الطبية في صقلية ، أن اللغة العربية ، كانت احدى اللغات التي تستخدم في التدريس في مدرسة سالرنو الطبيه[٢] .

كما أن الأطباء في صقليه قد مارسوا التشريح ، قال جول لابوم : « كان الأطباء العرب في القرن العاشر يعلمون تشريح الجثث في قاعات مدرجة خصصت لذلك في جامعة صقلية »[٣] .

وعلم التشريح يعتبر ضرورة للإرتقاء بعلم الطب ، ولم يتقدم الغرب في هذا المجال إلا نتيجة لمؤثرات اسلامية ، ذلك أن أطباء المسلمين قد مارسوا تشريح القردة ، بينما لم يبدأ الأربيون بالتشريح إلا في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي ، عندما قاموا بتشريح الخنازير[٤] .

---

(١) المرجع السابق نفسه (ص٢٠٥) .

(٢) المرجع نفسه (ص٢٠٦) .

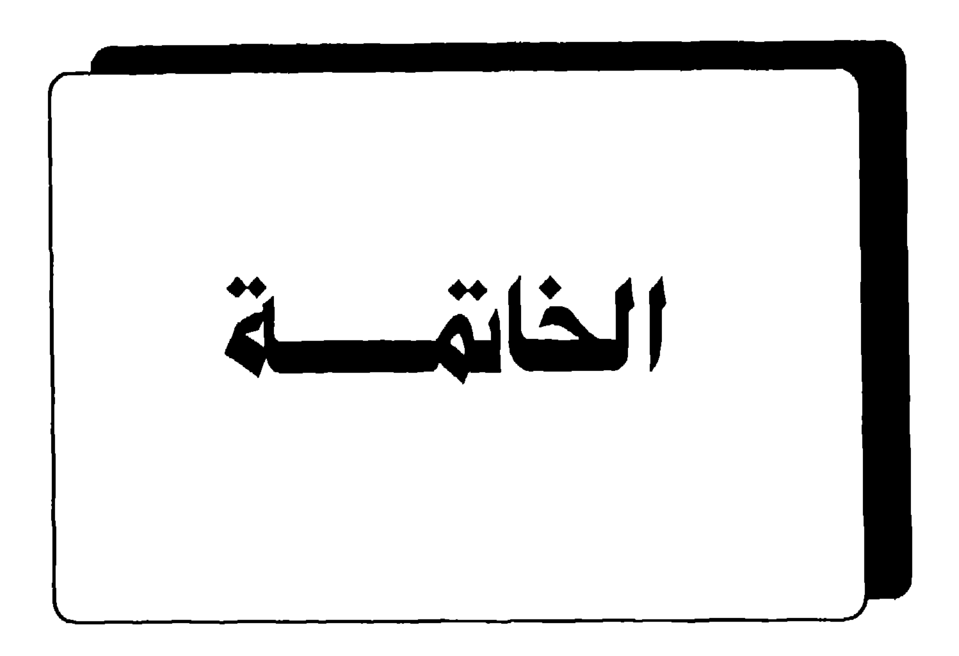
(٣) محمود الحاج ـ الموجز لما أضافه العرب في الطلب (ص٢٣) .

(٤) سعيد عاشور ـ بحوث في تاريخ الإسلام (ص٦٠٩) .

تلك هي بعض تأثيرات صقلية على أوربا في الناحية العلمية ، وليس ذلك كل شيء ، وذلك يرجع إلى أن صقلية عندما كانت معبرا من معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا لم يقتصر تأثيرها على أوربا فيما أنتجه الصقليون أنفسهم ، بل تعدى ذلك إلى غيره من انتاج البلدان الإسلامية الأخرى ، فالمهم أن صقلية كانت معبره إلى أوربا وليس المهم أن تكون صقلية بلد إنتاجه .

وهناك سبب أخر قلّل من تأثير الدراسات العلمية الصقلية على أوربا ، وهو أن أغلب دراسات علماء صقلية كانت في المجالات النظرية وبالعلم الشرعي في الدرجة الأولى كما لاحظنا ذلك من خلال دراسة النتاج العلمي لعلماء صقلية .




الخاتمـــة



الخاتمـــة :

الحمد لله على توفيقه وإحسانه ، وكرمه وآلائه ونسأله جلّ شأنه أن ينفعنا بما تعلمنا ، وأن يزيدنا من فضله فييسر لنا سبل طريق العلم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، أما بعد :

فإن أمة الإسلام هي أمة العلم ، ودينها دين العلم والعمل ، فإن هي تمسكت بهذا المبدأ أفلحت وفازت وسادت ، وإن هي أهملته فقد باتت في شقاء ، وتداعت عليها الأمم من حولها ، ولم تجد حصنا حصيناً تحتمي به .

وإن المسلمين الأوائل أناروا الدنيا بعلومهم ، في شتى المجالات ، فأخرجوا للبشرية تراثا علمياً خالداً مقدّما في صحاف من ذهب .

والبحث في ميدان الحياة العلمية الإسلامية لبلد من البلدان الإسلامية ليس من أجل ذكر مفاخر الآباء والأجداد ، وتعداد مؤلفاتهم ، وإنما لإحياء النفس ، وشحذ الهمم ، كسبب من أسباب القوة والعزة لأمة الإسلام ، لتصل إلى أعلى الدرجات ، وتتخلص من الأمور التى تكبح الوصول إلى السيادة والمجد .

والمعرفة بماضي الأمة الإسلامية إحدى الركائز الهامة لفهم الحاضر ، والتخطيط للمستقبل ، ولا يمكن فكّ الارتباط بين الماضي والحاضر .

وإن بحثي هذا دليل على أن الأمة المسلمة فوق كل العوائق ، فقد كانت الفترة الزمنية التى مكثها المسلمون في صقليه فترة قصيرة ، وتخللها فترات من عدم الاستقرار السياسي والإجتماعي ، ومع ذلك فقد خرجت لنا صقليه كمركز هام من مراكز الحضارة الإسلامية ، وخرج منها علماء كان لهم تأثير في كافة البلاد الإسلامية بما نشروه من علم ، وطارت مؤلفاتهم في الآفاق .

أمـا عن أهـم النقـاط البـارزة في هذا البـحث والتي يمكن استـخـلاصـهـا كنتائج فهي :

- ان موقـع صـقليه الاستراتيـجي ، كان من أهـم الأسباب التي دعت المسلمين إلى مـحاولة فتحـها من وقت مبكر ، فتوالت الغزوات الإسلامية عليها ، في العصر الأموي ، والعصر العباسي إلى أن تمكن الأغالبة من فتحها في سنة ٢١٢هـ/٨٢٦م .

- أن فـتح المسلمين لجزيرة صـقليه ، أدى إلى سـيطرتـهم على البـحـر الأبيض المتوسط ، والتـحكم في طرقه ، وأصـبـحت بلاد المغرب في مـأمن من هـجمات البيزنطيين .

- إن طول فـتـرة الفتح كانت لأسباب منهـا تلك المقاومة الشـديدة التي قـابلها الفاتحـون من بطارقة صـقليه ، ودعـم القسـطنطينية ، المستمر لهم ، اضـافة إلى العوامل الجغرافية وما تتميز به صقليه من وعورة في تضاريسـها .

- إن سقوط صـقليه توفر له عدة عوامل ، كان من أهمـها الانشقاق الداخلي بين حكام الولايات الصقلية ، واندفا ع بعضـهم إلى طلب المعونة من الأعداء .

- تقـاعس الدول الإسلامية عن نصـرة مسلمي صـقلية ، والقـضـاء عـلى خلافاتـها الداخلية وخاصـة من الدولة الفاطمية صاحبة العلاقة المباشرة بصقليه في تلك الفترة .

- تبـع سـقوط صـقليه سيطرة المسيـحيين على البحـر الأبيض المتوسط ، وسـقوط مـالطه ، وتمكن بذلك الغـرب الأوربـي من السيطرة على المضـايق الحيوية بين أفريقية وصـقلية .

- ارتباط سـقوط صـقليه ببداية الغزوات الصليبية على المشرق الإسلامي ، كما أكدّ ذلك ابن الأثير عندما ربط بين سقوطها وبداية تاريخ الحروب الصليبية .

- تنوعت عناصر السكان في جزيرة صقليه ، فقد كانت آهلة بالسكان قبل الفتح الإسلامي ، ثم دخلها المسلمون من العرب والبربر وغيرهم ، وعاشوا جميعا جنباً إلى جنب فترة الوجود الإسلامي .

- أدت بعض الخلافات بين المسلمين في صقليه إلى قيام ثورات وفتن بين العرب والبربر ، ونتج عن ذلك عدم استقرار اجتماعي في الجزيرة .

- كثيرا ماكانت تستغل تلك الخلافات بين العرب والبربر ، من قبل ولاة الجزيرة ، أو حكام الدول في افريقيه ، فيساعدون على اشعال الفتن لتحقيق مصالح لهم .

- على الرغم مما يحدث بين المسلمين في الجزيرة من بعض الخلافات ، فإنهم ينسون ذلك عندما يخرجون للجهاد ، فتجد الجيش يضم مجموعات من العرب والبربر وغيرهم .

- نتج عن تسامح المسلمين في الجزيرة مع غيرهم ، إلى أن قلدهم أولئك في كثير من العادات ، وسارعوا إلى تعلم اللغة العربية .

- بدخول المسلمين إلى جزيرة صقليه ، انتعش اقتصادها ، فتطورت الزراعة بها ، وأدخلوا إليها مزروعات لم تكن موجودة بها ، وعدّنوا مناجمها ، ونتج عن ذلك كله أن أصبحت صقليه ممراً تجارياً عالمياً في فترة الوجود الإسلامي .

- على الرغم من أن المذهب الذي يميل اليه الحكام الأغالبة ، هو المذهب الحنفي ، إلا أن المذهب المالكي كان هو السائد بصقليه ولفترات طويله ، وذلك يرجع إلى تأثيرات القائد الفاتح أسد بن الفرات ومن دخل معه الى صقليه من أعلام المذهب المالكي .

- لم يكن المذهب الوحيد في صقليه هو المذهب المالكي ، بل شاركه المذهب الحنفي في الانتشار ولكن ليس بقوة المذهب المالكي .

- بعد سقوط الأغالبة وقيام الدولة الفاطمية ، حاول الفاطميون نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي في صقليه ، مستخدمين اللين تارة ، والقوة تارة أخرى ، كما استخدموا عدة وسائل لنشر مذهبهم ، منها المناظرة والمجادلة ، واستغلال بعض المظاهر الاجتماعية ، وتعيين قضاة يدينون بالمذهب الإسماعيلي .

- من وسائل الفاطميين لنشر مذهبهم ، استمالة بعض فقهاء المالكية إلى جانبهم كما حدث مع الفقيه البرادعي .

- إن الاختلاف في المذاهب الدينية في صقلية كان سبباً من أسباب الفتن والثورات بين سكانها ، كما هو الحال في الصراع بين العرب الذين كانوا على المذهب المالكي ، والبربر الذين كانوا يميلون إلى المذهب الإسماعيلي .

- أدى الاختلاف في المذهب في صقلية إلى نشاط عملي كبير تمثل في أن فقهاء المالكية أدركوا خطورة المذهب الشيعي ، فعملوا جاهدين على نشر المذهب المالكي ، بتدريسه ، والتأليف فيه ، وشرح مصادره ، واختصارها ، وخلاف ذلك .

- إن المذهب المالكي ، لم يختف في صقلية أثناء تبعيتها للفاطمين ، بدليل خروج علماء في الفقه المالكي في تلك الفترة ، بل لقد تولى فقهاء ماليكون قضاء صقلية في بعض فترات السيادة الفاطمية .

- تبعاً لاهتمام حكام الأغالبة بالعلم والعلماء ، فإنهم قد عملوا على تشجيع العلماء والأدباء في صقلية ، واتخذ ذلك التشجيع مظاهر شتى .

- ومن أهم مظاهر اهتمام الولاة الأغالبة على صقليه ، بالعلم والعلماء ، أنهم كانوا يصطحبون معهم العلماء المشهورين إلى صقلية عند خروجهم لولايتها ، وعند خروجهم في غزوة من الغزوات ، وهذا في حد ذاته دليل واضح على تقدير العلم وأهله فبهم يأنس الجليس .

- ومن تلك المظاهر أن الحكام الأغالبة كانوا يدعون كبار العلماء ، والكتاب ، والأدباء ، لحضور احتفالاتهم الرسمية ، مما يزيد ذلك الاحتفال حيوية ، ويضفي عليه الطابع الفكري .

- ان خطبة القائد الفاتح أسد بن الفرات أهم دليل على اهتمام ولاة صقلية بالعلم ، فقد حث فيها على العلم ، والمثابرة في طلبه ، والصبر على مشقته ، وهو بذلك يؤكد في ذلك الاحتفال الرسمي الذي أقيم لتوديع الجيش الفاتح في مرسى سوسه ، أن العلم هو سبيل الفلاح وسبيل السيادة ، وبه ينال خيرى الدنيا والآخرة .

- إن مشاركة العلماء والفقهاء في حملات الجهاد الإسلامي ، تضفي على سير الأحداث قوة ومتانة ، وخير دليل على ذلك قيادة العالم والفقيه أسد بن الفرات للجيش الفاتح ، واصطحابه معه مجموعة كبيرة من العلماء ، والفقهاء ، والعباد ، والزهاد ، وكل ذلك أدى إلى تقوية عزيمة أفراد الجيش في مواجهة الأعداء .

- وفيما يتعلق بنشاط علماء صقليه في مختلف العلوم ، فقد تأثروا بدايةً بالدراسات الموجودة في القيروان أولاً ، نظرا للصلة السياسة بين البلدين ، وقرب المسافة بينهما ، وهجرة عدد من علماء القيروان إلى صقليه ، والعكس .

- تكوّن بعد ذلك لصقلية الإسلامية شخصية مستقلة في مجال الدراسات الشرعية والدراسات اللغوية والنحوية ، وإن كان ظهورها كان متأخرا بعض الشيء .

- كان اهتمام علماء صقلية بالدراسات الشرعية من علوم قرآن وحديث وفقه ، والدراسات اللغوية أكثر من غيرهما ، فبرز علماء عدّة في هذين المجالين ، واشتهروا وانتشرت آثارهم .

- امتاز علماء صقليه بكثرة الرحلة في طلب العلم ، فلا تكاد تجد عالماً من علمائها إلا وخرج لطلب العلم في البلدان ، والتقى بالعلماء وأخذ عنهم ، واستجازهم ، وذلك على اعتبار أن الرحلة في طلب العلم من أهم الأمور التي يهتم بها طلاب العلم بصفة عامة .

- كان العلماء الصقليون يهتمون بالرواية المسندة في الدراسات الشرعية ، خوفاً من التصحيف ، وانقطاع سلسلة الاتصال ، وخير مثال على ذلك مانبّه اليه الفقيه الصقلي عبد الحق من خطورة عدم الاهتمام بذلك .

- كما كان العلماء الصقليون يتحرزون من رواية الحديث خوفاً من الوقوع في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخاصة من كان منهم ليس متقناً لعلوم العربية كما هو الحال بالنسبة لابن الحذاء الصقلي ، الذي اعتذر عن الرواية لهذا السبب .

- اهتم العلماء الصقليون بجانب الفتوى ، فنجد أن كثيراً من فقهائهم جلسوا للفتوى ، امثال عبد الحق الصقلي ، والإمام المازري ، ويظهر على فتاوي بعضهم التشدد في الأحكام .

- كان العلماء الصقليون ينبذون أهل البدع والخارجين عن الدين ، فيكتبون المؤلفات للرد عليهم ، ومثال ذلك ماكتبه الإمام المازري رداً على شخص ملحد

كان يقدح في الدين ، وذلك في كتابه « الواضح في قطع لسان النابح » ، أو الرد على أصحاب الفرق الضالة .

- اتضح من خلال الدراسة أن اهتمام علماء صقليه في مجال الحديث ، كان بكتاب الإمام مسلم رحمه الله « الجامع الصحيح » فقد كانوا يقدمونه على غيره من كتب الحديث .

- ومن باب عدم الوقوع في الخطأ عند الفتوى ، فإن فقهاء صقليه ، يجعلون أقلّ مراتب من يتصدر للفتوى ، أن يكون قد اطّلع على روايات المذهب ، وتأويل الشيوخ لها ، وتوجيههم لما وقع من الإختلاف فيها ، وغير ذلك من الأمور التي تجعل الفتوى لاتصدر إلا من صاحب علم غزير .

- ومن خلال هذه الدراسة ، رأينا كثيراً من علماء صقليه برعوا في مجالات عده ، دون تخصص في علم معين ، فنجد أحدهم عالماً بالقراءات ، والنحو واللغة ، والأدب ، وآخر فقيه ومحدث وطبيب وشاعر . وهذا يعطي انطباعاً عن روح المثابرة والرغبة في العلم والاستزاده منه ، وفوق ذلك كله الإخلاص والبذل في طلب العلم .

- وجد في ثنايا هذا البحث بعض المواعظ الشعرية الصادرة من علماء وفقهاء صقليه ومعنى ذلك استخدامهم للشعر في ايصال النصيحة للناس ، مما يعطي تنوعاً في طريقة وعظ وإرشاد الناس .

- لمؤلفات بعض الصقليين التي وصلت الينا أهمية خاصة ، إذ أنها كانت تضم بين دفتيها معلومات من كتب مفقوده ، ومثال ذلك كتاب « الجامع على المدونة » لإبن يونس الصقلي ، والذي ينقل عن كتاب « الواضحة » المفقود لمؤلفه عبد الملك بن حبيب السلمي ، وغيره من المؤلفات المفقودة .

- إن بعض علماء صقليه بلغوا درجة عالية من العلم والفقه ، توصلهم إلى درجة الاجتهاد - كما ذكرت المصادر - إلا أنهم لم يدّعوا ذلك ، وامتنعوا عنه ، مخالفة الوقوع في الخطأ ، ومثال ذلك الإمام المازري ، صاحب كتاب « المعلم بفوائد مسلم » .

- كان للكتب التي دخلت إلى صقليه من بعض البلدان الإسلامية ، أثرها الكبير في إحياء نشاط الحركة الثقافية ، ومن أمثلة ذلك « موطأ الإمام مالك » و « الأسدية » و « مدونة سحنون » وكتاب « الملخص » وغيرها ، فدارت حول هذه الكتب وغيرها كثير من المناقشات ، والمداولات ، نتج عن ذلك كله حركة علمية مزدهرة تمثلت في التأليف ، والإختصار ، والشرح والتوضيح .

- ولهجرة بعض العلماء واستقرارهم في صقليه ، أو مرورهم بها ، أثر مباشر على الحياة الثقافية بها ، ومثال ذلك استقرار الفقيه البرادعي بها ، وتأليفه لأغلب مؤلفاته أثناء وجوده بها . ونتج عن ذلك أن قام بعض العلماء الصقليون بدراسة تلك الكتب والاستدراك عليها ، وتناولها بالشرح والاختصار .

- ولاستقرار الأديب والناقد ابن رشيق القيرواني في صقليه ، أثره الواضح على الدراسات اللغوية والأدبية بها ، فاتخذه بعض علماء صقليه مصدراً لمعلوماتهم كابن مكي الصقلي في كتابه « تثقيف اللسان » . وكان لتأثيره في مجال النقد الأدبي أن ترفّع أدباء صقليه عن قرض الشعر في مجال الهجاء ، إذ كان ابن رشيق القيرواني من الناقدين الذين يمقتون ذلك النوع من الشعر .

- حاول العلماء الصقليون القضاء على مشكلة تفشي اللحن بين العامة والخاصة في صقليه ، فصدرت فتاوي فقهائهم التي تحذر من ذلك ، وخاصة

عند قراءة القرآن الكريم ، وفي الصلاة على وجه الخصوص ، كما عمل بعض علماء صقليه على جمع أغلاط العامة والخاصة ، وبيّن صحتها ، واسترشد بأقوال العلماء المتخصصين في ذلك .

- إن موضوع الإشراف العلمي ظهر بصورة واضحة بين علماء صقليه ، ومثال ذلك أن ابن مكي الصقلي ، وعندما انتهى من تأليف كتابه « تثقيف اللسان » عرضه على أستاذه ابن البرّ اللغوي ، فأبقى مااستحسنه ، وحذف مارأى حذفه .

- كانت المراسلات بين علماء صقليه ، وعلماء البلدان الإسلامية الأخرى تمثل جانبا مهماً في الحركة الثقافية في صقليه الإسلامية .

- برز أدباء صقلية في مجالي النثر والشعر ، وشاركوا في الأحداث الصقلية بإنتاجهم وانعكست الحروب التي شغلت صقلية فترة من الزمن بوضوح على الشعر الصقلي .

- بعد سقوط صقليه ، كان الحماس لدى بعض شعراء صقليه ، والتشجيع على استعادتها ، والحنين إليها والتغني بماضي الآباء والأجداد فيها ، كان ذلك كله صوراً سيطرت على أغلب موضوعات بعض شعراء صقليه ، وخير مثال على ذلك ابن حمديس الصقلي .

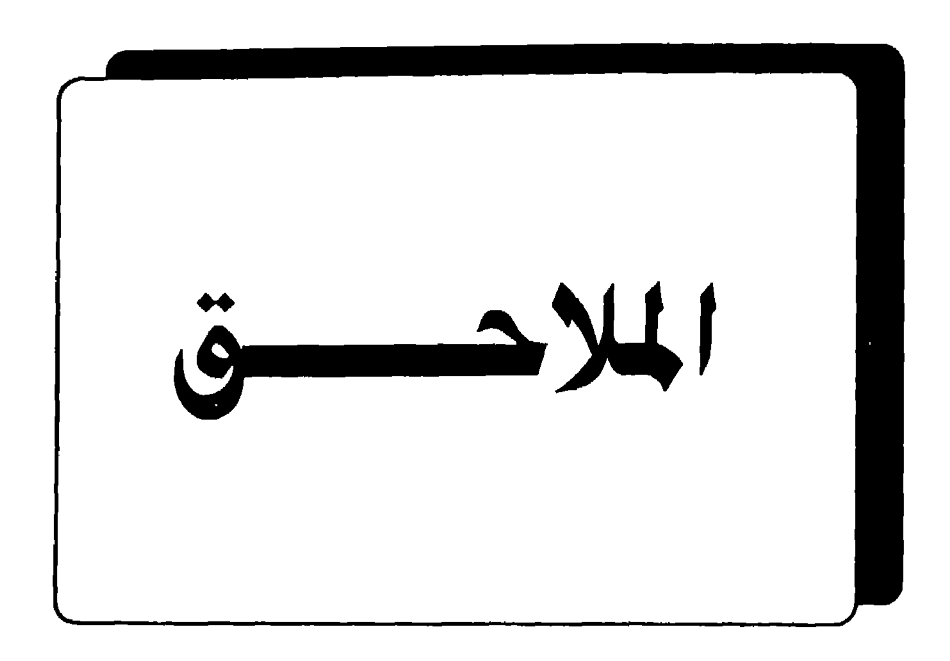
- إن تقدم المسلمين في جميع العلوم كان السبب الرئيسي وراء احتضان النورمنديين للمسلمين بعد سقوط صقليه في أيديهم ، ونتج عن ذلك استمرار وجود ثقافي اسلامي شمل أغلب الجوانب ، إلا أنه في العلوم الإجتماعية والبحتة أكثر بروزاً ، ومن أمثلة ذلك الإدريسي وكتابه « نزهة المشتاق » إضافة إلى نشاط حركة الترجمة .

- كان للحضارة الإسلامية في صقليه أثرها المباشر على ايطاليا بصفة خاصة ، وعلى أوربا بصفة عامة ، ومن أمثلة ذلك مشاركة اللغة العربية لغيرها من اللغات في نشر العلوم المختلفة ، ودخول كثير من ألفاظ اللغة العربية في اللغة الإيطالية وبقاءها على مر العصور التالية .

- على الرغم من أن صقليه تمثل احدى معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا ، إلا أنها ومن خلال هذه الدراسة لم تبلغ ماوصلت إليه الأندلس من تأثير على أوربا ، وذلك يعود لقصر الفترة الزمنية التي مكثها المسلمون في صقليه مقارنة بالأندلس ، ثم ان اهتمامهم بالدراسات الشرعية ، كان هو الغالب على دراساتهم .

- وأخيرا أقول إن الدعاية الغربية ضد أمة الإسلام ، وتأخرها ، كانت من أسباب تثبيط الهمم ، وأننا مهما بذلنا لن نتمكن من اللحاق بهم ، وهذا كله افتراء ، فأوربا كانت متأخرة ، وظلت كذلك حتى القرن الثاني عشر الميلادي ، فيما عدا فترات وجيزة من تاريخها ، والذين على المام بحقيقة النهضة الأوربية ، يعلمون تماماً أن المسلمين هم مصدر تلك النهضة ، وفي شتى صورها ، ومن هذا المنطلق فإن من الواجب على مفكري الأمة الإسلامية ومثقفيها ، إبراز الدور الذي قامت به الحضارة الإسلامية في سبيل تنوير البشرية جمعاء ، كما أن عليهم عدم الجهل بتاريخ أمتهم ، والشعور بأنها أدنى منزلة من غيرها من الأمم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .


الملاحق

ولاة صقلية من الفتح حتى الغزو النورماندي ولاة الأغالبة

أسم الوالي	فترة حكمه
أسد بن الفرات	(٢١٢ ـ ٢١٣هـ) (٨٢٧ ـ ٨٢٨م)
محمد بن أبي الجواري	(٢١٣ ـ ٢١٤هـ) (٨٢٨ ـ ٨٢٩م)
زهير بن غوث	(٢١٤ ـ ٢١٥هـ) (٨٢٩ ـ ٨٣٠م)
اصبغ بن وكيل المعروف بفرغلوش	(٢١٥ ـ ٢١٧هـ) (٨٣٠ ـ ٨٣٢م)
أبو فهر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب .	(٢١٧ ـ ٢٢٠هـ) (٨٣٢ ـ ٨٣٥م)
أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب بن سالم	(٢٢٠ ـ ٢٣٦هـ) (٨٣٥ ـ ٨٥١م)
العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة	(٢٣٦ ـ ٢٤٧هـ) (٨٥١ ـ ٨٦١م)
أحمد بن يعقوب بن فزارة	(٢٤٧ ـ ٢٤٧هـ) (٨٦١ ـ ٨٦١م)
عبد الله بن العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة	(٢٤٧ ـ ٢٤٧هـ) (٨٦١ ـ ٨٦١م)
خفاجه بن سفيان بن سواده بن سفيان ابن سالم بن عقال	(٢٤٧ ـ ٢٥٥هـ) (٨٦١ ـ ٨٦٨م)
محمد بن خفاجه بن سفيان	(٢٥٥ ـ ٢٥٧هـ) (٨٦٨ ـ ٨٧١م)
احمد بن يعقوب بن المضاء بن سوادة بن سفيان بن سالم بن عقال .	(٢٥٧ ـ ٢٥٨هـ) (٨٧١ ـ ٨٧١م)
الحسين بن أحمد بن يعقوب بن المضاء	(٢٥٨ ـ ٢٥٨هـ) (٨٧١ ـ ٨٧٢م)
جعفر بن محمد بن خفاجه بن سفيان	(٢٦٤ ـ ٢٦٦هـ) (٨٧٨ ـ ٨٧٩م)
الحسين بن رباح بن يعقوب بن فزارة	(٢٦٤ ـ ٢٦٦هـ) (٨٧٨ ـ ٨٧٩م)

اعتماداً على ابن الأثير وزامبارو وتقي الدوري

أسـم الـوالي	فتـرة حكمـه
أبو الأغلب بن إبراهيم بن أحمد	(٢٦٦ ـ ٢٦٧هـ) (٨٧٩ ـ ٨٨٠م)
الحسن بن العباس	(٢٦٧ ـ ٢٦٨هـ) (٨٨٠ ـ ٨٨١م)
محمد بن الفضل	(٢٦٨ ـ ٢٧٠هـ) (٨٨١ ـ ٨٨٣م)
الحسين بن أحمد بن يعقوب بن المضاء (للمرة الثانية)	(٢٧٠ ـ ٢٧١هـ) (٨٨٣ ـ ٨٨٤م)
سوادة بن محمد بن خفاجة	(٢٧١ ـ ٢٧٣هـ) (٨٨٤ ـ ٨٨٦م)
أبو العباس بن علي	(٢٧٣ ـ ٢٧٤هـ) (٨٨٦ ـ ٨٨٧م)
أحمد بن يعقوب بن عمر بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب	(٢٧٤ ـ ٢٧٨هـ) (٨٨٧ ـ ٨٩١م)
محمد بن الفضل (للمرة الثانية)	(٢٧٨ ـ ٢٧٩هـ) (٨٩١ ـ ٨٩٢م)
الحسن بن نافذ المعروف بابي المقارع	(٢٨٤ ـ ٢٨٧هـ) (٨٩٧ ـ ٩٠٠م)
أبو العباس عبد الله بن إبراهيم الثاني الأغلبي	(٢٨٧ ـ ٢٨٩هـ) (٩٠٠ ـ ٩٠٢م)
زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم الثاني الأغلبي	(٢٨٩ ـ ٢٩٠هـ) (٩٠٢ ـ ٩٠٣م)
محمد بن السرقوسي	(٢٩٠ ـ ٢٩٠هـ) (٩٠٣ ـ ٩٠٣م)
علي بن محمد بن أبي الفوارس بن عبد الله ابن الأغلب	(٢٩٠ ـ ٢٩٠هـ) (٩٠٣ ـ ٩٠٣م)
أحمد بن أبي الحسين بن رباح بن يعقوب بن فزارة	(٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ) (٩٠٣ ـ ٩٠٨م)

ولاة الفاطميين

أسم الوالي	فترة حكمه
علي بن محمد بن أبي الفوارس	(٢٩٦ ـ ٢٩٧هـ) (٩٠٨ ـ ٩٠٩م)
الحسن بن أحمد بن خنزير الكتامي	(٢٩٧ ـ ٢٩٩هـ) (٩٠٩ ـ ٩١١م)
علي بن عمر البلوي	(٢٩٩ ـ ٣٠٠هـ) (٩١١ ـ ٩١٢م)
أحمد بن زيادة الله بن قرهب	(٣٠٠ ـ ٣٠٤هـ) (٩١٢ ـ ٩١٦م)
أبو سعيد موسى بن أحمد المسمى بالضيف	(٣٠٤ ـ ٣٠٥هـ) (٩١٦ ـ ٩١٧م)
سالم بن راشد الكتامي	(٣٠٥ ـ ٣٢٥هـ) (٩١٧ ـ ٩٣٦م)
خليل بن اسحاق بن ورد	(٣٢٥ ـ ٣٢٩هـ) (٩٣٦ ـ ٩٤٠م)
عطاف الأزدي	(٣٢٩ ـ ٣٣٦هـ) (٩٤٠ ـ ٩٤٧م)

الولاة الكلبيون (كانوا تابعين اسمياً للفاطميين)

أسم الوالي	فترة حكمه
الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي	(٣٣٦ ـ ٣٤١هـ) (٩٤٧ ـ ٩٥٢م)
أحمد بن حسين بن علي بن أبي الحسين الكلبي	(٣٤١ ـ ٣٥٩هـ) (٩٥٢ ـ ٩٦٩م)
يعيش (مولى الحسن بن علي الكلبي)	(٣٥٩ ـ ٣٥٩هـ) (٩٦٩ ـ ٩٦٩م)
علي بن حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي	(٣٥٩ ـ ٣٧٢هـ) (٩٦٩ ـ ٩٨٢م)
جابر بن علي بن حسن الكلبي	(٣٧٢ ـ ٣٧٣هـ) (٩٨٢ ـ ٩٨٣م)
جعفر بن محمد بن حسن الكلبي	(٣٧٣ ـ ٣٧٥هـ) (٩٨٣ ـ ٩٨٥م)
عبد الله بن محمد بن حسن الكلبي	(٣٧٥ ـ ٣٧٩هـ) (٩٨٥ ـ ٩٨٩م)
ثقة الدولة يوسف بن عبد الله بن محمد بن حسن الكلبي	(٣٧٩ ـ ٣٨٨هـ) (٩٨٩ ـ ٩٩٨م)
تاج الدولة جعفر بن يوسف الكلبي	(٣٨٨ ـ ٤١٠هـ) (٩٩٨ ـ ١٠١٩م)
الأكحل أحمد بن ثقة الدولة يوسف الكلبي	(٤١٠ ـ ٤٢٧هـ) (١٠١٩ ـ ١٠٣٥م)
حكم الزيريين (عبد الله بن المعز بن باديس)	(٤٢٧ ـ ٤٣١هـ) (١٠٣٥ ـ ١٠٣٩م)
الصمصام حسن بن ثقة الدولة يوسف الكلبي	(٤٣١ ـ ٤٤٣هـ) (١٠٣٩ ـ ١٠٥١م)

الولاة بعد انهيار حكم الكلبيين لصقليه وعلى شكل مدن متناثرة

أسم الوالي	فترة حكمه
عبد الله بن منكود	حكم مدينة مازر وطرابنش والشاقة ومرسى علي .
علي بن نعمة المعروف بابن الحواس	حكم قصريانه وجرجنت وقتل سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م .
المكلاتي	حكم قطانيه
محمد بن ابراهيم المعروف بابن الثمنه	حكم سرقوسة ، وقطانية وقتل سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م .

الأمراء الأغالبة على افريقية

أسم الوالي	فترة حكمه
ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي .	(١٨٤ ـ ١٩٦هـ) (٧٩٩ ـ ٨١١م)
ابو العباس عبد الله بن ابراهيم .	(١٩٦ ـ ٢٠١هـ) (٨١١ ـ ٨١٦م)
زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب .	(٢٠١ ـ ٢٢٣هـ) (٨١٦ ـ ٨٣٨م)
ابو عقال الأغلب الملقب بخرز	(٢٢٣ ـ ٢٢٦هـ) (٨٣٨ ـ ٨٤١م)
ابو العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم .	(٢٢٦ ـ ٢٤٢هـ) (٨٤١ ـ ٨٥٦م)
أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب .	(٢٤٢ ـ ٢٤٩هـ) (٨٥٦ ـ ٨٦٣م)
أبو محمد زيادة الله بن محمد (الثاني) .	(٢٤٩ ـ ٢٥٠هـ) (٨٦٣ ـ ٨٦٤م)
أبو الغرانيق محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب .	(٢٥٠ ـ ٢٦١هـ) (٨٦٤ ـ ٨٧٥م)
ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب .	(٢٦١ ـ ٢٨٩هـ) (٨٧٥ ـ ٩٠٢م)
أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن الأغلب .	(٢٨٩ ـ ٢٩٠هـ) (٩٠٢ ـ ٩٠٣م)
زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم ابن الأغلب .	(٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ) (٩٠٣ ـ ٩٠٨م)

الخلفاء الفاطميون

أسـم الـوالي	فتـرة حكمـه
المهدي عبيد الله أبو محمد .	(٢٩٧ ـ ٣٢٢هـ) (٩٠٩ ـ ٩٣٤م)
القائم محمد أبو القاسم .	(٣٢٢ ـ ٣٣٤هـ) (٩٣٤ ـ ٩٤٥م)
المنصور اسماعيل أبو طاهر .	(٣٣٤ ـ ٣٤١هـ) (٩٤٥ ـ ٩٥٢م)
المعز معد أبو تميم .	(٣٤١ ـ ٣٦٥هـ) (٩٥٢ ـ ٩٧٥م)
العزيز نزار أبو منصور .	(٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ) (٩٧٥ ـ ٩٩٦م)
الحاكم المنصور أبو علي .	(٣٨٦ ـ ٤١١هـ) (٩٩٦ ـ ١٠٢٠م)
الظاهر علي ابو الحسن .	(٤١١ ـ ٤٢٧هـ) (١٠٢٠ ـ ١٠٣٥م)
المستنصر معد أبو تميم .	(٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ) (١٠٣٥ ـ ١٠٩٤م)

قائمة بالمصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

ابن بابشاذ : أبو الحسن طاهر بن أحمد المصري ـ ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م .

الجمل الهادية شرح المقدمة الكافية ـ معهد مخطوطات جامعة الدولة العربية . رقم (٤٦) نحو .

ابن سابق الصقلي : أبو بكر محمد سابق ـ ٤٩٣هـ/١٠٩٩م .

رسالة في معنى كلام الله تعالى ـ بمكتبة الدكتور حسن الوراكلي الخاصة وبدون رقم .

ابن الصيرفي : الحسن بن علي بن منجب

ماأختير من المنتخل من الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة مما ليس هو في اختيار ابن الأغلب ـ معهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقم (١٩٦٠) تاريخ .

ابن ظفر الصقلي : أبو محمد حجة الدين عبيد الله بن ظفر الصقلي ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م .

ينبوع الحياة ـ معهد البحوث العلميه بجامعة أم القرى رقم (٥٠٦ ـ ٧٥٨ ـ ٧٥٩ ـ ٧٦٠) تفسير .

ابن عقال الصقلي : أبو بكر ، كان حياً سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م .

فوائد ابن عقال ـ دار الكتب المصرية ـ رقم (٢٢٧٣٥) ب .

ابن الفحام الصقلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي الصقلي ـ ت٥١٦هـ ١١٢٢م .

التجريد لبغية المريد ـ دار الكتب المصرية ـ رقم (٦١٠) قراءات

ابن القطاع الصقلي : علي بن جعفر السعدي اللغوي الصقلي ـ ت٥١٥هـ/١٢٢١م .

كتاب فيه العروض والمهملات والقوافي ـ دار الكتب المصرية رقم (٤) ش عروض .

ابن يونس الصقلي : محمد بن عبد الله بن يونس ـ ت٤٥١هـ/١٠٥٩م .

الجامع علي المدونة ـ معهد البحوث بجامعة أم القرى من رقم (١٥٨) إلى رقم (١٦٤) فقه مالك .

أبو اسحاق ابن أغلب : مختصر الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة ـ دار الكتب المصرية رقم (٢٢١٦) تاريخ .

البرادعي : أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي ـ ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م .

تهذيب المدونه ـ معهد البحوث العلميه بجامعة أم القرى رقم (٢٨٩ ـ ٢٩٠) . فقه مالك .

البرزلي : الجامع لمسائل الأحكام ـ معهد البحث العلمي بجامعة أم القرى ـ رقم (٢١٠) ـ فقه مالك .

السلفي : معجم السفر ـ دار الكتب المصرية ـ رقم (٣٩٣٢) تاريخ .

الصقلي : عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي ـ ت٤٦٦هـ/١٠٧٤م .

تهذيب الطالب وفائدة الراغب ـ معهد البحوث العلميه بجامعة أم القرى رقم (١٧٩ ـ ١٨٠) فقه مالك .

نكت أعيان مسائل المدونة والمختلطة والتفريق بين مسائل شاعت ألفاظها وافترقت أحكامها ـ معهد البحوث العلميه بجامعة أم القرى ـ رقم (٢٠٣) ورقم (٢٤٧) فقه مالك .

مسائل للشيخ عبد الحق واجوبتها للإمام أبي المعالي الجويني دار الكتب المصرية ـ ضمن مجموعة بخط مغربي تحت رقم (١١) ش فقه مالك (ورقتان فقط ١٧٣ ـ ١٧٤) .

الصقلي : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ـ ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م .
كتاب فيه الدلالة على الله ـ دار الكتب المصرية رقم (٢٣) تصوف .
الصقلي : أبو محمد عمر بن هارون ـ كان حياً سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م .
العلم المنير في الفلك الأثير ـ دار الكتب المصرية ـ رقم (٤٠٤٦) .

ثانيا المصادر العربية المطبوعة :

ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي ـ ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م .
الحلة السيراء ـ تحقيق د. حسين مؤنس ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٣م .
التكملة لكتاب الصله ـ اعتناء السيد عزت العطار الحسيني مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ مكتبة المتنبي ببغداد ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .
والقسم الأول المفقود ـ المطبعة الشرقية ـ الجزائر ١٩١٩م .
المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبو علي الصدفي ـ مطابع سجل العرب ـ القاهرة ـ ١٩٦٧م .
تحفة القادم ـ تحقيق إحسان عباس ـ الطبعة الأولى ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
ابن أبي أصيبعه : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م .
عيون الأنباء في طبقات الأطباء . شرح وتعليق د. نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد الشيباني ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م .

الكامل في التاريخ ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت . اللباب في تهذيب الأنساب ـ دار صادر ـ بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ـ تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ـ دار الكتب ـ القاهرة ـ ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .

ابن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م .

بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى ـ الطبعة الثانية مصورة عن الطبعة الأولى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

ابن بابشاذ : طاهر بن أحمد ـ ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م .

شرح المقدمة المحسبة ـ تحقيق خالد عبد الكريم ـ الطبعة الأولى الكويت ـ ١٩٧٦م .

ابن البـاذش : أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد الأنصاري ـ ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م .

كتاب الاقناع في القراءات السبع ـ تحقيق د. عبد المجيد قطامش مركز البحث العلمي ـ جامعة أم القرى الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

ابن بسام : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ـ ت٥٤٢هـ/١١٤٧م .

الذخيرة في محاسن الجزيرة ـ تحقيق د. إحسان عباس ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ـ ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م .

الصلة ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب ١٩٦٦م .

ابن البيطار : عبد الله بن أحمد الأندلسي ـ ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م .

الجامع لمفردات الأدوية ـ المطبعة الأميرية ببولاق ـ القاهرة ـ تصوير بالأوفست مكتبة المثنى ـ بغداد ١٢٩١هـ .

ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ـ ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

ابن تيمية : الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م .

مجموع الفتاوي ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العاصي ، وساعده ابنه محمد ـ اشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين .

العقيدة الواسطية ـ مطبعة المنار ـ القاهرة ١٣٤٠هـ.

ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي ت ٦١٤هـ/١٢١٧م .

الرحلة المسماة إعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك دار صادر ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ابن الجزري : أبو الخير محمد بن محمد ـ ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م .

تحبير التيسيرفي قراءات الأئمة العشرة ـ كتب هوامشه وصححه

جماعة من العلماء ـ الطبعة الأولى ـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت ـ ١٤٠٤هـ .

غاية النهاية في طبقات القراء ـ عني بنشره ـ ج. برجسبتراسر مكتبة المتنبي ـ القاهرة .

ابن جلجل : أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ـ ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م .

طبقات الأطباء والحكماء ـ تحقيق فؤاد سيد ـ الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

ابن جماعة : أبو اسحاق ابراهيم بن السيد العارف سعد الله الكناني ـ ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م .

تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

ابن الجوزي : الحافظ الإمام جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي ـ ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م .

نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس ـ صححه وقيد حواشيه محمد منير الدمشقي ـ عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ادارة الطباعة المنيرية .

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد ـ الدكن ـ ١٣٥٧هـ .

ابن حجر : الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م .

لسان الميزان ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م .

تهذيب التهذيب ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

تقريب التهذيب ـ تقديم محمد عوامه ـ الطبعة الأولى ـ دار الرشيد سوريا ـ حلب ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

الإصابة في تمييز الصحابة ـ طبعة بالأفست عن الطبعة الأولى مكتبة المثنى ـ بغداد ـ ١٣٢٨هـ .

فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ إعتناء محب الدين الخطيب محمد فؤاد عبد الباقي ـ قصي محب الدين الخطيب ـ الطبعة الأولى ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ـ دار السلطنة السنية العثمانية ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م .

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م .

جمهرة أنساب العرب ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ الطبعة الأولى ـ الناشر دار المعارف .

الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ابن حماد : أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد ـ ت ٦٢٨هـ/١٢٣١م .

أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ـ تحقيق د. التهامي نقره عبد الحليم عويس ـ دار العلوم ـ الرياض .

ابن حمديس : عبد الجبار أبو بكر بن محمد ـ ت ٥٢٧هـ/١١٣٢م .

ديوان ابن حمديس ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر

للطباعة والنشر ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي البغدادي الموصلي ـ ت قريبا من ٣٦٧هـ/٩٧٧م .

صورة الأرض ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ١٩٧٩م .

ابن خاقان : الفتح بن محمد ابن خاقان ت ٥٢٩هـ/١١٣٥.

قلائد العقيان ـ تصحيح سليمان الحريري ، طبعة سنة ١٢٧٧م

ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني ـ ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م .

أعمال الأعلام ـ تحقيق د. أحمد مختار العبادي ـ محمد ابراهيم الكتاني ـ الدار البيضاء ـ القسم الثالث .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي ـ ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م .

المقدمة ـ الطبعة الرابعة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان

العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ـ وضع الحواشي والفهارس خليل شحادة .

مراجعة د. سهيل زكار ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

وطبعة أخرى عن دار الباز ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ـ ت ٦٨١هـ ١٢٨٢م .

وفيات الأعيان ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت

ابن خياط : خليفة بن خياط ـ ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م .

التاريخ ـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ـ الطبعة الثانية ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

ابن خير الأشبيلي : أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموى الأشبيلي ـ ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م .

فهرست مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفه في ضروب العلم وأنواع المعارف ـ الطبعة الثانية ـ منشورات المكتب التجارى بيروت ـ المثنى ببغداد ـ مؤسسة الخانجي ـ القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .

ابن أبي دينار : أبو عبد اله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني كان حياً سنة ١١١٠هـ/١٦٩٨م .

المؤنس في أخبار إفريقية ـ تحقيق محمد شمّام ـ الطبعة الثالثة الناشر المكتبة العتيقة ـ تونس ـ ١٣٨٧هـ .

إبن دحية : ذو النسبين أبو الخطاب عمر بن حسن الكلبي ـ ت ٦٦٣هـ/١٢٣٥م

المطرب من أشعار أهل المغرب ـ تحقيق ابراهيم الأبياري ـ د. حامد عبد المجيد ـ د. أحمد أحمد بدوي ـ راجعه د. طه حسين المطبعة الأميرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٤م .

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ـ ت ٣٢١هـ/٩٣٣م .

الإشتقاق ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ مؤسسة الخانجي مصر ـ المكتب التجاري ـ بيروت ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ مطابع السنة المحمدية ـ ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

ابن الزبير : أبو جعفر أحمد بن الزبير ـ ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م .

صلة الصلة ـ وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام

الأندلس ـ إعتناء ـ بروفانسال ـ المطبعة الإقتصادية ـ الرباط ١٩٣٧م .

ابن سبعين : أبو محمد عبد الحق ابن سبعين المرسى الأندلسي ـ ت ٦٦٩هـ ١٢٧٠م .

رسائل ابن سبعين ـ تحقيق عبد الرحمن بدوي ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

ـ المسائل الصقلية ـ في المكتبة الصقلية .

ابن سحنون : محمد بن عبد السلام ـ ت٢٥٦هـ/٨٦٩م .

آداب المعلمين ـ تحقيق ـ حسن حسنى عبد الوهاب ـ مراجعة محمد العروسي المطوي ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة المنار ـ تونس ١٩٧١م .

ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهريّ ـ ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م .

الطبقات الكبرى ـ إعتناء د. إحسان عباس ـ منشورات دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

ابن سعيد : علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد المغربي الأندلسي ـ ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م .

القسم الصقلي من كتاب المغرب في حلي المغرب المعروف بالألحان المسلية في جزيرة صقلية ـ تحقيق محمد زكريا عناني ـ الدار الأندلسية ـ الأسكندرية ـ ١٩٨٦م .

رايات المبرزين وغايات المميزين ـ تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

القاهرة ـ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ـ القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب ـ تحقيق د. حسين نصار ـ مطبعة دار الكتب ـ ١٩٧٠م .

ابن الصلاح : أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ـ ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م .

علوم الحديث ـ تحقيق نور الدين عتر ـ المكتبة العلمية ـ بيروت لبنان ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ابن الصيرفي : أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الصيرفي المصري ـ ت٥٤٢هـ/١١٤٧م .

الإشارة إلى من نال الوزارة ـ تحقيق عبد الله مخلص ـ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ـ القاهرة ـ ١٩٢٤م .

ابن ظافر : جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي ـ ت٦١٣هـ/١٢١٦م

بدائع البدائة ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٠م .

أخبار الدول المنقطعة ـ القسم الخاص بالفاطميين ـ تحقيق أندرية فرية ـ مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي ـ القاهرة ـ ١٩٧٢م .

ابن ظفر : الفقيه حجة الدين أبو محمد عبيد الله ابن ظفر الصقلي الملكي ـ ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م .

سلوان المطاع في عدوان الأتباع ـ مراجعة وتقديم أبو نهلة أحمد ابن عبد المجيد ـ الناشر أسعد طرابزوني الحسيني ـ ١٩٧٨م .

أنباء نجباء الأنباء ـ دار الآفاق ـ بيروت .

خير البشر بخير البشر ـ القاهرة ١٣٨٠هـ .

إبن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ـ ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م .

فتوح مصر وأخبارها ـ طبع في مدينة ليدن بمطبعة ليدن مكتبة المثنى ببغداد ١٩٢٠م .

ابن عبد ربه : الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ـ ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م

العقد الفريد ـ تحقيق محمد سعيد العريان ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت .

ابن العبري : غريغوريوش ابو الفرج بن هارون المطلي ـ ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م .

تاريخ مختصر الدول ـ تحقيق انطوان صالحاني اليسوعي ـ دار الرائد اللبناني ـ لبنان ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

ابن عذاري : أبو عبد الله محمد المراكشي ـ ت قريبا من ٧١٢هـ/١٣١٢م .

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ تحقيق ومراجعة ج. س كولان و إ. ليفي بروفنسال ـ الطبعة الثالثة ـ دار الثقافة بيروت ـ لبنان ١٩٨٣م .

ابن عرفه : شمس الدين محمد بن عرفه الدسوقي .

حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ دار الفكر ـ بيروت .

ابن عساكر : الإمام الحافظ المؤرخ ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بإبن عساكر ـ ت٥٧١هـ/١١٢٧م .

تاريخ دمشق ـ تهذب عبد القادر بدران ـ الطبعة الثانية ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ ت١٠٨٩هـ/١٧٧٥م .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

ابن العوام : أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد الأشبيلي ـ ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م .

الفلاحة : تحقيق دون جوزيف انطونيو ـ مدريد ١٨٠٢م

ابن الفحام : أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر سعيد القرشي الصقلي ـ ت ٥١٦هـ/١١٢٢م .

التجريد لبغية المريد : تحقيق مسعود أحمد سيد ـ ماجستير قسم التفسير ـ الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ١٤٠٩هـ .

ابن فرحون : برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد العيمري المدني ـ ٧٩٩هـ/١٣٩٦م .

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ـ تحقيق وتعليق د. محمد الأحمدى أبو النور ـ دار التراث للطبع والنشر ـ القاهرة ١٩٧٢م .

ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ـ ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م .

تاريخ علماء الأندلس ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ ١٩٦٦م

ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحي الدمشقي ـ ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م .

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ المكتبة الصقلية .

ابن فهد : تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد المكي ـ ت ٨٧١هـ/١٤٦٦م .

لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ـ دار إحياء التراث العربي بيروت .
ابن قاضي شهبة : تقي الدين ابن قاضي شهبة الأسدى الشافعي ـ ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م .
طبقات النحاة واللغويين ـ تحقيق محسن غياض ـ ١٩٧٤م .
ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم ـ ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م .
المعارف ـ تصحيح وتعليق ومراجعة محمد إسماعيل الصاوي الطبقة الثانية ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٣٩٠هـ .
الشعر والشعراء ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
ابن القطاع : أبو القاسم علي بن جعفر السعدي ـ ت ٥١٥هـ/١١٢١م .
شرح المشكل من شعر المتنبي ـ تحقيق د. محسن غياض ـ نشره بمجلة المورد ـ المجلد السادس ـ العدد الثالث ـ ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
كتاب الأفعال ـ الطبعة الأولى ـ عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
البارع في علم العروض ـ تحقيق د. أحمد محمد عبدالدائم الطبعة الأولى ـ المكتبة الفيصلية ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
ابن كثير : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي ـ ت ٧٧٤هـ ١٣٧٢م .
البداية والنهاية ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ـ الطبعة الثالثة مكتبة دار التراث ـ القاهرة ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

ابن مكي الصقلي : عمر بن خلف ابن مكي ـ ت٥٠١هـ/١١٠٧م .
تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ـ تحقيق د. عبد العزيز مطر منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ـ ت ٧١١هـ/١٣١١م .
لسان العرب ـ الطبعة الأولى ـ دار صادر ـ بيروت .

ابن ميسر : تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب ـ ت ٦٧٧هـ ١٢٧٨م .
أخبار مصر ـ تحقيق أيمن فؤاد سيد ـ مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ابن وردان : مجهول من علماء القرن التاسع أو العاشر الهجري .
تاريخ مملكة الأغالبة ـ تحقيق محمد زينهم محمد ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

ابن وكيع : أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي ـ ت٣٩٣هـ ١٠٠٢م .
المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره تعليق د. محمد رضوان الدّايه ـ دار قتيبه ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

أبو داود : سليمان بن الأشعث بن اسحاق الأزدي ـ ت٢٧٥هـ/٨٨٨م .
السنن : تعليق الشيخ أحمد سعد علي ـ الطبعة الأولى ـ ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ـ القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

أبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم ـ ت٣٣٣هـ/٩٤٤م .

طبقات علماء افريقيه وتونس ـ طبعة الجزائر ١٣٣٢هـ ـ إعتناء محمد بن أبي شنب . وطبعة تونس ١٩٨٥م . تحقيق على الشابي ونعيم حسن اليافي ـ الدار التونسية للنشر .

أبو الفدا : الملك المؤيد إسماعيل بن الأفضل ـ ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م .

المختصر في أخبار البشر ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا ـ المطبعة العربية ـ ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م .

الإدريسي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ـ ت٥٦٠هـ ١١٦٤م .

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ بريل ـ ليدن

اسحاق بن حنين ـ ت ٢٩٨هـ/٩١٠م .

طبقات الأطباء والفلاسفة ملحق بكتاب طبقات الأطباء والحكماء لإبن جلجل ـ تحقيق فؤاد سيد ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الأصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ـ ت ٣٢٣هـ ٩٣٤م .

مسالك الممالك ـ بريل ليدن ـ ١٩٦٧م .

الأصفهاني : أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن كان حياً سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م

الواضح في مشكلات شعر المتنبي ـ تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور ـ الطبعة الأولى ـ الدار التونسية ١٩٦٨م .

الأنباري : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ـ ت٥٧٧هـ ١١٨١م .

نزهة الألباء في طبقات الأدباء ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

الأنصاري : الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الصوفي الأنصاري المعروف بشيخ الربوة ـ ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م .

نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ـ مكتبة المثنى ببغداد .

البخاري : الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ـ ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م .

كتاب الجامع الصحيح ـ بإعتناء د. أديب مصطفى البغا ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ـ دار الإمام البخاري دمشق ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

البديعي : يوسف البديعي الدمشقي من علماء القرن الحادي عشر

الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ـ تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا ـ دار المعارف ١٩٦٣م .

البسوي : أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي ـ ت ٢٧٧هـ/٨٩٠م

المعرفة والتاريخ ـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ـ الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

البغدادي : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ـ ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م .

الفرق بين الفرق ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة المدني ـ القاهرة .

البلاذري : أحمد بن يحي بن جابر البلاذري ـ ت ٢٩٧هـ/٨٩٢م .

فتوح البلدان ـ تحقيق عبد الله أنيس الطباع ـ عمر أنيس الطباع مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

البلفيقي : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم .

المقتضب من كتاب تحفة القادم لإبن الآبار ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٧م .

البلنوبي : علي بن عبد الرحمن الصقلي ـ القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي .

الديوان تحقيق هلال ناجي ـ دار الرسالة للطباعة ـ بغداد ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

التجاني : محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ـ قام برحلته فيما بين سنتي ـ ٧٠٦ ـ ٧٠٨هـ/١٣٠٦ ـ ١٣٠٨م .

رحلة التجاني ـ تقديم د. حسن حسني عبد الوهاب ـ المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ـ تونس ـ ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

التجيبي : أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله البرقي ـ ت في حدود ٤٥٠هـ/١٠٥٨م .

شرح المختار من شعر بشار ـ إختيار الخالديان ـ إعتناء محمد بدر الدين العلوي ـ مطبعة الإعتماد ـ ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

التنبكتي : أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر ـ ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م

نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ـ على هامش كتاب الديباج المذهب لإبن فرحون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

التهانوي : محمد بن علي الفارقي ـ ت١١٥٨هـ/١٧٤٥م .

كشاف إصطلاحات الفنون ـ تحقيق لطفي عبد البديع ـ ترجم النصوص الفارسية د. عبد المنعم حسنين ـ الهيئة المصرية ١٩٧٢م .

ثابت بن سنان : بن ثابت بن قره الصابي ـ ت٣٦٥هـ/٩٧٥م .
أخبار القرامطه ـ تحقيق د. سهيل زكار ـ الطبعة الثانية ـ دار حسان للطباعة والنشر ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

الثعالبي : أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ـ ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م .
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ـ تحقيق د. مفيد محمد قميحه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الجوذري : أبو علي منصور العزيزي ـ ت ٣٧٦هـ/٩٩٦م .
سيرة الأستاذ جوذروبه توقيعات الأئمة الفاطمية ـ تحقيق د. محمد كامل حسين ـ د. محمد عبد الهادي شعيرة ـ مطبعة الإعتماد ـ مصر ١٩٥٤م .

الجوهري : إسماعيل بن حماد الجوهري ـ ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م .
الصحاح ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ الطبعة الثالثة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٤م .

الجويني : أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .
الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد ـ حققه د. محمد يوسف موسى ـ علي عبد المنعم عبد الحميد ـ مكتبة الخانجي ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفه ـ ت ١٠٦٧هـ ١٦٥٧م .
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ تصحيح وتعليق محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي ـ طبع وكالة المعارف إستنبول ـ ١٣٦٠ ـ ١٣٦٢هـ/١٩٤١ ـ ١٩٤٣م .

الحريري : القاسم بن علي الحريري ـ ت ٥١٦هـ/١١٢٢م .

درة الغواص في أوهام الخواص ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار النهضة المصرية للطباعة والنشر .

الحطاب : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي ت ٩٥٤هـ/١٥٤٧م .

مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ـ مكتبة النجاح ـ طرابلس ليبيا .

الحموي : ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت عبد الله الحموي الرومي البغدادي ـ ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م .

معجم البلدان ـ دار صادر للطباعة والنشر ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

المشترك وضعا والمفترق صقعا ـ الطبعة الثانية ـ نشر عالم الكتب ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

معجم الأدباء ـ الطبعة الثالثة ـ دار الفكر ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الحميدي : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي ـ ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م .

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ ١٩٦٦م .

الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري ـ ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م . أو ٧٢٧هـ/١٣٢٦م .

الروض المعطار في خبر الأقطار ـ تحقيق إحسان عباس ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة لبنان ـ ١٩٨٤م .

الروض المعطار ـ الجزء الخاص بالجزر والبقاع الإيطالية ـ تحقيق امبرتو ـ مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ١٣ .

صفة جزيرة الأندلس ـ منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ـ إعتناء بروفنسال .

الخشني : أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسعد القيرواني ـ ت ٣٧١هـ/٩٧١م .

طبقات علماء إفريقية ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت .

الخطيب البغدادي : الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ـ ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م .

تاريخ بغداد ـ المكتبة السلفية .

كتاب الكفاية في علم الرواية ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة .

الخفاجي : شهاب الدين أحمد بن محمد ـ ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م .

طراز المجالس ـ المطبعة الوهبية ـ مصر ١٢٨٤هـ .

خليل : الشيخ خليل بن اسحاق المالكي ـ ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م .

مختصر الشيخ خليل ـ تصحيح وتعليق طاهر أحمد الزاوي مطبعة المشهد الحسيني ـ القاهرة .

الخوارزمي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي .

مفاتيح العلوم ـ نشر مكتبة الباز ـ مكة المكرمة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

الداوودي : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي ـ ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م .

طبقات المفسرين ـ تحقيق على محمد عمر ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

الدباغ : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ ـ ت ٦٩٦هـ/١٢٩٦م .

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ـ الجزء الأول ـ تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الخانجي ١٣٨٨هـ ـ الجزء الثاني ـ تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور . الجزء الثالث : تحقيق محمد ماضور المكتبة العتيقة ـ تونس ـ الخانجي ـ مصر ـ ١٩٧٨م .

الدواداري : أبو بكر عبد الله بن ايبك الدواداري ـ ت بعد ٧٣٦هـ/١٣٣٥م .

كنز الدرر وجامع الغرر ـ الجزء السادس ـ المسمى الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

الذهبي : الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ـ ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م .

تذكرة الحفاظ ـ الطبعة ـ الرابعة ـ دار احياء التراث العربي بيروت .

المشتبه في الرجال ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٢م معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ـ تحقيق محمد سيد جادالحق ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

سير أعلام النبلاء ـ تحقيق مجموعة من الباحثين ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

العبر في خبر من غبر ـ تحقيق أبو هاجر محمد السعيد ابن

بسيوني زغلول ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
الرقيق القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم ـ ت بعد ٤١٧هـ/١٠٢٦م .
تاريخ إفريقية والمغرب ـ تحقيق د. عبد الله العلي الزيدان ، د. عز الدين عمر موسى ـ الطبعة الأولى ـ دار الغرب الإسلامي بيروت ـ لبنان ـ ١٩٩٠م .
الزّبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن بشر الزبيدي ـ ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م .
طبقات النحويين واللغويين ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٣٩٢هـ/١٩٣٧م .
الزوزوني : محمد بن علي بن محمد الخطيبي الزوزوني .
تاريخ الحكماء ـ المكتبة الصقلية .
سبط ابن الجوزي : يوسف بن قزاوغلي ـ ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م .
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ السفر الأول ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ الطبعة الأولى ـ دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ـ ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م .
طبقات الشافعية الكبرى ـ الطبعة الثانية ـ دار المعرفة للطباعة بيروت ـ لبنان .
السلفي : أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصفهاني السلفي ـ ت٥٧٦هـ/١١٨٠م .

معجم السّفر ـ تحقيق د. بهيجه الحسيني ـ منشورات وزارة الثقافة العراق ـ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من السفر ـ تحقيق د.إحسان عباس ـ الطبعة الثانية ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٣م .

أخبار عن بعض مسلمي صقليه الذين ترجم لهم أبو الطاهر السلفي ـ تحقيق امبرتو ـ حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ـ المجلد الثالث ـ ١٩٥٥م .

السلمي : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ـ ت ٤١٢هـ/١٠٢١م .

طبقات الصوفية ـ تحقيق نور الدين شريبة ـ الطبعة الثانية ـ نشر مكتبة الخانجي ـ القاهر ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

السمعاني : عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ـ ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م .

أدب الإملاء والإستملاء ـ طبعة ليدن ـ ١٩٥٢م .

الأنساب ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ـ الطبعة الأولى ملتزم الطبع والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

السهروردي : عمر بن عبد الله بن محمد ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م .

عوارف المعارف ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٦م .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ ت ٩١١هـ/١٥٠٥م .

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .

طبقات المفسرين ـ مراجعة لجنة من العلماء ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣هـ .

طبقات الحفاظ ـ تحقيق علي محمد عمر ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة وهبه ـ القاهرة ـ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

الإتقان في علوم القرآن ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م .

بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر ـ القاهرة ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م .

الشعراني : عبد الوهاب الشعراني .

طبقات الصوفية الكبرى ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة .

الشنقيطي : الفاضل النابغة القلاوي .

الطليحة ـ الطبعة الأولى ١٣٣٩هـ.

الشهرستاني : الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني .

الملل والنحل على هامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الشيرازي : إبراهيم بن علي بن يوسف ـ ت ٤٧٦هـ/١٠٨٢م .

طبقات الفقهاء ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار الرائد العربي بيروت ـ ١٩٧٠م .

الشيزري : عبد الرحمن بن نصر ـ ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م .
نهاية الرتبة في طلب الحسبة ـ تحقيق السيد الباز العريني ـ دار الثقافة ـ بيروت .
صاعد : أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي ـ ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م .
طبقات الأمم ـ مطبعة التقدم ـ ونشر لويس شيخو اليسوعي المطبعة الكاثوليكيه ـ بيروت ـ ١٩١٢م .
الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ـ ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م .
الوافي بالوفيات ـ إعتناء مجموعة من الباحثين ـ الطبعة الثانية ـ دار فرانز شتايز بقيسبادن ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
الصقلي : أبو علي الحسين بن عبيد الله الصقلي المغربي .
التكملة وشرح الأبيات المشكلة ـ من ديوان أبي الطيب المتنبي تحقيق د. أنوار أبو سويلم ـ دار عمار للطباعة والنشر ـ عمان الأردن ـ طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة ـ عمان الأردن .
الضبي : أحمد بن يحى بن أحمد بن عميرة ـ ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م .
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ـ دار الكتاب العربي ١٩٦٧م .
طاش : كبرى زادة : أحمد مصطفى ـ ت ٩٦٨هـ/١٥٦٠م .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوع العلوم ـ مراجعة وتحقيق ـ كامل كامل بكري ـ وعبد الوهاب أبو النور ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة .
الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ ت ٣١٠هـ/٩٢٢م .
تاريخ الأمم والملوك ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الثانية ـ دار سويدان ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

العراقي : عبد الرحيم بن الحسين العراقي ـ ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م .

فتح المغيث شرح الفية الحديث ـ الطبعة الثانية ـ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ـ ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

العطار الهمذاني : مزيد الدين محمد بن إبراهيم النيسابوري ـ ت٦٢٧هـ/١٢٢٩م .

تذكرة الأولياء ـ طهران ـ ١٣٢١هـ/١٩٠٢م .

العكبري : أبو البقاء العكبري .

التبيان في شرح ديوان المتنبي ـ تحقيق مصطفى السقا ـ ابراهيم الأبياري ـ عبد الحفيظ شلبي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان ١٣٩٧هـ/١٩٧٨م .

الأصفهاني :العماد الأصفهاني : أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين ـ ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م .

خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء المغرب ـ تحقيق محمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحى ومحمد المرزوقي الطبعة الثالثة ـ الدار التونسية للنشر ١٩٨٦م .

عليش : الشيخ محمد عليش ـ ت ١٢٩٩هـ/١٨٨١م .

شرح منح الجيل على مختصر خليل ـ دار صادر بيروت .

عياض القاضي : أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي ـ ٥٤٤هـ/١١٤٩م .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ـ تحقيق الدكتور ـ أحمد بكير محمود ـ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ـ دار مكتبة الفكر ـ ليبيا ـ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض ـ تحقيق ماهر زهير جرار الطبعة الأولى ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ـ تحقيق محمد الطالبي ـ المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ـ تونس ١٩٦٨م .

الغبريني : أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله ـ ت ٦٤٤/٧١٤هـ .

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية تحقيق عادل نويهض ـ الطبعة الثانية ـ دار الآفاق الجديدة بيروت ـ ١٩٧٩م .

الغرناطي : الإمام أبو حامد محمد بن عبد الرحيم بن الربيع القيسي الغرناطي ـ ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م .

تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ـ المكتبة الصقلية .

الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ـ ت ٥٠٥هـ/١١١١م .

إحياء علوم الدين ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان .

المنقذ من الضلال ـ تعليق محمد محمد جابر ـ مكتبة الجندي .

الفارابي :أبو نصر محمد ـ ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م .

إحصاء العلوم ـ تحقيق د. عثمان أمية ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٨م .

الفاسي : الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي ـ ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م .

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ـ تحقيق فؤاد سيد القاهرة ـ ١٩٧٢م .

الفيروز ابادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ـ ت ٨١٧هـ/١٤١٤م

البلغة في تاريخ أئمة اللغة ـ تحقيق محمد المصري ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ـ مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ـ ١٣٨٣هـ .

القاموس المحيط ـ المؤسسة العربية ـ دار الجيل للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان .

القرطبي : ابن عبد البر النمري ـ ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م .

الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، على هامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، طبعة بالأوفست عن الطبعة الأولى ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ ١٣٢٨هـ .

القرماني : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن سنان الدمشقي ـ ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م .

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ـ عالم الكتب ـ بيروت .

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ـ ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م .

آثار البلاد وأخبار العباد ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

القشيري : الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ـ ت٤٦٥هـ/١٠٧٢م .

الرسالة القشيرية في علم التصوف ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٦٧هـ .

القفطي : الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ـ ت٦٤٦هـ ١٢٤٨م .

إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

المحمدون من الشعراء وأشعارهم ـ تحقيق حسن معمري ـ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض ـ ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ـ ت ٨٢١هـ/١٤١٨م .

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ـ نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ـ تحقيق ابراهيم الإبياري الطبعة الثانية ـ الناشرون ـ دار الكتب الإسلامية ـ دار الكتاب المصري ـ دار الكتاب اللبناني ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي ـ ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م .

فوات الوفيات ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٧٣م .

الكندي : ابو عمر محمد بن يوسف الكندي ـ ت ٣٥٠هـ/٩٦١م .

كتاب الولاة وكتاب القضاة ـ طبعة بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة ١٩٠٨م .

المازري الذكي : محمد بن أبي الفرج الصقلي ـ ت ٥١٠هـ/١١١٦م .

مقدمة في النحو ـ تحقيق د. محسن العميري ـ المكتبة الفيصلية ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

المازري : أبو عبد الله محمد بن علي المازري ـ ت ٥٣٦هـ/١١٤١م .

المعلم بفوائد مسلم ـ تحقيق محمد الشاذلي النيفر ـ الدار التونسية للنشر وبيت الحكمة بقرطاج .

المالكي : أبو عبد الله بن محمد ـ ت بعد سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م .

رياض النفوس ـ تحقيق بشير البكوش ـ مراجعة محمد العروسي المطوي ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ـ ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م .

أدب الدنيا والدين ـ نشر دار الكتب العلمية بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

المتنبي : أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي ـ ت٣٥٤هـ/٩٦٥م .

الديوان بشرح أبي البقاء العكبري ـ تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأ بياري وعبد الحفيظ شلبي ـ طبعة بالأوفست ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٣٧هـ/١٩٧٨م .

مجهول : من علماء القرن السادس الهجري ١٢م .

الإستبصار في عجائب الأمصار ـ تحقيق سعد زغلول ـ مطبعة جامعة الأسكندرية ـ ١٩٥٨م .

مجهول : تاريخ جزيرة صقليه من حين دخلها المسلمون وأخبار ماجرى فيها من الحروب وتبديل الأمراء ـ في المكتبة الصقلية .

المراكشي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ت٧٠٣هـ/١٣٠٤م .

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ـ تحقيق محمد بن شريفه وإحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت .

المراكشي : عبد الواحد بن علي المراكشي ـ ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م .

المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ـ إعتناء محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ـ الطبعة السابعة ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء ١٩٧٨م .

المسبحيّ : الأمير المختار الملك أبو عبيد الله محمد بن عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز .

أخبار مصر في سنتين ٤١٤ ـ ٤١٥هـ ـ تحقيق . وليم . ج . ميلورد الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .

مسلم : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ت ٢٦١هـ/٨٧٤م .

الجامع الصحيح بشرح النوري ـ المطبعة المصرية ومكتباتها القاهرة .

المعافري : محمد بن عبد الله ـ ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م .

قانون التأويل : تحقيق محمد السليماني ـ الطبعة الأولى ـ دار القبلة ـ جدة ـ ١٤٠٦هـ .

المقدسي : محمد بن أحمد بن أبي بكر ـ ت بعد سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ طبع ليدن بمطبعة بريل ١٩٠٦م .

المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ـ ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م .

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ـ طبع تحت إشراف

اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومتي المغرب والإمارات نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ـ تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ـ الطبعة الأولى ـ دارالفكر للطباعة والنشر بيروت ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي ـ ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م .

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا ـ تحقيق جمال الدين الشيال ـ مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٧٧م .

المقفى الكبير ـ تحقيق محمد اليعلاي ـ الطبعة الأولى ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤١١هـ/١٩٩١م .

المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ـ طبعة بالأوفست ـ دار صادر ـ بيروت .

مكي ابن أبي طالب ـ مكي بن حموش ـ ت٤٣٧هـ .

الإبانة عن معاني القراءات ـ تحقيق محي الدين رمضان ـ مجمع اللغة العربية ـ دمشق ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤م .

المنصور : الملك المنصور صاحب حماة محمد بن عمر ـ ت ٦١٧هـ/١٢٢١م .

أخبار الملوك ونزهة المالك والملوك في طبقات الشعراء المتقدمين من الجاهلية ـ المكتبة الصقلية .

ناصر خسرو : سفرنامه ـ ترجمة د. يحى الخشاب ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م .

النباهي : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي ت ٧٩٣هـ/١٣٩٠م .

تاريخ قضاة الأندلس ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ
١٩٨٠م .
النعمان : القاضي النعمان بن محمد ـ ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م .
المجالس والمسايرات ـ تحقيق الحبيب الفقي وابراهيم شبوح
ومحمد اليعلاوي ـ نشر الجامعة التونسية ـ المطبعة الرسمية
للجمهورية التونسية ١٩٧٨م .
رسالة افتتاح الدعوة ـ تحقيق وداد القاضي ـ الطبعة الأولى ـ
دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٧٠م .
النعيمي : عبد القادر بن محمد ـ ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م .
الدارس في تاريخ المدارس ـ تحقيق جعفر الحسني ـ مكتبة
الثقافة الدينية ـ ١٩٨٨م .
النووي : أبو زكريا يحى بن شرف النووي ـ ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م .
رياض الصالحين ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت .
النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ـ ت٧٣٣ ـ ١٣٣٣م .
نهاية الأرب في فنون الأدب ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
الونشريسي : أبو العباس أحمد بن يحى ـ ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م .
ايضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك ـ تحقيق أحمد بو طاهر
الخطابي ـ دار الحديث الحسنية ـ الرباط ـ لجنة التراث المشتركة
بين المغرب والإمارات ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقيه والأندلس
والمغرب ـ خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي دار
الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

يحى بن عمر بن يوسف بن عامر ـ ت٢٨٩هـ/٩٠١م .

أحكام السوق ـ تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ـ مراجعة فرحات الدشراوي ـ نشر الشركة التونسية للتوزيع ـ طبع الشركة التونسية لفنون الرسم ـ تونس ـ ١٩٧٥م .

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ـ ت٢٨٤هـ/٨٩٧م .

البلدان ـ ملحق بالأعلاق النفسية لابن رسته ـ مطبعة بريل ـ ليدن صورة بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد ١٨٩١م .

اليماني : عبد الباقي بن عبد المجيد ـ ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م .

اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ـ تحقيق د. عبد المجيد دياب ـ الطبعة الأولى ـ مطبوعات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ثالثا : المراجع العربية الحديثة :

إبراهيم علي طرخان :المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ـ مؤسسة سجل العرب القاهرة ـ ١٩٦٦م .

إحسان عباس : العرب في صقلية ـ الطبعة الثانية ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧٥م .

تاريخ الأدب الأندلسي ـ الطبعة الخامسة ـ دار الثقافة ـ بيروت لبنان ـ ١٩٧٨م .

أحمد أمين : ضحى الإسلام ـ الطبعة العاشرة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

أحمد تيمور باشا : أعلام المهندسين في الإسلام ـ الطبعة الأولى ـ مطابع دار الكتاب العربي ـ مصر ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .

أحمد علي الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

د. أحمد فؤاد باشا : التراث العلمي للحضارة الإسلامية ـ الطبعة الأولى ـ دار المعارف للطباعة ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م .

امبرتو ريتزيتانو : تاريخ الأدب العربي في صقلية ـ مجموعة محاضرات ألقاها ١٩٦٥م ـ منشورات الجامعة الأردنية .

الأهواني أحمد فؤاد : التربية في الإسلام ـ الطبعة الثانية ـ دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

الباجي : محمد الباجي المسعودي .

الخلاصة النقية في أمراء افريقية ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة بيكار تونس ـ ١٣٢٣هـ .

بالنثيا : آنخل جنثالث بالنثيا .

تاريخ الفكر الأندلسي ـ نقله عن الأسبانية حسين مؤنس ـ الطبعة الأولى ـ نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٥م .

بدر : د. عبد الرحمن محمد بدر .

الأغالبة والأدارسة في بلاد المغرب وعلاقاتهم بالقوى السياسية المعاصرة لهم ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ١٤٠٦هـ .

بروكلمان كارل : تاريخ الأدب العربي ـ نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار الطبعة الخامسة ـ دار المعارف ـ ١٩٥٩م .

البشري : د. سعد البشري .

الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ـ ماجستير ـ جامعة أم القرى ـ ١٤٠٢هـ .

الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ـ دكتوراه ـ جامعة أم القرى ـ ١٤٠٦هـ .

البغدادي : إسماعيل باشا البغدادي :

إيضـاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسـامي الكتب والفنون ـ دار الفكر ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

البناني : د. أحمد محمد البناني :

موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ـ الطبعة الأولى من مطبوعات كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى .

تشركوا ـ كليليا سارنللي :

مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غرب المتوسط في القرن الخامس الهجرى ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦١م .

د. توفيق يوسف الواعي : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ـ الطبعة الأولى ـ دار الوفاء للطباعة ـ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

د. جمال الدين الشيال : التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوربي في عصر النهضة ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان .

الجنحاني ـ د. الحبيب الجنحاني : القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي ـ الدار التونسية للنشر ـ ١٩٦٨م .

د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ـ الطبعة السابعة ـ مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر ١٩٨١م .

حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ـ نشر مكتبة المنار تونس ١٩٦٦م .

شهيرات التونسيات ـ بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ

بالقطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة المنار ـ تونس ـ ١٩٦٦م .

الإمام المازري ـ منشورات لجنة البعث الثقافي الأفريقي ـ دار الكتب الشرقية ـ تونس ـ ١٩٥٥م .

بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة المنار ـ تونس .

د. حمدي ـ عبد المنعم محمد حسين : تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين ـ دولة علي بن يوسف المرابطي ـ مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ـ الإسكندرية ١٩٨٦م .

الحموي ـ محمد ياسين : تاريخ الأسطول العربي ـ مطبعة الترقي ـ دمشق ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م .

حوالة ـ د. يوسف أحمد : الحياة العلمية في إفريقية ـ المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى ـ دكتوراه ـ جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

حيدر بامات : اسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية ـ ترجمة د. ماهر عبد القادر ، د. عبد القادر البحراوي ـ الطبعة الأولى ـ دار المعرفة ـ الإسكندرية .

الخطّابي ـ محمد العربي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ـ الطبعة الأولى ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٩٨٨م .

الخطيب ـ إسماعيل : الحركة العلمية في سبته خلال القرن السابع الهجري ـ الطبعة الأولى ـ منشورات جمعية البعث الإسلامي ـ تطوان ـ المغرب ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

دبوز ـ محمد علي : تاريخ المغرب الكبير ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

دوريش ـ د. عيد مصطفى : ابن برّى وجهوده في النحو واللغة والتصريف ـ الطبعة الأولى مطبعة الفجر الجديد ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الدوري ـ تقي عارف : صقليه وعلاقاتها بدول البحر المتوسط.. دار الرشيد ـ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ العراق ـ ١٩٨٠م .

رسلان ـ د. عبد المنعم : الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا ـ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .

د. رشاد عباس معتوق : الحياة العلمية في العراق في العصر البويهي ـ رسالة دكتوراه جامعة أم القرى ١٤١٠هـ .

روم لاندو ـ الإسلام والعرب ـ نقله عن الإنكليزية ـ منير البعلبكي ـ الطبعة الثانية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٧م .

زامباور : معجم الأنساب الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ـ أخرجه د. زكي محمد حسن ، حسن أحمد محمود ـ مطبعة جامعة فؤاد الأول ـ ١٩٥١ ـ ١٩٥٢م .

الزركلي ـ خير الدين : الأعلام ـ الطبعة السادسة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت لبنان ـ ١٩٨٤م .

زكي محمد حسن : فنون الإسلام ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة ـ ١٩٤٨م .

الزناد ـ عبد الله : ذكرى الإمام المازري ـ دار بوسلامه للطباعة والنشر ـ تونس .

الزهراني ـ د. ضيف الله يحى : النفقات وإداراتها في الدولة العباسية ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الطالب الجامعي ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م زيان ـ حامد زيان غانم : تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها على أوروبا ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٧٧م .

العلاقات بين صقلية ومصر والشام ابان الحروب الصليبية ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة القاهرة ـ كلية الآداب ـ ١٩٧٣م .

زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ـ ترجمة فاروق بيضون ـ كمال دسوقي ـ الطبعة الثالثة ـ المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٩م .

السامرائي ـ د . حسام الدين : المدرسة مع التركيز على النظاميات ـ بحث مطبوع من أبحاث الفكر التربوي في الإسلام ـ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ـ ١٤٠٩هـ .

السامرائي ـ كمال : مختصر تاريخ الطب العربي ـ منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراق ـ ١٩٨٤م .

سانت ل.ب موس : ميلاد العصور الوسطى ـ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ـ الناشر عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٦٧م .

ستانوود كب : المسلمون في تاريخ الحضارة ـ ترجمة د. محمد فتحى عثمان الطبعة الأولى ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

سرور ـ د. جمال الدين : سياسة الفاطميين الخارجية ـ دار الفكر العربي ـ ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م .

الدولة الفاطمية في مصر ـ دار الفكر العربي .

سزكين ـ د. فؤاد : تاريخ التراث العربي ـ ترجمة د. محمود فهمي حجازي ـ
د. فهمي أبو الفضل ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٧ .

د. سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ـ الطبعة العاشرة ـ
الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٨٦م .

بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ـ الطبعة الأولى ـ الناشر عالم
الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٨٧م .

النهضات الأوربية في العصور الوسطى ـ القاهرة ـ ١٩٦٠م

المدنيه الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية ـ الطبعة الأولى ـ
دار النهضة العربية ـ ١٩٦٣م .

السلاوي ـ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الإستقصا لأخبار دول
المغرب الأقصى ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

السواط ـ د. عيضه عبد الغفور : الشعر العربي في صقليه في ظل ولاية
الكلبيين ـ دكتوراه جامعة أم القرى ـ ١٤٠٨هـ .

د. السيد أبو العزم داود : الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال
إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين ـ المكتبة الفيصلية ـ مكة المكرمة
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب العصر الإسلامي ـ مؤسسة شباب
الجامعة الإسكندرية .

سيديو : تاريخ العرب العام ـ ترجمة عادل زعيتر ـ الطبعة الثانية ـ عيسى
البابي الحلبي ـ ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

سيسالم ـ د. عصام سالم : جزر الأندلس المنسية ـ التاريخ الإسلامي لجزر
البليار ـ الطبعة الأولى ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ
١٩٨٤م .

الشاذلي ـ محمد الشاذلي النيفر : المازري الفقيه والمتكلم وكتابه المعلم ـ منشورات اللجنة الثقافية الجهويه بالمنستير .

شكيب ـ أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ـ الطبعة الأولى الناشر محمد المهدي الحبابي ـ المطبعة الرحمانية ـ مصر ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

شلبي ـ د.أحمد :التربية الإسلامية ـ الطبعة السادسة ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٨م ، وطبعة أخرى ـ القاهرة ـ ١٩٦٦م .

شلبي ـ د. سعد إسماعيل : ابن حمد يس الصقلي شاعرا ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة .

شوقي ضيف : نوابغ الفكر العربي ـ ابن زيدون ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف

الصديق ابن العربي : كتاب المغرب ـ الطبعة الثالثة ـ الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ـ دار الغرب الإسلامي ـ الشركة الجديدة دار الثقافة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

الطالبي ـ د. محمد : الدولة الأغلبية ـ التاريخ السياسي ـ نقله إلى العربية د. المنجي الصيادي ـ الطبعة الأولى ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٥ م

طرخان ـ د. ابراهيم علي : المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ـ الناشر مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة ـ ١٩٦٦م .

الطنطاوي ـ عبد الرزاق القرموط : صقلية الفاطمية ـ رسالة ماجستير ـ جامعة الأزهر ـ كلية اللغة العربية ـ القاهرة ـ ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

الطنطاوي : محمد . نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ـ الطبعة الخامسة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٣م .

الطيار : رضا عبد الجليل . الدراسات اللغوية في الأندلس عصر المرابطين والموحدين ـ منشورات وزارة الإعلام والثقافة ـ العراق ـ دار الرشيد للنشر ـ ١٩٨٠ .

ظهير : إحسان إلهي . التصوف المنشأ والمصادر ـ الطبعة الأولى ـ الناشر ادارة ترجمان السنة لاهور ـ باكستان ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

د. عبد الرحمن حميده : أعلام الجغرافيين العرب ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر ـ دمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

د. عبد الشافي غنيم : الحالة الإجتماعية والثقافية في صقلية في العصر النورمندي رسالة دكتوراه ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٥٤م .

عبد العزيز بن عبد الله : معلمة الفقه المالكي ـ الطبعة الأولى ـ دار الغرب الإسلامي ١٤٠٣هـ .

د. عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ـ مكتبة الجامعة العربية للطباعة النشر ـ بيروت ـ ١٩٦٦م .

د. عبد الوهاب عزام : المعتمد بن عباد ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٥٩م .

العتيبي ـ د. تركي مسيمير الحافي : الحياة الإجتماعية والإقتصادية في صقلية الإسلامية ـ الطبعة الأولى ـ مطابع القوات المسلحة السعودية ـ ١٤٠٧هـ .

العدوي ـ د. إبراهيم أحمد : الأمويون والبيزنطيون البحر المتوسط بحيرة إسلامية ـ دار الجيل للطباعة ـ القاهرة ـ ١٩٦٣م .

قوات البحرية العربية في مياه المتوسط ـ مطبعة مكتبة النهضة مصر ـ ١٩٦٣م .

د. عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ـ ترجمة د. أمين توفيق الطيبي ـ الدار العربية للكتاب ـ ١٣٨٩هـ/١٩٨٠م .

عسيري ـ د. مريزن سعيد : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ـ الطبعة الأولى مكتبة الطالب الجامعي ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

علي إبراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلي ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة حجازي ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

عنان ـ محمد عبد الله : دولة الطوائف ـ منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ـ الطبعة الثالثة مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

الغناي ـ د.مراجع عقيله : قيام دولة الموحدين ـ منشورات جامعة قار يونس ـ بنغازي ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

فازيليف ، أ . أ : العرب والروم ـ ترجمة د. محمد عبد الهادي شعيرة ـ راجعه د. فؤاد حسنين علي ـ نشر دار الفكر العربي ـ مطبعة الإعتماد مصر .

الفاسي ـ محمد بن الحسن الثعالبي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ـ المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ـ ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

الفائز ـ صالح عبد الرحمن : ابن ظفر الصقلي ومنهجه في التفسير من خلال كتابه الينبوع رسالة ماجستير ـ الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

الفردبل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي ـ دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي ـ ١٩٦٩م .

فروخ : د. عمر . تاريخ العلوم عند العرب ـ الطبعة الثالثة ـ دار العلم للملايين بيروت ـ ١٩٨٠م .

فياض : د. عبد الله .

الإجازات العلمية عند المسلمين ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة الإرشاد بغداد ـ ١٩٦٧م .

د. فيليب حتي وآخرون : تاريخ العرب ـ الطبعة السابعة ـ دار غندور ـ بيروت ـ ١٩٨٦م .

القاضي : د. مختار .

أثر المدنيه الإسلامية في الحضارة الغربية ـ إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ مصر ـ مطابع الأهرام التجارية ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م .

القطان : مناع خليل .

مباحث في علوم القرآن ـ الطبعة الثامنة ـ مكتبة المعارف الرياض ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

قلقيله : د. عبده عبد العزيز .

البلاط الأدبي للمعز بن باديس ـ دراسة تاريخية أدبية نقدية الطبعة الأولى ـ الناشر عمادة شئون المكتبات ـ جامعة الملك سعود ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الكنوني : عبد السلام .

المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلي ابن عطية الطبعة الأولى ـ مكتبة المعارف ـ الرباط ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

كحالة : عمر رضا .

معجم المؤلفين ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ـ الطبعة الثالثه ـ ١٩٨٢م .

كراتشكو فسكي : اغناطيوس يوليا نوفتس .

تاريخ الأدب الجغرافي العربي ـ نقله عن الروسية ـ صلاح الدين عثمان هاشم ـ الطبعة الثانية ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

كرد ـ محمد كرد علي :

الإسلام والحضارة العربية ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر ـ القاهرة .

رسائل البلغاء ـ الطبعة الثالثة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ـ ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م .

الكعاك : عثمان .

الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ـ محاضرات ألقيت على طبعة معهد الدراسات العربية العالية ـ مطبعة لجنة البيان العربي ـ ١٩٦٥م .

لمبارد ـ موريس :

الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ترجمة د. عبد الرحمن حميدة ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

لوبون : غوستاف لوبون .

حضارة العرب ـ نقله إلى العربية عادل زعيتر ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ ١٩٩٦م .

لويس أرشيبالد :

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ـ ترجمة أحمد

محمد عيسى ـ مراجعة محمد شفيق غربال ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

مارتينو ـ ماريو مورينو :

المسلمون في صقلية ـ منشورات الجامعة اللبنانية ـ بيروت ١٩٦٨م .

ماسينون ـ لويس :

الإسلام والتصوف ـ مطابع دار الشعب ـ القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

محمود الحاج :

الموجز لما أضافه العرب في الطب ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٩٧٤م .

محمد زينهم محمد :

فقيه افريقية سحنون ودوره في تطور المجتمع الأغلبي ـ دكتوراه كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٨٦م .

د. محمد عبد الحميد عيسى :

تاريخ التعليم في الأندلس ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربي ١٩٨٢م .

محمد غالب :

تاريخ الدعوة الإسماعيلية ـ دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ـ سوريا .

محمد الفاضل بن عاشور :

التفسير ورجاله ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتب الشرقية ـ تونس ١٩٧٢م .

د. محمد كامل حسين :

الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ـ مطبوعات الحكومة الليبية .

د. محمد مرسي الحريري :

الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ـ ١٩٨٥م .

مخلوف ـ محمد محمد :

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ـ طبعة بالأوفست عن الطبعة الأولى ـ المطبعة السلفية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٤٩هـ .

المدني ـ د. أحمد توفيق :

المسلمون في صقليه وجنوب إيطاليا ـ الطبعة الثانية ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ ١٩٨٥م .

د. منير الدين أحمد :

تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الإجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري ـ مستقاه من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ـ ترجمة د. سامي الصقار ـ دار المريخ ـ الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م

ميتز ـ آدم :

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ـ ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .

ميخائيل أماري :

المكتبة العربية الصقلية ـ طبعة بالأوفست ـ مكتبة المثنى بغداد ـ ليبسك ـ ١٨٥٧م .

د. ناجي معروف :

المراصد الفلكية ببغداد في العصر العباسي ـ دار الجمهورية بغداد ـ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

د. نقولا زيادة :

الجغرافية والرحلات عند العرب ـ دار الكتاب اللبناني بيروت ـ ١٩٦٢م .

هاسكنز ـ شارل هومر :

نشأة الجامعات في العصور الوسطى ـ ترجمة جوزيف يوسف الناشر مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية ـ ١٩٨٤م .

الوزان الزياتي : الحسن بن محمد :

وصف إفريقيا ـ ترجمه من الإيطالية إلى الفرنسية ـ ايبولار وترجمه من الفرنسية إلى العربية ـ د. عبد الرحمن حميدة ـ راجعه علي عبد الواحد ـ من مطبوعات جامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض .

يوسف حسن نوفل :

العرب في صقلية وأثرهم في نشر الثقافة الإسلامية ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

رابعاً : الموسوعات والمقالات :

الموسوعات الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ـ الطبعة الثانية ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض ـ ١٤٠٩هـ .

الموسوعة العربية الميسرة ـ لجنة من العلماء والباحثين العرب

برئاسة محمد شفيق غربال دار نهضة لبنان للطبع والنشر ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدي ـ دار الفكر ـ توزيع الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية .

امبرتو ـ ريتزيتانو :

مساهمة بعض مسلمي صقلية في ثقافة مصر الفاطمية ـ من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ـ مارس / أبريل ١٩٦٩م مطبعة دار الكتب ـ ١٩٧٠م ـ الجزء الأول .

النورمنديون وبني زيري ـ كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد (١١) ـ جزء (١) ـ ١٩٤٩م .

شعر البلنوبي ـ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الصقلي ـ القرن الخامس الهجري ـ حوليات كلية الآداب ـ جامعة عين شمس المجلد الخامس ـ القاهرة ـ ١٩٥٩م .

أمين الخولي :

المدنيه العربية في صقلية ـ المقتطف ـ المجلد (٦٢) ـ الجزء الثاني والجزء الرابع ـ ١٣٤١هـ/١٩٢٣م .

الحديثي ـ خد يجة :

مقال عن اللغة والنحو في حضارة العراق ـ العصور العربية الإسلامية ـ الجزء السابع ـ دار الحرية للطباعة ١٩٨٥م .

حسن عبد الوهاب :

قصة جزيرة قوصره العربية ـ المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثاني ـ العدد الثاني ـ ١٩٤٩م .

الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ـ ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م أو ٧٢٧هـ/١٣٢٦م .

الروض المعطار في خبر الأقطار ـ خاصة بالجزر والبقاع الإيطالية تحقيق د. أومبرتو ريتزيتانو ـ مجلة كلية الأداب ـ جامعة القاهرة ـ المجلد الثامن عشر ـ الجزء الأول ـ مايو ١٩٥٦م .

حواله : د. يوسف أحمد : ابن حوقل ورحلاته الجغرافية للجناح الغربي من الدولـه الإسلاميـــة ـ الجمعيـه الكويتيـه ١٤١٢هـ .

الدوري ـ تقي الدين عارف : سقوط صقلية وإنتهاء السيادة العربية عليها ـ مجلة آداب المستنصرية ـ العدد الثامن ـ ١٩٨٤م .

استمرار الوجود العربي والحضارة العربية في صقلية في عهد النورمان كما شاهدها ابن جبير ـ دراسات للأجيال ـ العدد الرابع ـ السنة الخامسة ـ ١٩٨٤م .

دور صقلية في نقل التراث الطبي العربي إلى أوربا ـ مجلة المؤرخ العربي التي تصدر عن إتحاد المؤرخين العرب ـ العدد (٢٩) ١٩٨٦م .

رينالدي لويجي : المدنيه العربية في الغرب ـ ترجمة طه أفندي فوزي ـ مجلة المقتطف ـ مجلد (٥٩) ـ الجزء السادس ـ ١٩٢١م .

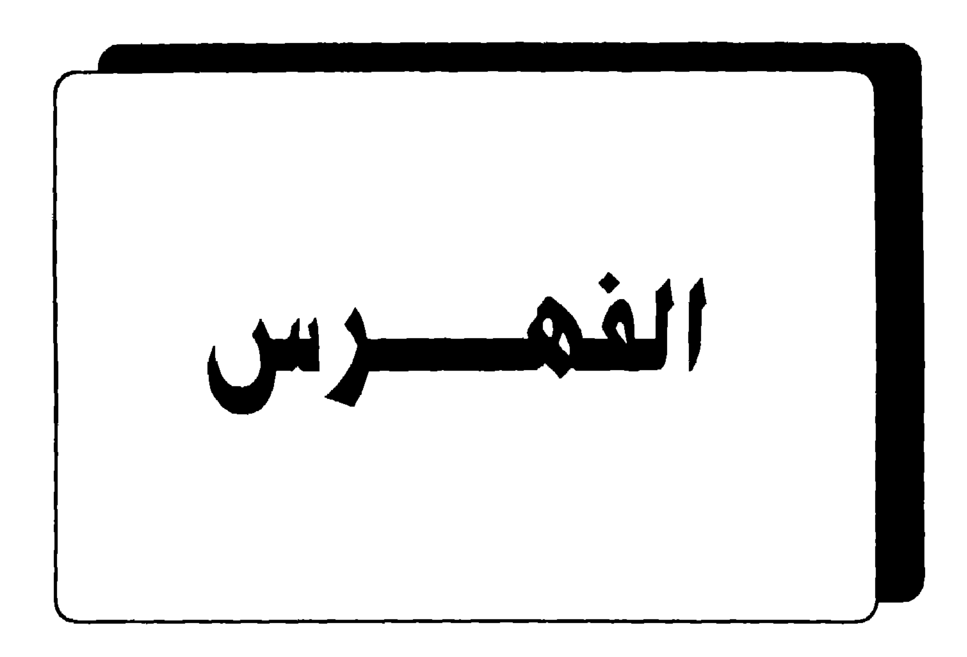
طرخان ـ ابراهيم علي : المسلمون في فرنسا وإيطاليا ـ كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد الثالث والعشرون ـ الجزء الثاني ـ ١٩٦١م .

عبد الحميد حاجيات : نظرية ابن ظفر في أخلاق الملوك من خلال كتابه سلوان المطاع مقال بمجلة أوراق ـ العدد (الرابع والخامس والسادس) المعهد الأسباني العربي للثقافة ـ مدريد .

العدوي : إبراهيم :اقرطيش بين المسلمين والبيزنطيين ـ المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث ـ العدد الثاني ـ ١٩٥٠م .

محمد عبد العزيز مرزوق : مكانة الفن الإسلامي بين الفنون ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ المجلد التاسع عشر ـ الجزء الأول ـ ص١١١ ـ ١٣٤ ـ مايو ـ ١٩٥٧م .




الفهـــرس

الفهـــــرس

الفهـــــرس

الفهـــــرس

الفهـــــرس

مطابع جامعة أم القرى



مطابع جامعة أم القرى



ردمك ١ ـ ٦٠ ـ ٠٣ ـ ٠ ـ ٩٩٦٠